

ليلة فحى

صلى الله عليه وسلم

بين النجوى

** معرفتي **

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الابتسامة

الشيخ
أبو عمار
مكتبة الصفا

مكتبة الصفا

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

ليلة في

بيت النبي ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٤٥٩٥/٢٠١٠

أولاد الحاج عوني بن أبي بكر

١٢٢ ميدان الأزهر، أمام جامع الأزهر، القاهرة ٢٠١٤٧٣٢٠
أزهر لكتاب وخطوط جامع الأزهر، ١٠١٤٣١١٤ - للمبيعات ٢٥١٤٧٩٧٤



مكتبة الأصفى
للنشر والتوزيع

ليلة خدي

بين النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ

عبد الرحمن بن

أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٢٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فما زال فضل الله العظيم الكريم يتوالى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب الدينية المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالى، فقد منَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتيان في جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز سواء كان كاملاً أو مفرقاً على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو الموضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوي الشريف والتي عليها قوام هذا الدين وهي بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتي قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله - عز وجل - لتوصيل الدين وتبليغه كتاباً وسنة، قولاً وفعلاً، نصاً وفهماً وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب، كموطأ الإمام مالك، وصحيح الإمام البخاري، ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ روايةً ودرايةً وشرحاً وبياناً.

وأيضاً وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التي تخدم الكتاب والسنة بشتى

— ٦ — **ليلة في بيت النبي ﷺ** —

الأشكال. والتي قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله - عز وجل - في كتابه وسنة رسوله ﷺ، في صورتى ما بين المطول والمختصر، رحمتنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإيهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أختى القارئ وهو كتاب «ليلة في بيت النبي ﷺ»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتي نرجو من الله - عز وجل - أن يتقبلها منا قبولاً حسناً وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين. إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مَكْتَبَةُ الْإِصْفَا

جعلها الله منارة لخدمة العلم والدين

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١)
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣)
 أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ،
 وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة
 في النار. ويعد:

فإن الله (جل وعلا) خلقنا لغاية عظيمة جليلة أخبر عنها في كتابه
 فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢-١).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الاحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

وجعل للجنة طريقًا واحدًا خلف النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١).
وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢).

فكل الطرق إلى الجنة مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي ﷺ ولذا قال النبي ﷺ: «كل امتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» (٣).

• ولكي نطيع النبي ﷺ فلا بد أن نعلم كيف كان النبي ﷺ يعبد ربه (جل وعلا) وكيف كان هديه وسنته في كل شيء.

ومن أجل ذلك جاءت فكرة هذا الكتاب «ليلة في بيت النبي ﷺ».
فسوف نُطلق العنان لخيالنا لتتخيل كل ليلة أننا في بيت النبي ﷺ لنرى أحواله وأخلاقه ومعاملاته ولنتعلم ونتربى بين يديه ليكون ذلك حاديًا لنا لأن نتأسى ونقتدى به في أفعاله وأقواله وأحواله فنسعد في الدنيا بطاعته ونسعد في الآخرة بصُحبته في الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

• وكأني بكم تقولون: هيا... أفسح المجال لكي نقضى أول ليلة في بيت النبي ﷺ... فتعالوا بنا لتعيش بقلوبنا وأرواحنا مع ليلة في بيت النبي ﷺ.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الففار

المحب للنبي الحبيب المختار.

محمود المصري

أبو عمار

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٣) رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام.

النبي ﷺ
وادخال السرور
على الآخرين

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ وإدخال السرور على الآخرين

تعالوا نزر بيت الرسول

ونسعد بنور نبي الوفا

* * *

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة متجهين إلى بيت الحبيب المصطفى ﷺ لنسعد برؤيته ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

* وها نحن نطرق الباب.. والنبي ﷺ يأذن لنا بالدخول.
فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه ليُعلمهم عبادة لا يلتفت إليها كثيرٌ من الناس وهي عبادة: إدخال السرور على الآخرين.
فقال لهم ﷺ: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كفَّ غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضياً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخلُّ العسل»^(١).

فتعالوا بنا لتتعلم كيف تُدخل السعادة على الآخرين.

* * *

(١) حسن: أخرجه الطبراني في الكبير (٤٥٣/١٢)، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح

الجامع (١٧٦).

احمل البشرى للناس من حولك

إن الناس يحبون من يحمل لهم البشرى.

ولقد كان النبي ﷺ يحرص كل الحرص على أن يحمل البشرى للناس من حوله... فيها هو يبشر خديجة رضي الله عنها بيت في الجنة من اللؤلؤ المجوف.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها - عز وجل - ومنى وبشرها بيت في الجنة من قصب^(١) لا صخب^(٢) فيه ولا نصب^(٣)،^(٤).

* وهو ما يبشر عائشة رضي الله عنها بالبراءة في قصة الإفك.

* وما هو يبشر كعب بن مالك رضي الله عنه بالبراءة بعدما تخلف عن غزوة تبوك ثم نزلت توبة الله عليه بعد خمسين يوماً.

* وما هو يبشر بعض الصحابة بالجنة..

* وما هو يبشر أبا بكر رضي الله عنه بأنه يدعى يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية.

* وما هو يبشر أمته بأن من مات على التوحيد فإنه سيكون من أهل الجنة.. حتى وإن عذب ببعض ذنوبه فإن مصيره في النهاية بأن يكون في الجنة.

* وما هو يبشر بعض أصحابه بأن الجنة تشتاق إليهم.

(١) من قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.

(٢) صخب: هو الصوت المختلط المرتفع.

(٣) نَصَب: المشقة والتعب.

(٤) مضى عليه: رواه البخاري (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

قال ﷺ: «اشتأقت الجنة إلى ثلاثة: عليّ وعمار وبلال» (١).

* بل ويشتر بلالاً بأنه سمع صوت نعليه أمامه في الجنة.
* وهكذا كان النبي ﷺ يحرص كل الحرص على حمل البشرى لكل من حوله..

* أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:

أين نحن من تلك الصفة؟... ولماذا لا نحمل البشرى لكل من حولنا لنُدخل عليهم السعادة والسرور.
- فإن علم الواحد منا خيراً يُدخل الفرحة والسرور على قلب أخيه فلماذا لا يبادر ويكون أول من يبشره... فهذا كله من كمال الإيمان.
- فلنحرص كل الحرص على أن نحمل البشرى الجميلة لإخواننا لتسعد قلوبهم ويكون ذلك كله في ميزان حسناتنا.

الاهتمام بمشاعر الناس والفرح لفرحهم

الناس عموماً يحبون أن يشعروا بقيمتهم.. لذا تجدهم أحياناً يقومون ببعض التصرفات ليُلفتوا النظر إليهم...! وقد يخترعون قصصاً وبطولات لأجل أن يهتم الناس بهم أو يعجبوا بهم أكثر..
لو رجع رجل إلى بيته قادماً من عمله متعباً.. فلما دخل صالة البيت رأى أولاده الأربعة كل واحدٍ منهم على حال.. أكبرهم عمره إحدى عشرة سنة.. يتابع برنامجاً في التلفاز.. والثاني يأكل طعاماً بين يديه.. والثالث يعبث بالعبابه.. والرابع يكتب في دفاتره..

فسلم الأب بصوتٍ مسموع.. السلام عليكم.. فلم يلتفت إليه أحد.. ذلك منهمك مع برنامجه.. والثاني مأخوذ بالعبابه.. والثالث مشغول بطعامه.. إلا الرابع.. فإنه لما التفت فرأى أباه.. نفص يده من دفاتره

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٧٩٧)، وأبو يعلى (١٤٢/١٢) وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

وأقبل مُرحبًا ضاحكًا.. وقبّل يد أبيه.. ثم رجع إلى دفاتره..

أى هؤلاء الأربعة سيكون أحب إلى الأب؟

أجزم أن جوابنا سيكون واحدًا: أحبهم إليه الرابع.. ليس لأنه يفوقهم جمالاً أو ذكاءً.. وإنما لأنه أشعر أباه بأنه إنسان مهمٌ عنده.. كلما أظهرت الاهتمام بالناس أكثر.. كلما ازدادوا لك حبًا وتقديرًا.. كان سيد الخلق ﷺ يراعى ذلك في الناس.. يُشعر كل إنسان أن قضيتَه قضيتُهُ.. وهمه همهُ.. (١)

* ومن ذلك ما فعله طلحة بن عبيد الله مع كعب بن مالك رضي الله عنه.

فعندما تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك.. وأمر النبي ﷺ أصحابه بهجر كعب بن مالك وصاحبيه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع لأنهما أيضًا تخلفا عن الخروج لغزوة تبوك.. واستمر الهجر خمسين يومًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم.

وفي الليلة الخمسين.. نزلت توبتهم على النبي ﷺ في ثلث الليل.. وكان ﷺ في بيت أم سلمة.. فتلا الآيات.. فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله.. ألا نبشّر كعب بن مالك؟

قال: «إذا يحطمكم الناس.. ويمنعونكم النوم سائر الليلة»..

فلما صلى النبي ﷺ الفجر.. آذن الناس بتوبة الله عليهم.. فانطلق الناس يبشرونهم..

قال كعب: وكنت قد صليت الفجر على سطح بيت من بيوتنا..

فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى.. قد ضاقت عليّ نفسي.. وضاقت عليّ الأرض بما رحبت.. وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي عليّ رسولُ الله ﷺ.. أو يموت فأكون من الناس بتلك

(١) استمع بحياتك / د. محمد العريفي (ص: ٩٦).

المنزلة .. فلا يكلمنى أحد منهم .. ولا يصلى على ..

فبينما أنا على ذلك .. إذ سمعت صوت صارخ على جبل سلع بأعلى
صوته يقول: يااااا كعب بن مالك ا .. أبشر .. فخررت ساجداً .. وعرفت
أن قد جاء فرج من الله .. وأقبل إلى رجل على فرس .. والآخر صاح من
فوق جبل .. وكان الصوت أسرع من الفرس ..

فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى .. نزعت له ثوبى فكسوته
إياهما ببشراه .. والله ما أملك غيرهما .. واستعرت ثوبين فلبستهما ..
وانطلقت إلى رسول الله ﷺ .. فتلقانى الناس فوجاً .. فوجاً ..

يهتونى بالتوبة .. يقولون: ليهنك توبة الله عليك .. حتى دخلت
المسجد .. فإذا رسول الله ﷺ جالس بين أصحابه ..

فلما رأونى والله ما قام منهم إلى إلا طلحة بن عبيد الله .. قام
فاعتنقنى وهنأنى .. ثم رجع إلى مجلسه .. فوالله ما أنساها لطلحة ..

والشاهد من هذه القصة .. أن طلحة رضي الله عنه لما رأى كعباً قام إليه واعتقه
وهناه .. فزادت محبة كعب له .. حتى كان يقول بعد موت طلحة .. وهو
يحكى القصة بعدها بسنين: فوالله لا أنساها لطلحة .. وماذا فعل طلحة
حتى يأسر قلب كعب؟ فَعَلَّ مهارة زائدة .. اهتمَّ به .. شاركه فرحته ..
فصار له عنده حظوة ..

الاهتمام بالناس ومشاركتهم فى مشاعرهم يأسر قلوبهم .. لو كنت فى
زحمة الامتحانات .. ووصلت إلى هاتفك المحمول رسالة مكتوب فيها ..
بشرنى عن امتحاناتك والله إن بالى مشغول عليك وأدعو لك، صديقك
إبراهيم ..

أليس ستزداد محبتك لهذا الصديق؟ بلى ..

ولو كان أبوك مريضاً فى المستشفى .. فبقيت معه فى غرفته وأنت

مشغول البال عليه.. واتصل بك صديق وسألك عنه..
 وقال: تحتاج مساعدة؟ نحن في خدمتك.. فشكرته..
 ثم في المساء اتصل وقال: إذا كان الأهل يحتاجون أي شيء أشتريه لهم
 فأخبرني.. فشكرته ودعوت له.. ألا تشعر أن قلبك ينجذب إليه أكثر..؟^(١).

أخبر الناس بحبك لهم

قال ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه»^(٢) وفي رواية: «إذا
 أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة»^(٣).
 وكما حدث بين أبي إدريس الخولاني عندما قال لمعاذ بن جبل: والله إنني
 لأحبك لله... ولك أن تتخيل معي أن أخاك المسلم أقبل عليك وقال لك
 إنني أحبك في الله... ألا تتحرك عاطفة المحبة في قلبك لأخيك وتشعر
 وقتها بأن لك مكانة في قلب إخوانك المؤمنين فتزداد حباً لهم!!!
 لا بأس أن تُعبر عن محبتك للآخرين بكل صراحة.. سواء كانوا أباً أو
 أمًا.. أو زوجة أو أبناء.. أو زملاء وجيران.. لا تكتفم مشاعرك نحوهم..
 قل لمن تحبه: أنا أحبك.. أنت غالٍ إلى قلبي.. حتى لو كان عاصياً قل
 له: إنك أحب إليّ من أناس كشيير.. ولم تكذب فهو أحب إليك من
 ملايين اليهود.. أليس كذلك.. كن ذكياً..

أذكر أنني ذهبت مرة لأداء العمرة.. وكنت خلال الطواف والسعي أدعو
 للمسلمين جميعاً.. بالحفظ والنصر والتمكين.. وربما قلت: اللهم اغفر لي واغفر
 لأحبائي وأصحابي.. وبعد انتهائي من شعائرها.. حمدت الله على التيسير..

(١) استمتع بحياتك (ص: ١٠١-١٠٣) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥١٢٤) كتاب الأدب، والترمذي (٢٣٩٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة
 الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٧٩).

(٣) حسن: ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص: ١٢٠، رقم ٦٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله
 في صحيح الجامع (٢٨٠).

ثم استأجرت فندقاً لأبيت فيه . . فلما وضعت رأسي على وسادتي كتبت رسالة عبر الهاتف المحمول أقول فيها: «الآن أنهيت العمرة وتذكرت أحبابي وأنت منهم فلم أنسك من الدعاء الله يحفظك ويوفقك» . . انتهت الرسالة . .

أرسلتها إلى الأسماء المخزنة في ذاكرة الهاتف . : كانت خمسمائة اسم . . لم أكن أتصور التأثير العجيب لهذه الرسالة في قلوب الآخرين . . منهم من أرسل إليّ: والله إنني أبكي وأنا أقرأ رسالتك . . أشكرك أنك ذكرتنى بدعائك . .

وأخر كتب: والله يا أخي ما أدرى بيم أرد عليك! ولكن جزاك الله خيراً . .

والثالث كتب: أسأل الله أن يستجيب دعائك . . ونحن والله لا نساك . . نحن في الحقيقة نحتاج بين الفينة والأخرى أن نذكر الناس بأننا نحبهم . . وأن كثرة مشاغل الدنيا لم تُنسنا إياهم . . ولا بأس أن يكون ذلك بمثل هذه الرسائل . . يمكن أن تكتب إلى أحبابك: دعوت لكم بين الأذان والإقامة . . أو في ساعة الجمعة الأخيرة . . وإذا كانت نيتك صالحة فلن يكون في هذا إظهار للعمل أو رياء . . وإنما زيادة ألفة ومحبة بين المسلمين . . (١)



(١) استمتع بحياتك (ص: ١٠٦-١٠٧).

كُنْ لِمَا حَا

قسم كبير من الأشياء التي نمارسها في الحياة.. نفعلها لأجل الناس لا لأجل أنفسنا.. عندما تُدعى لوليمة عرسٍ.. فتلبس أحسن ثيابك.. إنما تفعل ذلك لأجل لفت انتباه الناس وجذب إعجابهم.. لا لأجل لفت انتباه نفسك..

وتفرح إذا لاحظت أنهم أعجبوا بجمال هيئتك.. أو رونق ثيابك.. وعندما تؤثت مجلس ضيوفك.. وتتكلف في تزويقه والعناية به.. إنما تفعل ذلك أيضاً لأجل نظر الناس.. لا لأجل نظر نفسك.. بدليل أنك تعتني بغرفة استقبال الضيوف أكثر من عنايتك بالصالة الداخلية.. أو بحمام أطفالك!!

عندما تدعو أصحابك إلى طعام.. ألا ترى أن زوجتك - وربما أنت - تعتني بترتيب الطعام وتنويحه أكثر من العادة..

بلى.. وكلما رادت أهمية هؤلاء الأصحاب.. زادت العناية بالطعام.. وكم تكون سعادتنا غامرة عندما يُثنى أحد على لباسنا أو ديكورات بيوتنا.. أو لذة طعامنا.. وقد قال ﷺ: «وليات إلى الناس الذي يحب أن يأتوا إليه» أي: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.. كيف..؟!

رأيت على صاحبك ثوباً جميلاً.. انتبه له.. أثنِ عليه.. أسمعته كلمات رنانة.. ما شاء الله!! ما هذا الجمال!! اليوم كأنك عريس!! زارك رجل يوماً فشمنت من ثيابه عطراً فواحاً جميلاً.. أثنِ عليه.. تفاعل معه.. كُنْ لِمَا حَا.. فهو ما وضع العطر إلا لأجلك.. ردد عبارات جميلة: ما هذه الروائح.. ما أحسن ذوقك..

دعاك شخص لطعام.. أثنِ على طعامه.. فإنك تعلم أن أمه أو زوجته

أو أخته وقفت ساعات في المطبخ لأجلك.. أو لأجل المدعوين عموماً..
وأنت منهم.. أو أنه على الأقل تعب في إحضاره من المطعم ومحل
الحلويات.. و.. فأسمعه كلمات تجعله يشعر أنك مُمتنّ له بما قدم لك..
وأن تعب لم يذهب سُدًى..

دخلت بيت أحد أصدقائك - أو دخلت بيت إحدى صديقاتك - فرأيت
أثاثاً جميلاً.. فأنن على الأثاث.. والذوق الرفيع.. (لكن انتبه لا تبالغ
حتى لا يشعر أنه استهزاء)..

حضرت في مجلس عام.. فسمعت أحداً يتكلم مع الحاضرين
بانطلاق.. وقد أحيا المجلس.. وأسعد الحاضرين.. أثن عليه.. خذ بيده
إذا قمتم.. قل له: ما شاء الله..!! ما هذه القدرات!! بصراحة ما ملّح
المجلس إلا حضورك.. جرّب افعل ذلك.. فسوف يحبك..

زأيت موقفاً جميلاً لولد مع أبيه.. قبل يده.. قرب إليه نعليه.. أثن
على الولد.. كن لماحاً.. لبس ثوباً جديداً.. أثن عليه.. كن لماحاً..
زرت أختك.. رأيت عنايتها بأولادها.. كُن لماحاً.. أثن عليها.. رأيت
عناية صاحبك بأولاده.. أو روعة ترحيبه بضيوفه..

كُن جريئاً.. لماحاً.. أثن عليه.. أخرج ما في صدرك من الإعجاب
به.. ركبت مع شخص في سيارته.. أو استأجرت تاكسي.. لاحظت
نظافة سيارته.. حُسن قيادته.. كن لماحاً.. أثن عليه..
قد تقول: هذه أمور عادية.. صحيح لكنها مؤثرة.

نعم.. كن لماحاً.. التحكم بعواطف الناس وكسب محبتهم سهل
جداً.. لكننا في أحيان كثيرة نغفل عن ممارسة مهارات عادية نكسبهم بها..
ولا تعجب إن قلت: إن صاحب الخلق العظيم ﷺ كان يمارس هذه
المهارات.. وأحسن منها.. في أول سنين الإسلام.. لما ضيق على

المسلمين في دينهم بمكة .. هاجروا إلى المدينة .. تركوا ديارهم وأموالهم ..
قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة مهاجراً ..
وكان عبد الرحمن في مكة تاجراً مُمكِّناً .. لكنه جاء المدينة فقيراً
مُعدماً .. كحلُّ سريع للمشكلة .. آخى النبي ﷺ بين المهاجرين
والأنصار .. آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع
الأنصاري .. كانت نفوسهم سليمة .. وقلوبهم صافية .. فقال سعد لعبد
الرحمن: أي أخى .. أنا أكثر أهل المدينة مالاً .. فاقسم مالي نصفين ..
فخذ نصفه وأبق لي نصفه .. ثم خشى سعد أن عبد الرحمن يريد أن
يتزوج .. ولا يجد زوجة .. فعرض عليه أن يزوجه ..
فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك .. دلني على
السوق .. !!

صحيح .. عبد الرحمن ترك ماله في مكة واستولى عليه الكفار .. لكنه
كان ذا عقلٍ راجح .. وخبرة تجارية واسعة ..
دلَّه سعد على السوق .. فذهب فاشترى وباع فربح .. يعني اشترى
بضاعة بالأجل ثم باعها حالة .. فصار عنده رأسمال تاجر فيه .. وكان يتقن
فن البيع والشراء .. حتى جمع مالاً فتزوج .. ثم جاء إلى النبي عليه الصلاة
والسلام .. وعليه أثر رعفران .. أي أثر طيب نساء .. !! ليس غريباً فهو
(عريس) .. النبي ﷺ طيبُ النفوس .. كان لماحاً .. يترقب الفرص
لاصطياد القلوب .. أول ما رآه .. انتبه لهذا التغيُّر .. وجعل ينظر إلى أثر
الطيب ويقول لعبد الرحمن: «مهم؟» .. أي ما الخبر؟
ابتهج عبد الرحمن .. وقال: يا رسول الله .. تزوجت امرأة من
الأنصار .. عجب النبي ﷺ .. كيف استطاع أن يتزوج وهو حديث عهد
بهاجرة .. !!

فقال: «فما أصدقتها؟».

فقال: وزن نواة من ذهب..

فأراد ﷺ أن يزيد من فرحته.. فقال: «أولم ولو بشاة».. - يعني اصنع وليمة لنا بمناسبة رواجك - .. ثم دعا له النبي ﷺ .. بالبركة في ماله وتجارته.. فحلَّت البركة عليه..

قال عبد الرحمن وهو يصفُ كسبه وتجارته: فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة.. (١).

احرص على مواساة الناس من حولك

لا شك أن الناس جميعاً يحبون من أحسن إليهم أو اصطنع معروفًا لهم أو كان مواسياً لهم بأي صورة كانت.

* أنواع المواساة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: المواساة للمؤمنين أنواع:

الأول: مواساة بالمال..

الثاني: مواساة بالجاء.

الثالث: مواساة بالبدن والخدمة.

الرابع: مواساة بالنصيحة والإرشاد.

الخامس: مواساة بالدعاء والاستغفار لهم.

السادس: مواساة بالتوجع لهم.

قال: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت

المواساة، وكلما قوى قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له.

(١) استنح بحياتك (ص: ١١١ - ١١٤) بتصرف.

ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو يتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحبت أن أواسيهم في بردهم^(١).

* ولقد كان النبي ﷺ يحض أصحابه وأمه من بعدهم على مواساة الناس.

* ولذلك ينبغي على كل مسلم أن يحرص على اصطناع المعروف ومواساة الناس من حوله ولو بالقليل.. فرب عمل قليل تكثره النية الصالحة فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٢).

* ومن المعلوم أن اصطناع المعروف من أعظم سبل النجاة من كُرب يوم القيامة ومن أسباب الفوز بستر الله في الدنيا والآخرة.

لقول رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٣).

* عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنه أن أصحاب الصفة كانوا ناساً فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس،... بسادس»^(٤).

* عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال وهو يخطب: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، يعود مرضانا، ويتبع جنازتنا، ويغزو

(١) الفوائد (ص ٢٢٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٨١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٧) كتاب الأشربة.

معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناساً يُعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط (١).

* بل هذا حال سلفنا الصالح مع المواساة *

* عن شعبة بن جابر قال: لما توفي الزبير لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير، فقال: كم ترك أخى فى الدين؟ قال: ألف ألف، قال: على خمسمائة ألف (٢).

* وعن أبى حمزة الثمالى قال: إن على بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين فى الظلمة، ويقول: إن الصدقة فى سواد الليل تطفى غضب الرب (٣).

* وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات على بن الحسين وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقل الجرب (٤) بالليل إلى منازل الأرمال (٥).

* وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات على بن الحسين، فقدوا ذلك الذى كانوا يؤتون بالليل (٦).

ازرع الفرحة فى قلوب الناس

اعلم أيها الأخ الحبيب أنك إن لم تزد على الدنيا شيئاً فأنت رائدٌ عليها... فلا بد أن يكون لك إنجاز فى هذا الكون ولا بد أن يكون لك أثرٌ فى قلوب الناس.

(١) رواه أحمد (٥٠٦) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) نزهة الفضلاء (٢١٩/١).

(٣) نزهة الفضلاء (٤٠٦/١).

(٤) الجرب جمع جريب وهو وعاء يحمل فيه الطعام والدقيق ونحوهما.

(٥) نزهة الفضلاء (٤٠٦/١، ٤٠٧).

(٦) نزهة الفضلاء (٤٠٦/١).

ولو قيل لك: إن المطر سينزل في بلدك فقل: بل أتمنى أن ينزل في كل بلاد المسلمين..

ولو قيل لك: ستدخل الجنة وحدك فقل: بل أتمنى أن يدخل معي كل المسلمين.

وهكذا ينبغي عليك أن تُحب الخير لكل الناس من حولك وأن تحرص على زرع الفرحة في قلوب الناس.

وتلك قصة تتعلق بذاكم الموضوع،... قصة من أروع القصص وأجملها وهي قصة موثقة لرجل عمره خمسون سنة كان مصاباً بالسرطان، وتعب مع الأطباء، وحاروا في علاجه؛ حتى استشار أحد الشيوخ فيما يفعل؟ فقال له: ابحث عن عائلة محتاجة وتولها بالرعاية؛ فزاح يبحث عن العائلة إلى أن لقي امرأة معها ثلاثة أيتام؛ فأرسل أحد عماله إليهم، ومن الصباح راح يتكفل لهم بكل شيء يحتاجونه، فأكمل أثاث البيت ووفر لهم كل شيء قبل أذان العصر، وانصرف، فسمع الأم تدعو وتقول: اللهم إني أسألك لمن أدخل السرور في قلوبنا أن تدخل السرور في قلبه.

ومع أذان العصر رجع العامل لصاحب المال فقال له: ما الذي حصل؟
والعامل لما عاد وجد الرجل الذي كان طريح الفراش واقفاً فرحاً فسأل صاحب المال عامله عن دعوة هذه المرأة متى كانت؟
قال: عند أذان العصر.

قال: والله العظيم رأيت كأن ملكاً مسح على صدري في وقت أذان العصر وقمت من الفراش على تلك الحال التي تراني^(١).



(١) ضع بصمتك / د. محمد العريفي (ص: ١٣٤).

البتسم ثم البتسم

إن البسمة تُدخل السعادة على قلبك وعلى الآخرين .
 - وحسبنا أن نعلم أن النبي ﷺ أوصى بها وجعلها من الصدقات التي يؤجر عليها المسلم فقال ﷺ : «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» (١).

- بل جعل النبي ﷺ ذلك من قبيل المعروف فقال ﷺ : «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق له» (٢).
 * ولذا فعليك أن تكثر من التبسم .

فهذا هو هدى نبينا ﷺ . . . فعن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال : «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ» (٣).
 قال جرير بن عبد الله البجلي : ما رأيت رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي . . .

* الابتسامة أنواع.. ومراتب..

فمنها البشاشة الدائمة . . أن يكون وجهك صبوراً مبتهجاً دائماً . .
 فلو كنت مدرساً ودخلت الفصل على طلابك . . .
 فالفهم بوجهٍ بشوش . . ركبت طائرة ومشيت في الممر والناس ينظرون إليك كن بشوشاً . . دخلت بقالة أو محطة وقود . . مدت له الحساب . .
 ابتسم . .

(١) صحيح : رواه الترمذی (١٩٥٦) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح : رواه الترمذی (٣٦٤١) كتاب المناقب، وأحمد (١٧٢٥١) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح سنن الترمذی.

ولو كنت في مجلس .. ودخل شخص وسلم بصوت عالٍ .. ومراً بنظره
على الجالسين .. ابتسم .. ولو دخلت على مجموعة وصافحتهم .. ابتسم ..
* وعموماً:

الابتسامة لها من التأثير الكبير في امتصاص الغضب والشك والتردد ..
ما لا يشاركها غيرها ..

البطل هو الذي يستطيع التغلب على عواطفه .. ويتبسم ..
حتى في أحلك المواقف ..

* كان أنس بن مالك رضي الله عنه يمشي مع النبي ﷺ يوماً ..
والنبي ﷺ عليه برد نجراني غليظ الحاشية ..
فلحقهما أعرابي ..

أقبل هذا الأعرابي يجرى وراء النبي ﷺ يريد أن يلحق به .. حتى إذا
اقرب منه .. جبذه بردائه جبذة شديدة .. فتحرك الرداء بعنف على رقبة
النبي ﷺ ..

قال أنس: حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ .. قد أثرت
بها حاشية البرد من شدة جبذته ..

فماذا يريد هذا الرجل؟! ..

لعل بيته يحترق وأقبل يريد معونة ..

أو أحاطت به غارة من المشركين .. فأقبل فزعاً يريد نصرة ..
اسمع ماذا يريد ..

قال: يا محمد .. (لاحظ لم يقل: يا رسول الله) ..

قال: يا محمد .. مر لي من مال الله الذي عندك ..

فالتفت رسول الله ﷺ .. ثم ضحك .. ثم أمر له بغطاء ..

نعم .. كان ﷺ بطلاً، لا تستفزه مثل هذه التصرفات .. ولا يعاقب

أو تثور أعصابه على التفاهات ..

كان قوياً يضبط أعصابه ..

دائم الابتسامة حتى في أحلك الظروف .. يفكر في عواقب الأمور قبل

أن يفعلها .. وماذا يفيد لو أنه صرخ بالرجل أو طرده!

هل سيشفى جرح عنقه؟! أو يصلح أدب الرجل؟! كلا ..

إذن ليس مثل الصبر والتحمل .. نعم بعض الأمور تثور لها ونغضب ..

وعلاجها شيء آخر تماماً .. نعالجها بالرفق واللين .. والتبسم .. وإحسان

الظن .. وكظم الغيظ .. وكسب الناس ..

وصدق ﷺ لما قال: «ليس الشديد بالصرعة .. إنما الشديد الذي يملك

نفسه عند الغضب» .. كان النبي الكريم ﷺ يجذب الناس بالتبسم

والبشاشة .. (١) ..

تهادوا تحابوا

من المعلوم أن الهدية لها مفعول السحر الحلال في تأليف القلوب

واستجلاب محبة الناس .. ولذلك حثَّ النبي ﷺ على ذلك فقال

ﷺ: «تهادوا تحابوا» (٢) ..

- بل حثَّ النبي ﷺ على قبول الهدية مهما كانت صغيرة أو كبيرة

ونهى عن ردِّ الهدية ..

- فمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أجيبوا

الداعي، ولا تردوا الهدية» (٣) ..

(١) استمتع بحياتك (ص: ٢٥١-٢٥٢) ..

(٢) حسن: رواه البخارى في الأدب المفرد (١/٢٠٨، رقم ٥٩٤)، البيهقي (٦/١٦٩، رقم ١١٧٢٦)، وحنه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٤/٣٠٠) ..

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣٨٢٨) مسند الكثيرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٨) ..

• يقول أحد الدعاة :

أحيانًا لا تتكرم على الشخص مباشرة.. وإنما تتكرم على من يحبهم..
فيحبك..

زارني أحد الأصدقاء يومًا.. وكان يحمل كيسًا فيه عدد من الحلويات
والألعباب.. أظنها لم تكلفه بضعة ريالات.. ناولني إياها وقال: هذا
للأولاد.. فرح بها الصغار.. وفرحت بها أنا لأنه أشعرني أنه يحب إدخال
السرور على أولادي..

• كان أحد السلف عالمًا.. لكنه كان فقيرًا..

فكان طلابه يهدون إليه بين فترة وأخرى أنواعًا من الهدايا.. ثم..
دقيق..

وكان الطالب إذا أهدى إليه.. لم يزل الشيخ مكرمًا له مقبلًا عليه
مادامت هديته باقية.. فإذا انتهت.. رجع إلى طبعه الأول..
فكر أحد طلابه بهدية يحملها إلى الشيخ..

تكون معقولة الثمن..

وتطول مدة بقائها..

فأهدى إليه كيس ملح..

فالملح ثمنه قليل..

ويطول بقاءه في البيت لأنه لا يُستعمل منه إلا الشيء اليسير..

فقد يكفي الكيس الواحد لمدة سنة أو سنتين..

ولو استشرتنى في هديتين ستهدى إحداهما إلى صديق..

أولاهما زجاجة عطر رائع.. ثمين..

أو ساعة حائطية تكتب عليها إهداءً باسمه..

لاخترت الساعة..

لأنها يطول بقاؤها . . ويراها دائماً . . وربما يكون ثمنها أقل . .
 * أذكر أن أحد طلابي أهديته ساعة حائطية فيها إهداء باسمه . .
 تخرج من الكلية . . ومرت السنون . .
 ثم زرت إحدى المدن لإلقاء محاضرة فتفاجأت به يحضر المحاضرة
 ويدعوني إلى بيته . .
 فلما دخلت مجلس الضيوف فإذا به يشير إلى الساعة المعلقة على
 الحائط . . ويقول: هذه أغلى هدية عندي . . (١).

إدخال السعادة على الفقراء

عدد من الناس اليوم أخلاقهم تجارية . .
 فالغنى فقط هو الذى تكون نكته طريفة فيضحكون عند سماعها . .
 وأخطاؤه صغيرة . . فيتغاضون عنها . .
 أما الفقراء فنكتهم ثقيلة . . يُسخر بهم عند سماعها . . وأخطاؤهم
 جسيمة . . يصرخ بهم عند وقوعها . .
 أما رسول الله ﷺ فكان عطفه على الغنى والفقير سواء . .
 * قال أنس رضي الله عنه: كان رجل من أهل البادية اسمه زاهر بن حرام . .
 وكان ربما جاء المدينة فى حاجة فيهدى للنبي ﷺ من البادية شيئاً من
 أقط أو سمن . . فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى أهله بشيء
 من تمر ونحوه . .
 وكان النبي ﷺ يحبه . . وكان يقول: «إن زاهراً باديتنا . . ونحن
 حاضرناه» . . وكان زاهراً دميماً . .
 خرج زاهر رضي الله عنه يوماً من باديته . . فأتى بيت رسول الله ﷺ . . فلم

(١) استمع بحياتك (ص: ٣١٠).

يجده .. وكان معه متاع فذهب به إلى السوق ..
 فلما علم به النبي ﷺ مضى إلى السوق يبحث عنه .. فاتاه فإذا هو
 يبيع متاعه .. والعرق يتصبب منه .. وثيابه ثياب أهل البادية بشكلها
 ورائحتها ..

فاحتضنه ﷺ من ورائه، وزاهر لا يبصره .. ولا يدري من أمسكه ..
 ففزع زاهر وقال: أرسلني .. من هذا؟
 فسكت النبي عليه الصلاة والسلام ..
 فحاول زاهر أن يتخلص من القبضة .. وجعل يلتفت وراءه .. فرأى
 النبي ﷺ فاطمأنت نفسه ..
 وسكن فزعه ..

وصار يُلصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه .. فجعل النبي ﷺ
 يمازح زاهراً .. ويصيح بالناس يقول:
 «من يشتري هذا العبد؟» ..
 «من يشتري هذا العبد؟» ..

فنظر زاهر في حاله .. فإذا هو فقير كبير .. لا مال .. ولا جمال ..
 فقال: إذا والله تجدني كاسداً يا رسول الله ..
 فقال ﷺ: «لكنك عند الله لست بكاسد .. أنت عند الله غال» ..
 فلا عجب أن تتعلق قلوب الفقراء به ﷺ وهو يملكهم بهذه الأخلاق ..
 كثير من الفقراء .. قد لا يعيب على الأغنياء البخل عليه بالمال
 والطعام .. لكنه يعيب عليهم بخلهم باللطف وحسن المعاشرة ..
 وكم من فقير تبسمت في وجهه ..
 وأشعرته بقيمته واحترامه ..
 فرفع في ظلمة الليل يداً داعية ..

يستنزّل بها لك الرحمات من السماء ..

ورُبُّ أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالأبواب لا يؤبّه له .. لو أقسم على الله لأبره .. فكن دائم البشر مع هؤلاء الضعفاء .. (١)

فكرة طيبة

ونمى إلى علمي أن بعض الناس أدخلوا السرور على مجموعة من العمال، وتعاون معهم أحد المطاعم؛ فجزاهم الله خيراً.

فبعض العمال يسمع عن المشويات، يسمع عن العصير، يسمع عن الحلويات؛ لكن ربما لم يذقه يوماً، أو لم يدخل إلي مطعم فاخر يوماً... فهؤلاء جزاهم الله خيراً نسّقوا مع أحد المطاعم وتبرع أن يطعم عنده أو أن يستضيف عنده بالمجان عدداً من العمال، ونذكر أيضاً أن هؤلاء لم يتخرجوا من وجود هؤلاء العمال معهم في السيارة، - فجزاهم الله خيراً - .

وسألناهم عن السر في عدم إعطائهم أموالاً بدل أن يفعلوا هذا، فكانت الإجابة أنهم أرادوا أن يجعلوهم يشعرون بنفس إحساسهم عندما يدخلونهم هذا المكان؛ وأن هذا العمل سيجعلهم أكثر سروراً مما لو أعطوهم الصدقة، وذكروا شيئاً جميلاً أنهم يكونون سرورين أكثر ممن أدخلوا عليهم السرور.

والشيء بالشيء يُذكر... فهذا رجل آخر يقول: كنت أذهب إلى المسجد، فأمرّ بعامل يكنس، وكان معي عطور شرقية طيبة، فقلت: تعال يا فلان، ما اسمك؟ وعرفت من اسمه أنه غير مسلم. فطيته واستمر الحال على هذا ثلاثة أو أربعة أيام، أسلّم عليه وأطيبه؛ وكان هذا العمل سبباً في دخوله الإسلام.

أى والله... يعطر ثمنه يسير؛ لكنه أدخل عليه السرور (٢).

(١) استمتع بحياتك (ص: ٢٨-٢٩).

(٢) ضع بصنك (ص: ١٣٨-١٣٩).

لا تنس أهل بيتك

وإذا كنا نذكر كيف يكون الحرص على إسعاد الآخرين فلا نستطيع أن ننسى أبداً أهل البيت .

* فنبدأ بالوالدين . . . فنحرص كل الحرص على بر الوالدين وعلى أن نبدأ يومنا بتقيل أيديهم والسؤال عن أحوالهم والاستفسار عما إذا كانوا بحاجة إلى أي شيء .

* ونحرص على إدخال السعادة على الزوجة وذلك بحسن المعاملة والتبسم في وجهها واللقاء السلام عليها والتلطف معها ومداعبتها والخروج معها أحياناً إلى نزهة جميلة فقد قال ﷺ : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» .

* ونحرص أيضاً على إدخال السعادة على الأطفال فنلاعبهم ونداعبهم ونمزح معهم ونأتي إليهم بكل ما يسعدهم ما دام ليس فيه معصية لله (جل وعلا) .

* بل ويمتد الإحسان حتى إلى الخدم فلا نكلفهم ما لا يطيقون بل نساعدهم أحياناً . . ونحرص على حسن معاملتهم وعدم احتقارهم ولا مانع من إعطائهم الهدايا بين الحين والحين «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» .

إدخال السعادة على المذنبين

لاشك أن المذنب يأتي عليه وقت يبحث فيه عن طوق النجاة وبريق الأمل يبحث عن طريق التوبة والعودة إلى الله ولكنه قد يجد من يأخذ بيديه إلى بر الأمان وقد يجد من يقنطه من رحمة الله (جل وعلا) .

فما عليك إلا أن تُجدد الأمل في قلوب هؤلاء المذنبين ليتوبوا ويعودوا إلى الله (جل وعلا).

اذكر لهم آيات وأحاديث الرجاء.

* وتأمل معي قصة هذا الرجل:

كان في الأمم السابقة رجل سفاح!! سفاح!! نعم سفاح.. لم يقتل رجلاً واحداً ولا اثنين.. ولا عشرة.. وإنما قتل تسعاً وتسعين نفساً..

لا أدري كيف نجا من الناس وانتقامهم.. لعله كان مخيفاً جداً إلى درجة أنه لا أحد يجرؤ على الاقتراب منه..

لو أنه كان يتخفى في البراري والمغارات.. لا أدري بالضبط.. المهم أنه ارتكب ٩٩ جريمة قتل!!

ثم حدثته نفسه بالتوبة.. فسأل عن أهل الأرض فدكّوه على عابد في صومعته.. لا يكاد يفارق مُصلاه.. يمضي وقته ما بين بكاء ودعاء.. هين لين عاطفته جياشة..

دخل هذا الرجل على العابد.. وقف بين يديه ثم فجعه بقوله: أنا قتلت تسعاً وتسعين نفساً.. فهل لى من توبة؟

هذا العابد.. أظنه لو قتل نملة من غير قصد لقضى بقية يومه باكياً متأسفاً.. فكيف سيكون جوابه لرجل قتل بيده ٩٩ نفساً؟!..

انتفض العابد.. ولم يتخيل ٩٩ جثة بين يديه يمثلها هذا الرجل الواقف أمامه.. صاح العابد: لا.. ليس لك توبة.. ليس لك توبة..

ولا تعجب أن يصدر هذا الجواب من عابد قليل العلم.. يحكم في الأمور بعاطفته.. هذا القاتل لما سمع الجواب.. وهو الرجل الصلب الحشن..

غضب واحمرت عيناه.. وتناول سكينه ثم انهال طعناً في جسد العابد حتى مزقه.. ثم خرج ثائراً من الصومعة..

ومضت الأيام.. فحدثته نفسه بالتوبة مرة أخرى.. فسأل-عن أعلم أهل الأرض.. فدلّه الناس على رجل عالم.. مضى يمشى حتى دخل على العالم.. فلما وقف بين يديه فإذا به يرى رجلاً رزيناً يُزينه وقار العلم والخشية..

فأقبل القائل إليه سائلاً بكل جرأة: إني قتلت مائة نفس!! فهل لى من توبة؟!

فأجابه العالم فوراً: سبحان الله..!! ومن يحول بينك وبين التوبة!!؟!
جواب رائع!! فعلاً من يحول بينه وبين التوبة؟! فالخالق فى السماء.
لا تستطيع أى قوة فى العالم أن تحوّل بينك وبين الإنابة إليه والانكسار بين يديه..

ثم قال العالم: الذى كان يتخذ قراراته بناء على العلم والشرع.. لا بناء على طبيعته ومشاعره.. أو قُلْ على عاطفته وأحاسيسه..
قال العالم: لكنك بأرض سوء.. عجباً! كيف عَلمَ؟! عرف ذلك بناء على كثرة الجرائم وقلة المدافع له المنكر عليه..
فعلم أن البلد أصلاً يتشر فيها القتل والظلم إلى درجة أنه لا أحد ينتصر للمظلوم..

قال: «إنك بأرض سوء.. فاذهب إلى بلد كذا وكذا فإن بها قومًا يعبدون الله فاعبد الله معهم».. ذهب الرجل يمشى تائباً منيباً.. فمات قبل أن يصل إلى البلد المقصود.. نزلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.. فأما ملائكة الرحمة فقالت: أقبل تائباً منيباً.. وأما ملائكة العذاب فقالت: لم يعمل خيراً قط.. فبعث الله إليهم ملكاً فى صورة رجل ليحكم بينهم.. فكان الحكم أن يقيسوا ما بين البلدين.. بلد الطاعة وبلد المعصية.. فإلى أيتهما كان أقرب.. فإنه لها.. وأوحى الله تعالى إلى بلد الرحمة أن

تقاربي.. وإلى بلد المعصية أن تباعدى.. فكان أقرب إلى بلد الطاعة
فأخذته ملائكة الرحمة.. (١).

لا تحقرن من المعروف شيئاً

أى عمل ولو كان بسيطاً يُدخل السعادة على الآخرين فإنه يكون عند
الله عظيماً.

* قد تقف في محطة بنزين وبعد أن تُعبئ سيارتك بالوقود تسأل
العامل: كم الحساب؟ فيقول ثمانية وأربعين جنيهاً فتعطيه خمسين جنيهاً
وتبتسم وتقول له: جزاك الله خيراً.. وأنت لا تدري كم أدخلت من
السعادة المادية والمعنوية على هذا العامل.

* عندما تقف في إشارة مرور فتجد هذا العسكرى البسيط فتبتسم في
وجهه وتقول له: جزاك الله خيراً وأعانك الله على هذا العمل الشاق..
فإنك تُدخل عليه السعادة وتُشجعه على الإخلاص في عمله.

* عندما ترى الرجل الذي يكنس وينظف الشارع فترسل له مع إبتك
طعام الإفطار ولو مرة كل أسبوع فإنك تُدخل على قلبه السعادة وتُشعره بأنه
ليس منبوذاً من المجتمع بل هذا رجل له قيمته ومكانته.

* عندما تشتري من بائع متجول فتعطيه حقه ولا تبخه حقه ثم تدعو
له بأن يوسع الله عليه ويبارك له في رزقه.. فإنك بذلك تُدخل عليه
السعادة والسرور.

- وهكذا في كل مجالات الحياة.. احرص على إدخال السعادة على
الآخرين.

* * *

(١) استمتع بحياتك (ص: ٧٧-٧٨).

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

من أصعب اللحظات أن يقصدك صاحب حاجة.. ثم يرجع خائباً غير مقضية حاجته..

نعم... قضاء حاجات الناس طاعة عظيمة...
ولو لم يكن فيها إلا قوله ﷺ: «لأن أمشي مع أخي في حاجة حتى أثبتها له، أحب إليّ من أن أعتكف في مسجدي هذا شهراً» لكفى في فضلها..

لكن بعض الحاجات يصعب قضاؤها...
فليس كل من طلب منك أن تسلفه مالا قدرت على إعطائه...
ولا كل من طلب منك مرافقته في سفر قدرت على تلبية طلبه... ولا كل من طلب حاجة منك كقلم أو ساعه أو غيرها... استطعت إعطاءها له..

والمشكلة أن أكثر الناس إذا لم تُلب حاجاتهم وجدوا عليك في أنفسهم.. وقد يذمّونك في المجالس ويتهمونك تارة بالبخل.. وتارة بالأنانية.. وتارة..
إذا ما العمل؟

كُن ماهرًا في الخروج من الموقف.. فإذا طلب منك أحد شيئًا ولم تستطع قضاءه فعلى الأقل ردهً بعبارات جميلة.. كما قال:

لا خيل عندك تُهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

فلو علم شخص بأنك ستسافر إلى مدينة معينة.. فجاءك وقال: أريدك أن تشتري لي حاجة من المدينة التي أنت مسافر إليها.. وأنت لا رغبة لك في قضاء حاجته لأي سبب..

فكيف تجيب؟

فليُسعد النطق إن لم تُسعد الحال ..

قل له: والله يا فلان أتمنى أن أخدمك بعيونى .. وأنت أحب إلى من أناسٍ كثير .. لكنى أخشى أن يضيق وقتى .. وعندى بعض الظروف تمنعنى من إحضارها .. و ..

ولو دعاك إلى وليمة وأردت أن تعتذر وخشيت أن يجد فى نفسه عليك .. فقدم مقدمات .. قل - مثلاً - أنا ما أعتبرك إلا كواحد من إخوانى .. وأنت من أغلى الناس إلى قلبى .. لكنى مشغول الليلة .. وأنت لم تكذب فقد يكون شغلك هذا جلسة مع أولادك .. أو قراءة فى كتاب .. أو نوم!! فهى كلها أشغال ..

وقد كان نبينا وقره أعيننا محمد ﷺ يملك الناس بأخلاق يأمر بها قلوبهم^(١) ..

* وفى الختام: فإنى أسأل الله (جل وعلا) أن يستخدمنا ويجعلنا ممن يُدخلون السعادة والسرور على قلوب المسلمين فى كل أقطار الأرض.



(١) استمع بجاتك (ص: ٣٤٤-٣٤٥).

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

مواقف
بکی فیہا النبی ﷺ

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

مواقف بكى فيها النبي ﷺ

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ يبكي بكاءً شديداً... فيا ترى ما الذي حدث؟

لقد مات ابنه إبراهيم (عليه السلام). فما كان من النبي ﷺ إلا أن قال لأصحابه: «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(١).

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع تلك المواقف التي بكى فيها النبي ﷺ.

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٠٣) كتاب الجنائز.

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

فلم تكتمل الأسوة والقدوة إلا في النبي ﷺ .
لقد عاش النبي ﷺ كل المراحل والأحوال التي يمكن أن يمر بها أي
مسلم على وجه الأرض .
عاش الفقر والغنى . . والصحة والمرض . . والابتلاء والعافية . . ذاق
طعم الضحك والبكاء . . عاش مع أحبائه وذاق مرارة الفراق . . عاش في
وطنه وذاق ألم الهجرة وترك الأحباب والأوطان . .
تزوج وطلق . . . أنجب الأولاد والبنات . . ومات أولاده وبناته . . . كان
له الأحفاد . . . وهكذا عاش النبي ﷺ كل الأحوال حتى تكتمل فيه الأسوة
والقدوة . . وحتى ينظر المسلم إلى حاله ويعلم أن النبي ﷺ عاش نفس
الحالة فيتعلم كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع هذا الواقع الذي يعيشه .

كان بكاء النبي ﷺ في ثلاثة أحوال

ولقد كان بكاء النبي ﷺ في ثلاثة أحوال:

- (١) عند موت الأحباب .
- (٢) عند هجر الأوطان .
- (٣) بكاؤه من خشية الله (جل وعلا) .

* فتعالوا بنا لتعايش مع تلك اللحظات العصيبة التي بكى فيها النبي

ﷺ .

(١) سورة الاحزاب: الآية: (٢١).

أولاً: بكاءه عند فراق الأحباب

وُلد النبي ﷺ يتيماً.. فقد مات أبوه وهو حَمْلٌ في بطن أمه فإنه لما حملت به أمه خرج أبوه بعد فترة ينيرة من الحمل ليبحث عن لقمة العيش. وذهب في رحلة الصيف إلى الشام فمرض في الطريق ووافته المنية فمات في طريق العودة.

وكانت آمنة بنت وهب تنتظر زوجها عبد الله لتكتمل سعادتها ولكن سرعان ما وصل إليها خبر موته ففاضت دموعها على خديها ولم تكن تتخيل أن تفقد زوجها بهذه السرعة.

* لقد مات عبد الله بالمدينة المنورة وهو راجع وترك هذه النسمة الطاهرة، وكان القدر يقول له: لقد انتهت مهمتك في الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله عز وجل بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

وتمر الأيام ويولد النبي ﷺ في عام الفيل وتأخذه حليلة السعدية لترضعه ثم تعود بعد فترة لترده إلى أمه آمنة بنت وهب.

وفاة أمه عليه الصلاة والسلام

أخذت آمنة طفلها المبارك واحتضته وأغدقت عليه حُباً وحناناً فهي تشعر أنه خير غلام أنجبته أرض العرب.

* وفي يوم من الأيام أخذته أمه لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار بعد أن استأذنت من جده عبد المطلب الذي كان لا يطيق فراق حفيده أبداً.. وكان النبي ﷺ قد بلغ السادسة من عمره.

* فخرجت آمنة متجهة إلى يثرب (المدينة المنورة) ومعها ابنها المبارك

ومعها أم أيمن (جارية عبد المطلب). ولما وصلوا يشرب وراه أخواله فرحوا به فرحاً شديداً ولم يأذنوا لأمه بالعودة إلا بعد إلحاح شديد.

* وفي طريق العودة من يثرب إلى مكة... وفي مكان بين مكة والمدينة اسمه الأبواء أحت آمنة بالأم شديدة أوقفتها عن المسير... ونظر محمد ﷺ إلى أمه فإذا هي في النزاع الأخير فتزفت دموعه وهو يرى أمه تموت أمام عينيه.

وماتت أمه بالأبواء ودُفنت هناك... فنظر النبي ﷺ إلى أم أيمن وبكى وقال لها: «يا أم أيمن أنت أمي بعد أمي».

* يا له من موقف مؤثر... ها هو النبي ﷺ يفقد أمه بعدما فقد أباه وهو جنين في بطن أمه.

* وما هو في هذه اللحظة الحزينة يصبح بلا أب ولا أم وهو الطفل الصغير الذي لم يتجاوز السادسة من عمره.

* وفي هذه اللحظة احتضته أم أيمن ودموعها على خديها وعادت به إلى مكة وتوجهت به إلى بيت جده عبد المطلب الذي احتضن حفيده وبكى بعدما علم ما حدث له.

* وأوقفت أم أيمن حياتها كلها لرعاية النبي ﷺ... فغمرته بعطفها وحبها وحنانها... وكان جده يقربه إليه ويحبه حباً شديداً.

وهكذا عوضه الله بحنان جده وحاضته أم أيمن عن حنان الوالدين وكان عبد المطلب يخاف عليه خوفاً شديداً فكان يوصي أم أيمن ويقول لها: لا تغفلي لحظة واحدة عن محمد ﷺ.

فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضَع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان يثوّه يجلسون حول فراشه ذلك

حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتى وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لثأناً؛ ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

وفاة جده عبد المطلب

وبعد فترة يسيرة نام عبد المطلب على فراش الموت... وقد كان يتمنى أن يعيش طويلاً من أجل أن يرى حفيده المبارك ﷺ. ولكن جاءت اللحظة الحاسمة ومات عبد المطلب جد النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يبلغ من العمر ثمان سنوات. وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب في اللحظات الأخيرة أن يكفل محمداً ﷺ ويرعاه... فلما مات عبد المطلب كفل أبو طالب النبي ﷺ وأخذه إلى بيته ليعيش مع أولاده...

وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت

كان أبو طالب فقيراً وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون من الطعام أبداً فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة في هذا البيت الكريم وبخاصة في طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ. * فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يُغذيهم أو يُعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتى ابني، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح -

الإيمان، وذل إليه واستسلمت له ربه **عام الحزن** .

وما إن خرج النبي ﷺ وأصحابه من شعب أبي طالب حتى تابعت عليه المحن والأحزان... فقد مات عمه أبو طالب الذي كان يدافع عنه وينصره... ولم تكن المصيبة في موته فحسب بل كانت المصيبة في أنه مات كافراً مع أن النبي ﷺ كان يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة في عمره.

* عن المسيب بن عمير قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله»^(١).

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ: «أما والله! لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٢) وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^{(٣)(٤)}.

* وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٦٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

(٢) سورة التوبة: الآية: (١١٣).

(٣) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٨٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

عمك فإنه كان يحوطك ويفضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل^(١) من النار»^(٢).

ولما مات أبو طالب وجدت قريش فرصة كبيرة لإيذاء النبي ﷺ فقد مات الذي كان يدافع عنه... فقام واحد من سفهاء قريش وألقى التراب على رأس النبي ﷺ... حتى قال النبي ﷺ: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

* وكانت وفاة أبي طالب في رجب سنة عشر من البعثة بعد الخروج من الشعب ستة أشهر.

* وما كاد النبي ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فُجع بموت زوجته وشريكة عمره خديجة فؤيدتها التي آزرته ونصرته وبذلت نفسها ومالها لنصرة هذا الدين... وكانت نعم الزوجة.

وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره.

وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاء يعجز القلم عن وصفه.

فها هو الحبيب ﷺ يثنى عليها ويقول: «كَمُلْ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٣).

(١) الدرك الأسفل: فعر النار.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤١١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٣١) كتاب فضائل الصحابة.

* وقد علق أحد العلماء الأفاضل على هذا الحديث تعليقا لطيفا فقال: من الموافقات اللطيفة التي جمعت الثلاث في نسق واحد أن كل واحدة منهم كفلت نبيا مُرسلاً، وأحسنت صحبته وآمنت به، فأسيا ربّت موسى، وأحسنت إليه، وصدقت به حين بُعث، ومريم كفلت عيسى وربته، وصدقت به حين أرسل، وخديجة رغبته في النبي وواسته بنفسها ومالها، وأحسنت صحبته، وكانت أول من صدّقه حين نزل عليه الوحي. ولم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها أبداً. بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

لعن عائشة بنت أبي بكر قالت: لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت (١).

* وعن أنس بن مالك أن النبي قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وأسية امرأة فرعون» (٢).
وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة وخديجة وأسية امرأة فرعون» (٣).

وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ

وبعد هجرة النبي ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة تمر الأيام وتأتي غزوة بدر التي كتب الله فيها النصر للنبي ﷺ وأصحابه.
وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو في غاية السعادة والسرور لهذا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٧٨) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣١٤٣).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٤١٥/١١)، رقم (١٢١٧٩)، وفي الأوسط (٢/٢٣)، رقم (١١٠٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٢٤).

النصر الذي أكرمه الله به . . . وكان النبي ﷺ قد خلف عثمان بن عفان ﷺ لأن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة جداً . فلما عاد النبي ﷺ من غزوة بدر علم أن رقية قد ماتت ودُفنت فاحتسبها عند الله ورضى بقضاء الله (جل وعلا) وشارك المسلمين فرحتهم بالنصر حتى لا تنقلب سعادتهم جزئياً . . . فيا له من نبي كريم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﷺ .

وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

فلما توفيت رقية ﷺ زوج النبي ﷺ عثمان بن عفان من ابنته أم كلثوم ﷺ . . . ولذلك كان عثمان يُسمى بذي النورين لأنه تزوج بتين من بنات الرسول ﷺ .

وفي شهر شعبان سنة تسع من الهجرة النبوية المباركة، شعرت أم كلثوم بقُرب لقاء الله عز وجل، وهبط عليها المرض، فأضحت طريحة الفراش، وفي صبح أحد تلك الأيام، كان صوت بلال ينسكب في آذان المسلمين . وكانت أم كلثوم ﷺ ذابلة الجسد، قد نال منها الوهن، فتمددت في فراشها تغالب المرض، ولكن لسانها ظل يتحرك بذكر الله عز وجل، ودخلت عليها أم عياش، فآلفتها في النزاع الأخير، فأرسلت إلى الرجال في المسجد النبوي الشريف، فأسرع عثمان زوجها إلى داره، فإذا بأم كلثوم تعالج سكرات الموت، فراح ذو النورين يناديها في وجد، وهو مشفق عليها، وعلى نفسه! كان يُفزع أن ينقطع بموتها نسبة برسول الله ﷺ .

وجاء الحبيب المصطفى ﷺ، وأبو بكر وعمر الفاروق وعلي وبعض الأنصار رضى الله عنهم جميعاً، ودخل النبي الكريم على ابنته، وهي تجود بآخر أنفاسها، فدمعت عيناه الشريفتان، ولسانه يتحرك بما يرضى الرب جل

وعلا من الصبر الجميل .

وصعدت روح أم كلثوم إلى ربها راضية مرضية تشهد شهادة الحق، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وأم عطية الأنصارية رضي الله عنهن وصلى عليها النبي الكريم، ومن ثم انطلقت الجنازة إلى البقيع، ووُضعت أم كلثوم في قبرها (١).

ورسول الله ﷺ راضٍ بقضاء الله وقدره، صابراً في غير سخط، دافعاً بغير صوت، حزيناً بلا جزع، متألماً بلا هلع، قدوة في كل أمر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

وفاة جميع أبنائه في حياته إلا فاطمة رضي الله عنها

وقد مات جميع أبناء النبي ﷺ كلهم في حياته إلا فاطمة رضي الله عنها. ولم يُنجب للنبي ﷺ من نسائه إلا اثنتان هما خديجة بنت خويلد ومارية بنت شمعون القبطية المصرية، فخديجة أنجبت من الذكور: القاسم، وعبد الله والطيب أو الطاهر، وماتوا صغاراً لم يبلغ منهم أحد وماتوا ودُفِنوا بمكة قبل الهجرة، وأنجبت من الإناث زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة وكلهن كبرن وتزوجن .

فزينب تزوجت من أبي العاص بن الربيع، ورقية، وأم كلثوم، تزوجهما عثمان بن عفان، واحدة بعد واحدة، وتوفاهما الله عنده .

وفاطمة تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنجبت الحسن والحسين وهم أصل الأشراف في العالم الإسلامي إلى اليوم وبعد اليوم إذ بارك الله في نسلهما كرامة الله لآل البيت .

ومارية القبطية أنجبت إبراهيم ومات وهو رضيع لم يُفطم بعد ودُفن

(١) نساء أهل البيت (٥٢٥، ٥٢٦) باختصار.

بالبقيع كما دُفنت كلُّ من أم كلثوم ورقية بالبقيع وكذا فاطمة رضي الله عنها - وقد ماتت بعد أبيها .

هؤلاء هم أبناء النبي ﷺ وبناته فعلى جميعهم السلام (١).

وفاة حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ

وفي غزوة أحد تجددت الأحزان في قلب النبي ﷺ باستشهاد عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله ﷺ .

ويبكي النبي ﷺ لموت حمزة ويحزن عليه حزناً شديداً .
* بل ويحزن النبي ﷺ على كل أصحابه الذين قُتلوا يوم أحد .

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

وفي يوم الخندق خان يهود بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ . فلما ذهب الأحزاب عن المدينة وخذلهم الله (جل وعلا) فعادوا إلى بلادهم مخذولين . . . أراد النبي ﷺ أن يُصنّفِي حسابَه مع يهود بني قريظة فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى تعبوا من الحصار ورضوا بأن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه .

فحكم عليهم سعد بأن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى نساؤهم وذراريهم وتُقسم أموالهم . . . فقال له رسول الله ﷺ : «لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل من فوق سبع سموات» .

* وهنا انفجر الجرح الذي كان أصيب به سعد في يوم الخندق وبدأت روحه تفيض إلى بارئها (جل وعلا) .

فجاء إليه رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر .

(١) مواقف صبر فيها النبي ﷺ / ١ . خميس السعيد (ص: ١٦٨) .

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: فوالله إنى لأعراف بكاء رسول الله ﷺ من بكاء أبى بكر من بكاء عمر.

فقال له رسول الله ﷺ: «يا سعد جزاك الله خيراً فقد أنجزت ما وعدته ولينجزنك الله ما وعدك».

* وفاضت روح سعد بن معاذ رضي الله عنه.

وفى تلك اللحظة يأتى جبريل (عليه السلام) ليخبر النبي ﷺ بأن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد بن معاذ.

وفى تلك اللحظة صاحت أم سعد حزناً على وفاة ابنها فقال لها النبي ﷺ: «يا أم سعد: ألا يجف دمك ويذهب حزنك بأن تعلمى أن ابنك هو أول من ضحك الله له واهتز له العرش».

ثم أخبر النبي ﷺ أصحابه بأن إليه (عز وجل) أرسل سبعين ألف ملك ليحملوا جنازة سعد بن معاذ... وأن هؤلاء الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل اليوم وإنما نزلوا لتشيع جنازة سعد بن معاذ.

حزن النبي ﷺ على قواده الثلاثة فى سرية مؤتة

كان سبب هذه السرية أن رسول الله ﷺ كان قد بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى ملك الروم فى الشام فتعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه ثم قتله... وكان قتل السفراء والرسل الذين يرسلهم الملوك والرؤساء جريمة كبرى.. فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ لما وصله هذا الخبر فجهز جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل ليرسله إليهم.

* * *

تعين القادة الثلاثة

وفي هذه السرية أمر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وقال: «إن قُتل زيدُ فجعفر وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة» (١).
ومع أن النبي ﷺ كان لا يعين لأى سرية إلا قائداً واحداً إلا أنه فى هذه السرية أمر ثلاثة.. وذلك لأهمية هذه السرية.

أهل المدينة يودعون الجيش

ولما تجهز الجيش وبدأوا فى الخروج للجهاد قام أهل المدينة يودعون الجيش ويودعون لهم بالنصر والتمكين والعودة بسلام.

المفاجأة الكبرى

لقد خرج الجيش المسلم... وخرج رسول الله ﷺ يودعهم ويدعو لهم.
* ومضى الجيش فى طريقه حتى وصلوا إلى مكان فى أرض الشام يُسمى (معان) وهنا بدأوا فى جمع المعلومات عن الجيش الذى سيقابلوه.
وإذا بالمفاجأة الكبرى فى انتظارهم... فقد علموا أن الجيش قد بلغ مائتى ألف... فى حين أن عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل.
فأصبحوا بين ثلاثة حلول: إما أن يرجعوا وإما أن يطلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل لهم مدداً من الرجال وإما أن يدخلوا فيقاتلوا... وظلوا لمدة يومين ينظرون فى أمرهم.
فقام عبد الله بن رواحة وقال لهم هذه الكلمات التى كانت سبباً فى

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦١) كتاب المغازى.

ثباتهم: قال لهم: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور وإما شهادة.

* وكان لهذه الكلمة المتهبة أثرها، فاخفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وقرروا القتال، مهما كانت النتائج.

وبدأ القتال

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل... معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة - حب رسول الله ﷺ - وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاوم حتى شاط في رماح القوم، وخرَّ صريعاً.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قُطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعاً إياها حتى قُتل.

يقال: إن رومياً ضربه ضربة قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سُمي بجعفر الطيار، وبجعفر ذي الجناحين^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»، وقد صح مرفوعاً إثبات الجناحين لجعفر انظر «فتح الباري» (٧/٧٦).

ولما قُتل جعفر بعد القتال بمثل هذه الضراوة والبسالة أخذ الراية عبد الله ابن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يُقبل على الجهاد ثم يتردد بعض الشيء... فجاءه ابن عمه بقطعة من اللحم وقال له: خذ هذه واشدد بها صُلبك فإنك لقيت ما لقيت في هذه الأيام من الشدة والمتاعب.

فأخذها عبد الله بن رواحة حتى نظر إلى نفسه وقال لها: وأنتِ ما زلتِ حية في الدنيا... ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل.

فأخذ الراية ثابت بن أرقم وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم.

قالوا: أنت.

قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف^(١).

لقد كان هدف (خالد) مناوشة الرومان بحيث يلحق بهم أفدح الخائر دون أن يُعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت هذه الخطة في إنقاذ الآلاف القليلة التي معه، وإنقاذ سمعة المسلمين في أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان أعياهم هذا القتال وأصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزومًا. واكتفى خالد بهذه النتيجة، وآثر الانصراف بمن معه^(٢).

* * *

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٥٩، ١٦٠): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٤١٢).

النبي ﷺ ينعى القادة الثلاثة للناس

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفرأً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرّفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» (١).

حزن النبي ﷺ على جعفر رضي الله عنه

وهنا يذهب الحبيب ﷺ إلى أسماء بنت عميس رضي الله عنها ليبلغها خبر استشهاد زوجها... ويا له من مشهد يجعل القلوب تبكي الدماء بدل الدموع.

عن أسماء ابنة عميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت وعجنت عجيني، وغسلت بنيّ ودهنتهم ونظفتهم، قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «أئننى بينى جعفر».

قالت: فأتيته بهم، فشمّهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم».

قالت: فقمّت أصبح، واجتمعت إلى النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله.

فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد سُغّلوا بأمر صاحبهم» (٢).



(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦٢) كتاب المغازى.

(٢) رواه أحمد (٦/٣٧٠).

حزن النبي ﷺ على زيد بن حارثة

وفي غزوة مؤتة كان (أسامة) يقاتل مع أبيه وتحت لوائه وكان عمره وقتها لم يبلغ الثامنة عشرة، وهناك على أرض الشرف رأى بعينه مصرع أبيه، وقد شاط في رماح القوم فقتل شهيداً، وعلى الرغم من ذلك لم يضعف ولم يتكاسل لحظة واحدة عن أداء واجبه فقاتل تحت لواء جعفر بن أبي طالب ﷺ حتى استشهد ثم قاتل تحت لواء عبد الله بن رواحة ﷺ حتى استشهد ثم قاتل تحت لواء سيف الله خالد بن الوليد ﷺ حتى استطاع خالد - بإذن الله - أن يقوم بخطة رائعة للانسحاب فاستنقذ الجيش المسلم من براثن الروم الذين كان يبلغ عددهم مائتي ألف مقاتل وعدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل.

وعاد أسامة إلى المدينة وقد احتسب أباه عند الله وترك جسده الطاهر في أرض الشرف والجهاد، وركب جواده الذي استشهد عليه وعاد.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما قُتل زيد بن حارثة أبطأ أسامة عن النبي ﷺ فلم يأت ثم جاءه بعد ذلك فقام بين يدي النبي ﷺ فدمعت عيناه فبكى رسول الله ﷺ فلما نزلت عبرته قال النبي ﷺ: «لَمْ أَبْطَأْ عَنَّا ثُمَّ جِئْتَ تُحْزِنُنَا؟» قال: فلما كان الغد جاءه فلما رآه النبي ﷺ مُقبلاً قال: «إِنِّي لَلْأَقْرَبُ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا لَقِيتُ مِنْكَ أَمْسًا» فلما دنا دمعت عينه فبكى رسول الله ﷺ (١).

رواه ابن مسعود في صحيحه



(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٦٦٩٨)، وقال الشيخ مصطفى العدوي: وإسناده صحيح.

عزاء لمن مات له حبيب

أنا أعلم أن الفراق صعب وشاق على النفس ولكن إذا علم العبد بهذا الأجر العظيم الذي ينتظره إذا احتسب عند موت أحبائه ف سوف يكون الأمر سهلاً ميسوراً.

روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفةً من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» (١).

* ربح البيع والله . . . فالكل سيموت لا محالة فما يضريك أن تحتسب عند موت الأم أو الأب أو الزوجة أو الولد أو غيرهم لتفوز بجنة الرحمن - جل وعلا- التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* بل تأمل معي هذا الأجر العظيم لمن احتسب عند موت ولده.

نحن نعلم أن من أعظم المصائب على الإنسان أن يموت ابنه وفلذة كبده وثمره فؤاده، فهو يشعر في هذا الموقف أن روحه قد انتزعت منه، وأن قلبه قد تفرط من الحزن والكمد، ومع ذلك فإن المؤمن يصبر . . . لماذا يصبر؟ لأن ما عند الله تعالى خير له ولولده.

يصبر لأنه يعلم أن هؤلاء الأبناء أمانة عنده، وأن الله عز وجل صاحب تلك الأمانة، وما عليه في هذه الدنيا إلا أن يحفظ هذه الأمانة حتى يؤديها إلى خالقها - جل وعلا- . . .

يصبر لأنه يعلم أن سخطه وجزعه لن يفيد شيئاً، ولن يرجع إليه ولده، بل إن النبي ﷺ أخبر أن الميت يُعذب في قبره بما نوح عليه . . . يصبر لأنه يطمع في ثواب الصابرين، وثواب الصبر في هذه الحالة هو الجنة.

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤٢٤) كتاب الرقاق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ﷺ: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل أبوانا: فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم» (١).

وقال ﷺ: «ما منكن امرأة تقدم بين يديها ثلاثة من ولدها، إلا كانوا لها حجاباً من النار، قالت امرأة: واثنين؟ قال: واثنين» (٢).

وقال ﷺ: «بِخِ بَخِ لِحَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ، يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِي حَسَبِهِ» (٣).

وقال ﷺ: «والذي نفسى بيده إن السقط ليجرُّ أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبه» (٤).

- وعن أبي سنان قال: دفنت ابني سناناً، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟ قلت: بلى. فقال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب، عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ - وهو أعلم - فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» (٥).

(١) صحيح: رواه النسائي (١٨٧٦) كتاب الجنائز، وأحمد (١٠٢٤٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٨٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٣٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٥٢٣٥) من حديث ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٠٤).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (١٦٠٩) كتاب ما جاء في الجنائز، وأحمد (٢١٥٨٥)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٠٦٤).

(٥) حسن: رواه الترمذي (١٠٢١) كتاب الجنائز، وأحمد (١٩٢٢٦)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٠٨).

* وهكذا كان حال سلفنا الصالح عند موت الأولاد.

روى ابن أبي حاتم بإسناده في تفسيره عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابن يقال له: يحيى، فلما نزل في قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه؛ فقال والده: وما يمتعنى أن احتسبه؛

وقد كان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!!

عن أنس رضي الله عنه قال: اشتكى ابن لابي طلحة قال: فمات وأبوه أبو طلحة خارج البيت، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً، وجعلت ابنها في جلاب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي ﷺ ثم أخبره بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ: «لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا»... فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن^(١).

وعن محمد بن خلف قال: كان لإبراهيم الحربي ابن كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقنه من الفقه جانباً كبيراً؛ قال: فمات. فجئت أعزبه فقال: كنت أشتهى موت ابني هذا. قال: قلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب - أصبح نجيباً - ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت، وكان صبيانا بأيديهم قلال فيها ماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً حره، قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، قال: فنظر إلي. وقال: ليس أنت أبي، قلت: فأى شيء أنتم؟ قال: فقال لي: نحن الصبيان الذين متنا في دار

(١) مضع عليه: زواه البخارى (١٣٠١) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١١٩) كتاب اللباس والزينة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الدنيا وخلفنا آباؤنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء؛ قال: فلهذا تميت موته.
وقال أبو مسلم الخولاني رحمه الله: لأن يولد لي مولود يحسن الله
نباته، حتى إذا استوى على شبابه، وكان أعجب ما يكون إليّ، قبضه الله
تعالى مني، أحب إليّ من أن تكون الدنيا وما فيها لي.
وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن ثابت البناني: أن صلة بن أشيم كان في
غزاة له ومعه ابن له، فقال له: أي بني تقدم فقاتل حتى احتسبك؛ فحمل
فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم أبوه فقتل؛ فاجتمعت النساء، فقامت امرأته معاذة
العدوية، فقالت للنساء: مرحباً إن كنتن جئن لتهنئني، فمرحباً بكن، وإن
كنتن جئن لغير ذلك، فارجعن.

* والمقصود أن هذا المقام مقام عظيم شريف لمن يطلب المصيبة ويفرح بها
نظراً إلى ثوابها.

يؤيد ذلك ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا مات
الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُتفَع به، أو ولد
صالح يدعو له»^(١)

وفي حديث أنس مرفوعاً: «سبعٌ يجري للعبد أجرهن، وهو في قبره بعد
موته - فذكر منها - أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»^(٢).

ثانياً: بكاء النبي ﷺ عند هجر الأوطان

لما رفض أهل مكة أن يسلموا لله (جل وعلا) أراد النبي ﷺ أن
يبحث عن أرضٍ أخرى تقبل بذرة التوحيد... فخرج النبي ﷺ إلى
الطائف ماشياً على قدميه من أجل أن يبلغ هذه الرسالة.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حسن: ذكره الهيثمي في المجمع (١٦٧/١)، وقال: رواه البيهقي وفيه محمد بن عبد الله العزمي
وهو ضعيف، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٠٢).

فلما انتهى النبي ﷺ إلى الطائف ذهب إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم: عبد ياليل ومسعود وحييب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة (أي يمزقها) إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولا لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام! ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكتنوا عني»، فالتفتوا به شامتا.

من أقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: أخرج من بلادنا، وأغروا به عبيدهم، فلما أراد الخروج تبعه عبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له صفيين وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى احتضب نعله بالدماء - فذاه أبي وأمي ونفسي - وكان زيد ابن حارثة يقيه بنفسه حتى أصيب بجرح في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى الجأوه ﷺ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه.

وأتى رسول الله ﷺ إلى شجرة عنب فجلس تحت ظلها إلى جدارة ودعا ربه فقال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من نكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك».

وقفل الرسول ﷺ عائداً إلى مكة، إلى البلد الذي طرد خيرة أهله، فهاجر بعضهم إلى الحبشة وأكره الباقي على معاناة العذاب الواصب، أو الفرار إلى الجبال، ورجع رسول الله ﷺ في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كثيراً حزينا كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال، يستأذنه أن يطبق الأخشيين (أى الجبلين) على أهل مكة.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» (١) (٢).

هكذا كانت الرحمة في قلب النبي ﷺ للناس من حوله.

ولا عجب في ذلك فقد قال الله عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣).



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

(٢) مدرسة السيرة النبوية / الشيخ محمد يعقوب (ص: ٢٧٨ : ٢٨١).

(٣) سورة الأنبياء الآية: (١٠٧).

خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة

وقمر الأيام وبشتد الإيذاء على النبي ﷺ وأصحابه فيأذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة بعد أن شعر أن أصحابه سيكونون في أمان في هذا المكان وذلك بعد أن بايعه أهلها بيعة العقبة الثانية .
فهاجر أصحاب الرسول ﷺ وتركوا الديار والأوطان ليفوزوا بنعمة الإسلام والتوحيد .
ثم هاجر بعدهم النبي ﷺ وهو ينظر إلى مكة ويبكى ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت».

ثالثاً: بكاء النبي ﷺ من خشية الله (جل وعلا)

لقد كان النبي ﷺ أخشى الناس لله - جل وعلا- وكان يقول عن نفسه ﷺ: «والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أنقى»^(١).
* وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى أرى ما لا ترون أظت السماء وحق لها أن تظ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفراش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»^(٢).
* وعن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣١٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٠٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٢١٤) كتاب السهو، وأحمد (١٥٨٧٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٠٠٠).

* وعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبيد ابن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال: «يا عائشة ذريني أتعبد لربي»، قالت: قلت: والله إنني لأحب قريبك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾» (١)(٢).

* هكذا كان حال النبي ﷺ. وهكذا تعايشنا بقلوبنا مع تلك المواقف التي بكى فيها النبي ﷺ.

* وبعد هذه الجولة السريعة من المواقف التي بكى فيها النبي ﷺ كان لا بد أن نعتبر بما حدث للنبي ﷺ فلا نمجزع إذا أصابنا أي ابتلاء فلقد رأينا ماذا حدث لسيد ولد آدم ومع ذلك كان صابراً راضياً عن الله (جل وعلا) بل لقد أخبر النبي ﷺ أن أشد الناس بلاءً هم الأنبياء.

فقال ﷺ: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلواً، اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» (٣).

* وكذلك لا بد أن نعلم أن النبي ﷺ ضحى كثيراً وصبر كثيراً من أجل أن يبلغ دعوته ومن أجل أن نكون مسلمين فيجب علينا أن نتمسك بهذا الدين وأن نثبت عليه حتى يسعد النبي ﷺ بقلوبنا على الحوض.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٩٠).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه (٢/٢٨٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٢٣). كتاب الفتن وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٩٢).

رفق النبي ﷺ
بالمذنبين

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

رفق النبي ﷺ بالذنبين

بها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه . . . ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم .

وما نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب .

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً في المسجد في مجلسه المبارك وقد أحاط به أصحابه ﷺ .

وفجأة دخل شاب إلى المسجد وجعل يتلفت يميناً وشمالاً كأنه يبحث عن أحد . . . وقعت عيناه على رسول الله ﷺ . . . فأقبل يمشي إليه . . . كان المتوقع أن يجلس الشاب في الحلقة ويستمع إلى الذكر . . . لكنه لم يفعل . . . إنما نظر الشاب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه حوله . . .

ثم قال بكل جرأة: يا رسول الله . . . ائذن لي بـ . . . بطلب العلم! لا . . . لم يهله . . . ويا ليتة قالها . . . ائذن لي بالجهاد . . . لا . . . ويا ليتة قالها . . . أتدرى ماذا قال؟

قال: يا رسول الله . . . ائذن لي بالزنا . . .

عجباً!! هكذا بكل صراحة؟!!

نعم . . . هكذا: ائذن لي بالزنا . . .

نظر النبي ﷺ إلى الشاب . . . كان يستطيع أن يعظه بآيات يقرؤها

عليه .. أو نصيحة مختصرة يحرك بها الإيمان في قلبه .. ولكنه ﷺ سلك أسلوباً آخر ..

قال له ﷺ بكل هدوء: «أترضاه لأمك؟».

فانتفض الشاب وقد مرَّ في خاطره أن أمه تزني .. فقال: لا .. لا أرضاه لأمي ..

فقال له ﷺ بكل هدوء: «كذلك الناس لا يرضونه لامهاتهم» ..

ثم فاجأه سائلاً: «أترضاه لأختك؟!».

فانتفض الشاب أخرى .. وقد تخيل أخته العفيفة تزني .. وقال مبادراً:

لا .. لا .. لا أرضاه لأختي ..

فقال ﷺ: «كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم» ..

ثم سأله: «أترضاه لعمتك؟! أترضاه لخالتك?!».

والشاب يردد: لا .. لا ..

فقال ﷺ: «فأحب للناس ما تحب لنفسك .. وأكره للناس ما تكره لنفسك ..».

أدرك الشاب عند ذلك أنه كان مخطئاً ..

فقال بكل خضوع: يا رسول الله .. ادعُ الله أن يطهر قلبي ..

فدعاه ﷺ .. فجعل الشاب يقترب .. ويقترب .. حتى جلس بين

يديه .. ثم وضع يده على صدره ..

وقال: «اللهم اهد قلبه .. واغفر ذنبه .. وحصن فرجه ..» (١).

فخرج الشاب وهو يقول: والله لقد دخلت على رسول الله ﷺ ..

وما من شيء أحب إليَّ من الزنا .. وخرجت من عنده وما من شيء أبغض

إليَّ من الزنا .. (٢).

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع رفق النبي ﷺ بالمذنبين .

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٥٦/٥)، والطبراني (١٦٢/٨). قال الهيثمي (٦٢٩/١): رجاله رجال

الصحيح . وأخرجه أيضاً: الطبراني في الشاميين (٣٧٣/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان

(٣٦٢/٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٧٠).

(٢) استمتع بحياتك / د . محمد العريفي (ص: ١٥٩-١٦٠).

عليك بالرفق

رفقاً بالذنبين

لا بد أن نعلم أن العصمة دُفنت يوم أن دُفن الحبيب محمد ﷺ . . . فليس هناك إنسان معصوم من الذنوب والمعاصي ومن أجل ذلك كان لزاماً علينا إذا رأينا إنساناً قد وقع في أي معصية أن نرفق به وأن نفتح له باب الأمل حتى لا ييأس ولا يقنط من رحمة الله (جل وعلا).

* فالله (عز وجل) هو الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء وهو الرفيق في أفعاله وفي شرعه.

- قال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»^(١).

* ولقد أمرنا الله (جل وعلا) بالرفق في كل شيء وبخاصة في الدعوة إلى الله (جل وعلا).

* ولذا لما أرسل موسى وهارون (عليهما السلام) إلى فرعون قال لهما: ﴿إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾^(٢).

- قال قتادة: سبحانك ما أحلمك . . . إن كان هذا حلمك بعبد طغي، وقال: إنا ربكم الأعلى . . . فكيف يكون حلمك بعبد سجد لك وقال:

سبحان ربي الأعلى؟!!! . . . ولذا لما قام أحد الدعاة يدعو رجلاً بغلظة قال له الرجل: يا هذا! هل أنا

أشد كفراً من فرعون؟ قال الداعية: لا . . . فقال الرجل: وهل أنت أشد إيماناً من موسى وهارون (عليهما السلام)؟

نشدت قال الداعية: لا . . . فقال الرجل: فإن الله قد أرسل من هما خير منك إلى من هو أسوأ مني

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة طه: الآيات: (٤٣ ، ٤٤).

فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ .

* فنحن في أشد الحاجة لأن نتخلق بخلق الرفق والرحمة ونحن ندعو الناس إلى الله (جل وعلا) . . . فالناس جميعاً في أشد الحاجة لمن يأخذ بأيديهم بكل رحمة وحنان ليضعوا أقدامهم على طريق الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

* أسأل الله (جل وعلا) أن يملأ قلوبنا رحمة وشفقة بالمذنبين وأن يجعلنا سبباً لهدايتهم . . . إنه ولي ذلك والقادر عليه .
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

صور من رفق النبي ﷺ

• وإن كان حديثنا عن الحلم والرفق فلا نستطيع أن ننسى أبداً صاحب القلب الرحيم الرفيق الذي علّم الكون كله كيف يكون الحلم والرفق .
- وإذا أردت أن أسلط الأضواء على صور من حلم النبي ﷺ ورفقه فإنني سأحتاج إلى سرد سيرته العطرة من أولها لآخرها ولكن حسبنا أن نلقى الضوء على بعض تلك المواقف العطرة .

* عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في نفر^(١) من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلةً وكان رحيمًا رقيقًا فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلُّوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم»^(٢) .

* (عن عائشة رضي الله عنها) أن يهود أتوا النبي ﷺ ، فقالوا: السام^(٣) عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم . قال: «مهلاً يا عائشة

(١) النَّفْر: جماعة من الرجال دون العشرة .

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٨) كتاب الأذان، ومسلم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٣) السَّام: الموت .

عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش». قالت: «أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟» قال: «أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَاب لِي فِيهِمْ وَلَا يَسْتَجَاب لَهُمْ فِيَّ» (١).

* (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ وَأَهْرَبُوا» (٢) على بوله ذنوياً من ماء أو سَجلاً (٣) من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» (٤).

* (عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» (٥) فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» (٦).

* (عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر فمن يتدرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٣٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٢) أهرق: أراق وأهدر.

(٣) السجل: الدلو المملوءة الكبيرة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦١٢٨) كتاب الأدب.

(٥) الأخشين: جبلين بمكة.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

يضحك فقال عمر: أضحك الله منك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». قال عمر: فأنت يا رسول الله أحق أن يهين. ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن أتهبني ولا تهين رسول الله ﷺ؟! قلن: نعم. أنت أغلظ وأفظ (١) من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجأ (٢) إلا سلك فجأ غير فجك» (٣).

* (عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز (٤) مما أعلم من شدة وجد (٥) أمه من بكائه» (٦).

* (عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله - عز وجل - في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّهْنِ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (٧) وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٨)، فرفع يديه وقال: «اللهم أمّتي أمّتي ويكي» فقال الله - عز وجل -: «يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يُكيك؟» - وربك أعلم - فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمّتك ولا نسوؤك» (٩).

(١) اللفظة: شدة الخلق وخشونة الجانب.

(٢) الفج: الطريق الواسع.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) التجوّز: التخفيف.

(٥) وجد أمه: حزنها.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤٧٠) كتاب الصلاة.

(٧) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٨) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٩) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

نع، * (عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه على النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! إن دوساً عصت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس. قال: «اللهم اهد دوساً وأت بهم»^(١)).

* (وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)^(٢).

الهداية منحة ربانية

واعلم - أيها الأخ الحبيب - أن الهداية منحة ربانية يقذفها الله فى قلب من يشاء من عباده.

- فالإنسان لا يملك هداية لنفسه فضلاً عن هداية غيره.

قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤).

فإذا أنعم الله عليك بنعمة الهداية فاسجد لله شكراً على أن هداك ويسر لك الهدى، وإذا رأيت عاصياً فما عليك إلا أن تذكر قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٥).

واعلم علم اليقين أنك لا تدري بم يختم لك وله . . . فقد يختم لهذا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٥٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٦٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٤) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٥) سورة النساء: الآية: (٩٤).

العاصي بخاتمة أهل السعادة بأن يوفقه الله في آخر أيامه إلى توبة صادقة تمحو كل ذنوبه وآثامه بل وتبديل سيئاته كلها حسنات... وتأمل معي هذا الحديث لتعلم يقيناً أن العبد لا يعرف خاتمة وعليه ألا يأمن على نفسه حتى يضع قدمه في جنة الرحمن - جل وعلا - قال ﷺ: «إن الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يُختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يُختم له عمله بعمل أهل الجنة» (١).

وقال ﷺ: «إن الرجل يعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل يعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة» (٢).

زاد البخاري: «وإنما الأعمال بخواتيمها» (٣).

انقذوا الغرقى

أخي الحبيب: أريد أن أسألك سؤالاً واحداً: لو أنك رأيت رجلاً يغرق في البحر فهل ستحاول أن تنقذه أم لا؟

بالطبع ستنقذه.

- فإذا كان هذا حالك مع رجل يغرق في الماء فماذا ستصنع مع رجل يكاد أن يغرق في النار لكثرة ذنوبه؟!
- فلنحرص كل الحرص على إنقاذ هؤلاء المذنبين وأن نملأ قلوبنا شفقة وخورقاً عليهم.

- لما مرَّ أبو الدرداء رضي الله عنه على أناس يضربون رجلاً ضرباً شديداً، فقال

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.
(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤٩٣) كتاب الرقاق، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

لهم: لماذا تضربون هذا الرجل؟

رب فقالوا: وجدناه يعصى الله.

فقال: ارحموه واتركوه.

فقالوا: ألا تبغضه؟

قال: لا.. إنما أبغض معصيته فإن تركها فهو أخى..

ثم قال لهم: ألا تحمدون الله على أن عافاكم مما ابتلاه به.

هكذا تكون نظرة المؤمن للعصاة... نظرة رحمة وشفقة.. نظرة

خوف عليه أن يظل على معصيته حتى يدخل النار... نظرة من يريد أن

ياخذ بيديه إلى الجنة.

لا تقنط أحداً من رحمة الله (جل وعلا)

قال عليه السلام: إذا كان رجلان في بنى إسرائيل متواخيان، وكان أحدهما مذنباً،

والآخر مجتهداً في العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول:

أقصر فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلّنى وربى، أبعت على

رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدُخلك الله الجنة، فقبض روحهما،

فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بى عالماً، أو كنت على ما فى

يدى قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتى، وقال للآخر: اذهبوا به

إلى النار (١).

قال أبو هريرة: والذي نفسى بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

* وما كان لعبد من عباد الله أن يحجر على ربه أن يغفر لفلان أو يحبط

عمل فلان، لقد تكلم هذا المسكين، - كما قال أبو هريرة راوى الحديث -

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠١) كتاب الأدب، وأحمد (٨٠٩٣)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه،

وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٥٥).

بكلمة أوبقت عليه دنياه وآخرته، فقد قبض الله روحيهما، فاجتمعا عنده، وقال لذلك المتألي - موبخاً مؤنباً-: «أَوَ كُنْتَ بِي عَالِماً؟ أَوْ كُنْتَ عَلِيَّ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟» وأمر بإدخاله النار، وأمر بإدخال المذنب الجنة.

* وفي رواية مسلم أن النبي ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ تَعَالَى: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».

* ولهذا - أيها الأخ الحبيب - إذا رأيت عاصياً فما عليك إلا أن تتذكر قول الله (عز وجل): ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١).

* وعليك أن تكون كالطبيب الرحيم الذي لا يتعامل بالمشروط مع كل مريض بل يبدأ بالدواء الخفيف فإن لم ينفع فإنه يزيد جرعة الدواء وتركيزه فإن لم ينفع لجأ إلى الحقن ثم تكون نهاية الأمر مع المشروط والتدخل الجراحي.

- فكذلك أنت... عليك أن تبدأ بالكلمة الطيبة والنصيحة الرقراقة ولا تنتقل لغيرها إلا إذا تأكدت وتيقنت أنها لم ولن تنفع مع هذا الإنسان.

لوقاب المذنبون لكان خيراً للأمة كلها

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٣).

(١) سورة النساء: الآية: (٩٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٣) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

- وروى أنه لحق بنى إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كريم الله! ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون فقال موسى عليه السلام: . . . اللهم اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك وارحمنا بالأطفال الرضع والبهائم الرتع والمشايخ الركع فما زادت السماء إلا تقشعاً والشمس حرارة! فتعجب نبي الله موسى فأوحى الله إليه وقال: يا موسى! فيكم عبد يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم فيه منعتكم (٢).

فقال موسى: إلهي وسيدي أنا عبد ضعيف وصوتي ضعيف فإين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه منك النداء ومنى البلاغ. . . فقام منادياً، وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله بالذنوب والمعاصي منذ أربعين سنة أخرج من بين أظهرنا فبك منعا المطر. . . فقام العبد العاصي فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحداً خرج فعلم أنه المطلوب وقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق افتضحت على رؤوس بنى إسرائيل وإن قعدت معهم منعوا لأجلي. . . فأدخل رأسه في ثيابه نادماً على فعاله وقال: إلهي وسيدي عصيتك أربعين سنة وأمهلتي وقد أتيتك طائعاً فأقبلني. . . فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القرب فقال موسى: إلهي وسيدي بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحداً؟ فقال: يا موسى سقيتكم بالذي منعتكم، فقال موسى: إلهي أرني هذا

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) أي: بيه منعت عنكم الخير لأنكم لم تأمروه بالمعروف ولم تنهوه عن المنكر.

العبد الطائع التائب. فقال: يا موسى! إنى لم أفضحه وهو يعصيني. أفضحه وهو يطيعنى! (١)

لن تعدم الخير في أي مسلم

* واعلم أيها الأخ الحبيب أنك لن تعدم الخير في أي مسلم لكن عليك أن تحسن الدخول إليه بشكل غير مباشر وذلك من باب قول النبي ﷺ: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا».

* وما هو الحسن البصرى وجد رجلاً لا يصلى ولا يصوم، بل إنه عاكف على فعل الموبقات، فأراد الحسن أن يذكره بالله جل وعلا فأخذ هذا الرجل وسار معه في الطريق فمرت جنازة فنظر الحسن إليها وقال للرجل: أيها الرجل! أرأيت لو أن الله أحيا هذا الميت فعاد إلى الدنيا فيا ترى ماذا سيصنع؟ قال له الرجل: سيكون أفضل الناس صلاةً وزكاةً وصياماً وبراً للوالدين وأحسنهم خلقاً... فقال الحسن: فليكن هو أنت وقد أحياك الله الآن فاصنع ما قلت!!

أما أن الأوان لأن تتوب؟!

وفي المقابل فإنى أقول لكل من عاش زماناً طويلاً يرتع في أحوال الذنوب والمعاصي: أما أن الأوان لأن تتوب؟!

أما سمعت قول الله (جل وعلا): ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢).

(١) مختصر كتاب التوابين لابن قدامة (ص ٨٦، ٨٧).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٦).

«وكن على يقين أنه مهما بلغت ذنوبك وآثامك فلو شاء الله لغفرها كلها. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا - أي: بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» (٢).

- ولقد كان المعصوم عليه السلام يقول: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» (٣).

ويقول ابن عمر: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور» (٤).

- وهو من هو؟! هو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

- فلا بد أن تسرع يا أخي بالتوبة والإنابة إلى الله قبل أن يداهمك الموت فجاء فتصرخ وتقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (٥) فيقال لك: «كلاً».

- فأنت الآن في الدنيا فاغتم الأوقات والساعات في طاعة رب الأرض والسموات.

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٢٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٥١٦) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٤٣٤) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨١٤) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٥٥٦).

(٥) سورة المؤمنون: الأيتان: (٩٩، ١٠٠).

كما قال النبي ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (١).

- فعليك ألا تجعل ساعة واحدة تمر من عمرك إلا في طاعة الله.

ولذا لما جاء رجل إلى سفيان الثوري فقال له: لقد ابتليت بمرض البعد عن الله وأريد أن أتقرب إلى الله وأغتنم عمري في طاعة الله فقال له سفيان: يا هذا! عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع؛ ثم ضع هذا كله في إناء التقوى، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن، وصفه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وابتعد عن الحرص والطمع تُشفى من مرضك بإذن الله.

- فاحرص على طاعة الله يا أخي واعلم أنك لو عشت آلاف القرون فلا بد لك من لقاء الله والوقوف بين يديه.

لو عاش الفتنى فى دهره

ألقا من الأعوام مالك أمره

متعمًا فيه بكل نفيمة

متلذذًا فيه بنعمى عصره

لا يعنيره التُّقم فيها مرة

كلا ولا ترد الهموم بباله

ما كان هذا كله فى أن يفى

ببيت أول ليلة لى قبره (٢)

* * *

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/٣٤١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) كتاب (خطب ودروس أبو عمار) (الجزء الثانى) (ص: ٦٤-٨٠).

احذر... فالمعاصي تزرع أمثالها

فإن المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة، السيئة بعدها. وإن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها.

وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلي بمعصيتك.

وقال الحسن البصري: إنهم إن طقطقت^(١) بهم البغال وهملجت^(٢) بهم البراذين^(٣) فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبَ

وقد يورث الذلُّ إدمانها

وتركُ الذنوبَ حياةَ القلوبِ

وخيرُ لنفسك عصبانها

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ

وأحبارُ سوءٍ ورهبانها^(٤)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق».

(١) طقطقت: الطقطقة: هي صوت حوافر البغال.

(٢) هملجت: أسرعت في خفة وتبخرت.

(٣) البراذين: نوع من الخيل، وهو ما كان من غير نتاج العرب.

(٤) الداء والدواء / للإمام ابن القيم (ص: ٧٨).

لا تلعه.. إنه يحب الله ورسوله

أكثر الناس الذين نخالطهم مهما بلغ أحدهم من سوء.. إلا أنه لا يخلو من خير وإن كان قليلاً.. فلو استطعنا أن نعثر على مفتاح الخير لكان حيناً..
اشتهر عن بعض المجرمين.. أنه كان يسطو على بيوت الناس ويسرق أموالهم.. لينفق بعضها على ضعفاء وأيتام!! أو يبنى بها مساجد!!
أو كالتى ترى أيتاماً جوعى فتزنى لتُحصل ما تسد به جوعهم..
بنى مسجداً لله من غير حله

فكان بحمد الله غير موفق

كطعمة الأيتام من كدّ عرضها!

لك الويل لا تزنى ولا تصدقنى

كم من حامل سكين ليطعن بها.. فاستعطفه طفل أو امرأة فرّق قلبه..
وألقي سكينه عنه..

إذن عامل الناس جميعاً بما تعلم فيهم من خير.. قبل أن تسيء الظن بهم..

نبينا وقرّة أعيننا محمد ﷺ.. بلغ من خلقه أنه كان يلتمس المعاذير للمخطئين.. ويحسن الظن بالمذنبين..

كان إذا قابل عاصياً ينظر فيه إلى جوانب الإيمان قبل جوانب الشهوة والعصيان..

ما كان يسيء الظن بأحد.. يعاملهم كأنهم أولاده وإخوانه..
يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه..

كان رجل فى عهد النبي ﷺ قد ابتلى بشرب الخمر.. فأتوا به يوماً وقد شرب خمراً إلى رسول الله ﷺ فأمر به فجلد..

ثم مرت أيام . . فشرب خمراً . . فجىء به أخرى فجلد . .
 ومرت أيام . . ثم جىء به قد شرب خمراً . . فجلد . .
 فلما ولى خارجاً . . قال رجل من الصحابة: لعنه الله . . ما أكثر ما يؤتى
 به ۱۱

فالتفت إليه ﷺ . . وقد تغير وجهه فقال له: لا تلعه . . فوالله ما
 علمت إلا أنه يحب الله ورسوله . . (١).
 فإذا تعاملت مع الناس فكن عادلاً . . اذكر الخير الذي فيهم . . وأشعرهم
 أن شرهم لم يجعلك تنسى خيرهم . . فهذا يقربهم إليك . . (٢).

قصة الحية والسكران

إن الإنسان لا يستغنى عن ربه طرفة عين، حتى العصاة المذنبون، بل
 حتى الكفار، يتقبلون فيما أنعم الله به عليهم من أنواع الحفظ والرعاية إلى
 أجلهم بالغوه . . . ولو كشف الله ستره عن عباده؛ لابتلعتهم الأرض،
 وأغرقتهم البحار، ودمرتهم الرياح والعواصف .

عن يوسف بن الحسين يقول: كنت مع ذى النون المصرى على شاطئ
 غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة، فإذا
 بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح
 حتى عبرت، فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأناً فامض بنا، فجعلنا
 نقفو أثرها؛ فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية
 سُرته إلى صدره وهى تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها:
 فانقلبت وانفسخت، ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها
 فعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه، فقال: يا فتى، انظر

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٧٨٠) كتاب الحدود.

(٢) استمتع بحياتك (ص: ٢١٣-٢١٤).

عما نجاك الله! هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أردتلك، ثم أنشأ
ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه

من كل سوء يدب في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك

تأتيه منه فوائد النعم

فنهض الشاب وقال: إلهي، هذا فعلك بمن عصاك!، فكيف رفقتك بمن

يطيعك؟! ثم ولى، فقلت: إلى أين؟، قال: إلى طاعة الله^(١).

قبل أن تحاسبوا

أقول لكم عن تجربة وذوق ومعرفة عانيتهما، كم خدعنا بالأمانى الكاذبة،
والخيالات الفارغة، وغفلنا عن الحقائق، والشرع يخبرنا بالأصلح، ويحذرننا
من مصارع البغى، ومراتع الغفلة، ولكن العقل في حجاب كثيف يحتاج
إلى مطارق قوية تهزه هزاً، وتقلقه حتى يرعوى.

كم رأينا من شاب أعرض عن المسجد، وعقَّ الوالد، ونسى القُدم، ثم
قُبضت روحه بغتة، وسار لأهله حسرة، كم رمت بيوت بأهلها وأموالها
وحشمها، ثم وقعت بهم الواقعة، فصاروا أثراً بعد عين.

ألا يا من نصح نفسه لا تنفق العمر بكف التبذير، وتوزع الأوقات على
المسولين، فإن ضياع الزمن ضالة لا تُرد.

بالله لو جلست بعد الفجر، حتى تطلع الشمس، في المسجد كل يوم،
هل تخسر من أموالك درهماً؟! أو تفقد من دنياك مغنماً؟! بل تكسب الأجر
والثوبة والحسنى.

(١) كتاب التوازين (ص: ٢٢٦).

بالله لو مكثت بعد كل صلاة ثلث ساعة مسبحًا، كم تكسب من الأجر، وتخزن من الثواب، ويصعد لك من الكلم الطيب؟! رأيت كثيرًا من الناس يجلسون في الجامع العامة ومجالس السمر، والأنذية، لتقضية الوقت مع غيبة وفحش من القول، وضحك، ولهو، وكان الأمر لا يعينهم، أو كأن عندهم عهدًا وثيقًا بالبقاء، فيا لفجأة الرحيل عليهم، ويا لهول الموت على قلوبهم. الصدق منجاة، والرائد لا يكذب أهله، والحقائق أقوى من الخيال، وقد نصحت نفسي ونصحتك، وما بقي من أعمارنا إلا كما ذهب أو أقل وهل اليوم إلا مثل أمس.

أين الطعام اللذيذ الذي أكلناه أمس؟! لا نجد لذته، أين الماء البارد الذي شربناه؟! لا نحص ببرودته، إن جُئنا كأنا ما شبعنا، وإن ظمنا كأنا ما رويناه، وإن حزنا كأنا ما سررنا.

وقد قيل:

شقينا بالنوى زمانًا فلما

تلاقينا كأن ما شقينا

بكينا عندما جنت الليالي

لما زالت بنا حتى رضينا^(١)



(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٦٣ - ٦٥).

باب التوبة مفتوح

واعلم يا أخى أننا لا نقنط أحداً من رحمة الله، فباب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وإلى أن تفرغر الروح، فها هي كبائر الذنوب يفتح الله أبواب التوبة لكل من ارتكبها لكي يتوبوا ويعودوا إلى الرحمن الرحيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلا أن الله - جل وعلا - فتح لهم باب التوبة فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

وها هم أصحاب الأخدود الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد... هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين، وهم يموتون في النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (٣).

فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا بفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا

(١) سورة المائدة: الآية: (٣٣).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣٤).

(٣) سورة البروج: الآية: (١٠).

يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾، ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿١﴾.

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكي يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويقبلوا على فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ (٢).

ومع كل هذه الأمثلة التي تتلج الصدور لسعة رحمة الله - جل وعلا- إلا أننا لا ينبغي أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصي، فإن الله كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم، فقد وصف نفسه بأنه شديد العقاب، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ (٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴿٤﴾ (٤).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ (٥).

فقد يستصغر الإنسان ذنباً وهو عند الله عظيم، قال تعالى: ﴿وَتَحْبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ (٦).

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨-٧١).

(٢) سورة مريم: الآيات: (٥٩، ٦٠).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٩٨).

(٤) سورة غافر: الآية: (٣).

(٥) سورة الحجر: الآيات: (٤٩، ٥٠).

(٦) سورة النور: الآية: (١٥).

صاحبه من ذلك منخل الذنوب صغبرها وكبيرها ذاك النقي .. راجع كتاب التوبة ص ١٠١

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة.. إن الجبال من الحصى

فلقد دخلت امرأة النار في هرة، .. قال ﷺ: «دخلت امرأة النار في

هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» (١).

.. وقال النبي ﷺ لعائشة - لما قالت شيئاً في صفة أم المؤمنين: وإنها

قصيرة-: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» (٢).

.. راجع كتاب التوبة ص ١٠١

الله يفرح بتوبتك

.. راجع كتاب التوبة ص ١٠١

يا لها من كلمات تجعل شمس التوبة تضيء القلب وتسير الصدر بنور

الحق الذي جاء به النبي ﷺ من عند الحق - جل جلاله - .. راجع كتاب التوبة ص ١٠١

قال ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على

راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة

فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فينمى هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده

فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح -: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من

شدة الفرح» (٣).

وقال الله جل وعلا: «يا ابن آدم! إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما

كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت

لك ولا أبالى، يا ابن آدم! لو أنك أتيتنى بقراب الأرض خطايا - أى: يقرب ما

يملأ الأرض من الخطايا - ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» (٤).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦١٩) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٥) كتاب الأدب، والترمذى (٢٥٠٢) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٥٠٣٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٤٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٧) كتاب التوبة.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٢٧).

مشهد عظيم لفرحة الرب بتوبة العبد

إن الله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمحبهه والخضوع له وطاعته. وهذا هو الحق الذي خلقت به السماوات والأرض. وهو غاية الخلق والأمر. ونفيه - كما يقول أعداؤه - هو الباطل، والعبث الذي نزه الله نفسه عنه، وهو السدى الذي نزه نفسه عنه أن يترك الإنسان عليه. وهو سبحانه يحب أن يُعبد ويُطاع ولا يعبا بخلقه شيئاً لولا محبتهم له، وطاعتهم له، ودعاؤهم له.

فإذا خرج العبد عما خلق له من الطاعة والعبودية. فقد خرج عن أحب الأشياء إليه، وعن الغاية التي لأجلها خلقت الخليقة. وصار كأنه خلق عبثاً لغير شيء، إذ لم تُخرج أرضه البذر الذي وضع فيها. بل قلبته شوكة ودغلاً، فإذا راجع ما خلق له وأوجد لأجله؛ فقد رجع إلى الغاية التي هي أحب الأشياء إلى خالقه وفاطره. ورجع إلى مقتضى الحكمة التي خلق لأجلها. وخرج عن معنى العبث والسدى والباطل. فاشتدت محبة الرب له، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. فأوجبت هذه المحبة فرحاً كأعظم ما يقدر من الفرح. ولو كان في الفرح المشهود في هذا العالم نوع أعظم من هذا الذي ذكره النبي ﷺ لذكره، ولكن لا فرحة أعظم من فرحة هذا الواجد الفائد لمادة حياته وبلاغه في سفره، بعد إياسه من أسباب الحياة بفقده، وهذا كشدة محبه لتوبة التائب المحب إذا اشتدت محبه للشئ وغاب عنه، ثم وجده وصار طوع يده. فلا فرحة أعظم من فرحته به.

-فما المظن بمحجوب لك تحبه حباً شديداً، أسره- عدوك، وحال بينك وبينه، وأنت تعلم أن العدو سيومه العذاب، ويعرضه لأنواع الهلاك. وأنت أولى به منه. وهو غرسك وتربيتك. ثم إنه انفلت من عدوه، ووافقك على غير ميعاد. فلم يفجأك إلا وهو على بابك، يتملكك ويترضاك ويستعينك،

ويمرغ خديه على تراب أعتابك . فكيف يكون فرحك به، وقد اختصته لنفسك، ورضيته لقربك، وأثرته على سواه؟

هذا . ولست الذي أوجدته وخلقته، وأسبغت عليه نعمك، والله عز وجل هو الذي أوجد عبده، وخلقه وكونه، وأسبغ عليه نعمه . وهو يحب أن يتمها عليه، فيصير مظهرًا لنعمه، قابلاً لها، شاكراً لها، محبباً لوليها، مطيعاً له عابداً له، معادياً لعدوه مبغضاً له عاصياً له . والله تعالى يحب من عبده معاداة عدوه، ومعصيته ومخالفته، كما يحب أن يوالى الله مولاة سبحانه ويطيعه ويعبده، فتتضاف محبته لعبادته وطاعته والإنابة إليه، إلى محبته لعداوة عدوه . ومعصيته ومخالفته، فتتشد المحبة منه سبحانه، مع حصول محبوه، وهذا هو حقيقة الفرح .

وفي صفة النبي ﷺ في بعض الكتب المتقدمة «عبدى الذى سرت به نفسى»، وهذا لكمال محبته له . جعله مما تسر نفسه به سبحانه . ومن هذا «ضحكه» سبحانه من عبده، حين يأتى من عبوديته بأعظم ما يحبه .

فيضحك سبحانه فرحاً ورضاً . كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه . . ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو فأقبل إليهم وباع نفسه لله ولقأهم نحره حتى قُتل فى محبته ورضاه .

ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سراً، حيث لا يراه إلا الله الذى أعطاه، فهذا الضحك منه حباً له، وفرحاً به . وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة . فيضحك إليه فرحاً به ويقدمه عليه^(١) .

(١) مدارج السالكين (١ / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

فوائد ترك الذنوب والمعاصي

يقول الإمام ابن القيم: إن من فوائد ترك الذنوب والمعاصي إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانسراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهم والغم والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر على أبواب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثناء الحسن في قلوب الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له إذا أودى وظلم، وذبحهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وخصبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدمه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا في قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير، والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجد حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به، ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه، وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا، فإذا مات تلقته الملائكة بالبشرى

من ربه بالجنة، وبأنه لا خوفٍ عليه ولا حزن، ويتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق، وهو في ظل العرش فإذا انصرفوا من بين يدي الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين ﴿وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١)(٢).

الأمور التي تعين على التوبة

إن الأمور التي تعين على التوبة والاستمرار عليها كثيرة منها:

١- إخلاص النية لله تعالى في التوبة وجميع الأعمال الأخرى، قال ﷺ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغى به وجهه» (٣).

وقال ﷺ: «من ترك شيئاً لله؛ عوضه الله خيراً منه» (٤).

٢- أن يحاول التائب قدر ما يستطيع أن يعمل أعمالاً صالحة تثبت عليه طريق الخير وترجح ميزان حسناته وتذهب سيئاته... قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٥).

ووصى النبي ﷺ معاداً لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ! اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (٦).

(١) سورة الحديد: الآية: (٢١).

(٢) كتاب الفوائد للإمام ابن القيم (ص ٢٢١، ٢٢٢).

(٣) صحيح: رواه النسائي (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٥٢).

(٤) رواه أحمد (٢٠٢٢٢).

(٥) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٦) حسن: رواه الترمذي (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٠٨٤٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٧).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «.. فالكيُّس هو الذى لا يزال يأتى من الحسنات بما يمحو السيئات...» (١).

٣- أن يستشعر قُبْح وفداحة الذنب أو الذنوب التى ارتكبها وضررها عليه فى الدنيا والآخرة.

٤- أن يتعد عن المكان الذى يمارس فيه المعصية، بحيث لا يعود لارتداد المكان الذى فيه المعصية.

٥- إتلاف الأدوات التى كان يعمل بها المعصية كأن يرمى ويكسر المسكر المتبقى عنده أو آلات اللهو.

٦- إن يجد لنفسه رفقة صالحة تعينه على الخير من الصالحين وأن لا يجالس رفقاء السوء الذين كان يعمل المعاصى معهم.

٧- أن يداوم على قراءة الآيات المخوفة للمذنبين فى القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٨- أن يتذكر أن العقوبة المُعجَّلة قد تأتيه فى أى وقت.. قال تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ (٢).

٩- أن يداوم على ذكر الله سبحانه وتعالى فى جميع الأوقات،... فذكر الله من أعظم الأسباب المعينة على طرد الشيطان... ويحاول المحافظة على الأذكار، خاصة التى تقال فى الصباح والمساء وعند النوم وغيرها الثابتة عن الرسول ﷺ.

* * *

(١) الوصية الجامعة (ص: ٣).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٥٤).

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

رفق النبي ﷺ
بالمخطئين

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

رفق النبي ﷺ بالمخطئين

وها نحن - كالعادة - نُطلقُ لخيالنا العنان.. ونتخيل أننا الآن قد دخلنا على النبي ﷺ فرأيناه جالساً مع بعض أصحابه في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها وعنهم فحدث أمرٌ عجيب وكان ردُّ فعل النبي ﷺ فوق الخيال... فيا ترى ما الذي حدث في تلك الليلة؟!!

* أخرج البخارى (١) عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نساءه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحيفة فانفلقت فجمع النبي ﷺ فلق الصحيفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحيفة ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها. فدفع الصحيفة الصحيحة إلى التي كُسرَت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه.

* ونحوه عند النسائي (٢) بإسناد صحيح من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فِهر (٣) ففلقت به الصحيفة، فجمع النبي ﷺ بين فلفتي الصحيفة ويقول: «كلوا، غارت أمكم» مرتين، ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة، وأعطى صحفة أم سلمة عائشة.

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

(٢) النسائي (٧٠ / ٧).

(٣) فهر: أى حجر.

الخطأ من صفة البشر

الأسرة هي مؤسسة إنسانية أركانها هم البشر، والبشر عموماً يحملون في نفوسهم نوارع الخير ونوارع الشر.. ليسوا أناساً معصومين عن الخطأ، وهذه الأخطاء قد تنشأ في داخل الأسرة - أي: فيما يهم الأسرة - سواء كان الخطأ من الزوج أم من الزوجة أو من الأولاد.

ولا شك أن وجود الأخطاء سيقود إلى نشوء المشاكل والصدمات في داخل الأسرة، وهذا أمر طبيعي في كل أسرة فلا تكاد تخلو أسرة من وقوع بعض الخلافات أو المشكلات، التي يمر بعضها بشكل عارض، وهي من الملامح التي لا بد أن يستوعبها كل من الزوجين، وأن يكون لديه القدرة على تفهم موقف الطرف الآخر، والقدرة على التعامل مع الخلاف على حسب درجته وأهميته. ومعرفة، كيف يتعامل مع تلك المواقف الطارئة!!! حتى لا تُدمر سفينة الحياة الزوجية السعيدة!! (١).

* ولقد كان النبي ﷺ يعالج أخطاء الناس جميعاً من حوله بكل رفقٍ ورحمة.. وإذا أردت أن تعرف ذلك فما عليك إلا أن تقرأ سيرة الرسول ﷺ لتعرف كيف كان النبي ﷺ في قمة الرفق واللين والرحمة عند معالجة أخطاء الناس من حوله.

الأشياء التي ينبغي أن نراعيها عند معالجة الأخطاء

وهناك أشياء ينبغي أن نراعيها عند معالجة الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس حتى ننجح في تصحيح تلك الأخطاء وحتى نفوز بالأجر والثواب.

* فمن بين تلك الأشياء التي ينبغي أن نراعيها عند معالجة الأخطاء.

(١) حتى يبقى الحب / د . محمد محمد بدوي (ص ٤٨٨).

(١) إخلاص النية لله (جل وعلا)

فإنبغى على العالم والداعية إذا أراد أن يصحح الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس أن يُخلص النية لله (جل وعلا) ولا يفعل ذلك من أجل أن يعلم الناس أنه عالم... أو يفعل ذلك من أجل أن يُظهر للناس جهلهم أو خطاهم أو ليتعالى على الناس أو ليظفر بمدح الناس من حوله.

قال عليه السلام: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأُتِيَ به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جريءٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالمٌ، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئٌ فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقى في النار، ورجلٌ وسَّعَ الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتِيَ به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل يحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه، ثم ألقى في النار» (١).

(٢) أن يكون تصحيح الأخطاء مبنياً

على الدليل الشرعي وليس صادراً عن جهل أو هوى

فلا ينبغي أن نعترض على شيء يفعله أي إنسان لمجرد أنه لا يوافق هوانا بل ينبغي أن يكون تصحيح الأخطاء مبنياً على الدليل الشرعي.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

عن محمد بن المنكدر قال: صلى جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه^(١) وثيابه موضوعة على المشجب، قال له قائل: تصلى في إزار واحد؟ فقال: إنما صنعت ذلك ليراني أحق مثلك، وأينا كان له ثوبان على عهد النبي ﷺ؟! ^(٢)

قال ابن حجر - رحمه الله -: المراد بقوله أحق هنا أي جاهل .. والغرض بيان جوار الصلاة في الثوب الواحد ولو كانت الصلاة في الثوبين أفضل، .. فكانه قال: صنعته عمداً لبيان الجوار إما ليقندي بي الجاهل ابتداء، أو ينكر على فأعلمه أن ذلك جائز، وإنما أغلظ لهم في الخطاب زجراً عن الإنكار على العلماء، وليحشهم على البحث في الأمور الشرعية^(٣).

(٢) العدل وعدم المحاباة في تصحيح الأخطاء

فلا بد أن يكون هناك عدل وعدم محاباة في تصحيح الأخطاء ..
فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٤).
وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾^(٥).
* وتعالوا بنا لنرى كيف كان النبي ﷺ لا يحابي أحداً يخطئ على الشرع .. فالشرع عنده فوق كل الناس.

* فقد روت عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله

(١) وسبب ذلك أنهم لم يكن لهم سراويلات، فكان أحدهم يعقد إزاره في قفاه ليكون مستوراً إذا رجع وإذا سجد: فتح الباري ط. السلفية (٤٦٧/١).

(٢) نطق عليه: رواه البخاري (٣٥٢) كتاب الصلاة، ومسلم (٥١٨) كتاب الصلاة.

(٣) الفتح (٤٦٧/١).

(٤) سورة النساء: الآية: (٥٨).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (١٥٢).

ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟!». فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاخطب فأتى على الله بما هو أهله- ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإنى - والذي نفسى بيده - لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها (١).

وفي رواية للنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: استعارت امرأة على السنة أناس يُعرفون وهي لا تُعرف حلياً فباعته وأخذت ثمنه، فأتى بها رسول الله ﷺ فسعى أهلها إلى أسامة بن زيد، فكلم رسول الله ﷺ فيها فتلون وجه رسول الله ﷺ وهو يكلمه ثم قال له رسول الله ﷺ: «أتشفع إلى في حد من حدود الله؟!». فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله:

ثم قام رسول الله ﷺ عشيتئ فأتى على الله عز وجل بما هو أهله ثم قال: «أما بعد، فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ثم قطع تلك المرأة (٢).

(٤) أن نعلم أن الخطأ من طبيعة البشر

فنحن نعلم يقيناً أنه ليس هناك إنسان معصوم . . فالعصمة دُفنت يوم أن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

(٢) صحيح الإسناد: رواه النسائي (٤٨٩٨) كتاب قطع السارق، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائي، وقال: صحيح الإسناد.

دُفن الحبيب محمد ﷺ .

قال ﷺ : «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»^(١) .

فلا ينبغي أن يفترض العالم والمربي العصمة أو المثالية في الأشخاص الذين يتعامل معهم بل ينبغي أن يتعامل معهم على أنهم بشر يتأثرون بعوارض الهوى والنسيان والجهل والغفلة .

ومن هنا يستطيع المربي أن يكون واقعياً في التعامل مع أخطاء الناس من حوله .

* ولكن هذا لا يعني أن يترك المخطئين بحجة أنهم بشر وأنهم يعيشون في عصر ملء بالفتن والمفريات بل ينبغي أن يحاسبهم وأن يصحح أخطاءهم ولكن بميزان الشرع وبميزان الرحمة التي تجعل الناس يستجيبون ويصححون أخطاءهم بلا تردد .

(٥) ألا يترتب على إصلاح الخطأ خطأ أكبر

وهذا يعتبر من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . وذلك بالألا يترتب على إنكار المنكر منكر أكبر منه . . . وذلك لأن من قواعد الشريعة تحمل أدنى المفسدين لدرء أعلاهما . . .

فقد يسكت العالم والداعية عن خطأ لئلا يؤدي ذلك إلى الوقوع في خطأ أكبر .

لقد سكت النبي ﷺ عن المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم وصبر على أذاهم؛ لئلا يقول الناس: محمد يقتل أصحابه، خصوصاً مع خفاء أمرهم، ولم يهدم النبي ﷺ الكعبة ليبنيها على قواعد إبراهيم الخليل من

(١) حسن: رواه الترمذی (٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٥١) كتاب الزهد، والدارمی (٢٧٢٧) كتاب الرقاق، وأحمد (١٢٦٣٧) باقي مند المكثرين، وحسن العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥١٥) .

أجل أن قريشاً كانوا حديثى عهد بجاهلية، وخشى عليه الصلاة والسلام أن لا تحتمل ذلك عقولهم وترك البنيان على ما فيه من النقص، والباب على ارتفاعه وإغلاقه عن العامة مع أن فى ذلك مخالفة ما ينبغى أن يكون عليه الأمر.

وقبل ذلك نهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين مع أنه طاعة وقربة إذا كان ذلك يؤدي إلى سب الله عز وجل وهو أعظم منكر.

فقد ينكت الداعية عن منكر أو يؤجل الإنكار أو يغير الوسيلة إذا رأى فى ذلك تلافياً لخطأ أو منكر أكبر، ولا يعتبر ذلك تقصيراً ولا تخاذلاً ما دام صادق النية لا يخاف فى الله لومة لائم وكان الذى منعه مصلحة الدين لا الخور والجبن (٩).

(٦) التفريق بين من يخطئ فى حق شخص

وبين من يخطئ فى حق الشرع

فلا ينبغى للمربى أن يغضب لنفسه أبداً بل ينبغى عليه أن يغضب إذا أخطأ شخص خطأ فى حق الشرع.

ولذلك لمجد أن النبى ﷺ لا يغضب لنفسه قط وكان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة الله (جل وعلا):

فقد جاء فى صحيح البخارى - رحمه الله تعالى - عن أنس بن مالك قال: كنت أمتشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال: يا محمد، مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم

(١) الاساليب النبوية فى التعامل مع اخطاء الناس/ الشيخ محمد صالح المنجد (ص: ٣٠).

ضحك ثم أمر له بعتاء^(١).

* عذوه ﷺ عن اليهودي الذي سحره:

وهذا يهودي سحر النبي ﷺ ورغم ذلك عفا عنه النبي ﷺ.

فمن عائشة قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم.. قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يُخِيلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم دعا ثم قال: «يا عائشة أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه... جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي ما وجع الرجل قال: مطبوب قال: مَنْ طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة قال: وَجُفُّ طَلْعَةٌ ذَكَرَ قَالَ: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان».

قالت: فاتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه ثم قال: «يا عائشة والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين» قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقتة. قال: «لا أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شراً فأمر بها فدُفنت»^(٢).

* عذوه ﷺ عن اليهودية التي وضعت له السم في الشاة:

وهذه يهودية تدعو النبي ﷺ إلى طعام لحاجة في نفسها... عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجىء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك قال: «ما كان الله ليسلطك علي» قال: قالوا: ألا نقتلها، قال: «لا» قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٠٩) كتاب اللباس، ومسلم (١٠٥٧) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٦٣) كتاب الطب، ومسلم (٢١٨٩) كتاب السلام.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦١٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

*** عوفه ﷺ عن الرجل المشرك الذي أراد قتله،**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة لُحَد، فلما أدركته القائلة^(١) وهو في وادٍ كثير العُضاه^(٢) فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون. وبيننا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا. فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: «إن هذا أتانى وأنا نائم، فاخترط سيفي^(٣)، فاستيقظت وهو قائم على رأسى مخترط سيفى صلتاً^(٤)»، قال: ما يمنعك منى؟ قلت: «الله، فشامه^(٥) ثم قعد، فهو هذا». قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ^(٦).

(٧) أن يكون الاعتناء بتصحيح الأخطاء التي تتعلق

بالعقيدة أعظم من الاعتناء بتصحيح سائر الأخطاء

فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة .. تلك الشريعة تنظم شؤون الحياة .. ولا يقبل الله من قوم شريعتهم إلا إذا صحت عقيدتهم.
* فالتوحيد هو أصل الأصول .. وهو الحسنة التي يغفر الله بها كل سيئة كما أن الشرك هو السيئة التي يُحبط الله بها كل حسنة.
* ومن هنا كان لا بد للعالم المربي أن يعتنى بتصحيح الأخطاء التي تتعلق بالعقيدة أكثر من الاعتناء بتصحيح سائر الأخطاء .. وليس معنى ذلك أن تهمل تصحيح سائر الأخطاء.

*** ولقد اهتم النبي ﷺ بتصحيح الأخطاء المتعلقة بالشرك غاية**

- (١) القائلة: نصف النهار، وفي الصحاح: الظهيرة.
(٢) العُضاه: بالكر اعظم الشجر أو كل ذات شوك، والجمع عُضاه وعضون.
(٣) اخترط سيفى: استلّه.
(٤) الصلت من السيوف: الصقيل الماضى.
(٥) شامه: أى أغمده.
(٦) مضق عليه: رواه البخارى (٤١٣٩) كتاب المغارى، ومسلم (٨٤٣) كتاب الفضائل.

الاهتمام وذلك لخطورة هذا الأمر . . . وها هي أمثلة توضح ذلك :

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ : «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله وإلا فليصمت»^(١).

* وعن أبي شريح هانئ بن يزيد قال: وفد على النبي ﷺ قوم فسمعهم يسمون رجلاً عبد الحجر، فقال له: «ما اسمك؟» قال: عبد الحجر. فقال له رسول الله ﷺ: «لا، أنت عبد الله»^(٢).

وعن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسى بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»^(٣).

وفي رواية عن أبي واقد أيضاً: أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «قلتم والذي نفسى بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»^(٤) إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة»^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠٨) كتاب الادب، ومسلم (١٦٤٦) كتاب الايمان.

(٢) صحيح: رواه البخارى فى الادب المفرد (٨١١)، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى صحيح الادب المفرد.

(٣) رواه الترمذى رقم (٢١٨٠) وقال: هذا حديث حن صحيح.

(٤) سورة الاعراف: الآية: (١٣٨).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢١٨٠) كتاب الفتن، واحمد (٢١٣٩٠) مسند الانصار رضي الله عنهم، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

* وعن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما شاء الله وشئت، فقال: «جعلتني لله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده»^(١).

* وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»^(٢).

* وعن المغيرة بن شعبة قال: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آياتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتوهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي»^(٣).

(٨) التفريق بين من يخطئ عن اجتهاد

وبين من يخطئ عمداً

فمن المعلوم أن العالم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد.

* فعلى العالم المربي أن يفرق بين من يُخطئ بعد الاجتهاد في معرفة الصواب من الخطأ . . فهذا ليس بمعلوم بل إنه يؤجر أجراً واحداً إذا أخلص النية لله .

وهذا طبعاً بخلاف الذي يخطئ عن تقصير وعمد . . فالمجتهد نوجه له

(١) حسن: رواه أحمد (٢٥٥٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٩٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٤٦) كتاب الأذان، ومسلم (٧١) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٦١) كتاب الجمعة، ومسلم (٩١٥) كتاب الكوف.

النصيحة ونُعلمه، والمتعمد نعهه وننكر عليه ولكن برحمة.
 * ولكن لا بد أن نوضح هنا أن الاجتهاد الذي يُعذر به صاحبه هو
 الاجتهاد الذي يصدر من شخص مؤهل .. وهذا بخلاف من يُفتي بغير
 علم.

* ولذلك كان النبي ﷺ ينكر على من يُفتي بغير علم.
 فقد روى أبو داود في سننه عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا في سفر فأصاب
 رجلاً منا حجر فشجّه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون
 لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء،
 فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: «قتلوه،
 قتلهم الله إلا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال»^(١).
 وكذلك فإن النبي ﷺ أخبر أن «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في
 النار. فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ف قضى به، ورجل عرف الحق فجار
 في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»^(٢).
 فلم يعتبر هذا الثالث معذوراً.

(٩) مراعاة أن هناك بعض الأخطاء

لا يمكن إزالتها بالكلية لأنها تتعلق بأصل الخلقة

فينبغي على المربي مراعاة أن هناك بعض الأخطاء التي لا يمكن إزالتها
 بالكلية لأنها تتعلق بأصل الخلقة ولكن يمكن تقليلها والتخفيف منها.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٣٧) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٥٧٢) كتاب الطهارة وسنتها، والدارمي
 (٧٥٢) كتاب الطهارة، وأحمد (٣٠٤٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع
 (٤٣٦٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٧٣) كتاب الأفضية، والترمذي (١١٨٥) كتاب الطلاق، وابن ماجه
 (٢٣١٥) كتاب الأحكام، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٤٦).

كما هو الحال في شأن المرأة .. فقد قال النبي ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»^(١).

وفي رواية: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقتن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»^(٢).

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - قوله: «بالنساء خيراً» كأن فيه رمزاً إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه. فيؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها أو ترك الواجب، وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة. وفي الحديث المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب.

وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن، والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال: الاستمتاع بهذا لا يتم إلا بالصبر عليها^(٣).

(١٠) ينبغى التصريق بين من يقع منه الخطأ مراراً وبين من يقع منه الخطأ لأول مرة

فلا ينبغى أن نسوي بينهما بل ينبغى أن نفرق في التعامل مع من يقع منه الخطأ مراراً وبين من يقع منه الخطأ لأول مرة.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٣١) أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع.

(٣) فتح الباري (٩/٩٥٤).

فالذي يقع منه الخطأ لأول مرة ينبغي أن نرفق به ونعلمه .
والذي يتكرر منه الخطأ مراراً ينبغي أن نزجره وننكر عليه ولكن أيضاً
نخلط الإنكار عليه بالرحمة والشفقة .

(١١) ينبغي أن نفرق بين من يجاهر وبين من يستتر

وينبغي على الربى أن يفرق بين من يجاهر بالمعصية وبين من يستتر .
فمن المعلوم أن خطر المجاهر بالمعصية أعظم من خطر من يستر فالمجاهر
بالمعصية كأنه يدعو الناس من حوله إلى فعل تلك المعصية .
قال ﷺ : «كل أمتي معافى إلا المجاهرون» (١) .

(١٢) أن المخطئ إذا كان مريداً للخير

فإن هذا لا يمنع من الإنكار عليه

* فقد يريد الإنسان الخير فيخطئ . . فلا يمنع هذا أن نعلمه وأن ننكر
عليه ولكن برحمة .

* عن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس
على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى
المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن
بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال
له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إنى رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته
ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟

فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قومًا حلقتاً جلوساً
ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٦٩) كتاب الادب، ومسلم (٢٩٩٠) كتاب الزهد والرقائق.

فَيَكْبُرُونَ مِائَةً، يَقُولُ: هَلَّلُوا مِائَةً، فَيَهْلَلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سُبُّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُمْ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتَظَرُ رَأْيَكَ وَأَنْتَظَرُ أَمْرَكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدُوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمَنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ.

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلقة فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وآنيتة لم تكسر. والذي نفسى بيده إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد أو مفتوحوا باب ضلالة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يَصِيبَهُ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنْ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ وَابِمِ اللَّهِ مَا أُدْرَى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلقة يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج^(١).

(١٣) إِذَا كَانَ الْمَخْطُوبُ صَغِيرًا فِي السِّنِّ فَيَنْبَغِي

أَنْ يَكُونَ الْإِنْكَارُ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ سِنِّهِ

فقد يكون المخطوب غلاماً صغيراً فلا ينبغي أن نغلظ عليه بل ينبغي أن نراعى صغر سنه حتى لا يكره الالتزام والملتزمين.

(١) صحيح: رواه الدارمي (٢٠٤) في مقدمة سننه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٠٠٥).

• وتعالوا بنا لنرى كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع أخطاء الصغار .
فها هي قصة الغلام الصغير عمر بن أبي سلمة، فقد روى البخاري عنه
قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في
الصفحة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سمَّ الله وكُلَّ يمينك، وكُلَّ
مما يليك»... فما زالت تلك طعمتي بعد^(١).

وهنا نلاحظ أن الغلام تأثر بكلام النبي ﷺ وتوجيهاته ولذلك قال:
فما زالت تلك طعمتي بعد.

• روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن
على أخذ ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ بالفارسية:
«كخ كخ أما تعرف أنا لا ناكل الصدقة؟»^(٢).

وروى الطبراني رحمه الله عن زينب بنت أبي سلمة أنها دخلت على
رسول الله ﷺ وهو يغتسل قالت: فأخذ حفنة من ماء فضرب بها وجهي
وقال: «وراءك أي لكاع»^(٣).

• ومن هنا نعلم أن الصغير لا ينبغي أن نتركه يخطئ بلا توجيه ولا
تصحيح بل إن هذا كله داخل في إطار التربية التي أوجبها الشرع علينا.

(١٤) ينبغي أن نفرق بين الخطأ الكبير

والخطأ الصغير

وينبغي على المربي أن يفرق بين الخطأ الصغير والخطأ الكبير فلا يسوي
بينهما .. ولذلك نجد أن الشريعة فرقت بين الصغائر والكبائر وجعلت لكل
واحدة منهما أحكاماً.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة، ومسلم (٢٠٢٢) كتاب الأشربة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٧٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٠٦٩) كتاب الزكاة.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٨١/٢٤، رقم ٧١٢)، وقال الهيثمي (٢٦٩/١): إسناده حسن.

(١٥) التصريق بين من يخطئ متعمداً

ومن يخطئ عن جهل منه

ومن القصص الواضحة في هذا ما حدث لمعاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه لما جاء إلى المدينة من البادية ولم يكن يدري عن تحريم الكلام في الصلاة قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكنني سكت (أي أوشكت أن أرد عليهم لكنني تماكنت نفسي ولزمت السكوت) فلما صلى رسول الله ﷺ فبابي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني (أي رجرتني وعبس في وجهي) ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن»^(١).

فالجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، والمُصر يحتاج إلى وعظ، فلا يسوغ أن يُسوى بين العالم بالحكم والجاهل به في المعاملة والإنكار، بل إن الشدة على الجاهل كثيراً ما تحمله على النفور ورفض الانقياد بخلاف ما لو علمه أولاً بالحكمة واللين؛ لأن الجاهل عند نفسه لا يرى أنه مخطئ فلسان حاله يقول لمن ينكر عليه: أفلا علمتني قبل أن تهاجمني.

وقد يجانب المخطئ الصواب وهو لا يشعر، بل قد يظن نفسه مصيباً فيراعى لأجل ذلك؛ ... جاء في مسند الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أكل طعاماً ثم أقيمت الصلاة،

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فقام وقد كان توضاً قبل ذلك فأتيته بماء ليتوضاً منه فانتهرني وقال: «وراءك» فساءني والله ذلك ثم صلى فشكوت ذلك إلى عمر. فقال: يا نبي الله إن المغيرة قد شق عليه انتهارك إياه، وخشى أن يكون في نفسك عليه شيء، فقال النبي ﷺ: «ليس عليه في نفسي شيء إلا خبير، ولكن أتاني بماء لاتوضاً، وإنما أكلت طعاماً، ولو فعلته فعل ذلك الناس بعدى» (١).

ويلاحظ هنا أن تخطئة النبي ﷺ لمثل هؤلاء الصحابة الأجلاء لم تكن لتؤثر في نفوسهم تأثيراً سلبياً، فتحملهم على كره أو نفور، بل إنها كانت تؤثر في نفوسهم تأثيراً إيجابياً، فيبقى الواحد منهم بعد تخطئته من النبي ﷺ وجلاً مشفقاً متهماً نفسه يعيش في حرج عظيم لا يُسرى عنه إلا أن يتأكد من رضى رسول الله ﷺ عنه.

ويلاحظ في هذه القصة كذلك أن تخطئة النبي ﷺ للمغيرة لم تكن غضباً من شخص المغيرة، ولكن شفقة على الناس، وتبييناً لهم حتى لا يظنوا ما ليس بواجب واجباً فيقعوا في الحرج.

إن موقع المربي والقدوة في نفس أصحابه كبير وعظيم، ولومه لبعضهم أو تخطئته تقع بموقع، وقد يلاحظ المربي مصلحة أشخاص آخرين في إنكاره على أحد أصحابه من أجل المنفعة العامة، ولكن هذا لا يعنى ترك الأثر السلبى الخاص باقياً، بل يمكن تداركه ومحو أثره بطرق منها: المعاتبة من قبل التابع ولو بطريق واسطة كما فعل المغيرة بتوسيط عمر رضي الله عنه، وفى المقابل إيضاح الموقف والتأكيد على مكانة التابع وحسن الظن به من قبل القدوة والمربي (٢).



(١) المند (٤/٢٥٣).

(٢) الاساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس (ص: ٢١ - ٢٣).

(١٦) التفريق بين المخطئ الذي يسرف على نفسه في المعاصي وبين المخطئ الذي له سوابق كثيرة في فعل الخير

وينبغي على المربي أن يفرق بين المخطئ الذي يسرف على نفسه كثيراً في فعل المعاصي وبين المخطئ الذي تذبذب أخطاؤه في بحار حسناته.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر أخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر»... فسلم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» (ثلاثاً) ..

ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأله: أأنتم أبو بكر؟ - يعني هل أبو بكر هنا - فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعراً، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله أنا كنت أظلم .. أنا كنت أظلم. فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثنى إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ .. فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» فما أودى بعدها (١).

* وعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ حجاجاً، حتى إذا كنا بالعرج نزل رسول الله ﷺ ونزلنا، فجلست عائشة رضي الله عنها إلى جنب رسول الله ﷺ وجلست إلى جنب أبي، وكانت زمالة (دابة السفر) أبي بكر وزمالة رسول الله ﷺ واحدة مع غلام لأبي بكر، فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه فطلع وليس معه بعيره قال: أين بعيرك؟ قال: أضلته البارحة، قال: فقال أبو بكر: بعير واحد تضله، قال: فطفق

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٦١) كتاب المناقب.

يضره ورسول الله ﷺ يتبسم ويقول: «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع» قال ابن أبي رزمة: فما يزيد رسول الله ﷺ على أن يقول: «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع» ويتبسم^(١).

(١٧) ينبغى أن نراعى من كان دينه

رقيقاً ويحتاج إلى تأليف قلبه

فقد يكون الشاب في بداية التزامه وما زال دينه رقيقاً . . أو قد يكون ملتزماً منذ فترة طويلة لكنه لم يزل دينه رقيقاً .
فينبغي أن نتألف قلبه عندما ننكر عليه تلك المخالفة التي وقع فيها حتى لا يتكس.

(١٨) ينبغى أن نحذر عند الإنكار على النساء الأجنبية

فلا ينبغى أن نتساهل في هذه المسألة وأن نطلق لها العنان حتى لا تحدث فتنة كبيرة بل ينبغى أن يكون هذا كله بضوابط شرعية .
فلا نتساهل مثلاً في فتح مجال الحوار بين شاب وفتاة؛ لأن هذا قد يتسبب في حدوث فتنة عظيمة . . بل ينبغى أن تنكر المرأة على المرأة أو ينكر الشيخ الكبير على الشباب والفتيات .

* فقد تكون تلك الفتاة سفيهة فإذا دعاها الشاب إلى الله وأراد أن يصحح لها هذا الخطأ فإذا بها ترميه ببهتان وتتهمه بأنه يغازلها . . فلنتبه .
* وتعالوا بنا لنرى كيف كان هذا الصحابي الجليل ينكر على المرأة بكل أدب وحشمة .

عن مولى رهم واسمه عبيد أن أبا هريرة لقي امرأة متطية تريد المسجد،

(١) حسن: رواه أبو داود (١٨١٨) كتاب المناسك، وابن ماجه (٢٩٣٣) المناسك، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في سنن أبي داود.

فَقَالَ: يَا أُمَّةَ الْجَبَّارِ أَيْنَ تَرِيدِينَ؟ قَالَتْ: الْمَسْجِدَ. قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتَ. قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ» (١).

وَفِي صَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ: مَرَّتْ بِأَبِي هُرَيْرَةَ امْرَأَةٌ وَرِيحُهَا تَعْصِفُ فَقَالَ لَهَا: إِلَى أَيْنَ تَرِيدِينَ يَا أُمَّةَ الْجَبَّارِ؟ قَالَتْ: إِلَى الْمَسْجِدِ. قَالَ: تَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَارْجِعِي فَاغْتَسِلِي؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ امْرَأَةٍ صَلَاةً خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرِيحُهَا تَعْصِفُ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ» (٢).

(١٩) اسْتِثْمَارُ مَكَانَتِكَ وَسُلْطَانِكَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

فَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنْ صَاحِبَ الْمَكَانَةِ وَالسُّلْطَانَ يَتَقَبَّلُ النَّاسَ مِنْهُ مَا لَا يَتَقَبَّلُونَ مِنْ غَيْرِهِ وَمَنْ ثُمَّ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَسْتِثْمِرَ تِلْكَ الْمَكَانَةَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَعْلِيمِ النَّاسِ وَتَصْحِيحِ أَخْطَائِهِمْ إِذَا أَخْطَؤُوا.

* فَمِثْلًا نَجِدُ أَنَّ الْوَالِدَ يَتَقَبَّلُ مِنَ وَالِدِهِ مَا لَا يَتَقَبَّلُهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ التَّلْمِيزَ يَتَقَبَّلُ مِنَ الْمُدْرَسِ مَا لَا يَتَقَبَّلُهُ مِنْ زَمِيلِهِ، وَكَذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ الْمَحْكُومَ يَتَقَبَّلُ مِنَ الْحَاكِمِ مَا لَا يَتَقَبَّلُهُ مِنْ غَيْرِهِ.

وَهَكَذَا كَلِمَا كَانَ الْإِنْسَانُ صَاحِبَ مَكَانَةٍ وَسُلْطَانَ وَهَيْبَةٍ فَإِنَّ النَّاسَ يَتَقَبَّلُوا مِنْهُ مَا لَا يَتَقَبَّلُونَهُ مِنْ غَيْرِهِ.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤١٧٤) كتاب الترجل، وابن ماجه (٤٠٠٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٧٠٣).

(٢) حسن لغيره: رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٨٢)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٢٠)، وقال: حسن لغيره.

وقد كان النبي ﷺ يستفيد مما أعطاه الله من المكانة والمهابة بين الخلق في إنكاره وتعليمه، وربما أتى بشيء لو فعله غيره ما وقع الموقع المناسب وفيما يلي مثال على ذلك:

عن يعيش بن طهفة الغفاري عن أبيه قال: ضيفت رسول الله ﷺ فيمن تضيفه من المساكين فخرج رسول الله ﷺ في الليل يتعاهد ضيفه فرآني منبطحاً على بطني فركضني برجله وقال: «لا تضطجع هذه الضجعة، فإنها ضجعة يبغضها الله عز وجل» وفي رواية: فركضه برجله فأيقظه فقال: «هذه ضجعة أهل النار» (١).

* وقريب من هذا ما رواه الدارمي رحمه الله عن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له: صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن مُتشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه وقال: أنا عبد الله عمر، فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي.

(٢٠) ينبغى أن نعطي المخطئ وقتاً كافياً لتصحيح الخطأ

فقد يكون هناك إنسان قد اعتاد زماناً طويلاً على معصية بعينها أو خطأ معين ولا يستطيع أن يتركه مرة واحدة فينبغى أن نعطيه الوقت الكافي لتصحيح هذا الخطأ مع متابعته والتذكير والتصحيح المستمر.

* * *

(١) رواه أبو داود (٥٠٤٠) كتاب الأدب، والترمذي (٢٧٦٨) كتاب الأدب، وابن ماجه (٧٥٢) كتاب المساجد والجماعات، وأحمد (٣٣١٠٤) باقي مند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٧١).

وأخيراً

كانت هذه وقفات سريعة مع كيفية التعامل مع أخطاء الناس من حولنا بكل رحمة ورفق وحنان . . فينبغي أن نراعى قدرات الناس وأحوالهم وتفاوت درجات الإيمان في قلوبهم . . فمن أخطأ منهم فلا بد أن نوضح له خطاه بكل رحمة وحنان ونتعامل معه على أنه مريض يحتاج إلى أن يعالج برفق وحنان كما كان النبي ﷺ يتعامل مع المخطئين حيث كان يوضح للمخطئ خطاه بصورة غير مباشرة وذلك من باب قوله: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا» وبذلك يتبين للمخطئ أنه أخطأ دون أن يعرف الناس من هو المخطئ.

* فأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا حلم ورفق ورحمة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله وفي توجيه الناس وتصحيح أخطائهم . . إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ
وصلاة الفجر

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ وصلاة الفجر

لغتنا وذل لنا

وما نحن نَسْبِحُ في بحر الخيال الجميل مرة أخرى وتخييل أننا نسير في شوارع وطُرقات المدينة المنورة حتى وصلنا إلى بيت النبي ﷺ وطرقنا الباب... وإذا بالنبي ﷺ يأذن لنا بالدخول فدخلنا ورأينا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه وهو يقول لهم: «من صَلَّى الصبح فهو في ذمة الله..» (١).

ويقول لهم: «بشّر المشائين في الظُّلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» (٢).

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع صلاة الفجر التي هي خيرٌ من الدنيا وما فيها.

من ترك شيئاً لله

ما أعظم رحمات الله (جل وعلا).. فرحمته وسعت كل شيء.. فإن العبد لا يترك شيئاً لله إلا ويعوضه الله خيراً منه.

* فإذا قام العبد في ظلام الليل وترك الفراش الدافئ وذهب ليصلي الفجر في جماعة فإن الله يرزقه بالنور التام يوم القيامة.

* وإذا سجد العبد لله ونزل بأنفه وجبهته على الأرض فإن الله (عز وجل) يرفعه بكل سجدة درجة في الجنة.

* وإذا صام العبد وحرّم نفسه من الطعام والشراب وعانى من الجوع

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذي (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة

الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٨٢٣).

- والعطش فإن الله يُدخله يوم القيامة من باب الريان .
- * وإذا غَضَّ العبد بصره عن النساء فإن الله يكرمه في الجنة بلذة النظر إلى وجهه الكريم (جل وعلا).
- * وإذا فرَّج العبد عن مسلمٍ كُرْبَةً من كُرْب الدنيا فإن الله يفرج عنه كُرْبَةً من كُرْب يوم القيامة .
- * وهكذا لا يترك العبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه .

هل صلاة الفجر فوق طاقة العبد؟

- وأريد أن أبدأ الحديث عن صلاة الفجر بهذا السؤال:
- هل صلاة الفجر ثقيلة وفوق طاقة العبد؟
- والجواب: أنها ليست فوق طاقة ووسع العبد . . . والدليل على ذلك أن الله (عز وجل) قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١).
- ولقد فرض الله الصلوات الخمس على المسلمين - ومنها صلاة الفجر - فكان هذا أكبر دليل على أن صلاة الفجر ليست فوق طاقة العبد.

أين همته؟

أخي الحبيب: وحينما تنظر إلى همة ونشاط أهل الدنيا في السعي وراء الأرزاق وقت صلاة الفجر تتعجب وتقول: إن كانت هذه همة أهل الدنيا في السعي وراء الدرهم والدينار فأين همة أهل الدين في السعي لأداء صلاة الفجر في جماعة ليفوزوا برضوان الله وجنته.

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٨٦).

من سيربح المليون؟

أخى الحبيب: بالله عليك لو قلت لك: تعال إلى صلاة الفجر وسأعطيك كل يوم خمسة آلاف جنيه فهل ستأتي؟

والجواب معلوم: نعم ستأتي قبل صلاة الفجر بساعتين على الأقل لأنك بذلك ستربح خلال سنة واحدة أكثر من مليون جنيه.

* سؤال: فيا ترى إذا مت بعد سنة ونزلت إلى قبرك.. فهل تحب أن تنزل

القبر ومعك مليون جنيه أم تنزل القبر ومعك ٣٦٠ صلاة فجر على الأقل؟

- ما الذي سينفعك في قبرك: صلاة الفجر أم الدرهم والدينار؟

صلاة الفجر مفتاح النصر

* أخى الحبيب: لا بد أن نعلم أن صلاة الفجر خطوة كبيرة على طريق التمكين لهذه الأمة الميمونة المباركة.

ولهذا لما قيل لأحد رعماء اليهود أن النبي ﷺ بشر بنصر المسلمين على اليهود.. قال: أعلم ذلك لكن لستم أنتم الذين تتصرون علينا.

ف قيل له: فمن هم الذين يتصرون عليكم؟

قال: هم المسلمون الذين يستوى عدد مُصلّيتهم في صلاة الفجر مع عدد مُصلّيتهم في صلاة الجمعة.

* فيا من تتخلف عن صلاة الفجر.. احذر أن تكون سبباً في تأخير الأمة عن طريق التمكين.



فضائل وثمرات صلاة الفجر

وتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع بعض فضائل وثمرات صلاة الفجر.

(١) قربة إلى الله تعالى:

والله لو لم يكن لصلاة الفجر أى فضل سوى أنها قربة إلى الله تعالى لكانت كافية.

- ولا بد أن نعلم أن من أحب أحداً فإنه يحرص بكل الحرص على إرضائه فما ظنك بمن يحب الله (جل وعلا).

- فالله فرض علينا الصلوات الخمس وأعطى اهتماماً خاصاً لصلاة الفجر فقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ (١).

* ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أى حافظ يا محمد على الصلاة فى أوقاتها من وقت زوال الشمس عند الظهر إلى وقت ظلمة الليل ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أى: وأقم صلاة الفجر... وإنما عبر عنها بقرآن الفجر لأنه تُطَلَّبُ إطالة القراءة فيها ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ أى تشهد ملائكة الليل والنهار كما فى الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر..» الحديث... قال المفسرون: فى الآية الكريمة إشارة إلى الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس زوالها وهو إشارة إلى الظهر والعصر، وغسق الليل ظلّمته وهو إشارة إلى المغرب والعشاء، وقرآن الفجر صلاة الفجر، فالآية رمز إلى الصلوات الخمس (٢).

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٨).

(٢) صفوة التفسير (١٥٨/٢).

(٢) صلاة الفجر تشهدا الملائكة،

قال ﷺ: «يتعاقبون فيكم؛ ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(١).

* فالملائكة يكتبون أسماء الذين يصلون صلاة الفجر في جماعة.. ويكتبون أيضاً اسم كل امرأة مسلمة تصلى الفجر حاضراً في بيتها وكأنها حضرتها في المسجد.. ثم يصعدون بتلك الأسماء إلى الحق (جل وعلا). وهكذا فالذي يصلى الفجر في جماعة تشهد له الملائكة ويذكرونه في الملأ الأعلى.

(٣) من صلى الفجر في جماعة كان في ذمة الله،

قال ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبكم الله من ذمته بشيء، فإن من يطلبه من ذمته بشيء، يدركه، ثم يكُبه على وجهه في نار جهنم»^(٢).

فالذي يصلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله.. أى في عهده وحمايته وضمانه وأمانه... ومعنى قوله ﷺ: «فلا يطلبكم الله من ذمته بشيء» أى: فلا تنقضوا عهد الله لهذا الرجل بالأمان ولا تصيروه بسوء في نفسه ولا أهله ولا ماله.

* ويحكى أن الحجاج بن يوسف الثقفي أراد أن يقتل رجلاً.. وكان سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في زيارة للحجاج فأمره الحجاج أن يقتل هذا الرجل.. فأخذ سالم السيف ثم سأل الرجل: هل صليت الصبح؟ فقال

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٢) كتاب المآجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المآجد ومواضع الصلاة.

الرجل: نعم صليت الصبح في جماعة وجلست أذكر الله بعدها حتى شروق الشمس.

فقال له سالم: انطلق فلا حاجة لنا إلى قتلك.

فقال له الحجاج: ما منعك من قتله؟!

فقال سالم: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من صلى الصبح كان في جوار الله يومه» فكرهت أن أقتل رجلاً قد أجاره الله.

فقال الحجاج لابن عمر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟

فقال ابن عمر: نعم.

قصة طريفة

* وهناك قصة طريفة.. وهي أنه كان هناك صبيٌ صغير اسمه أحمد وكان عمره عشر سنوات قرأ قول النبي ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله» فطلب من والده أن يوقظه لصلاة الفجر وإلا فلن يذهب غداً إلى المدرسة... فلما حان وقت صلاة الفجر ذهب والده إلى المسجد دون أن يوقظه لأنه خاف عليه من البرد.

فلما حان وقت الذهاب إلى المدرسة أيقظه والده فقال له أحمد: لن أذهب يا أبي إلى المدرسة لأنك لم توقظني لصلاة الفجر.

وفي اليوم التالي أيقظه والده لصلاة الفجر وذهباً سوياً لصلاة الفجر في المسجد ثم عاد الابن، وتناول وجبة الإفطار ثم ذهب إلى المدرسة لكنه كان قد تأخر قليلاً هو وبعض زملائه.

فأراد الأستاذ أن يعاقبهم... فضرب كل واحد منهم عشر ضربات بالعصا.. فلما أراد أن يعاقب أحمد قال له أحمد: لن تستطيع أن تعاقبني اليوم يا أستاذي الفاضل.

فقال له الأستاذ: ولماذا يا أحمد؟

فقال أحمد: لأنني صليت الفجر في جماعة فأصبحت في ذمة الله وعهده وأمانه فهل تستطيع أن تنقض عهد الله وأمانه؟
قال الأستاذ: لا يا أحمد.. لكن احرص على أن تأتي إلى المدرسة مبكراً.

فقال له أحمد: سامحني يا أستاذي.. وسوف آتي مبكراً إن شاء الله.

(٤) من صلى الصبح برئ من النفاق،

فقد سئل رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر والعشاء فقال: «لا يشهدهما منافق» (١).

وقال ﷺ: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً» (٢).

(٥) كُتِبَ مِنَ الْأَبْرَارِ وَكُتِبَ فِي وَفْدِ الرَّحْمَنِ،

قال ﷺ: «من توضأ ثم أتى المسجد، فصلى ركعتين قبل الفجر، ثم جلس حتى يصلى الفجر، كُتِبَ صَلَاتُهُ يَوْمَئِذٍ فِي صَلَاةِ الْأَبْرَارِ، وَكُتِبَ فِي وَفْدِ الرَّحْمَنِ» (٣).

* فمن هم الأبرار وأين هم؟.. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مُخْتَمٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (٤).

* وكُتِبَ فِي وَفْدِ الرَّحْمَنِ.. قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله).

والوفد هم الذين يقدّمون على الله يوم الحشر يركبون على مراكب من نور.

(١) أخرجه أحمد (٥٧/٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٥) كتاب الأذان، ومسلم (٤٣٧) كتاب الصلاة.

(٣) رواه الطبراني في الكبير، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٤١٦).

(٤) سورة المطففين: الآيات: (٢٢-٢٦).

(٦) من صلى الفجر والعشاء كتب له قيام ليلة كاملة،

قال عليه السلام: «من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف ليلة، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما صلى الليل كله»^(١).

* أي كُتِبَ له قيام ليلة كاملة في الثواب وليس في الإجزاء.

مثال ذلك: من صلى الصبح في جماعة ثم جلس في مُصَلَّاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كُتِبَ له أجر حجة وعمرة تامة فهل يُغْنَى ذلك عن حج الفريضة؟ .. كلا.. وذلك لأنه على الثواب ولكن ذلك لم يُجزئه عن أداء الفريضة إن استطاع.

ومثال آخر: نحن نعلم أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص) تعدل ثلث القرآن فلو قرأها المصلي ثلاث مرات في صلاته ولم يقرأ الفاتحة فصلاته باطلة.. لأن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن في الثواب لكنها لا تُجزئ عن قراءة الفاتحة.

* وعن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة:

«أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَقَدَ سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح، وأن عمر غدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق، فمرَّ على الشفاء أم سليمان، فقال لها: لم أرَ سليمان في الصبح! فقالت: إنه بات يصلي، فغلبته عيناه! قال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إليَّ من أن أقوم ليلة»^(٢).

(٧) كأنه امتلك كل ما في الكون وتصدق به،

قال عليه السلام: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها»^{(٣)(٤)}.

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦) كتاب المآجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مالك، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٤٢١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٢٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) ركعتا الفجر: هما سنة الصبح وليس الفريضة.

أى: خيرٌ من زينة الدنيا وزهرتها الفانية . . .
 أو: خيرٌ من أجر التصديق بالدنيا وما فيها.
 * فما الذى يمنعك من صلاة الفجر؟
 * انشغالك بالدنيا . . . فاعلم أن الدنيا كلها لا تساوى ركعتى السنة
 فما ظنك بالفريضة.

(٨) أن البركة فى البكور:

فمن صخر الغامدى أن النبى ﷺ قال: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها» (١).
 وهذه البركة عامة فى كل شىء .
 ولذلك كان صخر الغامدى (راوى هذا الحديث) يرسل تجارته فى أول
 النهار حتى كثر ماله لدرجة أنه كان لا يدرى أين يضعه .
 بل كان النبى ﷺ يرسل جيوشه للغزو فى أول النهار .
 - فمن أراد البركة فى رزقه وماله فليبدأ يومه بصلاة الفجر ثم الجلوس
 فى المصلى حتى تشرق الشمس ثم يصلى ركعتين ويبدأ بعدها يومه . .
 وسيرى البركة التى لا تخطر على قلب بشر .

(٩) يفوز كل يوم بحجة وعمرة:

قال ﷺ: «من صلى الفجر فى جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع
 الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة، وعمرة، تامة، تامة، تامة» (٢).
 ولذلك كان النبى ﷺ يحرص كل الحرص على تلك الجلسة المباركة
 كل يوم:

* ولكي تنال هذا الأجر فعليك بما يلي:

١- تصلى الفجر فى جماعة.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٠٦) كتاب الجهاد، والترمذى (١٢١٢) كتاب البيوع، وابن ماجه (٢٢٣٦)

كتاب التجارات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٠٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٥٨٦) كتاب الجمعة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع

(٦٣٤٦).

- ب - تجلس في المسجد ولا تخرج .
 ج - تذكر الله ولا تشغل بالحديث عن الأمور الدنيوية .
 هـ - تنتظر حتى ترتفع الشمس مقدار رمح - أي بعد شروق الشمس
 بثلاث ساعة - وتصلى ركعتين .
 وبذلك تفوز بأجر حجة وعمرة تامة .
 * وهذا الأجر عام للرجال والنساء . . .
 فالمرأة تصلى في بيتها مع أمها أو أختها أو ابنتها في جماعة . . . وإن لم
 يكن معها أحد من النساء فإنها تصلى وحدها ثم تجلس في مُصلاها إلى ما
 بعد الشروق بثلاث ساعة ثم تصلى ركعتين فتكون قد فازت بأجر حجة
 وعمرة تامة .

(١٠) تدعوه الملائكة ،

قال ﷺ : «يتعاقبون فيكم؛ ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر؛ ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(١) .

زاد ابن خزيمة في صحيحه: «وتقول الملائكة: رب اغفر لهم يوم الدين» .

(١١) يسخر الله له ملكًا خاصًا يحرسه،

رُوى عن ميثم - رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال: «بلغني: أن الملك يغدو برايته مع أول من يغدو إلى المسجد، فلا يزال بها معه حتى يرجع فيدخل بها منزله، وأن الشيطان يغدو برايته إلى السوق مع أول من يغدو، فلا يزال بها معه حتى يرجع فيدخلها منزله»^(٢) .

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.
 (٢) صحيح: رواه ابن أبي عاصم وأبو نعيم في معرفة الصحابة وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٢٠).

• ومعنى ذلك أن أول غادٍ إلى المسجد (في صلاة الفجر) يرسل الله له ملكًا يحمل راية فإذا دخل الرجل فوقف في الصف وقف الملك فوق رأسه يحرسه من الشيطان.. فإذا قضى صلاته وانطلق إلى بيته مشى الملك معه يرفع شأنه ويُعلى قدره بين الناس.. فإذا دخل العبد بيته دخل الملك بهذه الراية معه بيته فكان بيته محروسًا من الشياطين.. وحلَّت به البركة.

(١٢) يعطيه الله النور التام يوم القيامة:

قال ﷺ: «بشِّرُ المشائين في الظُّلَمِ إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(١).
• ولك أن تتخيل معي لحظة المرور على الصراط الذي نُصِبَ على متن جهنم التي أوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت وألف عام حتى ابيضَّت وألف عام حتى اسودَّت فهي الآن سوداء قائمة.
• فيأتيك نور صلاة الفجر وأنت تمر على الصراط.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾^(٢).

(١٣) أمان من عذاب الله:

لقد قال ﷺ: «لن يلج النار أحدٌ صَلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»^(٣). - يعني صلاة الصبح والعصر.
ولذلك تأتي الفضيلة التي بعدها.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذي (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٢) سورة الحديد: الآيتان: (١٢، ١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(١٤) عهد بدخول الجنة،

قال ﷺ: «من صلى البردين دخل الجنة»^(١) - أي العصر والفجر - .

(١٥) قد يظفر بلذة النظر إلى وجه الله،

قال ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها، فافعلوا»^(٢).

- والمقصود هنا بالصلاة: هي صلاة الفجر والعصر .

ولذلك نجد حرص سلفنا الصالح على الصلوات الخمس وبخاصة صلاة الفجر .

- فيها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيقظوه لصلاة الفجر وهو مطعون . فقال: نعم . . ولا حظاً في الإسلام لمن ترك الصلاة . . ثم قام يصلى وجرحه ينزف دمًا .

- وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه قُتل وهو يوقظ الناس لصلاة الفجر .

- وأنس بن مالك رضي الله عنه كان يبكي كلما تذكر فتح مدينة (تُستر) . . وذلك لأنها كانت مدينة مُحصنة حاصرها المسلمون زمانًا طويلًا ثم فتحوها . . وكان الفتح قُبيل صلاة الفجر فضاعت عليهم صلاة الفجر . . فكان أنس يبكي لضياح صلاة الفجر مرة واحدة مع أنه كان يجاهد في سبيل الله .

- ومن هنا نعلم لماذا نصر الله هذا الجيل العظيم .



(١) متفق عليه: ٤٠٥: رواه البخاري (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

صفات جيل التمكين

إخواني وأحبابي: مُحال أن يُمكن الله لامة تُفِرط في الصلوات الخمس -
وخصوصاً صلاة الفجر - .

- انظر ماذا قال الله عن صفات أهل التمكين: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمُ الْأَرْضَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (١).

- وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَتَّخِلَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اتَّخَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

ثم قال بعدها: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣).

- وكان النبي ﷺ يقول: «إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَنَسَاءُ صَبَاحِ الْمُنْذِرِينَ».. وكان لا يُرسل سراياه إلا في الصباح.

- والحق (جل وعلا) لما أقسم بالخيل التي تخرج للجهاد في سبيل الله قال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٤﴾ (٤).

- وكان إهلاك الأمم السابقة - الذين كذبوا الرسل والأنبياء - في وقت الصبح.

- فقال تعالى عن إهلاك قوم لوط: ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٥).

(١) سورة الحج: الآية: (٤١).

(٢) سورة النور: الآية: (٥٥).

(٣) سورة النور: الآية: (٥٦).

(٤) سورة العاديات: الآيات: (١-٣).

(٥) سورة هود: الآية: (٨١).

وقال تعالى عن إهلاك قوم عاد: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ﴾ (١).

- ولذلك نجد أن صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله) لما استردَّ المسجد الأقصى من أيدي الصليبيين... كان أول ما اهتم به: صلاة الفجر.
- ونزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان لاستقرار العدل في الأرض سيكون في صلاة الفجر.

عقوبة من يترك صلاة الفجر

وكما أن من صَلَّى الفجر وداوم على ذلك فإنه يفوز بتلك الثمرات التي ذكرناها.. فكذلك من تهاون في صلاة الفجر وتركها فإنه يُعاقب أشد أنواع العقوبات.

(١) يُحْرَمُ مَنْ أَنْ يَكُونَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَحِمَايَتِهِ،

فقد قال النبي ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله» (٢) أي في عهده وأمانه وحمایته... فمن ترك صلاة الصبح خسر كل هذا.

(٢) يُحْرَمُ مَنْ بَرَكَةِ الْبُكُورِ،

فقد دعا النبي ﷺ لأمته بأن يبارك الله لهم في بكورهم فقال ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» (٣). . . فمن ترك صلاة الفجر (الصبح) فقد حُرِمَ من دعاء النبي ﷺ له.

(٣) يُحْرَمُ مَنْ أَجْرَ قِيَامِ لَيْلَةٍ كَامِلَةٍ،

فقد قال ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف ليلة، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما صلى الليل كله» (٤).

(١) سورة الاحقاف: الآية: (٢٥).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني (٢٤/٨)، وأحمد (٤٣١/٣)، والدارمي (٢٨٣/٢)، وأبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٠٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦) كتاب المأجد ومواضع الصلاة.

فمن ترك صلاة الفجر فقد حُرِّمَ من هذا الأجر الكبير.

(٤) يستهزئ به الشيطان،

فقد ذُكِرَ لرسول الله ﷺ رجل نام حتى أصبح فقال ﷺ: «ذاك رجلٌ بال الشيطان في أذنيه» (١).

أى استهزأ به الشيطان واتخذَه موضعاً لقضاء حاجته.

وقال بعض أهل العلم: أى ملاً سمعه بالأباطيل.

وقال بعضهم: أى أصمَّه عن سماع كل خير... فإذا سمع القرآن والذكر فلا يخشع ولا يتأثر.

(٥) يُحْرَمُ من دعاء الملائكة،

فهم يشهدون صلاة الفجر ويكتبون أسماء المصلين ويقولون: «رب اغفر لهم يوم الدين».. فمن ترك صلاة الفجر حُرِّمَ من دعاء الملائكة.

(٦) يُحْرَمُ من أجر حجة وعمرة تامة،

فقد قال ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة، وعمرة، تامة، تامة، تامة» (٢).
فمن ترك صلاة الصبح حُرِّمَ من هذا الأجر الكبير.

(٧) يُضْرَبُ على قلبه النفاق،

فقد قال ﷺ: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً» (٣).

وفى هذا الحديث إشارة إلى أن من تكاسل عن هاتين الصلاتين فهو منافق.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٧٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٧٧٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٥٨٦) كتاب الجمعة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٤٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان، ومسلم (٦٥١) كتاب المآجد ومواضع الصلاة.

(٨) يُضْرَبُ عَلَيْهِ الْكَسْلُ وَيَشْعُرُ بِضَيْقٍ فِي صَدْرِهِ،

فقد قال ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد، يضرب مكان كل عقدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ، انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقْدُهُ كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»^(١).

* وفرقٌ شديد بين رجل مطمئن الفؤاد راضى النفس بما وفقه الله لفعل الطاعات . . وبين رجلٍ لم يوفقه الله فأصبح خبيث النفس .

(٩) يُعْرَضُ نَفْسَهُ لِعَذَابِ الْقَبْرِ،

فقد قال ﷺ: «إنه أتاني الليلة اثنان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالَا لي: انطلق وإني انطلقت معهما وأنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ^(٢) رأسه فيتدهده^(٣) الحجرها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصحّ رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثلما فعل به المرة الأولى» قال: «قلت لهما: سبحان الله ما هذا؟» - فكان الرد - «أما الرجل الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»^(٤).

(١٠) يُحْرَمُ مِنْ هَذَا الْأَمَانِ مِنَ النَّارِ،

فقد قال ﷺ: «لن يلج النار أحدٌ صَلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»^(٥).

فمن ترك صلاة الفجر حُرِمَ مِنْ هَذَا الْأَمَانِ مِنَ النَّارِ.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) يثلغ: أى يشدخه.

(٣) يتدهده: أى يتدحرج.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(١١) يُحْرَمُ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ،

فَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١) - أَي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ -
فَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَقَدْ حُرِّمَ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ - .

(١٢) يُحْرَمُ مِنَ النُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

فَقَدْ قَالَ ﷺ: «بَشِّرُ الْمُشَائِنِ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ» (٢).

فَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْفَجْرِ حُرِّمَ مِنَ النُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(١٣) يُخْشَى أَنْ يُحْرَمَ مِنْ لَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى،

فَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي
رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ
غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» (٣).

* وَالْمَقْصُودُ هُنَا بِالصَّلَاةِ: أَي صَلَاةَ الْفَجْرِ وَصَلَاةَ الْعَصْرِ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ حَافِظٌ عَلَى هَاتَيْنِ
الصَّلَاتَيْنِ رُزِقَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى . . وَمَنْ تَهَاوَنَ حُرِّمَ .

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٥) المساجد ومواضع الصلاة.
(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة
الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٣) المساجد ومواضع الصلاة.

الأسباب المعينة على صلاة الفجر

وأخيراً فقد يسأل سائل ويقول: ما هي الأسباب المعينة على صلاة الفجر؟ وسوف أذكر لحضراتكم بعض الأسباب المعينة على صلاة الفجر.

(١) الاستعانة بالله،

فلا يستطيع العبد أن يفعل أى طاعة إلا إذا أعانه الله على فعلها ولذلك قال النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١).

(٢) الإخلاص،

لأنه من الصعب أن يواظب على صلاة الفجر إنسان ليس عنده إخلاص... بل إن الله (عز وجل) حين يرى إخلاص العبد فى عمل أى طاعة فإنه يعينه ويوفقه.

(٣) العزيمة الصادقة،

وأقولها بكل صراحة ووضوح: إن من أراد أن يصلى الفجر فى جماعة فسوف يصليها إن شاء الله... فالمسألة تحتاج إلى إخلاص وعزيمة وأخذ بالأسباب... كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾^(٢).

(٤) التفكير فيما أعده الله للمحافظين على صلاة الفجر،

وهذا نراه واضحاً جلياً فى فضائل وثمرات صلاة الفجر.

(٥) التفكير فيما أعده الله للمتهاونين فى صلاة الفجر،

وهذا نراه واضحاً جلياً فى العقوبات المترتبة على ترك صلاة الفجر.

(٦) البعد عن الذنوب والمعاصي،

فقد يُحرم العبد من صلاة الفجر أو من قيام الليل سبب ذنوبه.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه

الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٦).

فقد جاء رجل إلى الحسن البصرى (رحمه الله) فقال له: إني أعد طهورى وأفعل كل شيء من أجل أن أقوم الليل فلا أقوم.
فقال له الحسن: قِيدَتْكَ ذُنُوبُكَ.

... * وكما قيل:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمَيِّتُ الْقُلُوبَ
وَقَدْ يَبُورُ الذُّلُّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا

(٧) الصَّحْبَةُ الصَّالِحَةُ:

فالصاحب قد يعينك على صلاة الفجر وذلك بأن يوقظك للصلاة أو يتصل عليك أو يرسل لك رسالة عنى المحمول وبذلك يكون عوناً لك على فعل تلك الطاعة.

ولذلك أوصانا النبي ﷺ فقال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(١).

وقال ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٢).

(٨) النُّومُ بِطَرِيقَةِ النَّبِيِّ ﷺ:

وذلك بأن تنام مبكراً وتتوضأ قبل أن تنام وتقول أذكار النوم كلها..
وعلى رأسها آية الكرسي حتى يحفظك الله من كيد الشيطان.. ثم تنام على الشق الأيمن وتذكر الله (عز وجل).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٩) التخفُّفُ من الطعام والشراب،

لأن من أكل كثيراً نام كثيراً وفاته الخير الكثير.
ومن أكل قليلاً نام قليلاً واستثمر عمره في فعل الخير.
فما عليك إلا أن تتناول وجبة عشاء خفيفة حتى تستطيع أن تستيقظ
لصلاة الفجر.

(١٠) الأخذ بالأسباب،

وذلك بأن تضبط المنبه قبل صلاة الفجر بساعة لتقوم وتصلي قيام الليل
ثم الفجر ثم تجلس في المسجد لبعء شروق الشمس بثلاث ساعة تذكّر الله ثم
تصلي ركعتين لتفوز بأجر حجة وعمرة تامة تامة.
* أسأل الله ألا يحرمنى وإياكم من لذة وحلاوة صلاة الفجر.

* * *

النبي ﷺ
والخشوع في الصلاة

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ.. والخشوع في الصلاة

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه يوصيهم بهذه الوصية الغالية ويقول: «خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن؛ كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»^(١).
فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الخشوع في الصلاة.

نعمة الخشوع

إن الصلاة أعظم أركان الدين العملية، والخشوع فيها من المطالب الشرعية، ولما كان عدو الله إبليس قد أخذ العهد على نفسه بإضلال بني آدم وفتنتهم، وقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾^(٢) صار من أعظم كيدته صرف الناس عن الصلاة بثتى الوسائل،

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، والنسائي (٤٦١) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٤٠١)

كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٤٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٧).

والوسوسة لهم فيها لحرمانهم لذه هذه العبادة، وإضاعة أجرهم وثوابهم، ولما استسلم الكثيرون للشيطان في هذا الأمر، ولما كان الخشوع أول ما يُرفع من الأرض ونحن في آخر الزمان، انطبق فينا قول حذيفة رضي الله عنه: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، وربُّ مُصلٍّ لا خير فيه، ويوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيهم خاشعاً»^(١).

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٢)

أى: خائفون ساكنون «والخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته»^(٣). والخشوع هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل^(٤).

ومحل الخشوع في القلب، وثمرته على الجوارح، والأعضاء تابعة للقلب، فإذا فسد خشوعه بالغفلة والوساوس فسدت عبودية الأعضاء والجوارح، فإن القلب كالملك والأعضاء كالجنود له فيه يأتمرون، وعن أمره يصدرون، فإذا عزل الملك بفقد القلب لعبوديته ضاعت الرعية وهي الجوارح.

وأما التظاهر بالخشوع فممقوت؛ لأنه من علامات النفاق.

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وأثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «.. وجعلت قرّة عيني في الصلاة»^(٥).

وقد ذكر الله الخاشعين والخاشعات في صفات عباده الأخيار، وأخبر أنه

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/٥٢١).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (١، ٢).

(٣) تفسير ابن كثير ط. دار الشعب (٦/٤١٤).

(٤) المدارج (١/٥٢٠).

(٥) صحيح: رواه النسائي (٣٩٣٩) كتاب عشرة النساء، واحمد، وصححه العلامة الالباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣١٢٤).

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

ومن فوائد الخشوع: أنه يخفف أمر الصلاة على العبد.
قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢)
والمعنى: أي مشقة الصلاة ثقيلة إلا على الخاشعين^(٣).

والخشوع أمر عظيم شأنه، سريع فِقدُه، نادر وجوده خصوصاً في زماننا وهو من آخر الزمان، . . . قال النبي ﷺ: «أول شيء يُرفع من هذه الأمة الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعاً»^(٤).

قال بعض السلف: الصلاة كجارية تُهدى إلى ملك الملوك، فما الظن بمن يُهدى إليه جارية شلاءً أو عوراءً أو عمياء أو مقطوعة اليد والرجل أو مريضة أو دميمة أو قبيحة، حتى يهدى إليه جارية ميتة بلا روح. . فكيف بالصلاة يهديها العبد ويتقرب بها إلى ربه تعالى؟ والله طيب لا يقبل إلا طيباً، وليس من العمل الطيب صلاة لا روح فيها. كما أنه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه^(٥).

* وفي فضل الخشوع ووعيد من تركه يقول النبي ﷺ: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوء من وصلأهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»^(٦).

وقال عليه الصلاة والسلام في فضل الخشوع أيضاً: «من توضع فأحسن

(١) سورة الاحزاب: الآية: (٣٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٢٥).

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٣٦/٢) قال الهيثمي: إسناده حسن. وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٦٩).

(٥) المدارج (١/٥٢٦).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، والنسائي (٤٦١) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٤٠١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٤٢).

الوضوء ثم صلى ركعتين يُقبل عليهما بقلبه ووجهه - وفي رواية: لا يُحدث فيهما نفسه - غُفر له ما تقدم من ذنبه - وفي رواية: إلا وجبت له الجنة - (١).

حكم الخشوع

والراجع في حكم الخشوع أنه واجب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٢). وهذا يقتضى ذم غير الخاشعين.. والذم لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرّم، وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دلّ ذلك على وجوب الخشوع.. ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضاً قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣) أخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة، وذلك يقتضى أنه لا يرثها غيرهم.. وإذا كان الخشوع في الصلاة واجباً وهو المتضمن للسكون والخشوع (٤) فمن نَقَرَ نقر الغراب لم يخشع في سجوده، وكذلك من لم يرفع رأسه في الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يكن؛ لأن السكون هو الطمأنينة بعينها، فمن لم يطمئن لم يسكن، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده، ومن لم يخشع كان آثماً عاصياً.. ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة أن النبي ﷺ تَوَعَّد تاركه كالذي يرفع بصره إلى السماء فإنه حرّكه ورفعته وهو ضد حال الخاشع (٥).

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٣٣) كتاب الرقاق.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (١-١١).

(٤) هكذا في الاصل، ولعلها الخشوع.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٥٣-٥٥٨).

إخفاء الخشوع

كان حذيفة رضي الله عنه يقول: إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع. وقال الفضيل بن عياض: كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه.

ورأى بعضهم رجلاً خاشع المنكبين والبدن، فقال: يا فلان، الخشوع هاهنا، وأشار إلى صدره، لا هاهنا وأشار إلى منكبيه^(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - مبيِّناً الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق: «خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتزمة من الوجع والحجل والحب والحياء وشهود نعمة الله وجناباته هو، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح. وأما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع. فالخاشع لله عبدٌ قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة؛ فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشى به، وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبئاً له، والمخبت: المطمئن، فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء فيستقر فيها، وعلامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالاً له وذلاً وانكساراً بين يديه، سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه... فهذا خشوع الإيمان.

(١) المدارج (١/٥٢١).

وأما السماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعاً ومراعاة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات، فهو يتخشع في الظاهر وحية الوادي وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة^(١).

مراتب الناس في الصلاة

أمر الخشوع كبير، وشأنه خطير، ولا يتأتى إلا لمن وفقه الله لذلك، وحرمان الخشوع مصيبة كبيرة، وخطبٌ جليل، ولذلك كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع...»^(٢).

والخاشعون درجات، والخشوع من عمل القلب يزيد وينقص، فمنهم من يبلغ خشوعه عنان السماء، ومنهم من يخرج من صلاته لم يعقل شيئاً، والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقبتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقبتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس والافكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والافكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله

(١) كتاب الروح (ص ٣١٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء، بنحوه.

مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، . . . قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عز وجل، ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حُجُبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

فالقسم الأول مُعاقِب، والثاني مُحاسِب، والثالث مُكفِّر عنه والرابع مثاب، والخامس مُقرب من ربه؛ لأن له نصيبًا ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرّت عينه بقربه من ربه - عز وجل - في الآخرة، وقرّت عينه أيضًا به في الدنيا، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حشرات^(١).

الخشوع وروحانيات العبد في صلاته

* وأريد أن أبدأ هذا العنصر بهذه القصة المؤثرة.

فمن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب (رجل) امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً - راجعاً - أتى زوجها وكان غائبًا، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ^(٢)، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: «من رجل

(١) الوابل الصيب: ص ٤٠-٤١ .

(٢) أي يصيب دماً.

يكلؤنا^(١) ليلتنا هذه؟ قال: فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بقم الشعب»، قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي، (وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر)، فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب، قال الأنصاري للمهاجرين: أي الليل تحب أن أكفيك: أوله أم آخره؟ قال: بل اكفني أوله، قال: ونام (عمار بن ياسر) وقام (عباد) ينظر إلى الكون من حوله، فإذا به يرى الليل هادئاً وكان الكون كله يسبح بصوت خافت فتاقت نفسه إلى أن يقرأ وهو يصلي - ليجمع بين الحسينين - قال ابن إسحاق: فاضطجع المهاجري (عمار) فنام وقام الأنصاري (عباد) يصلي. قال: وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريثة^(٢) القوم، قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فتزعه ووضعه فثبت قائماً، قال: ثم رماه سهماً آخر، فوضعه فيه، قال: فتزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فتزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب^(٣) صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت^(٤) قال: فوثب، فلما رأهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهيتني - أيقظتني - أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها^(٥).

(١) يكلؤنا: يحفظنا.

(٢) الريثة: الطليعة الذي يحرس القوم.

(٣) أهب: أيقظ.

(٤) أثبت: أي جرحت جرحاً لا يمكن التحرك منه.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب الوضوء من الدم (١/١٩٨)، وأحمد في مسنده (٣/٣٤٣،

٣٥٩) وابن خزيمة في صحيحه (١/٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٢/١٠٩٣)، والحاكم في

مستدرکه (١/١٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/١٤٠) قلت: وإسناده حسن.

* ولقد سألت نفسي عن السر في هذا الموقف العجيب.. فوجدت أن السر في هذا الموقف هو حبه الشديد لله (جل وعلا) وحبه للصلاة والقرآن.. وهذا كله لأنه لا يرى غير الآخرة.. لا يرى إلا الجنة والنار.. ومن أجل ذلك كان النبي ﷺ يكثر من ذكر الجنة والنار.

* مقارنة عابرة،

أريدك أن تقارن بين شاب ذاهب للقاء حبيبته التي لا تحمل له وكيف أنه قد تجهز وارتدى أجمل ثيابه ووضع أجمل العطور وذهب وهو في قمة الفرح حتى يكاد قلبه أن يطير من شدة الفرح.

قارن بينه وبين شاب تقى نقى قد تجهز للصلاة وذهب إليها وهو في قمة الشوق للقاء الله (جل وعلا).. ثم تأمل في حالك وأنت ذاهب إلى الصلاة هل تجد نفسك سعيداً أم أن الصلاة أصبحت عادة لا تشعر فيها بأى تدبر أو خشوع.

* الخشوع روح الصلاة،

وأريدك أن تتخيل أيضاً لو أنه مات أحب الناس إلى قلبك فإنك تكون حريصاً على أن تُسرع في دفنه وتتخلص منه قبل أن يتعفن.. لكن تخيل لو عادت إليه الروح فهل من الممكن أن تُفرط فيه؟.. كلا.. بل ستزداد له حباً. ما الذي تغير؟.. لا شيء سوى عودة الروح.

- فهكذا الصلاة.. روحها الخشوع.. فإذا خرجت الروح فلا قيمة لها.

- قيل للحسن كيف كنتم تصلون؟

قال: كنا نصلى وكأننا على الصراط... والجنة عن اليمين والنار عن الشمال والكعبة أمامنا ومملك الموت وراءنا ينتظر قبض أرواحنا بعد تلك الصلاة ونحن جميعاً بين يدي الله.. فإذا فرغنا من الصلاة لا ندرى هل قبلت أم رُدَّت علينا.

* لقاء مع الملك،

بل تخيل أنك واقف الآن أمام ملك من ملوك الدنيا فهل تستطيع أن تلتفت ولا تنظر إليه وهو يكلمك؟... كلا لا تستطيع.

- ولله المثل الأعلى.. فتخيل نفسك في صلاتك أنك واقف بين يدي مالك الملك وملك الملوك (جل وعلا) فكيف تلتفت ولا تخشع؟!

قال ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن» - وكان من بينها - : «وأمركم بالصلاة، وإذا قمتم إلى الصلاة؛ فلا تلتفتوا فإن الله عز وجل يقبل بوجهه على عبده ما لم يلتفت»^(١).

* الالتفات في الصلاة قسمان،

(١) الالتفات القلب إلى غير الله،

وذلك بأن تكون واقفاً بين يديه في الصلاة وأنت تفكر في الزوجة والأولاد والأموال والمشاريع والعقارات.

(٢) الالتفات البصر،

وكلاهما منهي عنه وينقص من أجر الصلاة.
فقد روى البخاري أن النبي ﷺ سئل عن الالتفات في الصلاة فقال:
«ذلك اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد»^(٢).

* وانها لكبيرة إلا على الخاشعين،

إن من أعظم الأسباب التي تجعل الصلاة ثقيلة على العبد: عدم الخشوع
ولذا قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٣).

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٦٣) كتاب الامثال، وصححه العلامة الالباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٢٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٥١) كتاب الاذان.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

قال ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة ثم تلذذت بها عشرين أخرى فوالله إنى لأدخل في الصلاة فأحمل همَّ خروجي منها.

وقال أبو سليمان الداراني: إن أهل الليل في ليالهم ألد من أهل اللهو في لهوهم وإنه لتمر بالقلب ساعات يكاد يطير بها فرحاً حتى أقول: لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه من التعميم إنهم لفي سعادة ونعيم.

*** النبي ﷺ يستعيد بالله من قلب لا يخشع،**

ولقد كان النبي ﷺ يستعيد بالله من قلب لا يخشع فكان يقول: «... اللهم إنى أعوذُ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»^(١).

*** تذكّر نعم الله عليك،**

أريدك أن تجلس مع نفسك وتذكر نعم الله عليك: نعمة البصر والسمع والكلام واليدين والرجلين... وقبل ذلك كله نعمة الإسلام.

ثم اسأل نفسك: ألا تستحق تلك النعم كلها أن تُفرغ قلبك لله (جل وعلا) وأن تخشع وأنت واقف بين يديه.

*** تأمل معي ما حدث لعروة بن الزبير (رحمه الله):**

فمن هشام بن عروة عن أبيه قال: وقعت الأكلة في رجله فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: إن شئتم... فجاء الطبيب فقال: أسقيك شراباً يزول فيه عقلك. فقال: امضِ لشأنك ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً ويزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه. قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حمساً، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذتَ لقد أبقيت، ولئن ابتليتَ لقد عافيت، وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة^(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) تهذيب الكمال (٢٠/٢٠-٢١).

وقال عامر بن صالح عن هشام بن عروة: إن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك حتى إذا كان بوادي القرى وجد في رجله شيئاً فظهرت به قرحة، ثم ترقى به الوجع، فلما قدم على الوليد قال: يا أبا عبد الله اقطعها. قال: دونك. فدعا له الطبيب وقال له: اشرب المُرْقَد فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على قوله: حَسَّ حَسَّ. فقال الوليد: ما رأيت شيئاً أصبر من هذا.

وأصيب عروة في هذا السفر بابنه محمد، ركضته بغلة في اسطبل فلم نسمع منه كلمة في ذلك، فلما كان بوادي القرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾^(١)، اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثاً، فإن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت^(٢).

* وبدأت رحلة الخشوع؛

الصلاة موقفٌ قُدسي للمصلي مع ربه ومعبوده الحق، يكرر فيه تعهداته والتزاماته واعترافاته التي احتوت عليها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والتي بتحقيقها يكون المرء مسلماً. وهذه التعهدات والالتزامات والإقرارات، منها العقائدي، ومنها القولي، ومنها العملي، وبيان ذلك^(٣):

* الوضوء؛

أريدك أن تستشعر عند الوضوء أنك تُطهر جسدك وروحك وقلبك في وقت واحد.. أريدك أن تُطهر قلبك من الغل والحقد والحسد والنفاق والرياء. قال ﷺ: «إذا توضأ الرجل المسلمُ خرجت خطاياهُ من سمعه وبصره

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٢).

(٢) تاريخ الإسلام (٦/٢٤٧).

(٣) الخشوع في الصلاة / لابن رجب (ص: ٥).

ويديه ورجليه، فإن قعد قعد مغفوراً له» (١).

- فالذنوب تخرج والقلب يطهر وأبواب الجنة الثمانية تفتح لك بعد الوضوء.

قال ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء» (٢).

* التكبير:

وهو اعتراف يلتزم به المصلي قولاً واعتقاداً بأن الله أكبر من كل شيء في ذاته، وصفاته، وحقوقه...، ومن حقوقه امثال أوامره واجتناب نواهيه في الاعتقادات، والعبادات، والأخلاق، والآداب،... في كل الأحوال.

* قراءة الفاتحة:

قال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل: فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدى، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى على عبدى، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدى، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل» (٣).

* موافقة تأمين الملائكة:

فاستشعر أنك وأنت تقول «آمين» أن تأمينك قد وافق تأمين الملائكة.

قال ﷺ: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده؛ فقولوا: اللهم ربنا لك

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢٥٢/٥)، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٨).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٥٥) كتاب الطهارة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٩٥) كتاب الصلاة.

الحمد؛ فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(١).

* قراءة سورة من القرآن،

اقرأ سورة أو جزءاً من سورة بعد الفاتحة واحرص على أن تتعلم تفسير تلك الآيات التي تصلى بها... واحرص على أن تحفظ كثيراً حتى تتلذذ بالصلاة والانتقال بين السور... وتذكر أن القرآن سيشفع لك يوم القيامة.

فقد قال ﷺ: «القرآن شافعٌ مُشَفَّعٌ، وما حلُّ مُصدِّقٌ، مَنْ جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»^(٢).

وأنك سوف ترتقي في درجات الجنة بالقرآن.

فقد قال ﷺ: «يُقَالُ لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت تُرتل في دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»^(٣).

* الركوع،

وهو التزام عملي، يخنى فيه المصلي رأسه وظهره طاعة، وخضوعاً، وتذلاً لمعبوده، وهو به يُعطى تعهداً أن يُديم الطاعة والامثال لأوامر معبوده، واجتناب نواهيهِ فمن خنى ظهره في الصلاة طاعة لله ثم تمرد بعدها عن بعض أوامره، أو تجرأ على بعض نواهيهِ لدواعي هواه وشهوته، فقد ناقض هذا الالتزام على حسب ما ساء من فعله.

* وأريك أن تخنى قلبك قبل ظهرك وأن تذلل وتخضع لله (جل وعلا).

* التسبيح،

وهو قول المصلي في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، وهو التزام قولي يُنزه المصلي فيه معبوده الحق جل جلاله عن

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٨٢) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٠) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: أخرجه ابن حبان (٣٣١/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥١/٢) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩١٥) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨١٢٢).

النقائص في صفاته، أو في أفعاله، أو في حقوقه... ومن حقوقه تعظيمه في كل حال، وتقديم طاعته على طاعة النفس، والوالدين، والرؤساء، وغيرهم، فمن سبح الله في ركوعه وسجوده ثم تجرأ على معاصيه خارجها، فقد انتقص تسيححه معبوده بحسب معصيته^(١).

* الوقوف:

أن تحمد الله على أن جعل صُلبك يستقيم مرة أخرى وأن تتذكر أنك ستقف بين يديه يوم القيامة.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيُكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة»^(٢).

* السجود:

وهو غاية الخضوع، حيث يضع المصلي أشرف أعضائه الظاهرة على التراب أو الأرض، فالسجود تعهد عملي والتزام بالطاعة المطلقة للمعبود الحق في كل الأحوال، فلا يُستثنى فيها حالة شهوة، أو حالة هوى نفس، فمن عفر وجهه بالتراب، وخضع في السجود غاية الخضوع، فإذا انصرف من صلاته عاد إلى طاعة نفسه بمعصية الله، وطاعة المخلوقين بمعصية الله، واتباع الهوى بمعصية الله، فقد كذب نفسه بنفسه بحسب معصيته^(٣).

* وكلما نزلت وسجدت لله كلما اقتربت وارتفعت مكانتك.

قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»^(٤).

وقال ﷺ: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»^(٥).

(١) الخشوع في الصلاة / لابن رجب (ص: ٦-٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٤٣) كتاب التوحيد، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٣) الخشوع في الصلاة (ص: ٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «سَلْ» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة قال: «أو غير ذلك» قلت: هو ذاك قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» (١).

* اسجد مرة أخرى:

فسجدة واحدة لا تكفي.. انزل واشعر بالذل والخضوع لله لكي يرفع الله قدرك ومنزلتك عنده في الدنيا والآخرة.

* التشهد:

- التحيات لله والصلاة والطيبات: استشعر عظمة الله..
- السلام عليك أيها النبي: سلّم على النبي ﷺ مع المعرفة أن النبي ﷺ سيرد عليك.

- قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصلي ويسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحه فأرد السلام» (٢).

- السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين: الآن قيمتك ارتفعت.. سلّم على نفسك وستحتاج لصحبة الصالحين..

- أشهد أن لا إله إلا الله: أنت متأكد بوجوده رغم عدم رؤيتك له.

- اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم: تذكر الأمم التي قبلك؛ حيث أنك متمنى لهم وليس للحضارة الغربية.

* التسليم:

فأنت تُسلّم على الجانب اليمين للملك اليمين لكتابة الحسنات ثم تُسلم

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، والبيهقي (٢٤٥/٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٧٩).

على الجانب الشمال على الملك الذي يكتب السيئات وكأنك تقول له: تُبّت إلى الله يا ملك الشمال.

* أذكار الصلاة:

تبدأ الأذكار التي بعد الصلاة بالاستغفار ثلاثاً.

وكانك تقول: أستغفر الله على التقصير الذي حدث في الصلاة.

* ثم تقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» حيث أن هذه الجملة ستقولها لله (جل وعلا) في الجنة عندما يكشف الحجاب... وينادي الله: يا أهل الجنة سلام عليكم.

فيقولون: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

* ثم تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

لتكون الصلاة القادمة جميلة مثل هذه الصلاة.

كيف تخشع في صلاتك

أما عن الأسباب المعينة على الخشوع في الصلاة فهي:

* الاستعانة بالله (جل وعلا):

* فمن المعلوم أن العبد لا يستطيع أن يفعل أى طاعة إلا إذا أعانه الله عليها ولذلك قال النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله...» (١).

فمن استعان بالله على أن يرزقه الخشوع في الصلاة فإن الله يرزقه الخشوع في الصلاة.

* الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

الشيطان عدو لنا، ومن عداوته قيامه بالوسوسة للمصلى كي يذهب خشوعه ويلبس عليه صلاته.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

ولهذا قيل لبعض السلف: «إن اليهود والنصارى يقولون: لا نُوسوسُ، قال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخرب»^(١).

«وقد مُثِّلَ ذلك بمثالِ حسن، وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره، وبيت خالٍ صفر لا شيء فيه، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟^(٢).. من المؤكد أنه سيرسِق من بيت العبد وذلك لأنه لا يستطيع أن يقترب من بيت الملك ولن يفعل شيئاً بالبيت الخرب وهكذا فإن الشيطان لن يفعل شيئاً بقلب الكافر ولا يستطيع أن يقترب من قلب المؤمن القوى لأن نور إيمان العبد يحرق الشيطان.. وإنما يسرق الشيطان من قلب العبد الذي يكون إيمانه ضعيفاً.

عن أبي العاصم رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يُقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني^(٣).

ومن كيد الشيطان للمصلي ما أخبرنا عنه ﷺ وعن علاجه فقال: «إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه - يعني خلط عليه صلاته وشككه فيها - حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس»^(٤).

ومن كيده كذلك ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ بقوله: «إذا كان أحدكم في الصلاة فوجد حركة في دُبُرِهِ أحدث أو لم يُحدث، فأشكَل عليه، فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»^(٥).

(١) مجموع الفتاوى (٦٠٨/٢٢).

(٢) الوابل الصيب ص: (٤٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٣) كتاب السلام.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٥١) كتاب الأذان.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٣٦٢) كتاب الحيض.

• البعد عن المعاصي

فإن من عقوبة المعصية . . . المعصية بعد المعصية .
 قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١).
 وذلك الرآن يحول بين العبد وبين الخشوع في الصلاة.
 - فيما عليك إلا أن تتوب إلى الله وتكثر من الاستغفار لكي يرزقك الله
 نعمة الخشوع في الصلاة.

• حفظ اللسان

أن تحفظ لسانك من الغيبة والنميمة والكذب وغير ذلك من الآفات التي
 تُعرض القلب وتحول بينك وبين الخشوع في الصلاة.

• البعد عن المظالم

فعندما تصلى وأنت سليم الصدر لكل من حولك فسوف تشغل
 بصلاتك وتخضع فيها بقلبك وجوارحك . . . أما إذا كنت ظالماً لمن حولك
 فإنك ستشغل لا محالة في صلاتك بتدبير المكائد وشهوة الانتقام . . . وكما
 يقولون: سلامة القلب لا يعدها شيء .
 فابتعد عن المظالم قدر استطاعتك . . . وإذا وقعت في مظلمة فتحلل منها
 لكي تسعد في الدنيا والآخرة.

• أن تفرج الدنيا من قلبك

وليس معنى ذلك أني أريد منك أن تترك العمل والدراسة وأن تهجر النجاح . . بل
 أريدك أن تكون ناجحاً غنياً صاحب مركزٍ مرموق بشرط أن تجعل الدنيا في يديك ولا
 تجعلها في قلبك حتى لا تشغلك في صلاتك فتفقد نعمة الخشوع في الصلاة.

• تذكر الموت في الصلاة

لقوله ﷺ: «اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته
 لحرقى أن يحسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي غيرها» (٢).

(١) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٢) حسن: أخرجه الديلمي (١/٤٣١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٤٩).

وفي هذا المعنى أيضاً وصية النبي ﷺ لأبي أيوب رضي الله عنه لما قال له: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع»^(١). يعني صلاة من يظن أنه لن يصلي غيرها.

* الصدقة:

وهذا من أعجب الأسباب.. فقد قال النبي ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»^(٢). فمن كان قلبه متعلقاً بالدنيا فهو مريض.. ولعل الله أن يجعل الصدقة سبباً في شفائه فيخشع.

* الاستعداد للصلاة والتهيؤ لها:

ويحصل ذلك بأمور منها: التردد مع المؤذن، والإتيان بالدعاء المشروع بعده: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته»، والدعاء بين الأذان والإقامة، وإحسان الوضوء والتسمية قبله، والذكر والدعاء بعده والاعتناء بالسواك، وهو تنظيف وتطيب للقدم الذي سيكون طريقاً للقرآن بعد قليل؛ لحديث: «طهروا أفواهكم للقرآن»^(٣). وأخذ الزينة باللباس الحسن النظيف.

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٤).

وكذلك الاستعداد بستر العورة وطهارة البقعة، والتبكير والمشي إلى المسجد بسكينة ووقار، وعدم التشبيك بين الأصابع وانتظار الصلاة، وكذلك تسوية الصفوف والتراس فيها؛ لأن الشياطين تتخلل الفرج بين الصفوف.

* الطمأنينة في الصلاة:

كان النبي ﷺ يطمئن حتى يرجع كل عظم إلى موضعه^(٥).

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤١٢/٥)، وابن ماجه (٤١٧١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٤٢).

(٢) صحيح: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٨٢/٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

(٣) صحيح: أخرجه البزار في «منه» (ص ٦٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٢١٣).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

(٥) صحيح إسناده في صفة الصلاة ص ١٣٤ ط: ١١، وعند ابن خزيمة نحوه كما ذكر الحافظ في الفتح (٣٠٨/٢).

وأمر بذلك المسيء صلاته وقال له: «لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك»^(١).
 وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته»، قال: يا رسول الله، كيف يسرق صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»^(٢).

• الصلاة إلى سترة والدنو منها^(٣)

قال عليه الصلاة والسلام: «إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته»^(٤).
 والسنة في الدنو من السترة أن يكون بينه وبين السترة ثلاثة أذرع وبينها وبين موضع سجوده ممر شاة كما ورد في الأحاديث الصحيحة^(٥).
 وروى وأوصى النبي ﷺ المصلي بأن لا يسمح لأحد أن يمر بينه وبين سترة فقال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه، وليدراه ما استطاع فإن أبي فليقاتله فإن معه القرين»^(٦).

• وضع اليمنى على اليسرى على الصدر

روى كان النبي ﷺ إذا قام في الصلاة «وضع يده اليمنى على اليسرى»^(٧).
 وروى «كان يضعهما على الصدر»^(٨).

وقال رسول الله ﷺ: «إننا معشر الأنبياء أمرنا أن نضع إيماننا على

(١) صحيح: رواه أبو داود (٨٥٦) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٤٢٠).
 (٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣١٠/٥)، قال الهيثمي (١٢٠/٢): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٨٦).
 (٣) بقية هذه العناصر بتصرف من كتاب (٣٣ سبباً للخشوع في الصلاة) للشيخ محمد صالح المنجد (حفظه الله).

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني (١٣٩/٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٧).

(٥) البخاري انظر الفتح ٥٧٤/١، ٥٧٩.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٥٠٦) كتاب الصلاة.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٤٠١) كتاب الصلاة.

(٨) أبو داود رقم ٧٥٩ وانظر إرواء الغليل (٧١/٢).

شماثلنا في الصلاة»^(١) ليلة في بيت النبي ﷺ

.. وسئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن المراد بوضع اليدين إحداهما على الأخرى حال القيام فقال: هو ذل بين يدي العزيز^(٢).

* النظر إلى موضع السجود

لما ورد عن عائشة كان رسول الله ﷺ إذا صلى طأ رأسه ورمى بصره نحو الأرض^(٣).

ولما دخل الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج عنها^(٤).

* تدبر الآيات المقرؤة وبقية أذكار الصلاة والتفاعل معها

القرآن نزل للتدبر ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٥) ولا يحصل التدبر إلا بالعلم بمعنى ما يقرأ فيستطيع التفكير فينتج الدمع والتأثر.

وهنا يتبين أهمية الاعتناء بالتفسير... قال ابن جرير رحمه الله: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله «أى: تفسيره» كيف يلتذ بقراءته»^(٦).
ومما يعين على التدبر كثيراً ترديد الآيات ومعاودة النظر في المعنى وكان النبي ﷺ يفعل ذلك فقد جاء أنه ﷺ «قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهي: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^{(٧)(٨)}.

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١٩٩/١١) وفي الأوسط (٢٤٧/٢). قال الهيثمي (٣/١٥٥): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٨٦).

(٢) الخسوع في الصلاة، ابن رجب ص: ٢١.

(٣) رواه الحاكم ٤٧٩/١ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الألباني في صفة الصلاة ص ٨٩.

(٤) رواه الحاكم في المستدرک ١/ ٤٧٩ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، قال الألباني وهو كما قالاً، إرواء الغليل ٧٣/٢.

(٥) سورة ص: الآية: (٢٩).

(٦) مقدمة تفسير الطبري لمحمود شاکر ١٠/١.

(٧) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٨) رواه ابن خزيمة (١/٢٧١)، وأحمد (٥/١٤٩)، وهو في صفة الصلاة ص(١٠٢).

ومما يعين على التدبر أيضاً حفظ القرآن والأذكار المتنوعة في الأركان المختلفة لبتلوها ويذكرها ليتفكر فيها.

ومن التجاوب مع الآيات التأمين بعد الفاتحة وفيه أجر عظيم .
 قال رسول الله ﷺ: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) وهكذا التجاوب مع الإمام في قوله سمع الله لمن حمده فيقول المأموم ربنا ولك الحمد وفيه أجر عظيم . . . فعن رفاة ابن رافع الزرقى قال: كنا يوماً نصلى وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: «من المتكلم»، قال: أنا، قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يتدرونها أيهم يكتبها أول،^(٢)
 * أن يقطع قراءته آية آية،

وذلك أدعى للفهم والتدبر وهي سنة النبي ﷺ كما ذكرت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم، وفي رواية: ثم يقف ثم يقول، الحمد لله رب العالمين، ثم يقف ثم يقول: الرحمن الرحيم، وفي رواية: ثم يقف ثم يقول: ملك يوم الدين» يقطع قراءته آية آية^(٣).

* ترتيل القراءة وتحسين الصوت بها،

كما قال الله عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(٤) وكانت قراءته ﷺ «مفسرة حرفاً حرفاً»^(٥).

ومما يعين على الخشوع أيضاً تحسين الصوت بالتلاوة وفي ذلك وصايا

(١) رواه البخارى رقم ٧٤٧ .

(٢) رواه البخارى الفتح ٢/٢٨٤ .

(٣) رواه أبو داود رقم ٤٠٠١ وصححه الألبانى فى الإرواء وذكر طرقة ٦٠/٢ .

(٤) سورة الزمل: الآية: (٤).

(٥) مسند أحمد ٦/٢٩٤ - بند صحيح - صفة الصلاة: ص: ١٠٥ .

نبوية منها قوله ﷺ: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا» (١)

وليس المقصود بتحسين الصوت: التمطيط والقراءة على الحان المطربين وإنما جمال الصوت مع القراءة بحزن. . . كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يقرأ حَسْبْتُمُوهُ يَخْشَى اللَّهَ» (٢).

* أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يُجِيبُهُ فِي صَلَاتِهِ

قال النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قَالَ اللَّهُ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» (٣).

وينبغي إجلال هذه المخاطبة وقدرها حق قدرها، قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يَصَلِّي فَإِنَّمَا يَنَاجِي رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَنَاجِيهِ» (٤).

* التَّنْوِيعُ فِي السُّورِ وَالْآيَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ فِي الصَّلَاةِ

وهذا يُشعر المصلي بتجدد المعاني والانتقال بين المضامين المتعددة للآيات والأذكار. . . وهذا ما يفتقده الذي لا يحفظ إلا عددًا محدودًا من السور «وخصوصًا قصارها» والأذكار، فالتنوع من السنة وأكمل في الخشوع.

(١) أخرجه الحاكم ١/٥٧٥ وهو في صحيح الجامع رقم ٣٥٨١ .

(٢) رواه ابن ماجه ١/١٣٣٩ وهو في صحيح الجامع رقم ٢٢٠٢ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٣٩٥).

(٤) مستدرک الحاكم ١/٢٣٦ وهو في صحيح الجامع رقم ١٥٣٨ .

• أن يأتي بسجود التلاوة إذا مز بموضعه،

• ضمن آداب التلاوة السجود عند المرور بالسجدة: . . . وقد وصف الله في كتابه الكريم النبيين والصالحين بأنهم ﴿ إِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (١) قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداءً بهم واتباعاً لمنوالهم» (٢).

• وسجود التلاوة في الصلاة عظيم وهو مما يزيد الخشوع.

• قال الله عز وجل: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُونَ فِيهَا خُشوعًا ﴾ (٣).

• فينبغي المحافظة على سجود التلاوة في الصلاة خصوصاً وأن سجود التلاوة فيه ترغيم للشيطان وتبكيته له وذلك مما يضعف كيده للمصلي.

• عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد اعتزل الشيطان بيكي، يقول: يا ويلي، أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت، فلي النار» (٤).

• التأمل في حال السلف في صلاتهم:

• وهذا يزيد الخشوع ويدفع إلى الاقتداء به لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله» (٥).

• كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو في الصلاة لا يرفع رأسه.

(١) سورة مريم: الآية: (٥٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٣٨/٥ .

(٣) سورة الإسراء: الآية: (١٠٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٥) الخشوع في الصلاة/ ابن رجب ص: ٢٢ .

وكان مسلمة بن بشار يصلي في المسجد فانهدم طائفة منه فقام الناس وهو في الصلاة لم يشعر، ولقد بلغنا أن بعضهم كان كالثوب الملقى، وبعضهم يفتل من صلاته متغير اللون لقيامه بين يدي الله عز وجل. وبعضهم إذا كان في الصلاة لا يعرف من على يمينه وشماله. وبعضهم يصفر وجهه إذا توضعاً للصلاة، فقليل له إنا نراك إذا توضعاً للصلاة تغيرت أحوالك، قال: إني أعرف بين يدي من سأقوم، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقليل له: ما لك؟ فيقول: جاء والله وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها. وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته، وبلغنا عن بعض التابعين أنه كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه، وكان يقول: أتدرون بين يدي من أقف ومن أناجى... فمن منكم لله في قلبه مثل هذه الهيئة؟ (١).

وقالوا لعامر بن عبد القيس: أتحدث نفسك في الصلاة؟ فقال: أو شيء أحب إلي من الصلاة أحدث به نفسي؟ قالوا: إنا لنحدث أنفسنا في الصلاة، فقال: أبالجنة والحدور ونحو ذلك؟ قالوا لا، ولكن بأهلينا وأموالنا. فقال: لأن تختلف الأسنة في أحب إلي (٢).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمينا ويسرة (٣).

قارن بين هذا وتبين ما يفعله بعضنا اليوم... هذا ينظر في ساعته وآخر يصلح هندامه وثالث يعبث بأنفه ومنهم من يبيع ويشترى في الصلاة وربما

(١) سلاح اليقظان لطرد الشيطان: عبد العزيز السلمان ص: ٢٠٩ .

(٢) أي لأن يكثر طعن الرماح في جسدي أحب إلي من أن أحدث نفسي في الصلاة بأمور الدنيا.

(٣) الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية لمرعي الكرمي ص: ٨٣ دار الغرب الإسلامي.

عَدَّ نَقُودَهُ وَبَعْضُهُمْ يَتَابِعُ الزُّخَارِفَ فِي السَّجَادِ وَالسَّقُوفِ أَوْ يَحَاوِلُ التَّعَرُّفَ عَلَى مَنْ بِجَانِبِيهِ . . .

تُرى لو وقف واحد من هؤلاء بين يدي عظيم من عظماء الدنيا هل يجرؤ على فعل شيء من ذلك!!!؟

* معرفة مزايا الخشوع في الصلاة:

ومنها:

١ - قوله ﷺ: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله» (١).

- أن الأجر المكتوب بحسب الخشوع... كما قال ﷺ: «إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعةا، سدسها، خمسها، رُبُعها، ثلثها، نصفها» (٢).

- أنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها... كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها» (٣).

- أن الأوزار والآثام تنحطُّ عنه إذا صلى بتمام وخشوع... كما قال النبي ﷺ: «إن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه» (٤).

- أن الخاشع في صلاته إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحسَّ بأثقال قد وُضعت عنه، فوجد نشاطاً وراحة وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرّة عينه ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا،

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٨) كتاب الطهارة.

(٢) رواه الإمام أحمد ٣٢١/٤ وهو في صحيح الجامع ١٦٢٦ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦١٢/٢٢).

(٤) صحيح: رواه البيهقي (١٠/٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٧١).

فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلى فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ: «يا بلال أرحنا بالصلاة» ولم يقل أرحنا منها.

وقال ﷺ: «جعلت قرّة عيني في الصلاة» فمن جعلت قرّة عينه في الصلاة، كيف تقرّ عينه بدونها وكيف يطيق الصبر عنها؟ (١).

* الاجتهاد بالدعاء في مواضعه في الصلاة وخصوصاً في السجود:

— وقد ثبت الدعاء في الصلاة عن النبي ﷺ في مواضع معينة هي السجود وبين السجدين وبعد التشهد وأعظم هذه المواضع السجود لقوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» (٢).

* تحريك السبابة:

وهذا أمر أهمله كثير من المصلين فضلاً عن جهلهم بفائدته العظيمة وأثره في الخشوع

قال النبي ﷺ: «للهي أشد على الشيطان من الحديد» (٣) أي أن الإشابة بالسبابة عند التشهد في الصلاة أشد على الشيطان من الضرب بالحديد لأنها تذكر العبد بوحدانية الله تعالى والإخلاص في العبادة وهذا أعظم شيء يكرهه الشيطان نعوذ بالله منه (٤).

ولأجل هذه الفائدة العظيمة كان الصحابة رضوان الله عليهم يتواصون بذلك ويحرصون عليه ويتعاهدون أنفسهم في هذا الأمر الذي يقابله كثير من الناس في هذا الزمان بالاستخفاف والإهمال، فقد جاء في الأثر ما يلي: «كان أصحاب النبي ﷺ يأخذ بعضهم على بعض. يعني: الإشارة

(١) الوابل الصيب ٣٧.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة.

(٣) حن: أخرجه أحمد (١١٩/٢)، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صفة الصلاة (ص ١٥٩).

(٤) الفتح الرباني للساعاتي ١٥/٤

بالإصبع في الدعاء^(١) .
 والسنة في الإشارة بالسبابة أن تبقى مرفوعة متحركة مشيرة إلى القبلة
 طيلة التشهد .

* الأذكار الواردة بعد الصلاة:

فإنه مما يعين على تثبيت أثر الخشوع في القلب وما حصل من بركة
 الصلاة وفائدتها .

ولا شك أن من حفظ الطاعة الأولى وصيانتها إتباعها بطاعة ثانية،
 وكذلك فإن التأمل لأذكار ما بعد الصلاة يجد أنها تبدأ بالاستغفار ثلاثاً
 فكان المصلي يستغفر ربه عما حصل من الخلل في صلاته وعما حصل من
 التقصير في خشوعه فيها، وكذلك فإن من المهم المحافظة على النوافل فإنها
 تجبر النقص في الفرائض والذي يشمل الإخلال بالخشوع .

وبعد الكلام عن تحصيل الأسباب الجالبة للخشوع يأتي الحديث عن:

ثانياً: دفع الموانع والشواغل

التي تصرف عن الخشوع وتكدر صفوه

* إزالة ما يشغل المصلي من المكان:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان قِرام^(٢) لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال لها
 النبي ﷺ: «أمبِطِي^(٣)» عنى هذا فإنه لا تزال نصاويره تعرض لى فى
 صلاتى^(٤) .

ويدخل فى هذا؛ الاحتراز من الصلاة فى أماكن مرور الناس وأماكن

(١) رواه ابن أبى شيبة بسند حسن كما فى صفة الصلاة ص: ١٤١ .

(٢) ستر فيه نقش وقيل ثوب ملون .

(٣) أزيلى .

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٩٥٩) كتاب اللباس .

الضوضاء والأصوات المزعجة وبجانب المتحدثين وفي مجالس اللغو واللغظ وكل ما يشغل البصر.

- وكذلك تجنب الصلاة في أماكن الحر الشديد والبرد الشديد إذا أمكن ذلك فإن النبي ﷺ أمر بالإبراد في صلاة الظهر بالصيف لأجل هذا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بتكره وتضجر، فمن حكمة الشارع أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر، فيصلى العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى» (١).

* أن لا يصلى في ثوب فيه نقوش أو كتابات أو ألوان أو تصاوير تشغله،
فمن عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ يصلى في خميصة ذات أعلام (٢) فنظر إلى علمها فلما قضى صلاته قال: «أذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم بن حذيفة وأتوني بأبجانية - كساء ليس فيه تخطيط ولا تطريز ولا أعلام -، فإنها ألهمتني أنفا في صلاتي» وفي رواية: «شغلتني أعلام هذه» وفي رواية: «كانت له خميصة لها علم، فكان يتشاغل بها في الصلاة» (٣).

* أن لا يصلى ويحضرته طعام يشتهي،

قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة بحضرة طعام» (٤).
فإذا وُضع الطعام وحضر بين يديه أو قُدّم له، بدأ بالطعام لأنه لا يخشع إذا تركه وقام يصلى ونفسه متعلقة به. بل إن عليه أن لا يعجل حتى تنقضى حاجته منه لقوله ﷺ: «إذا قُرّب العشاء وحضرت الصلاة، فابدؤوا به قبل

(١) الوابل الصيب ط. دار اليان ص: ٢٢ .

(٢) أى: كساء مخطط ومرتب.

(٣) الروايات في صحيح مسلم (٣٩١/١) رقم ٥٥٦ .

(٤) رواه مسلم رقم ٥٦٠ .

أن تصلوا صلاة المغرب. ولا تعجلوا عن عشائكم» وفي رواية: «إذا وُضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء ولا يعجلنّ حتى يفرغ منه»^(١).

* أن لا يصلى وهو حاقن أو حاقب:

لا شك أن مما ينافي الخشوع أن يصلى الشخص وقد حصره البول أو الغائط ولذلك «نهى رسول الله ﷺ أن يصلى الرجل وهو حاقن» والحاقن أى الحابس البول^(٢). . . والحاقب: هو حابس الغائط.

ومن حصل له ذلك فعليه أن يذهب إلى الخلاء لقضاء حاجته ولو فاته ما فاته من صلاة الجماعة فإن النبي ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم أن يذهب الخلاء وقامت الصلاة فليبدأ بالخلاء»^(٣).

بل إنه إذا حصل له ذلك أثناء الصلاة فإنه يقطع صلاته لقضاء حاجته ثم يتطهر ويصلى لأن النبي ﷺ قال: «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان»^(٤) وهذه المدافعة بلا ريب تذهب بالخشوع. ويشمل هذا الحكم أيضاً مدافعة الريح.

* أن لا يصلى وقد غلبه النعاس:

وقد جاء ذكر السبب في ذلك: فعن عائشة رضي عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد، حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه»^(٥).

وقد يحصل هذا في قيام الليل وقد يصادف ساعة إجابة فيدعو على نفسه

(١) متفق عليه: البخارى كتاب الأذن، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، وفي مسلم رقم ٥٥٧-

. ٥٥٩

(٢) رواه ابن ماجه فى سننه رقم ٦١٧ وهو فى صحيح الجامع رقم ٦٨٣٢.

(٣) رواه أبو داود رقم ٨٨ وهو فى صحيح الجامع رقم ٢٩٩.

(٤) صحيح مسلم رقم ٥٦٠.

(٥) رواه البخارى رقم ٢٠٩.

وهو لا يدري، ويشمل هذا الحديث الفرائض أيضاً إذا أمن بقاء الوقت^(١).

* ألا يصلى خلف المتحدث أو النائمة،

لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك فقال: «لا تصلوا خلف النائمة ولا المتحدث»^(٢).

- أما أدلة النهي عن الصلاة خلف النائمة فقد ضعفها عدد من أهل العلم^(٣).

وقال البخارى - رحمه الله تعالى - فى صحيحه: باب الصلاة خلف النائمة، وساق حديث عائشة: كان النبي ﷺ يصلى وأنا راقدة معترضة على فراشه^(٤).

«وكره مجاهد وطاوس ومالك الصلاة إلى النائمة خشية أن يبدو منه ما يلهى المصلى عن صلاته»^(٥).

فإذا أمن ذلك فلا تكرر الصلاة خلف النائمة والله أعلم.

* عدم الانشغال بتسوية الحصى،

روى البخارى رحمه الله تعالى عن معيقب بن فضال «أن النبي ﷺ قال فى الرجل يسوى التراب حيث يسجد قال: إن كنت فاعلاً فواحدة»^(٦).

ويدخل فى الكراهية مسح الجبهة والأنف وقد سجد النبي ﷺ فى ماء وطين وبقي أثر ذلك فى جبهته ولم يكن ينشغل فى كل رفع من السجود بإزالة ما علق فالاستغراق فى الصلاة والخشوع فيها ينسى ذلك ويشغل عنه وقد قال النبي ﷺ: «إن فى الصلاة سُغلاً»^(٧).

(١) فتح البارى: شرح كتاب الوضوء: باب الوضوء من النوم.

(٢) رواه أبو داود رقم ٦٩٤ وهو فى صحيح الجامع رقم ٣٧٥ وقال حديث حسن.

(٣) منهم أبو داود فى سننه كتاب الصلاة: تفريع أبواب الوتر: باب الدعاء، وابن حجر فى فتح البارى شرح باب الصلاة خلف النائمة: كتاب الصلاة.

(٤) صحيح البخارى: كتاب الصلاة.

(٥) فتح البارى الموضع السابق.

(٦) فتح البارى ٧٩/٣.

(٧) رواه البخارى فتح البارى ٧٢/٣.

* عدم التشويش بالقراءة على الآخرين *

قال رسول الله ﷺ: «ألا إن كلكم مناجٍ ربه، فلا يؤذِنُ بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة» أو قال: «في الصلاة»^(١).
وفي رواية: «لا يبهر بعضكم على بعض بالقرآن»^(٢).

* ترك الالتفات في الصلاة *

لحديث أبي ذر رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الله عز وجل مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه»^(٣).
الأول: الالتفات القلب إلى غير الله عز وجل.
الثاني: الالتفات البصر... وكلاهما منهيٌّ عنه ويُنقص من أجر الصلاة.
وقد سئل رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»^(٤).

«ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو قلبه مثل رجل استذعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً، وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به لأن قلبه ليس حاضراً معه فما ظنّ هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟.
أليس أقلّ المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه...، فهذا المصلي لا يستوى والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلاً قلبه من هيئته وذلت عنقه له، واستحى من ربه أن يُقبل على غيره أو يلتفت عنه وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية: إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن

(١) رواه أبو داود ٢ / ٨٣ وهو في صحيح الجامع رقم ٧٥٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣٦/٢) وهو في صحيح الجامع (١٩٥١).

(٣) رواه أبو داود رقم ٩٠٩ وهو في صحيح أبي داود.

(٤) رواه البخاري: كتاب الأذان باب: الالتفات في الصلاة.

أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساهٍ غافل» (١)
 وأما الالتفات لحاجة فلا بأس به... روى أبو داود عن سهل بن
 الحنظلية قال: «ثُوبٌ بالصلاة - صلاة الصبح - فجعل رسول الله ﷺ
 يصلى وهو يلتفت إلى الشعب».

قال أبو داود: «وكان أرسل فارساً من الليل إلى الشعب يحرس».
 وهذا كحمله أمانة بنت أبي العاص،... وفتح الباب لعائشة ونزوله من
 المنبر لما صلى بهم يعلمهم، وتأخره في صلاة الكسوف، وإمساكه الشيطان
 وخنقه لما أراد أن يقطع صلاته، وأمره بقتل الحية والعقرب في الصلاة،
 وأمره بردّ المار بين يدي المصلي ومقاتلته، وأمره النساء بالتصفيق وإشارته في
 الصلاة وغير ذلك من الأفعال التي تُفعل لحاجة، ولو كانت لغير حاجة
 كانت من العبث - المنافي للخشوع - المنهى عنه في الصلاة» (٢).

* عدم رفع البصر إلى السماء *

وقد ورد النهي عن ذلك والوعيد على فعله في قوله ﷺ: «إذا كان
 أحدكم في الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء، أن يلمع بصره» (٣) وفي رواية:
 «بما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم» وفي رواية: «عن
 رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة» (٤) فاشتد قوله في ذلك حتى قال:
 «ليتهنَّ عن ذلك أو لتُخطفنَّ أبصارهم» (٥).

* ألا يبصق أمامه في الصلاة *

لأنه مما ينافي الخشوع في الصلاة والأدب مع الله لقوله ﷺ: ...

(١) الوابل الصيب لابن القيم. دار البيان ص: ٣٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٥٥٩/٢٢.

(٣) رواه أحمد ٥ / ٢٩٤ وهو في صحيح الجامع رقم ٧٦٢.

(٤) رواه مسلم رقم ٤٢٩.

(٥) رواه الإمام أحمد ٥ / ٢٥٨ والبخاري في صحيحه كتاب الأذان باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة.

«إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى» (١).
 وإذا كان المسجد مفروشاً بالسجاد ونحوه كما هو الغالب في هذا الزمان
 فيمكنه إذا احتاج أن يخرج مندبلاً ونحوه فيبصق فيه ويرده.

* مجاهدة التثاؤب في الصلاة،

قال رسول الله ﷺ: «إذا تئأب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع
 فإن الشيطان يدخل» (٢).

وإذا دخل الشيطان يكون أقدر على التشويش على خشوع المصلي
 بالإضافة إلى أنه يضحك من المصلي إذا تئأب.

* عدم الاختصار في الصلاة،

- عن أبي هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الاختصار في
 الصلاة» (٣) والاختصار هو أن يضع يديه على خصره.

فمن زياد بن صبيح الحنفى قال: صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي
 على خاصرتي فضرب يدي فلما صلى قال: هذا الصلْب في الصلاة وكان
 رسول الله ﷺ ينهى عنه (٤).

وقد جاء في حديث مرفوع أن التخصّر راحة أهل النار والعباذ بالله (٥).

* ترك السدل في الصلاة،

لما ورد أن رسول الله ﷺ «نهى عن السدل في الصلاة وأن يغطى
 الرجل فاه» (٦). في عون المعبود (٧) قال الخطّابى: السدل؛ إرسال الثوب حتى

(١) رواه البخارى فى صحيحه رقم ٣٩٧ .

(٢) رواه مسلم ٢٢٩٣/٤ .

(٣) رواه أبو داود رقم ٩٤٧ وهو فى صحيح البخارى كتاب العمل فى الصلاة، باب الخصر فى الصلاة.

(٤) رواه الإمام أحمد ١٠٦ / ٢ وغيره وصححه الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء: أنظر الإرواء ٩٤ / ٢ .

(٥) رواه البيهقى عن أبى هريرة مرفوعاً. قال العراقى: ظاهر إسناده الصحة.

(٦) رواه أبو داود رقم ٦٤٣ وهو فى صحيح الجامع رقم ٦٨٨٣ وقال: حديث حسن.

(٧) ٣٤٧/٢

يصيب الأرض. ونقل في مرقاة المفاتيح^(١): السدل منهي عنه مطلقاً لأنه من الخيلاء وهو في الصلاة أشنع وأقبح. وقال صاحب النهاية: أي يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد. وقيل بأن كانت اليهود تفعله. وقيل: السدل: أن يضع الثوب على رأسه أو كتفه ويرسل أطرافه أمامه أو على عضديه فيبقى منشغلاً بمعالجته فيخلّ بالخشوع بخلاف ما لو كان مربوطاً أو مزوراً لا يخشى من وقوعه فلا يشغل المصلي حينئذ ولا ينافي الخشوع. أما النهي عن تغطية الفم فمن العلل التي ذكرها العلماء في النهي عنه أنه يمنع حسن إتمام القراءة وكمال السجود^(٢).

* ترك التشبه بالبهائم:

- لما أن الله كرم ابن آدم وخلقه في أحسن تقويم، كان من المعيب أن يتشبه الأدمى بالبهائم وقد نهينا في الصلاة عن مشابهة عدد من هيئات البهائم وحركاتها في الصلاة لما في ذلك من منافاة الخشوع أو قبح الهيئة التي لا تليق بالمصلي.. فمما ورد في ذلك: «نهى رسول الله ﷺ في الصلاة عن ثلاث: عن نقر الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المقام الواحد كإيطان البعير^(٣) قيل معناه أن يألف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد مخصوصاً به يصلي فيه كالبعير لا يغير مناخه فيوطنه^(٤) وفي رواية: «نهاني عن نقرة كنفرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب^(٥)».

وأخيراً

فإني أسأل الله «جل وعلا» أن يرزقني وإياكم نعمة الخشوع في الصلاة وأن يتقبل منا جميعاً صالح الأعمال.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) ٢٣٦/٢ .

(٢) مرقاة المفاتيح ٢٣٦/٢ .

(٣) رواه أحمد ٤٢٨/٣ .

(٤) الفتح الرباني ٩١/٤ .

(٥) رواه الإمام أحمد ٣١١/٢ وهو في صحيح الترغيب رقم ٥٥٦ .

النبي ﷺ
ونعمة الصبر على المرض

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ.. ونعمة الصبر على المرض

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنمعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه يعلمهم فضل الصبر على المرض وفضل عيادة المرضى فقال ﷺ: «ما من مسلم يشاك شوكاً فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومُحبت عنه بها خطيئة» (١).

وقال ﷺ: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادهُ عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة» (٢).

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الصبر على المرض ولتتعرف على فضل عيادة المريض.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٩٦٩) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٦٧).

الابتلاء سنة ثابتة

لا بد أن نعلم أن الابتلاء سنة ثابتة لا تبدل ولا تتغير، والمؤمن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأنه لا راحة إلا في جنة الرحمن (جل وعلا).
فالعبد مُبتلى في كل شيء، فيما يسره ويحبه، وفيما يسوؤه ويكرهه، قال تعالى: ﴿وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة» (٢).

أيها الأخ الحبيب: تلفت يمنة ويسرة فهل ترى إلا مبتلى وهل تشهد إلا منكوباً، في كل دار نائحة، وعلى كل خد دمة، وفي كل واد بنو سعد.

كم من المصاب، وكم من الصابرين، فلست أنت وحدك المصاب بل مصابك أنت بالنسبة لغيرك قليل، كم من مريض على سريره من أعوام يتقلب ذات اليمن وذات الشمال، يئن من الألم ويصيح من السقم.

كم من رجل وامرأة فقدوا فلذات أكبادهما في ميعة الشباب وربعان العمر، كم من مكروب ومدين ومصاب ومنكوب.

أن لك أن تعزى بهؤلاء، وأن تعلم علم اليقين أن هذه الحياة سجن للمؤمن، ودار للأحزان والنكبات، تصبح القصور حافلة بأهلها وتمسى خاوية على عروشها.

ولك في الرسول ﷺ قدوة، وقد وُضِعَ السلي على رأسه وأدميت قدماه، وشُجَّ وجهه، وحوصر في الشَّعب حتى أكل ورق الشجر، وطُرد من مكة، وكُسرَت ثنيتُه، ورُمي عرض زوجته الشريف، وقُتل سبعون من أصحابه، وفقد ابنه وأكثر بناته في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع، واتَّهم بأنه شاعر ساحر كاهن مجنون كذاب، . . . صانه الله من ذلك، وهذا

(١) سورة الانبياء: الآية: (٣٥).

(٢) تفسير ابن جرير (٢٥/١٧).

بلاء لا بد منه وتمحيص لا أعظم منه، وقد قُتل قبل زكريا وذبح يحيى، وهجر موسى، ووضع الخليل في النار، وسار الأئمة على هذا الطريق فخرج عمر بدمه، واغتيل عثمان، وطعن علي، وجلدت ظهر الأئمة وسُجن الأخيار، ونُكل بالأبرار ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَتَّبِعْتُمُ الْبِئْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلُّوا﴾ (٢١١).

- أبشِر أيها المريض بفجرٍ قريب ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ (٣) ... لا تضق ذرعاً فمن المحال دوام الحال وأفضل العبادة انتظار الفرج، والأيام دول، والحكيم كل يوم هو في شأن، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، وإن مع العسر يسراً، فلا يأس ولا قنوط فالدنيا ظلٌّ زائل، والموعِدُ مُحَمَّدٌ حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ لتشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا تظما بعدها أبداً ثم يأخذ بيدك إلى جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فوائد الأمراض.. والحكمة منها

وقد يسأل سائل ويقول: وهل للأمراض فوائد؟
نقول: بلى إن لها فوائد كثيرة ولكن لا يعلمها إلا من لامس الإيمان شغاف قلبه.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «ولو ذهبنا نذكر ما يطَّلَعُ عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزداد ذلك على عشرة آلاف موضع، مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها وتلاشي علوم الخلائق

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١٤).

(٢) لا تحزن / الشيخ عائض القرني (ص: ٣٨-٤٠) بتصرف.

(٣) سورة المائدة: الآية: (٥٢).

جميعهم في علم الله كتلاشى ضوء السراج في عين الشمس . وهذا تقريب
والا فالامر فوق ذلك . اهـ (١) .

وللأمراض والأسقام - خاصة - فوائد وحكم ، أشار ابن القيم إلى أنه
أحصاها فزادت على مائة فائدة (٢) .

وسأذكر لكم بعض تلك الفوائد:

(١) تكفير الذنوب والسيئات:

* أخى الحبيب: إن مرضك سبب في تكفير الذنوب والسيئات التي
اقترفتها؛ لأن المرض قد يكون عقوبة على بعض الذنوب كما قال تعالى:
﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٣) .

* قال ﷺ: «ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه
أكثره» (٤) . والاختلاج: الحركة والاضطراب .

وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خير له، حتى تكفر عنه ذنوبه، ويلقى
الله سالماً طاهراً منها، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد
الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه
بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» (٥) .

* وقال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا
حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفر الله بها من خطاياها» (٦) .

وقال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٤٣٢) .

(٢) شفاء العليل (ص: ٥٢٥) .

(٣) سورة الشورى: الآية: (٣٠) .

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني في الصغير (٢/٢١٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح
الجامع (٥٥٢١) .

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح
الجامع (٣٠٨) .

(٦) صحيح: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى .

وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة»^(١).

(٢) استخراج عبودية الضراء (وهي الصبر)،

فالله (عز وجل) يتلى عباده بالسراء والضراء فيستخرج منه عبودية السراء وهي الشكر وعبودية الضراء وهي الصبر، فإذا كان العبد مؤمناً حقاً ظهرت عبوديته واضحة جلية في كل الأحوال كما قال عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٢).

(٣) إيقاظ العبد من غفلته،

فكم من عبد كان تائهاً شاردًا لم يسجد لله سجدة واحدة وإذا به لما مرض يتذكر ربه ومولاه فترك الذنوب والمعاصي، وأقبل على ربه بالتوبة والاستغفار والندم على عمره الذي مضى، وفتح صفحة جديدة كلها طاعة لله (عز وجل).
عن أخى الحبيب: إن المرض يُريك فقرك وحاجتك إلى الله، وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله وتقبل عليه بعد أن كنت غافلاً عنه، فيكون البلاء حيثما خيراً لك من النعمة... قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «مصيبة تُقبل بها على الله خير لك من نعمة تُسيك ذكر الله»^(٣).

(٤) صحة وطهارة القلوب والأرواح،

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحسن به إلا من فيه حياة،... فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها»^(٤).

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨١٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) قاعدة فى المحبة (ص: ١٦٧).

(٤) نلية أهل المصائب (ص: ١٠٢).

وقال في موضع آخر: لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقد في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حامية له من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة عبوديته، واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعمائه كما قيل:

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلى الله بعض القوم بالنعمة^(١)

(٥) أن يعلم العبد قدر النعمة،

فمن بين فوائد المرض أن يعرف العبد قدر النعمة التي كان يعيش فيها قبل المرض... فإن العبد قد ينغمس في التمتع بتلك النعم وهو لا يشكر ربه (عز وجل) فإذا داهمه المرض وفقد تلك النعمة ولو لفترة قصيرة فإنه عند ذلك يشعر بقدر النعمة ويعلم قدر المنعم (جل وعلا) فيكون ذلك حادياً له بعد الشفاء لأن يستعمل تلك النعم كلها في طاعة الله (جل وعلا).

(٦) أن تتذكر حال إخوانك المرضى،

إن العبد إذا عاش معافى في بدنه طوال حياته فإنه قد لا يشعر بآلام إخوانه المرضى وبالتالي لا يقوم بأى حق من حقوقهم... أما إذا ابتلى العبد بأى مرض فإنه بذلك يتذكر حال إخوانه المرضى والمعاناة التي يعيشون فيها فيقوم بحقوقهم التي لطالما غفل عنها فيتعهدهم بالزيارة والتخفيف من مصابهم ومواساتهم وقضاء حوائجهم والدعاء لهم... إلى غير ذلك من الحقوق.

(١) عدة الصابرين (ص: ١٦١).

٧) النجاة من النار

والعبد إذا مرض فصبر واحتسب ورضى بقضاء الله فإن ذلك يكون سبباً للنجاة من النار.

كما قال ﷺ: «الحمى حظ كل مؤمن من النار» (١).

ومن المعلوم أن المرض يكون سبباً في تكفير الذنوب والسيئات.. فيلقى العبد ربه نقياً طاهراً فيكون ذلك سبباً في نجاته من النار.

٨) دخول جنة الرحمن (جل وعلا)،

لقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن الجنة لا تُنال إلا بما تكرهه النفس فقال ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكارة وحُفَّت النار بالشهوات» (٢).

والمكارة هي كل ما تكرهه النفس ويشق عليها. وهذا يتناول مجاهدة النفس في القيام بالطاعات واجتناب المعاصي، والصبر على المصائب والتسليم لأمر الله فيها (٣).

هذه ولهذا جاء في حق من أصيب بفقد بصره قوله عليه الصلاة والسلام - كما عند البخاري - يقول الله عز وجل: «إذا ابتليت عبدى بحبيتيه - أي: عينيه - فصبر عوضته منهما الجنة» (٤).

٩) رفع الدرجات،

ومن فوائد المرض أن العبد إذا ابتلى فصبر فإنه يتحصل بذلك على الحسنات بل وترفع له الدرجات.

(١) صحيح: رواه القضاة في «مسند الشهاب» (٧ / ١-٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٨٢١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة.

(٣) انظر الفتح (١١ / ٣٢٠).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٦٥٣) كتاب المرض.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة، ومُحِبَّت عنه بها خطيئة» (١)(٢).

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: تأملوا معي تلك الهدية الغالية من كلام رسول الله ﷺ حيث قال: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمله، فما يزال الله ينتليه بما يكره حتى يبلغه إياها» (٣).

وقال عليه السلام: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبره على ذلك، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى» (٤).

* من يرد الله به خيراً يُصب منه،

ومن خلال ما تقدم نعلم يقيناً أن المرض منحة ربانية من الله (عز وجل) على عباده المؤمنين ولذا قال سيد المرسلين عليه السلام: - كما عند البخاري -: «من يرد الله به خيراً يُصب منه».

ولكون المرض والبلاء نعمة كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء، فقد ذكر النبي عليه السلام ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر وغيرهما ثم قال: «وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء» (٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى (١: ١٢٤): «المصاب التي تجري بلا اختيار العبد كالمرض وموت العزيز عليه وأخذ اللصوص ماله إنما يشاب على الصبر عليها، لا على نفس ما يحدث من المصيبة، لكن المصيبة يكفر بها خطاياها، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها. اهـ».

(٣) حسن: أخرجه ابن حبان (١٦٩/٧)، والحاكم (٤٩٥/١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٢٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٩٠) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٥٩٧/٢).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٢٤) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٤٤).

قال وهب بن منبه = رحمه الله - : «إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عدّه رخاءً، وإذا أصابه رخاء عدّه بلاءً» (١).

وقال بعض الحكماء: «رُب محسود على رخاءٍ هو شقاؤه، ومرحوم من سقم هو شقاؤه، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه» (٢).

وقال بعض السلف: «يا ابن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب» (٣).

وقال بعضهم: «ارضَ عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضى عنه طرفة عين، فتسقط من عينه» (٤).

* ومن رحمته سبحانه بعباده أن نغص عليهم الدنيا وكدرها، لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليعيهم» (٥). اهـ.

ومما يناسب هذا المبحث هذا الحديث العجيب في معناه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل أعرابي على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أخذتك أم ملدم قط؟» قال: وما أم ملدم؟ قال: «حرٌّ يكون بين الجلد واللحم» قال: ما وجدت هذا قط. قال: فهل أخذك هذا الصداع قط؟ قال: وما هذا الصداع؟ قال: «عرقٌ يضرب على الإنسان في رأسه» قال: ما

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٣٢٧).

(٢) العقد الفريد (٣/١٤٥).

(٣) مدارج السالكين (٢/٢١٦).

(٤) المدارج (٢/٢١٦).

(٥) إغاثة اللهفان (٢/١٧٥).

وجدت هذا قط. فلما ولى، قال ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليُنظر إلى هذا»^(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا، وأمراضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا، وأمراضهم جسمًا، وإيم الله لو مرضت قلوبكم، وصحَّت أجسامكم لكتنم أهون على الله من الجعلان»^(٢).

الأسباب التي تعينك على الصبر

أما عن الأسباب التي تعينك على الصبر على المرض فهي كثيرة جدًا وسأكتفي بذكر أهم تلك الأسباب:

(١) الفوز بمعية الله ومحبته،

إن صبرك على مرضك يجعلك تفوز بمعية الله فقد قال (جل وعلا): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) بل يجعلك تفوز بمحبة الله فقد قال (جل وعلا): ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

(٢) الفوز بالصلاة والرحمة والهدى من الله،

قال تعالى: ﴿وَلَبَلُّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٥).

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: نعم العبدان ونعمت العلاوة

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٣٢)، قال الهيثمي (٢/٢٩٤) : إسناده حسن . والحاكم (١/٤٩٨) وقال :

صحيح على شرط مسلم، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .

(٢) الزهد لهناد (ص: ٢٤٧).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

(٥) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

للمصابرين... . يعنى بالعذلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى.
فإذا علمت أنك إذا صبرت على المرض فسوف تظفر بتلك البشريات فإن
ذلك يكون حاديًا لك على الصبر.

(٢) التأسى بأهل المصائب

فإن ذلك يهون عليك آلام المرض وشدته... فهمما بلغت آلامك فلا بد
أن تجد من هو أشد تألمًا منك.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «ومن علاجه أن يطفى نار مصيبته ببرد
التأسى بأهل المصائب، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة؟! ثم ليعطف يسرة
فهل يرى إلا حسرة؟! وأنه لو فتش العالم لم يرَ فيهم إلا مُبتلى، إما بفوات
محبوب، أو حصول مكروه وإن سرور الدنيا أحلام نوم، أو كظل رائل، إن
أضحكت قليلاً أبكت كثيرًا، وإن سرّت يوماً ساءت دهرًا، وإن متعت قليلاً
منعت طويلًا، وما ملأت دارًا خيرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيوم سرور
إلا خبات له يوم شرور. قال ابن مسعود رضي الله عنه : لكل فرحة ترحه (١)، وما
ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا.

وقال ابن سيرين - رحمه الله - : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده
بكاء... (٢).

وذكر ابن الجوزي - رحمه الله - أنه حدثه من قرأ في الكتب أن ذا
القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مريضًا مرضًا
شديدًا، فلما خاف أن يموت كتب إلى أمه: يا أماه، اصنعي طعامًا،
واجمعي من قدرت عليه، ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة، واعلمي هل
وجدت لشيء قرارًا باقياً وخيالاً دائماً؟! إنى قد علمت يقينًا أن الذى أذهب
إليه خير من مكائى. قال: فلما وصل كتابه صنعت أمه طعامًا، وجمعت

(١) الترح ضد الفرح وهو الحزن والهم والهلاك. انظر ترتيب القاموس (١/٣٦٤)، النهاية (١/١٨٦).

(٢) زاد المعاد (٤/١٩٠).

الناس، وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة، فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد، فقالت: من يبلغك عنى أنك وعظمتى فاتعظت، وعزيتى فتعزيت، فعليك السلام حياً وميتاً^(١).

(٤) العلم بأن المرض مقدر من عند الله:

ومن الأسباب التي تعينك على الصبر أن تعلم يقيناً أن هذا المرض قد قدره الله عليك كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾^(٢).
وقال جل وعلا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

قال ابن جرير - رحمه الله - : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يقول: ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهدى قلبه، يقول: «يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه»^(٤). اهـ.

وقال علقمة - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم»^(٥).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - كما عند مسلم - : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»^(٦).

(٥) أن تعلم أن الله أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع:

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٧).

(١) نلحة أهل المصائب (ص: ٢٠-٢١).

(٢) سورة التوبة: الآية (٥١).

(٣) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٤) تفسير ابن جرير (١٢٣/٢٨).

(٥) تفسير ابن جرير (١٢٣/٢٨) تفسير ابن كثير (١٦٣/٨).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر.

(٧) سورة الاعراف: الآية: (١٥٦).

بِئْسَ مَا يَكُونُ لَكَ يَوْمَ تَلْقَىٰ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُضَاهَوْنَكَ وَالرَّسُولَ يَكْفُرُونَ بِإِيمَانِهِمْ فَمِثْلًا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . . . وتأمل معي أيها الأخ الحبيب هذا المشهد المهيّب:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبِيٌّ، فإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ تَحْلِبُ ثَدْيَهَا تَسْمَى إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ، فَأَلصَقَتْهُ بِبُطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلِدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا»^(١).

(٦) التوكل على الله والاستعانة بالصبر والصلاة،

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله ويتكلموا عليه، ويتعزوا بعزاء الله تعالى، ويمثلوا أمره في الاستعانة بالصبر والصلاة. فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

(٧) أن ترضى باختيار الله لك،

«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) هُوَ الَّذِي اخْتَارَ لَكَ هَذَا الْمَرَضَ وَهَذَا الْبَلَاءَ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَرْضَى وَتُسَلِّمَ . . . فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُكَ وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ . . . فَمَنْ النَّاسُ مِنْ لَا يَنْصَلِحُ حَالَهُ إِلَّا بِالْمَرَضِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَنْصَلِحُ حَالَهُ إِلَّا بِالصَّحَّةِ .

(٨) أن تتذكر فوائد المرض وثمراته،

ومن أسباب الصبر على المرض أن تتذكر فوائد المرض وثمراته فإن هذا المرض إما أن يكون رفعاً لمنزلتك وقد قصر بك عملك عن بلوغ تلك المنزلة،

(١) متفق عليه: صحيح البخارى: (٥٩٩٩) كتاب الاداب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

(٢) سورة الطلاق: الآية: (٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

أو إنه لتكفير ذنب لو لم يكفر لأدى إلى هلاكك، وهو - أيضاً - سبب في تكثير الحسنات ودخول الجنات والنجاة من النار وطهارة القلب من الأمراض التي تهلكه، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والحكم الجليلة.

(٩) أن تعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها،

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور» (١).

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها، وهو في الحقيقة يزيد في مصيبته، بل يعلم المصاب أن الجزع يثبتُ عدوه، ويسوءُ صديقه، ويغضب ربه، ويسرُّ شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضى ربه، وسرَّ صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه؛ فهذا هو الثبات في الأمر الديني.

(١٠) أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك،

ومن أسباب الصبر على المرض أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك إذا كنت ضابطاً محتسباً فلقد قال عليه السلام: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (٢).

(١١) أن المرض يخلصك من الكبر والعجب،

ومن كمال رحمة الله (عز وجل) أن العبد قد يكون به من الكبر والعجب ما يجعله سبباً لهلاكه فيبتليه الحق (جل وعلا) ليخرج من قلبه الكبر والعجب ويجعل قلبه مستكيناً متواضعاً خاشعاً لله فيكون ذلك سبباً للفور برحمة الله

(١) منهاج العابدین للغزالي (ص: ٢٣٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٤٥٦) كتاب الحدود، والترمذي (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١١٠).

ورضوانه وجنته... فلقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...» (١).

(١٢) قد يكون الخير كله في هذا المرض،

قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (٢).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحجوب، والمحجوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرّة من جانب المسرّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرّة من جانب المضرّة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد (٣).

(١٣) أن تنظر إلى ما أبقاه الله عليك من النعم،

وعليك أيها الأخ الحبيب ألا تنظر إلى النعمة التي سلبها الله منك بل انظر إلى سائر النعم التي أبقاها الله عليك.
فلا تكن ممن يذكر المصائب وينسى النعم.

قال الحسن البصري - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٤) قال: «يذكر المصائب وينسى النعم».

وتأمل معي كيف أن عروة بن الزبير - رحمه الله - لما قطعت رجله ومات ولده في نفس اليوم جلس يذكر نعم الله عليه قبل أن يذكر هذا البلاء فقال: «اللهم إنه كان لي بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة، ولئن أخذت لقد أبقيت، ولئن

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

(٣) الفوائد (ص: ٢٠٠).

(٤) سورة العاديات: الآية: (٦).

ابتليت فقد عافيت . . . وما ترك جزاءه من القرآن في تلك الليلة.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «تهوين البلية بأمرين، أحدهما: أن يعدّ نعم الله عليه، وأيديه عنده، فإذا عجز عن عدّها، وأيس من حصرها - هان عليه ما هو فيه من البلاء، ورآه - بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرة من بحر، . . . الثاني: تذكر سوائف النعم التي أنعم الله بها عليه، فهذا يتعلق بالماضي، وتعداد أيادي المن يتعلق بالحال» (١) اهـ.

وأشيد محمود الوراق - رحمه الله -:

يا أيها الظالم في فعله

والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى

تشكو المصيبات وتنسى النعم

(١٤) التحصن بالعلم النافع،

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته من الجزع ما يسوء الناظر إليه والسامع عنه من الاعتراض على الأقدار.

فلا شيء أنفع من العلم؛ لأن العالم لو حصل له هلع شديد في مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدري كيف يتنفس؛ والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق.

(١٥) التعرف على فضيلة الصبر،

وما يعينك على الصبر أن تتعرف على فضيلة الصبر فقد قال ﷺ - كما عند مسلم - : «.. والصبر ضياء» . . . وعليك أن تُصبر نفسك فإنه بذلك يحصل لك الصبر فقد قال ﷺ : «ومن يتصبر يُصبره الله» (٢).

(١) مدارج السالكين (١٦٧/٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٠٥٣) كتاب الزكاة.

(١٦) معرفة أحوال السلف الصالح عند المرض،

فقد كان الواحد منهم يفرح بالمرض والبلاء رغبة فيما عند الله من الأجر والثواب.

قال أحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

وكان أحدهم إذا مرض يقول: إن حلاوة الأجر أنستني مرارة الألم.

(١٧) أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار،

قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»^(١).

(١٨) أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك،

وإذا ابتلى العبد بمرض أو حادث سيارة فما عليه إلا أن يرضى بقضاء الله ولا يفتح على نفسه باباً من أبواب الشيطان فيقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا... ولذا قال ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»^(٢).

ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن، وصححه العلامة

الالبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٩٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لدخلت النار» (١).

(١٩) أن تتذكر ما في البلاء من اللطائف والفوائد،

ومن بين تلك الفوائد التي يجنيها العبد من البلاء: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب منها إلى الله عز وجل .

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه دمة مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له .

* ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله عز وجل ، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين .

* ومنها: أنها توجب من العبد الرجوع إلى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء .

* ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق، ويوجب له الإقبال على الخالق وحده .

* ومنها: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، فإن العبد إذا أحسَّ بالمشقة ابتلاء رَقَّ قلبه لأهل البلاء ورحمهم .

* ومنها: معرفة قدر نعمة العافية، فإن النعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض (٢).

(٢٠) أن تتحمد الله على أن المصيبة لم تكن في الدين،

فكل مصيبة في دنيا الإنسان قد تُعوَّض بخيرٍ منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوَّض .

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٩) كتاب السنة، وابن ماجه (٧٧) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٤).

(٢) نور الاقباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس رضيهما وفوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام - نقلًا من تسمية المصائب للدكتور أحمد فريد (ص: ٤١).

— النبي ﷺ.. ونعمة الصبر على المرض ————— ٢٠٢ —

وكان ﷺ يُعلم أمته هذا الدعاء: «... ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا...»^(١).

وقد حكى ابن أبي الدنيا عن شريح أنه قال: إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره.

إذ لم تكن أعظم مما هي، وإذ رزقني الصبر عليها، وإذ وفقني للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها في ديني.

(٢١) أن تعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان؛

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وهي محل للأتكاد والأسقام والأحزان، وأنها حقيرة عند خالقها سبحانه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٢) قال سعيد ابن أبي الحسن - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة»^(٣).

ومن أمثال العرب: «من حدث نفسه بطول البقاء فليوطن نفسه على المصائب».

وقال أبو الحسن التهامي - رحمه الله - في ذم الدنيا:

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا

صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ

وَمُكَلِّفِ الْأَيَّامِ ضِدَّ طَبَاعِهَا

مَسْتَطْلَبِ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

وَإِذَا رَجَوْتَ الْمَسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا

تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارٍ^(٤)

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٢) سورة البلد: الآية: (٤).

(٣) تفسير ابن جرير (١٩٧/٣٠).

(٤) وفيات الأعيان (٣/٣٨٠).

وقد قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (١).

(٢٢) أن تتذكر الموت،

قال ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات، فما ذكره عبْدٌ قط وهو في ضيق إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره وهو في سعة إلا ضيقها عليه» (٢).

فمن علم أنه سيرحل عن هذه الدنيا لا محالة فإنه يستوى عنده البلاء والعافية لأن أهم ما يشغله أن يلقي الله وهو راضٍ عنه.

(٢٣) انتظار الفرج من عند الله (جل وعلا)،

ومما يتسلى به المصاب أن يُحسن الظن بالله (جل وعلا) ويعلم أن الله سيجعل له فرجًا ومخرجًا، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ (٣).

وقال ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» (٤).

ولرب نازلة يضيق بها الفنى

ذرعًا وعند الله منها المخرجُ

ضائق فلما استحكمت حلقاتها

فُرجت وكان يظنها لا تُفرجُ

(٢٤) أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة،

فإن العبد المؤمن إذا رضى بقضاء الله وصبر على مرضه فإنه سينسى كل آلامه وأحزانه مع أول غمسة في جنة الرحمن (جل وعلا).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرفائق.

(٢) رواه البيهقي وابن حبان وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢١١).

(٣) سورة الشرح: الآيات: (٥-٦).

(٤) رواه أحمد والخرائطي عن أنس - الللة الصحيحة (٢٣٨٢).

٢٠٥ * قال ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً؛ ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّبَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟» فيقول: لا والله يا رب، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً؛ فيقال له: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّبَكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط» (١).

(٢٥) أن تستحضر هذا المشهد المهيب،

ومن الأسباب التي تعينك على الصبر على المرض أن تستحضر هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة حيث قال ﷺ: «يُودِ أَهْلَ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلَ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِينِ» (٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣).

(٢٦) أن تتذكر عذاب أهل النار،

فإن العبد إذا تذكر عذاب أهل النار وما يقاسونه فيها من الحرق والجوع والعطش والحرمات من النظر إلى وجه الله (عز وجل) فإن ذلك يهون عليه آلام المرض فإن كل عذاب دون النار عافية وكل نعيم دون الجنة سراب، * كانت امرأة من العابدات بالبصرة تُصاب بالمصاب فلا تجزع، فذكروا لها ذلك، فقالت: ما أصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في عيني أصغر من الذباب.

(٢٧) التطلع إلى نعيم الجنة،

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن وراء هذه الدار الدنيا داراً

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٤٠٢) كتاب الزهد وحنه الالباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨١٧٧).

(٣) سورة الزمر: الآية: (١٠).

أعظم منها وأجل قدرًا، وأنت لا بد مرتحل إليها إن كنت من أهلها، وهي الجنة التي أعدها الله لأولياته.

* قال ﷺ: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقراءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١) (٢)».

وقال ﷺ: «ينادي مناد، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا» فذلك قوله - عز وجل - : ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣) (٤).

* وعليك أن تتذكر أدنى أهل الجنة منزلة. فقد قال ﷺ: «سأل موسى ﷺ ربه، ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجيءُ بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة: رضيت رب، فيقول: موسى هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك، ولدت عينك، فيقول: رضيت رب، قال موسى: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عينٌ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر» (٥).

* بل يخبر النبي ﷺ عن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة أن الله عز وجل

(١) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٣) سورة الاعراف: الآية: (٤٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

يقول له: «... اذهب فادخل الجنة. فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي، أو أتضحك بي وأنت الملك» (١)(٢).

لا تخف من الموت بسبب المرض

فإن المرض لا يقرب من الموت كما أن الصحة والعافية لا تباعد منه...
فالله - عز وجل - هو الذي يملك مقادير الأمور وهو الذي يعلم آجال العباد
فقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣).
وقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن الملك يبعث إلى الجنين بعد
مائة وعشرين يوماً - بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم
سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فكم من صحيح مات من غير علّة
وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من فتي يمسي ويصبح آمناً
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري



(١) منفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

(٢) بتصرف من كتاب (السلسلة الذهبية/ الجزء الثالث) للمصنف.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

لا تستسلم للمرض... وأحسن الظن بالله

فكم من مريض تعلق قلبه بكلام طبيبه ولم يتعلق قلبه بخالق السماوات والأرض -جل وعلا- . . . فإذا قال له الطبيب: لم يبق من عمرك إلا ستة أشهر وإذا بالمريض يصاب بحالة من الحزن واليأس ولم يعلم هذا المسكين أن الكلمة الأولى والأخيرة إنما تكون لله -جل وعلا- . فلا يعلم مقادير العباد وأعمارهم إلا الله -جل جلاله- .

- وإنما عليك أن ترضى وتسلم لقضاء الله وأن تحسن الظن بالله -جل وعلا- فإن عشت عشت كريماً وقد فزت بالأجر الكبير وإن مت فهنيئاً لك حين أحسنت الظن بالله فقد قال ﷺ - كما عند مسلم -: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»^(١).

* وكم سمعنا عن أناس أصيبوا بأمراض خطيرة وجعل الله شفاهم في شربة من ماء زمزم أو دعوة صالحة خرجت من قلب أخ صالح أو وإليك هذين المثالين: المثال الأول لرجلٍ كافرٍ كان يحب الحياة فلم يستسلم للمرض.

والمثال الثاني لامرأة مسلمة جعل الله شفاهها في ماء زمزم.

ذكر ذابيل كارنيجي قصة رجل أصابته قرحة في أمعائه بلغ من خطورتها أن الأطباء حددوا له أوان وفاته، وأوعزوا إليه أن يجهز كفنه. قال: وفجأة اتخذ «هاني» - اسم المريض - قراراً مدهشاً، إنه فكر في نفسه: إذا لم يبق لي في هذه الحياة سوى أمدٍ قصير، فلماذا لا أستمتع بهذا الأمد على كل وجه؟ لطالما تمنيت أن أطوف حول العالم قبل أن يدركني الموت، ها هو ذا الوقت الذي أحقق فيه أمنيته. وابتاع تذكرة السفر، فارتاع أطباؤه، وقالوا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

له: إنا نحذرك، إنك إن أقدمت على هذه الرحلة فستُدفن في قاع البحر!!
لكنه أجاب: كلا، لن يحدث شيء من هذا، لقد وعدت أقاربي ألا يُدفن
جثمانى إلا في مقابر الأسرة.

وبدأ الرجل رحلة مُشعبة بالمرح والسرور، وأرسل خطاباً لزوجته يقول
فيه: لقد شربت وأكلت ما لذ وطاب على ظهر السفينة، وأنشدت القصائد،
وأكلت ألوان الطعام كلها حتى الدسم المحظور منها، وتمتعت في هذه الفترة
بما لم أتمتع به في ماضى حياتى. ثم ماذا؟!

ثم يزعم دايل كارنيجى أن الرجل صح من علته، وأن الأسلوب الذى
سار عليه أسلوب ناجع فى قهر الأمراض ومغالبة الآلام!!

لا تحزن أيها المريض... فأجرك لا ينقص

إذا كان العبد حريصاً على فعل الطاعات حال صحته فإن من كمال
رحمة الله بهذا العبد أنه إذا مرض فأدى الفرائض لكنه عجز عن أداء بعض
السنن والنوافل فإن الله يأمر الملائكة أن يكتبوا له من الأجر مثلما كان يعمل
وهو صحيح. . .

روى البخارى أن النبي ﷺ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله
تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً»^(١).

* بل وفى الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال: «قال تعالى: إذا ابتليتُ
عبداً من عبادى مؤمناً فحمدنى وصبر على ما بليتته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك
كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عز وجل للحفظة، إنى أنا قِيدت عبدي
هذا وابتليتته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»^(٢).

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٩٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) حسن: رواه أحمد (١٦٦٦٩) من حديث شداد بن أوس بن ثابت رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى
رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٠٩).

أخي المريض... أبشر بكل خير

ونحن نعلم أن من أعظم أنواع الهموم التي يعانى الناس منها: كثرة الأمراض وشدة فتكها بالصحة والشباب ولذلك سأذكر لكم ما يخفف عن المريض ثقل البلاء:

أما عن الأمور التي تخفف عن المريض ثقل البلاء فهي كثيرة... ونذكر منها ما يلي:

١- معرفة أن الله يحبك: «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه»، وإذا أحبك الله جاءت ثمرة المحبة «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، ولئن سألتني لآعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» (١).

٢- ملاحظة حسن الجزاء: فلو جاءك رجل وقال: سأضربك ضربة يدي، ثم أعطيك مائة ألف جنيه، فهل ستشعر بالمرض والضرب؟! بالطبع لا (ولله المثل الأعلى) فلك أن تتخيل أن الله يتليك ويقول لك: إن ثمن هذا البلاء هو الجنة!! لا شك أن حلاوة الأجر ستُنسيك مرارة الألم.

٣- انتظار الفرج: فإنك إذا جاءك المرض تكون بين حالين، إما أن تموت صابراً محتسباً فلك الأجر العظيم، وإما أن تُشفى محتسباً أيضاً فلك سعادة الدارين، واعلم أن الله لطيف بعباده... ومن لطفه تعالى بعباده أن تكون أنت في قمة البلاء، وعلى الرغم من ذلك يلقي الله في قلبك الراحة والرضا بقضاء الله والثقة في الأجر والثواب من عند الله تعالى.

٤- تهوين البلية: وذلك بأن تحمد الله على البلاء في الدنيا وليس في الدين، وتحمده أيضاً أنه لم يكن أشد من ذلك.

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٥- سماع سير أهل البلاء: فإن ذلك يهون عليك البلاء. وذلك لأن سماع سيرتهم يجعل الإنسان يشعر بأن هناك من ابتلى بمثل هذا البلاء - فيتصبر بسيرته - (١).

فضل عيادة المريض

* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام (٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» (٣).

* قال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله):

ذهب بعض العلماء إلى أنها فرض كفاية، فإذا لم يتم بها أحد فإنه يجب على من علم بحال المريض أن يعود؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم مريض ولا يعود أحد منهم؛ لأن هذا قطيعة وأي قطيعة!

وهذا القول هو الراجح: أن عيادة المرضى فرض كفاية، ومن المعلوم أن غالب المرضى يعودهم أقاربهم وأصحابهم وتحصل بذلك الكفاية، لكن لو علمنا أن أحداً أجنبياً في البلد مريض، وليس معروفاً، وقد علمت أنه لم يعده أحد فإن الواجب عليك أن تعود؛ لأن ذلك من حقوق المسلمين بعضهم على بعض..

(١) رسالة إلى أهل البلاء/ للمصنف (ص: ١٩، ٢٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٣٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٠٦٦) كتاب اللباس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

والمستحب لمن عاد المريض أن يسأل عن حاله كيف أنت؟ وعن عبادته: كيف تتوضأ؟ كيف تصلي؟ وعن معاملته: هل لك حقوق على الناس؟ أو هل للناس حقوق عليك.

ولا تُطَلِّ الجُلوسَ عنده؛ لأنه ربما يملّ؛ لأن حال المريض غير حال الصحيح، فربما يمل ويحب أن تقوم عنه؛ ليأتي إليه أهله وما أشبه ذلك، ولكن إذا رأيت أن المريض مستأنس بك، ويفرح أن تبقى، وأن تطيل الجلوس عنده، فهذا خير ولا بأس به... وهذا ربما يكون سبباً في شفاؤه؛ لأن من أسباب الشفاء إدخال السرور على المريض. فمثلاً إذا جئت مريضاً وقلت له: أنت اليوم أحسن من أمس، حتى وإن لم يكن أحسن من جهة المرض لكن تقول: أحسن من أمس؛ لأنك ردت خيراً، ما بين أمس واليوم صليت خمس صلوات، استغفرت، هلت، كذلك زاد أجرك بالمرض، وذلك حتى يدخل عليه السرور.

وإذا أردت أن تقوم واستأذنت تقول: أتأذن لي. فإن هذا أيضاً مما يسره؛ لأنه ربما يود أن تبقى فلا يأذن لك، ثم احرص غاية الحرص على أن توجهه إلى فعل الخير في هذا المرض. وقول الخير في هذا المرض، فتقول: قد يُقدَّر الله المرض على الإنسان فيكون خيراً له، فيتفرغ للذكر ولقراءة القرآن وما أشبه ذلك لعله يتبه ويكون لك أجر السبب^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك

(١) شرح رياض الصالحين / للشيخ ابن عثيمين (٣/٣٤-٣٥) بتصرف.

— النبي ﷺ.. ونعمة الصبر على المرض — ٢١٣ —

لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي» (١).

* قال الشيخ ابن عثيمين: كذلك إذا مرض عبد من عباد الله الصالحين فإن الله سبحانه وتعالى يكون عنده؛ ولهذا قال: «أما إنك لو عدته لوجدتني عنده» ولم يقل: لوجدت ذلك عندي كما قال في الطعام والشراب بل قال: «لوجدتني عنده» وهذا يدل على قرب المريض من الله عز وجل. ولهذا قال العلماء: إن المريض حَرِيٌّ بإجابة الدعاء إذا دعا لشخص أو دعا على شخص، وفي هذا دليل على استحباب عيادة المريض، وأن الله سبحانه وتعالى عند المريض وعند من عاده؛ لقوله: «لوجدتني عنده» (٢).

* وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حتى يرجع» قيل: يا رسول الله وما خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قال: «جناها» (٣).

* وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة» (٤).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر.

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/٣٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٨) كتاب البر.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٩٦٩/٣) كتاب الجنائز - باب ما جاء في عيادة المريض، وأبو داود

(٣/٣٠٩٨-٣٠٩٩) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٧٦٧) والسلسلة الصحيحة

(١٣٦٧).

ما يدعى به للمريض

* عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ، بأصبعه هكذا، ووضع سفيان ابن عيينة الراوى سبابته بالأرض ثم رفعها وقال: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا، بإذن ربنا»^(١).

ووجه ذلك: أن التراب طهور كما قال النبي ﷺ: «جعلت تربتها لنا طهوراً»^(٢) وريق المؤمن طاهر أيضاً، فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله عز وجل والثقة به فيشفى بها المريض، ولكن لا بد من أمرين:

١- قوة اليقين في هذا الداعي بأن الله سبحانه وتعالى سوف يشفى هذا المريض بهذه الرقية.

٢- قبول المريض لهذا وإيمانه بأنه سينفع.

أما إذا كانت المسألة على وجه التجربة فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه لا بد من اليقين أن ما فعله النبي ﷺ حق، ولا بد أن يكون المحل قابلاً - وهو المريض - لا بد أن يكون مؤمناً بفائدة ذلك، وإلا فلا فائدة؛ لأن الذين في قلوبهم مرض لا تزيدهم الآيات إلا رجساً إلى رجسهم والعياذ بالله^(٣).

* وعنها أن النبي ﷺ كان يعودُ بعضَ أهله يمسحُ بيده اليمنى ويقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَأْسَ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِيَ، لَا شِفَاءَ إِلَّا

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٧٤٥/١٠) كتاب الطب باب: رقية النبي ﷺ، ومسلم (٢١٩٤) كتاب السلام/ باب: استحباب الرقية من العين - قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا جملة الأرض وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها والريقة أقل من الريق (مسلم بشرح النورى: ٢٦٣/١٤-٢٦٤). ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح.

(٢) رواه مسلم (٥٢٢) كتاب المساجد.

(٣) شرح رياض الصالحين (٤١/٣).

شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً» (١).

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي عنه قال: عادني رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا» (٢).

* وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص رضي عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» (٣).

فهذا من أسباب الشفاء أيضاً، فينبغي للإنسان إذا أحس بالألم أن يضع يده على هذا الألم ويقول: «بسم الله ثلاثاً، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» يقولها سبع مرات، إذا قاله موقفاً بذلك مؤمناً به وأنه سوف يستفيد من هذا فإنه يسكن الألم بإذن الله عز وجل، وهذا أبلغ من الدواء الحسى كالأقراص، والشراب والحقن؛ لأنك تستعيد بمن ييده ملكوت السموات والأرض، فالذي أنزل هذا المرض، هو الذي يجبرك منه (٤).

* وعن ابن عباس رضي عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعُ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ» (٥).

* وعنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٦).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤٣) كتاب الطب، ومسلم (٢١١٩) كتاب السلام.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٢) كتاب السلام.

(٤) شرح رياض الصالحين (٤٣/٣).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٣١٠٦) كتاب الجنائز، والترمذى (٢٠٨٣) كتاب الطب، وصححه العلامة

الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٨).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٦) كتاب المرضى.

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «يا مُحَمَّدُ اشْكَيْتَ؟ قال: نعم، قال: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ بِشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»^(١).

هذا دعاء من جبريل أشرف الرسل، للنبي ﷺ أشرف الرسل، لكن جبريل أشرف الرسل الملكيين، وأما محمد ﷺ فأشرف الرسل البشريين، يقول له: «اشكيت؟» قال: «نعم» وفي هذا دليل على أنه لا بأس أن يقول المريض للناس: إني مريض إذا سألوه، وأن هذا ليس من باب الشكوى، الشكوى أن تشتكى الخالق للمخلوق، تقول: أنا أمرضني الله بكذا وكذا، تشكو الرب للخلق، هذا لا يجوز، ولهذا قال يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٢) لكن إذا أخبر المريض بمرضه على سبيل الإخبار لا الشكوى فلا بأس، ولهذا بعض العامة يقول: إخبار لا شكوى، وهذا طيب.

وفيه أيضا دليل: على أنه ينبغي أن نقرأ على المريض بهذه الرقية: «بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» يعني: أقرأ عليك «من كل شيء يؤذيك»: من مرض، أو حزن، أو هم، أو غم... إلخ.

«من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك»... «من شر كل نفس» من النفوس البشرية أو نفوس الجن أو غير ذلك أو «عين حاسد» أي: ما يسمونه الناس بالعين، وذلك أن الحاسد - والعياذ بالله - الذي يكره أن يُنعم الله على عباده بنعمه... نفسه خبيثة شريرة، وهذه النفس الخبيثة الشريرة قد ينطلق منها ما يصيب المحسود، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٣) ويكون المحسود مهموماً بسبب هذه العين، ولهذا قال: «أو عين حاسد الله يشفيك» أي:

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٦) كتاب السلام.

(٢) سورة يوسف: الآية: (٨٦).

(٣) سورة الفلق: الآية: (٥).

يرثه ويزيل سقمه «بسم الله أرقيك» فبدأ بالبسملة في أول الدعاء وفي آخره، فإذا دعا الإنسان بما جاء في السنة فهذا خير؛ لأن كل ما جاء في السنة، فإن مراعاته أفضل، وإذا لم يعرف هذا الدعاء فادع بالمناسب: شفاك الله، عافاك الله، أسأل الله لك الشفاء، أسأل الله لك العافية، وما أشبه ذلك.

وفي هذا الحديث دليل: على أن النبي ﷺ كغيره من البشر، يصيبه المرض، وفيه أيضاً أن القراءة على المريض لا تنافي كمال التوكل، بخلاف الذي يطلب من الناس أن يقرءوا عليه ففيه شيء من نقص التوكل، لأنه سأل الخلق، واعتمد على سؤالهم، لكن إذا جاء إنسان يقرأ عليه ولم تمنعه فإن ذلك لا شيء فيه ولا يُعدُّ نقصاً في التوكل، ولهذا قرأ النبي ﷺ على غيره وقرئ عليه أيضاً فذلك لا ينافي كمال التوكل إذا كان بغير سؤال. والله الموفق^(١).

آداب عيادة المريض

* الأدب الأول: النية الصالحة؛

وذلك بأن ينوي بعيادة أخيه التماس الأجر من الله تعالى، والفوز بموعوده من الثواب، وأداء حق أخيه عليه تطيباً لقلبه، وترسيخاً للأخوة والمودة بينهما.

* الأدب الثاني: أن لا يتأخر في الذهاب لعيادته؛

وخصوصاً إذا طال مرضه، فلا يتأخر عنه، فإن ذلك مما يحزنه ويؤثر فيه، لكن ينبغي أن يعجل في الذهاب إليه.

* الأدب الثالث: عيادة المريض في وقت لا يشق عليه؛

فلا يذهب للعيادة في وقت مبكر جداً، أو متأخر جداً، فإن المريض قد

(١) شرح رياض الصالحين / للشيخ ابن عثيمين (٣/٤٤-٤٥).

يكون نائمًا، أو نحو ذلك. فالأفضل الذهاب في الأوقات التي اعتاد الناس عيادة المريض فيها، ويكون فيها المريض متهيئًا لاستقبال زواره.

* الأدب الرابع، سؤال أهل المريض عنه وعن صحته،

فإن ذلك مما يجبر خاطرهم، ويسكن قلوبهم، فإنه لما خرج على ﷺ من عند رسول الله ﷺ في وجعه، سأله الناس: «يا أبا حسن! كيف أصبح رسول الله ﷺ؟» قال: أصبح بحمد الله بارئًا. . (١).

* الأدب الخامس، القعود عند رأس المريض،

وهذا من السنة فإن النبي ﷺ لما عاد الغلام اليهودي الذي كان يخدمه فعد عند رأسه (٢) وهذا فيه إراحة للمريض وإيناس له، كما أنه يجعل العائد في وضع يسمح له بوضع يده على رأس المريض لرقيقته، أو ليمسك بيده، أو نحو ذلك.

* الأدب السادس، سؤال المريض عن حاله،

وهذا مما يطيب قلبه كذلك، وهو سنة عن النبي ﷺ فإنه ﷺ عاد رجلاً من أصحابه فقال له: «كيف تجددك؟» قال: والله يا رسول الله! إنني أرجو الله وإنني أخاف ذنوبي.

فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف» (٣) وسُن للمريض ألا يقول إلا خيراً، وأن يُثنى على الله تعالى بما هو أهله.

* الأدب السابع، تبشير المريض بثواب المرض،

فإن ذلك مما يهون عليه المرض، ويطيب خاطره، ويعينه على الرضا بقضاء الله، ويرفع روحه المعنوية، ويذكره بثواب الصبر على المرض.

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٤٤٧) كتاب المغارى.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٦٢٠).

*** الأدب الثامن: تذكير المريض بوجوب الصبر على القضاء وأمره**

بالرضا،

فإن ذلك مما يعينه على الصبر والرضا إذا كان فاقداً لذلك، وينبغي تذكيره بعظم الأجر على الصبر، والرضا بالقضاء، وأن الصبر على قضاء الله من أعظم أسباب دخول الجنة.

*** الأدب التاسع: وضع اليد على المريض،**

مع الدعاء له كما يأتي، فإنه أظهر للمحبة، والمريض يشعر بالراحة النفسية من ذلك، وهذه الراحة النفسية لها أكبر الأثر عليه.

*** الأدب العاشر: الدعاء للمريض ورقيته،**

وذلك لقول النبي ﷺ، وفعله، ورقية جبريل إياه.

*** الأدب الحادي عشر: النصح للمريض بعدم الشكوى متسخطاً،**

فإن من اشتكى متسخطاً فإنه يشكو الله إلى الخلق، والله أرحم به من نفسه، وهل يغنى عنه الخلق شيئاً؟

*** الأدب الثاني عشر: نهى المريض عن تمنى الموت،**

إذ إن الكثير من الناس يتمنى في مرضه - إذا كان شديداً - أن يموت، ولا يدري أن المرض كفارة لذنوبه، وأن الموت فيه انقطاع عمله، وأنه إن يؤخر فلعله يُستعتب ويتوب.

*** الأدب الثالث عشر: تذكير المريض بإحسان الظن بالله تعالى،**

لأنه قد يموت في مرضه ذلك، فينبغي أن يحسن الظن بالله عز وجل، ويغلب الرجاء على الخوف.

*** الأدب الرابع عشر: تذكيره بالوصية،**

حتى لا يموت على غير وصية، فإنه ينبغي للمسلم أن تكون وصيته جاهزة على الدوام.

* الأدب الخامس عشر: عدم التطويل في المكث عند المريض؛

خصوصاً إذا كان الكلام يشق عليه، أو يحتاج إلى مزيد من الراحة فإنه قد يستقل العوَّاد في هذه الحال، وقد يضرونه بطول الاستيقاظ وكثرة الكلام.

* الأدب السادس عشر: وصية أهله بالصبر على خدمته والإحسان إليه؛

وقد ذكر ذلك الإمام النووي رحمه الله تعالى وغيره^(١)، وهو من الأدب الواجب الاهتمام به، فإن أهله قد يستثقلونه، وخصوصاً إذا طال مرضه، أو اشتد وشق عليهم خدمته، أو كان مرض موت.

* الأدب السابع عشر: تكرار الزيارة مراراً؛

وخصوصاً إذا طال مرضه، واشتد، فإنه يحتاج إلى أن يشعر بدوام سؤال الناس عنه، وعدم نسيانهم له، فإن هذا يطيب نفسه جداً، ولعله يشفى - إن شاء الله - إذا تحسنت حالته النفسية.

* أسأل الله (جل وعلا) أن يشفى جميع مرضى المسلمين، وأن يرزقهم الأجر والثواب على صبرهم على هذا البلاء.



(١) رياض الصالحين (٣٩١).

مواقف

صلى الله
عليه وسلم

عفا فيها النبي

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

مواقف عفا فيها النبي ﷺ

وما نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه... ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وما نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدنا الحبيب المصطفى ﷺ جالساً مع بعض أصحابه وهو يعلمهم خلقاً عظيماً من أعظم أخلاق المسلمين... ألا وهو خلق العفو... فقال لهم: «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»^(١).

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خلق العفو.

نعمة العفو

ها هو خلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به... ألا وهو خلق العفو والصفح.

* وما أجمل أن نعفو عن الناس ونسامح ونصفح عمن أساء إلينا... فهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد.

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَيْبَةَ وَلَا السُّيُوءَةَ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿١﴾ .

فإذا قذفتك شخص بمسبة فاقذفه بالعمو عنه واقذفه بالكلام الطيب .
إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه
ما دمت على عفوك وإحسانك .

* إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه: فإن الله يدافع عنك، فالله سبحانه
وتعالى يدافع عن المظلوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٢) .

* إن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا
عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ (٣)، هذا في حق من عاقب بمثل ما عوقب
به، لينصره الله!! فكيف بالذي ترك حقه كله لله!؟

* فالزم جانب العفو فإن العفو من شيم المحسنين:
قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْفَيْضِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) .

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥) .
وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى
اللَّهِ﴾ (٦) .

* وقال النبي ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا
عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (٧) .

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥) .

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨) .

(٣) سورة الحج: الآية: (٦٠) .

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤) .

(٥) سورة التغابن: الآية: (١٤) .

(٦) سورة الشورى: الآية: (٤٠) .

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب .

* وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم...»^(١).

* وصحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى»^{(٢)(٣)}.

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة العفو والصفح.

* النبي ﷺ يحض الأمة على العفو

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٤).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال^(٥)، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً^(٦)، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله^{(٧)(٨)}».

(١) قال الشيخ مصطفى العدوي: أخرجه أحمد (٢/١٦٥، ٢١٩) وعبد بن حميد في المنتخب (بتحقيقه ٣٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (حديث ٣٨٠) والحديث صحيح لشواهده.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦٠٧٩) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وابن ماجه (٤١٨٩) كتاب الزهد، وهو صحيح بجموع طريقه، والله أعلم.

(٣) فقه الأخلاق/ الشيخ مصطفى العدوي (ص: ٨١، ٨٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٩٠٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) «ما نقصت صلقة من مال»: ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه: أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية. وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني أنه: وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

(٦) «وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»: فيه أيضاً وجهان: أحدهما على ظاهره، ومن عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك.

(٧) «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»: فيه أيضاً وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجعل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة رفعه فيها بتواضعه في الدنيا. قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة. وقد يكون المراد الوجهين معاً في جميعها في الدنيا والآخرة.

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

* وقال ﷺ: «من كتم غيظاً، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء»^(١).

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا»^(٢).

هذا هو النبي ﷺ

* عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح^(٣).

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤)، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً^(٥) للأمين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ^(٦) ولا غليظ^(٧) ولا سخاب بالأسواق^(٨)، ولا

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٧٧٧) كتاب الأدب، والترمذى (٢٠٢١) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٥١٩٢)، وحنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٠١٦) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٨٢٠).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٤٥).

(٥) حرزاً: وعاء حصيناً لحفظ الأمين.

(٦) فظ: الفظ هو الجافى السئ.

(٧) غليظ: شديد صعب.

(٨) سخاب بالأسواق: بمعنى الصياح بصوت عالٍ وهى بالسین والصاد.

يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عمياً، وآذانا صماً، وقلوباً غلفاً» (١).

صور مشرقة من عفو النبي ﷺ

وهذا نبينا محمد ﷺ نال من العفو الثريا فهذه قريش بالغت في أذاه ﷺ وأحكمت قبضتها منه ثم أخرجته من بين أهله وعشيرته قتلوا من أصحابه في يوم أحد سبعين وجرحوا آخرين، . . . جرح ﷺ وكسرت ريباعيته وشُج وجهه ﷺ وهو يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

ثم أمكنه الله منهم فعاد فاتحاً مكة ومعه أكثر من عشرة آلاف معهم السيوف مُسلطة على رؤوس قريش، وهو يقول لهم: «ما ترون أنى فاعل يكم؟» فقالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم.

— * عجباً! —

هل نسوا ما كانوا يفعلونه بهذا الأخ الكريم!
 ابن سُبُكُم فيه وقولكم أنه: مجنون . . ساحر . . كاهن؟!
 ما دام أخاً كريماً . . وأبوه أخ كريم!! فلماذا حاربتموه؟!
 أين تعذيبكم للمسلمين الضعفاء . .
 هذا بلال واقف . . وآثار التعذيب لا تزال في ظهره . .
 وتلك نخلة قريية قُتلت عندها سمية . . وزوجها ياسر . .
 وهذا ابنهما عمار مع المسلمين يشهد . .

اليوم تقولون: أخ كريم؟!!

(١) صحيح: رواه البخارى (٢١٢٥) كتاب البيوع.

أين حبسكم لهذا النبي الكريم مع المسلمين الضعفاء.. ثلاث سنين في
شعب بني عامر.. حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع..!!؟
ما رحمتكم بكاء الصغير.. ولا أنين الشيخ الكبير.. ولا حاملاً ولا
مرضعاً!!

أين حربكم له في بدر.. وأحد.. وتحزبكم عليه في الخندق؟ واليوم..
هو أخ كريم!!

أين منعكم له من دخول مكة معتمراً.. لما جاءكم قبل سنين..
وتركتموه محبوساً في الحديبية.. ممنوعاً من دخول مكة؟
أين صدقكم لعمه أبي طالب عن الإسلام وهو على فراش الموت؟
أين..؟
أين..؟

شريط طوييل من الذكريات المؤلمة يمر أمام عينيه ﷺ.. وهو ينظر
إلى وجوه كفار قريش بين يديه.. ويقلب طرفه في فجاج الحرم.. وربما
امتد بصره إلى جبال مكة حول الحرم.. أو إلى شوارعها وطرقاتها.. ليس
هو فقط.. بل تمر هذه الذكريات أمام عيني أبي بكر وعمر..
وعثمان وعلي..
وبلال وعمار..

فكل واحد من هؤلاء.. له مع قريش قصة حزينة..
كان ﷺ يستطيع أن يُنزل بهم أقسى أنواع العقوبة.. فهم أعداء
محاربون.. معتدون.. خونة.. نعم خونة.. خانوا صلح الحديبية..
واعتدوا..

كانوا مجرمين.. متحيرين.. لا يدرون ماذا سيفعل بهم..
فإذا به ﷺ يدوس على الأحقاد.. ويحلق بهمته عالياً.. ويقول

كلمة يهتف بها التاريخ: «اذهبوا.. فأنتم الطلقاء..» .
 فينطلقون .. مستبشرين .. تكاد أرجلهم تطير من الفرح ..
 أحقاً عفا عفا؟! !!
 ثم يتلفت ﷺ ينظر حول الكعبة .. فإذا ثلاثمائة وستون صنماً ..
 تُعبد من دون الله .. عند بيته المعظم .. !!
 فجعل ﷺ يضربها بيده الكريمة .. فتهدى .. وهو يقول:
 «جاء الحق .. وزهق الباطل .. جاء الحق .. وما يبدئ الباطل وما يعبد..» (١)
 والذي يتبع سيرة النبي ﷺ يرى سجلاً حافلاً من صور العفو .
 * عن عائشة رضيها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا
 امرأة، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من
 صاحبه إلا أن يُتَهَكَّ شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله - عز وجل - (٢) .
 * ونحن نعلم أن النبي ﷺ عفا عن وحشى الذي قتل عمه حمزة بن
 عبد المطلب في غزوة أحد .
 * وعفا عن رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان يكره
 النبي ﷺ ويحاربه ويدبر له المؤامرات الحفيرة لإيذائه وكان منها أنه اتهم
 زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة بأنها فعلت الفاحشة ومع كل هذا عفا
 عنه النبي ﷺ وصلى عليه بعد موته .
 * بل عفا النبي ﷺ عن حاطب بن أبي بلتعة لما أراد أن يُفشى سرّاً
 فتح مكة للمشركين .. فعفا عنه النبي ﷺ لأنه شهد غزوة بدر ولذلك لما
 قال له عمر بن الخطاب رضي: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق .
 قال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر

(١) استمتع بحياتك / د . محمد العريفي (ص: ٣٠٠-٣٠١) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل .

فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، (١).

* وعفا النبي ﷺ عن عكرمة بن أبي جهل الذي ظل يحاربه أكثر من عشرين سنة... وكان النبي ﷺ قد أباح دمه في يوم فتح مكة... ومع ذلك لما طلبت أم حكيم زوجة عكرمة من رسول الله ﷺ أن يعفو عن عكرمة عفا عنه النبي ﷺ وجاء عكرمة وأسلم بين يدي الرسول ﷺ وكان من خيرة الناس بعد ذلك حتى مات شهيداً في معركة اليرموك.

* بل عفا النبي ﷺ عن رجل يهودى آذى النبي ﷺ وعمل له سحراً... ومع ذلك عفا عنه النبي ﷺ.

* وعفا النبي ﷺ عن المرأة اليهودية التي دعته إلى الطعام بعد غزوة خيبر ووضعت له السم في الشاة التي أكل منها... ومع ذلك عفا عنها النبي ﷺ.

* وعفا النبي ﷺ عن الرجل الأعرابي الذي بال في المسجد فلما أراد الصحابة أن يضربوه نهاهم عن ذلك وقال: «دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» (٢).

* ولو استظردنا في الأمثلة لوجدنا الكثير والكثير من عفو النبي ﷺ عن كل من أساء إليه حتى نتعلم منه العفو والصفح فهو أسوتنا وقدوتنا ﷺ.

فأعرض عنهم

إياك أن تشغل بكلمات الحاسدين والحاقدين فإنك ستخسر وقتك وعمرك، وقبل ذلك ستخسر قلبك... لا تلتفت إلى هؤلاء فإنهم قطاع طُرق يريدون أن يؤخروك عن دعوتك وأن يشغلك عن السير قدر

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠) كتاب الوضوء.

الاستطاعة... بل اجعل كل ذلك دافعاً لك لأن تنجح أكثر وأكثر.
كان قائد البحرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية رجلاً لامعاً،
يحرص على الشهرة، فتعامل مع مرؤوسيه الذين كالوا له الشتائم والسباب
والإهانات، حتى قال: أصبح اليوم عندي من النقد مناعة، لقد عجم
عودي، وكبرت سني، وعلمت أن الكلام لا يهدم مجداً ولا ينسف سُوراً
حصيناً.

وكان الرئيس الأمريكي «إبراهام لينكولن» يقول: أنا لا أقرأ رسائل الشتم
التي تُوجّه إليّ، لا أفتح مظروفها فضلاً عن الرد عليها، لأنني لو اشتغلت
بها لما قدّمت شيئاً لشعبي. ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(١).

فالشاهد: أنني أريد منك أن تعفو عن كل هؤلاء ولا تشغل بما
يقولون حتى لا تُضيع وقتك في الرد عليهم والتشفي منهم فوقتك أئمن
من ذلك... فافعل معهم كما فعل النبي ﷺ بأهل مكة الذين آذوه
وطردوه وقتلوا أصحابه فلما عاد إليهم فاتحاً منتصراً قال لهم: «اذهبوا
فأنتم الطلقاء».

ولو انشغل النبي ﷺ بما يقولون ويفعلون لما وجد وقتاً لإقامة الدولة
الإسلامية... ولما وجد وقتاً لتعليم أصحابه وأمته من بعده.

قابل الإساءة بالإحسان..

عندما تتعامل مع الناس فإنهم يعاملونك في الغالب على ما يريدون
هم.. لا على ما تريد أنت.. فليس كل من قابلته ببشاشة بادللك بشاشة
مثلها.. فبعضهم قد يغضب ويسئ الظن ويسألك: مم تضحك؟!
ولا كل من أهديت له هدية.. ردّ لك مثلها.. فبعضهم قد تهدي إليه

(١) سورة النساء: الآية: (٨١).

ثم يغتابك في المجالس ويتهمك بالسفّه وتضيع المال..!!
 ولا كل من تفاعلت معه في كلامه.. أو أثنت عليه وتلطفت معه في عباراتك قابلتك بمثلها.. فإن الله قسم الأخلاق كما قسم الأرزاق.. والمنهج الرباني هو: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَمَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١).
 وبعض الناس لا حلّ له ولا إصلاح إلا أن تتعامل معه بما هو عليه.. فتصبر عليه أو تفارقه..

ذكر أن أشعب سافر مع رجل من التجار.. وكان هذا الرجل يقوم بكل شيء من خدمة وإنزال متاع وسقى دواب.. حتى تعب وضجر.. وفي طريق رجوعهما.. نزلا للغداء.. فأناخا بعيريهما ونزلا.. فأما أشعب فتمدد على الأرض.. وأما صاحبه فوضع الفرش.. وأنزل المتاع.. ثم التفت إلى أشعب وقال: قم اجمع الحطب وأنا أقطع اللحم.. فقال أشعب: أنا والله مُتْعَبٌ من طول ركوب الدابة.. فقام الرجل وجمع الحطب.. ثم قال: يا أشعب! قم أشعل الحطب.. فقال: يؤذيني الدخان في صدري إن اقتربت منه.. فأشعلها الرجل.. ثم قال: يا أشعب! قم ساعدني لأقطع اللحم.. فقال: أخشى أن تصيب السكين يدي.. فقطع الرجل اللحم وحده.. ثم قال: يا أشعب! قم ضع اللحم في القدر واطبخ الطعام.. فقال: يتعبني كثرة النظر إلى الطعام قبل نضوجه.. فتولى الرجل الطبخ والنفخ.. حتى جهز الطعام وقد تعب.. فأضجع على الأرض.. وقال: يا أشعب! قم جهز سفرة الطعام.. وضع الطعام في الصحن..

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

فقال أشعب: جسمي ثقيل ولا أنشط لذلك ..
 فقام الرجل وجهاز الطعام ووضعها على السفرة ..
 ثم قال: يا أشعب! قم شاركني في أكل الطعام ..
 فقال أشعب: قد استحييت والله من كثرة اعتذاري وها أنا أطيعك
 الآن .. ثم قام وأكل!!

فقد تلاقى من الناس من هو مثل أشعب .. فلا تحزن .. وكن جبلاً ..
 كان المربي الأول ﷺ يتعامل مع الناس بعقله لا بعاطفته .. كان يتحمل
 أخطاء الآخرين ويرفق بهم .. وانظر إليه ﷺ وقد جلس في مجلس
 مبارك يحيط به أصحابه .. فيأتيه أعرابي يستعينه في دية قتيل .. أي: هذا
 الرجل قد قتل - هو أو غيره - رجلاً .. فأقبل يريد من النبي ﷺ أن
 يعينه بمال يؤديه إلى أولياء المقتول .. فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً .. ثم
 قال تلعطفاً معه: «أحسن إليك؟».

قال الأعرابي: لا .. لا أحسن ولا أجملت ..
 فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه .. فأشار النبي ﷺ
 إليهم أن كفوا .. ثم قام ﷺ إلى منزله .. ودعا الأعرابي إلى البيت فقال
 له: «إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك» .. فقلت ما قلت ..

ثم زاده ﷺ شيئاً من مال وجده في بيته .. فقال: «أحسن إليك؟».
 فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ..
 فأعجبه ﷺ هذا الرضا منه .. لكنه خشى أن يبقى في قلوب أصحابه
 على الرجل شيء .. فإيراه أحدهم في طريق أو سوق .. فلا يزال حاقداً
 عليه .. فأراد أن يسأل ما في صدورهم ..

فقال له ﷺ: «إنك كنت جئتنا فأعطيناك .. فقلت ما قلت .. وفي نفس
 أصحابي عليك من ذلك شيء .. فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ..

حتى يذهب عن صدورهم..».

فلما جاء الأعرابي.. قال ﷺ: «إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال.. وأنا قد دعوناه فأعطيناه.. فزعم أنه قد رضى»..

ثم التفت إلى الأعرابي وقال: «أكذلك؟».

قال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً..

فلما هم الأعرابي أن يخرج إلى أهله.. أراد ﷺ أن يعطى أصحابه درساً في كسب القلوب.. فقال لهم: «إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه.. فاتبعها الناس.. يعنى: يركضون وراءها ليمسكوها.. وهى تهرب منهم فزعاً.. ولم يزيدوها إلا نفوراً..

فقال صاحب الناقة: خلوا بينى وبين ناقتى.. فأنا أرفق بها وأعلم بها..

فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قشام الأرض.. ودعاها.. حتى جاءت واستجابت.. وشد عليها رحلها.. واستوى عليها..

ولو أنى أظعتكم حيث قال ما قال.. دخل النار..» يعنى: لو طردتموه..

لعله يرتد عن الدين.. فيدخل النار.. (١).

وما كان الرفق فى شيء إلا زانه.. وما نزع من شيء إلا شانه.. ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (٢).

ذكر أنه ﷺ لما فتح مكة.. جعل يطوف بالبيت.. فأقبل فضالة بن عمير.. رجل يظهر الإسلام.. فجعل يطوف خلف النبي ﷺ.. ينتظر منه غفلة.. ليقتله..!!

(١) ضعيف: رواه: البزار (٨٧٩٩)، وأبو الشيخ فى «الأمثال»: كلاهما من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف، قال الحافظ العراقي فى تخريج أحاديث الإحياء: بطوله أخرجه البزار وأبو الشيخ من حديث ابن هريرة بسند ضعيف.

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

فلما دنا من النبي ﷺ .. انبه ﷺ إليه .. فالتفت إليه وقال: «أفضالة؟!» .
 قال: نعم .. فضالة يا رسول الله ..
 قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك؟» .
 قال: لا شيء .. كنت أذكر الله .. !!
 فضحك النبي ﷺ .. ثم قال: «استغفر الله» ..
 قال فضالة...: ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدري ..
 فسكن قلبي .. فوالله ما رفع رسول الله ﷺ يده عن صدري .. حتى
 ما خلق الله شيئاً أحب إليّ منه .. (١) .

حكاية صياد السمك

يروى أن صياداً يصطاد السمك، ويُطعم منه أطفاله وزوجته، خرج يوماً
 للصيد، فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها، ثم أخذها ومضى إلى
 السوق لبيعها، وبصرف ثمنها في مصالح عياله .
 فلقيه بعض الظلمة من أعوان السلطان، فرأى السمكة معه، فأراد أخذها
 منه، فمنعه الصياد، فرفع الظالم خشبة كانت بيده، فضرب بها رأس الصياد
 ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصباً بلا ثمن .
 فدها الصياد عليه فقال: إلهي! جعلتني ضعيفاً، وجعلته قوياً عنيفاً، فخذ
 لي بحقي منه عاجلاً، فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة .
 ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله، وسلّمها إلى
 زوجته، وأمرها أن تشويها، فلما أخذتها أفلتت السمكة من يديها، وفتحت
 فمها وضربته في أصبع يده ضربة طار بها عقله . فقام وشكا إلى الطبيب ألماً
 في يده، فلما رآها قال له: إن دواءها أن تُقطع الإصبع، لنلا يسرى الألم

(١) استمتع بحياتك (ص: ١٥٠-١٥٣) .

إلى بقية الكف.

فقطع إصبعه، فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد، وازداد تألماً، وارتعدت من الخوف فرائصه، فقال له الطبيب: ينبغي أن تُقطع اليد إلى المعصم لئلا يسرى الألم إلى الساعد فقطعها، فانتقل الألم إلى الساعد. فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى العضو الذي يليه. حتى خرج هائماً على وجهه، مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به. فرأى شجرة فقصدتها، فأخذته النوم عندها فنام، فرأى في منامه قائلاً يقول: يا مسكين! إلى كم تُقطع أعضائك؟ امض إلى خصمك الذي ظلمته فاطلب منه أن يسامحك، فانتبه من النوم، وفكّر في أمره، فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد، فدخل المدينة، وسأل عن الصياد، وأتى إليه، ووقع بين يديه يتمرغ على رجليه، وطلب منه أن يسامحه ودفع إليه شيئاً من ماله، وتاب من فعله، فرضى عنه الصياد وعفا عنه، فسكن في الحال ألمه، وانتهت في التو محنته.

هيا نفتح صفحة العفو من جديد

هيا لنبدأ مرة أخرى ونفتح صفحة العفو من جديد فنعفو عن كل من ظلمنا أو أساء إلينا لنفور بعفو الله ورحمته ومغفرته... فإنه من عفا عن الناس عفا الله عنه... ومن غفر للناس غفر الله له... ومن رحم الناس رحمه الله في الدنيا والآخرة.

* ولذلك كان دعاء ليلة القدر: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني»^(١) لأن العفو أعظم وأبلغ من المغفرة فإن الله إذا غفر لعبد ولم يعفُ عنه فإنه يحاسبه يوم القيامة على ذنوبه ولكن لا يعذبه عليها أما إن عفا الله عن العبد

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٨٥٠) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٢٣).

فإنه يمحو ذنوبه من الصحيفة فلا يحاسبه ولا يعاقبه .
فمن أراد أن يفوز بعفو الله فعليه أن يعفو عن كل من ظلمه أو أساء إليه .

من فوائد العفو والغفران

- (١) العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق .
- (٢) كلاهما دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام .
- (٣) كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن الظن .
- (٤) كلاهما يثمر محبة الله - عز وجل - ثم محبة الناس .
- (٥) العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلل .
- (٦) الغفران دليل على كمال النفس وشرفها .
- (٧) كل من العفو والغفران يهيئ المجتمع والنشء الصالح لحياة أفضل .
- (٨) كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين^(١) .

* * *

(١) نضرة النعيم (٧/ ٢٩١٠) .

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ
والخوف من المظالم

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ والخوف من المظالم

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله زغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
 * فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه يحذرهم من الوقوع في أى مظلمة من مظالم العباد حتى لا تضيع حسناتهم بسبب تلك المظالم فقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس دونها حجاب»^(١).
 * فتعالوا بنا لتعايش في هذه الليلة المباركة بقلوبنا وأرواحنا مع أمر المظالم حتى نحذر من الوقوع في أى مظلمة من مظالم العباد.

زمن المظالم

إننا نعيش في زمن لو أردنا أن نطلق عليه اسماً لم نجد له إلا اسماً واحداً: (زمن المظالم) ... كثرت فيه المظالم بشكل عجيب لا يخطر على قلب بشر ... وكل هذا من أجل الدرهم والدينار والمنصب والجاه والدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

* إن الظلم مرتعه وخيم ... وعاقبته مؤلمة ... ونهايته مدمرة.

(١) حن: رواه أحمد (٣/١٥٣)، وحن العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

* وحسبك أن الملك الجبار - جل وعلا - هو الذي تكفل بنصرة المظلوم فهل تستطيع أن تكون خصماً لفاطر السماوات والأرض - جل جلاله -؟! قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحْمَلُ على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين» (١) .

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة» (٢) .
وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب» (٣) .

* وهناك أمثلة محفورة في العقول لا نساها أبداً من صور الظلم وعاقبة الظالمين .

* فهذا أبو جهل الذي كان من أعدى أعداء النبي ﷺ ولطالما دبر المؤامرات تلو المؤامرات لقتل النبي ﷺ . . . انظر معي وتأمل كيف كانت عاقبته .
عن عبد الرحمن بن عوف قال: إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفتُ فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن، فكأني لم آمن لمكانهما إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيت أنه أقتله، أو أموت دونه وقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله. قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدوا عليه مثل الصقرين، حتى ضرباه وهما ابنا عفراء .

وفي الصحيحين أيضاً: من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٨٤/٤)، من حديث خزيمة بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١١٧) .

(٢) صحيح: رواه الحاكم، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١١٨) .

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المسئلة الصحيحة (٧٦٧) .

«من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟». قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله. فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد. قال: فأخذ بلحيته، قال: فقلت: أنت أبو جهل^(١)؟ فقال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو قال: قتله قومه.

* وهذا أبو لهب - عم النبي ﷺ - الذي كان من أشد الناس إيذاءً للنبي ﷺ.

* لقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والازدراء به. والتقص له ولدينه.

وانظر إلى نموذج من نماذج كيد أبي لهب لدعوة الرسول ﷺ، التي عاها من اليوم الأول للدعوة.

روى الإمام أحمد، عن ربيعة بن عباد من بنى الدليل - وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية، في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب^(٢).

- فتأمل معي كيف كان جزاء أبي لهب - عليه من الله ما يستحق.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة فقتلته. فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما، ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفناناه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٤٢/٧): والتقدير: أنت المقتول يا أبا جهل؟ وخاطبه بذلك مفرعاً له ومستثفياً منه؛ لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٩٣) ومواضع، من حديث ربيعة بن عباد رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح السيرة النبوية ص (١٤٣).

بعيد، ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رخموا عليه بالحجارة.

*وهذا عقبة بن أبي معيط، هذا الشقى الذى أذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ، فقطعت عنقه جزاء وفاؤا.

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد، من بين قريش؟ قال: «نعم، أتدرون ما صنع هذا بي، جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستدران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة ففسلته عن رأسى».

وذهب عقبة إلى مزيلة التاريخ، وأطيح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ.

*وهذا عامر بن الطفيل يكيد للرسول ﷺ، ويحاول اغتياله، فيدعو عليه ﷺ، فيتليه الله بغدة في نحره، فيموت لساعته، وهو يصرخ من الألم.

*وأربد بن قيس يؤذى رسول الله ﷺ، ويسعى فى تدبير قتله، فيدعو عليه، فيُنزل الله عليه صاعقة تحرقه هو وبعيره.

*واختفى سفيان الثوري خوفاً من أبي جعفر المنصور، وخرج أبو جعفر يريد الحرم المكيّ وسفيان داخل الحرم، فقام سفيان وأخذ بأستار الكعبة، ودعا الله عز وجل أن لا يُدخِلَ أبا جعفر بيته، فمات أبو جعفر عند بئر ميمون قبل دخوله مكة.

*وقبل أن يقتل الحجاج سعيد بن جبير بوقت قصير، دعا عليه سعيد وقال: اللهم لا تسلطه على أحد بعدى. فأصاب الحجاج خراجاً فى يده، ثم

انتشر في جسمه، فأخذ يخور كما يخور الثور، ثم مات في حالة مؤسفة.
 * وأحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي يُشارك في إيذاء الإمام أحمد بن حنبل فيدعو عليهم فيُصيبه الله بمرض الفالج فكان يقول: أمّا نصف جسمي، فلو وقع عليه الذباب، لظننت أن القيامة قامت، وأمّا النصف الآخر، فلو قرّض بالمقاريض ما أحسّتُ.

* ويدعو أحمد بن حنبل أيضاً على ابن الزيات الوزير، فيسلط الله عليه من أخذه، وجعله في فرن من نار، وضرب المسامير في رأسه.

الظلم إيذان بهلاك الأمم

إن الظلم إيذانٌ بهلاك الأمم.. فما من أمة ظهر فيها الظلم إلا كان ذلك سبب هلاكها.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (١).
 وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٢).

* قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: أن الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة، ولو كانت مؤمنة» (٣).

* ومن أجل ذلك حرم الله (جل وعلا) الظلم على نفسه وجعله بيننا مُحَرَّمًا فقال تعالى كما في الحديث القدسي الذي رواه مسلم: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» (٤).

(١) سورة الكهف: الآية: (٥٩).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (١٤).

(٣) الحسبة (ص: ١٧٠).

(٤) رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

* وحذر النبي ﷺ أمته من الظلم فقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين»^(١).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»^(٢).

فهي سريعة الوصول.

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»^(٣).

وقال ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»^(٤).

* ولما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن أوصاه ببعض الوصايا الغالية وكان من بينها: «... واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٥).

* وفي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٦)،^(٧).

* وفي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه...»^(٨).

* وفي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «من ظلم قيد شبرٍ من الأرض

(١) حسن: رواه أحمد (٧٩٨٣)، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٨٧٠).

(٢) صحيح: رواه الحاكم عن ابن عمر، كما نص على ذلك العجلوني في كشف الخفاء (٣٨/١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢٨).

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠)، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

(٤) حسن: رواه أحمد (٨٥٧٧)، والطبراني في منته (٣٠٦/١)، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٨٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

(٦) سورة هود: الآية: (١٠٢).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

طُوقٌ من سبع أرضين» (١).

* وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها لأنه كان أول من سنَّ القتل» (٢).

لا تظلمن إذا ما كنت مقنندراً

فالظلم ترجع عُقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبهاً

يدعو عليك وعين الله لم تنم

فيا خسارة من نام وأعين الناس ساهرة تدعو عليه، ويا فوز من نام وأعين الناس ساهرة تدعو له... قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٣).

* قال إبراهيم التيمي: إن الرجل ليظلمني فأرحمه.

وسُرقت دنائير لرجل صالح من خراسان، فجعل يبكي، فقال له الفضيل: لم تبكي؟ قال: ذكرت أن الله سوف يجمعني بهذا السارق يوم القيامة، فبكيت رحمة له.

أنواع الظلم

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٤) وإياه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٥).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٥٣) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٦١٢) كتاب الماواة.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٧٧) كتاب القامة والمحاربين والقصاص والديات.

(٣) سورة هود: الآية: (١٨).

(٤) سورة لقمان: الآية: (١٣).

(٥) سورة هود: الآية: (١٨).

والثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) وبقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾^(٢).

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾^(٣) وقوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾^(٤).

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهيم بالظلم فقد ظلم نفسه^(٥).

الجهل والظلم.. أصل كل شر

* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «الإنسان خلق في الأصل ظلوماً جهولاً، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه، ويلهمه رشده، فمن أراد به خيراً علمه ما ينفعه، فخرج به عن الجهل، ونفعه بما علمه فخرج به عن الظلم ومن لم يرد به خيراً أبقاه على أصل الخلق. فأصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل كل شر هو الجهل والظلم». وقد جعل الله سبحانه للعدل المأمور به حداً، فمن تجاوزه كان ظالماً معتدياً، وله من الذم والعقوبة بحسب ظلمه وعدوانه^(٦).



(١) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٤٢).

(٣) سورة فاطر: الآية: (٣٢).

(٤) سورة القصص: الآية: (١٦).

(٥) المفردات (ص: ٣١٥-٣١٦).

(٦) إغاثة اللهفان (٢/١٣٦-١٣٧) بتصرف.

خوف النبي ﷺ من المظالم

إن الخوف من المظالم ملأ قلوب الأنبياء والصالحين رُعباً وخوفاً من قصاص يوم القيامة..

* فيها هو النبي ﷺ يطلب من أحد أصحابه أن يقتص منه خوفاً من أن يلقي الله (عز وجل) يوم القيامة بأى مظلمة.

* عن محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقر: «أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزوة الأنصاري فقال: «يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني»^(١)، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «استقد» قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟».

قال يا رسول الله: «حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يحس جلدي جلدك... فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيراً»^(٢).

* ولذا كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه؛ فإنما أنا بشر، فأبما مؤمن أذيت، أو شتمته، أو جلدته، أو لعته، فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقربةً بها إليك يوم القيامة»^(٣).

* * *

(١) أقذني: خذ لي الحق من نفسك.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٩٥)، وسنده حسن إلا أنه مرسل، وسنده ما جاء عن عبد الله بن جبير الخزاعي في مجمع الزوائد (٦/٢٨٩)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات على ما في عبد الله بن جبير من ضعف كما جاء في التهذيب (٥/١٦٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٦١) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٠١) كتاب البر والصلة والآداب.

خوف الصحابة والتابعين من المظالم

ولقد ورث أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم هذا الخوف من المظالم.
* فتعالوا بنا لنرى بعض الصور المشرقة التي توضح مدى خوفهم من
الوقوع في المظالم.

وأنا والله ما نسيتهما بعد!!!!

عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأنا في السوق وهو مارٌّ في حاجة له، ومعه الدرّة قال: هكذا أمط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقتني بها خفقة، فما أصاب إلى طرف ثوبي، فأمطت عن الطريق، فسكت عني حتى كان في العام المقبل فلقيني في السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ يدي، فما فارقت يدي يده حتى دخل بي بيته، فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها! قال: وأنا والله ما نسيتهما بعد.

يا عمر.. عدلت فأمنت فنمت!!!

. أرسل قيصر روما رسولا إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول في طلبه، فرآه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع جبهته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه وقد بلّ الأرض، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع في قلبه

وقال: رجل لا يقر للملوك قرار من هيئته وتكون هذه حاله! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فمنت، وملكننا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهراً خائفاً، أشهد أن دينك الدين الحق ولولا أنني أتيت رسولا لأسلمت، ولكني أعود وأسلم».

رحلة العدل مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

* إنه عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الراشد الذي يقول فيه مالك ابن دينار: يقولون: مالك زاهد!.. أي زهد عندي؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جملة!

أجل، فلم يكن في خلافته سوى قميص واحد يلبسه، فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى يبس، وهو الذي نشأ وشب في أحضان النعيم. ودخل على امرأته يوماً فسألها أن تقرضه درهماً يشتري به عنباً، فلم يجد عندها شيئاً.. فقالت له: أنت أمير المؤمنين وليس في خزائنك ما تشتري به عنباً؟! فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنم.

وقد اجتهد في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد المظالم، وصرف إلى كل ذي حق حقه، وكان مناديه ينادى في كل يوم: أين الغارمون؟ أين الراغبون في الزواج؟ أين اليتامى؟ أين المساكين؟ حتى أغنى كلاً من هؤلاء. ومع عدله وزهده، وردّه للمظالم، وشدته على نفسه وأقاربه كان ينادي ربه فيقول: اللهم إن عمر ليس أهلاً أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر..

وأثنى عليه رجل فقال له: جزاك الله عن الإسلام خيراً يا أمير المؤمنين. فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً.



حصن مدينتك بالعدل ونقّ طرفها من الظلم

* كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: «أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يرَ أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما نرمها به فعل». فكتب إليه عمر: «أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما نكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونقّ طرفها من الظلم فإنه مرمتها، والسلام»^(١).

* وكتب إليه واليه على خراسان يستأذنه في أن يرخص له باستخدام بعض القوة والعنف مع أهلها قائلاً في رسالته له: «إنهم لا يصلحهم إلا السيف والسوط» فكان رده التقى الحازم: «كذبت.. بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، واعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين».

* قال سفيان الثوري: «أئمة العدل خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز»، وقال: «لا أوافق رأى أحد أحب إلى من عمر بن عبد العزيز؛ لأنه كان إمام هدى»^(٢).

ذهبت لذات الظالمين بما ظلموا

* للظالمين يقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -:
 أما سمعتم منادى ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أهلكناهم لما ظلموا﴾ (٣)؟!
 أما يندركم إعلام ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ (٤)؟!
 أما يفصم عرى عزائمكم ﴿وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة﴾ (٥)؟!

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٩٢/٩).

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص: ٧٤).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٥٩).

(٤) سورة هود: الآية: (١٠٢).

(٥) سورة الأنبياء: الآية: (١١).

أما يقصر من قصوركم ﴿وَبَشِّرِ مُعْطَلَةً وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾^(١) ١٢ -
أما سمعتم هاتف العبر ينادى: ﴿فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾^(٢) ١٣!

يا هذا، ظلمك لنفسك غاية في القبح، ألا إن ظلمك لغيرك أقبح، ويحك إن لم تنفع أخاك فلا تؤذه، وإن لم تعطه فلا تأخذ منه، لا تشابهن الحية، فإنها تأتي إلى الموضع الذي قد حفره غيرها فتسكنه، ولا تتمثلن بالعقاب... في الحيوانات أحياناً وأشرار كبنى آدم، فالتقط خير الخلال ونخلٌ خسيسها^(٣).

ذهبت لذات الظالمين بما ظلموا وبقي العار، وداروا إلى دار العقاب وملك الغير الدار، وخلوا بالعذاب في بطون تلك الأحجار، فلا مغيث ولا أنيس، ولا رفيق ولا جار.

أما علموا أن الله جار المظلوم ممن جار، فإذا قاموا يوم القيامة زاد البلاء على المقدار ﴿سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَغَشَّىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾^(٤) لا يفرنك صفاء عيشهم كل الأخير أقدار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(٥).
* قال الشاعر:

إذا جـار الأمير وكاتباه

وقاضى الأرض داهن في القضاء

فـويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ

لقاضى الأرض من قاضى السماء

(١) سورة الحج: الآية: (٤٥).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٤٠).

(٣) المدهش لابن الجوزى (ص: ٥٥٠ - ٥٥١).

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٥٠).

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (٤٢).

وقال أبو العتاهية: **أما والله إن الظلم لئوم**
وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديوان يوم الدين نمضى
وعند الله تجتمع الخسوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا
غداً عند الإله من الملوم^(١)

الدواوين عند الله ثلاثة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به. وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله تعالى يستوفيه كله. وديوان لا يعبا الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه - عز وجل - فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يُمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يُمحي إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمحي إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها. ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله - عز وجل - حرم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة»^(٢).

* * *

(١) الآداب الشرعية (١١/١٨١).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣٣).

إذا أوديت فتذكر تلك المشاهد

* إذا أوديت فلا تحزن . . . وتذكر مشاهد التوحيد عند استقبال الأذى

من الناس من يندم على ما فعله من سيئاته

أول مشهد العفو: وهو مشهد سلامة القلب، وصفائه ونقاؤه لمن آذاك، وحب الخير وهي درجة زائدة. وإيصال الخير والنفع له، وهي درجة أعلى وأعظم، فهي تبدأ بكظم الغيظ وهو: أن لا تؤذي من آذاك، ثم العفو، وهو أن تسامحه، وأن تغفر له زلته، والإحسان، وهو: أن تبادلته مكان الإساءة منه إحساناً منك، ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢)، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾^(٣)

وفي الأثر: «إن الله أمرني أن أصل من قطعني، وأن أعفو عن ظلمي، وأن أعطي من حرمني».

ومشهد القضاء: وهي أن تعلم أنه ما آذاك إلا بقضاء من الله وقدر، فإن العبد سبب من الأسباب، وأن المقدر والقاضي هو الله، فتسلم وتذعن لمولاه.

ومشهد الكفارة: وهي أن هذا الأذى كفارة من ذنوبك وخطئ من سيئاتك، ومحور لزلاتك، ورفع لدرجاتك ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(٤)

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٣) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٩٥).

من الحكمة التي يؤتاها كثير من المؤمنين، نزع فتيل العداوة، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١)، «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٢).

أى: أن تلقى من آذاك يبشر وبكلمة لينة، وبوجه طليق، لتتزع منه أتون العداوة، وتطفى نار الخصومة، ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ (٣).

كَنْ رِيْقَ الْبِشْرِ إِنْ الْحُرَّ شِمْتُهُ

صحيفةٌ وعليها البشرُ عنوانُ

• ومن مشاهد التوحيد هي أذى من يؤذيك،

مشهد معرفة تقصير النفس: وهو أن هذا لم يُسلط عليك إلا بذنوب منك أنت، ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (٤)، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (٥).

وهناك مشهد عظيم، وهو مشهدُ حمدِ الله عليه وتشكره، وهو: أن جعلك مظلوماً لا ظالماً.

وبعض السلف كان يقول: اللهم اجعلني مظلوماً لا ظالماً. وهذا كابني آدم، إذ قال خيرهما: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦).

وهناك مشهد لطيف آخر، وهو: مشهد الرحمة وهو: أن ترحم من

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٠) كتاب الإيمان، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٥٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٦٥).

(٥) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

(٦) سورة المائدة: الآية: (٢٨).

أذاك، فإنه يستحق الرحمة، فإن إصراره على الأذى، وجرأته على مجاهرة الله بأذية مسلم: يستحق أن ترق له، وأن ترحمه، وأن تنقذه من هذا، «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»^(١).

ولما آذى مسطح أبا بكر في عرضه وفي ابنته عائشة، حلف أبو بكر لا ينفق على مسطح، وكان فقيراً ينفق عليه أبو بكر، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٢) قال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لي. فأعاد له النفقة وعفا عنه.

وقال عيينة بن حصن لعمر: هيه يا عمر؟ والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فهمم به عمر، فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣)، قال: فوالله ما جاوزها عمر، وكان وقافاً عند كتاب الله^(٤).

وقال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٥).

وأعلنها ﷺ في الملا فيمن آذاه وطرده وحرابه من كفار قريش، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». قالها يوم الفتح، وفي الحديث: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٦).

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٣) كتاب المظالم والنصب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٣) سورة الاعراف: الآية: (١٩٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٦٤٢) كتاب تفسير القرآن، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) سورة يوسف: الآية: (٩٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٤) كتاب الادب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن المبارك:

إذا صاحبت قومًا أهلًا وُدًّا
فكن لهم كذي الرِّحِمِ الشَّفِيقِ
ولا تأخذ بزلة كلِّ قومٍ
فتبقى في الزمان بلا رفيقٍ

قال بعضهم: موجود في الإنجيل: اغفر لمن أخطأ عليك مرةً سبعَ مراتٍ.
﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

أى: من أخطأ عليك مرة، فكرر عليه العفو سبع مرات؛ ليسلم لك دينك وعرضك، ويرتاح قلبك، فإن القصاص من أعصابك ومن دمك، ومن نومك ومن راحتك ومن عرضك، وليس من الآخرين.

قال الهنود في مثل لهم: «الذي يقهر نفسه، أشجع من الذي يفتح مدينة». ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (٢)(٣).

لا تحزن أيها المظلوم فالله ناصرك

لا تحزن أيها المظلوم ولا تيأس فالله -جل وعلا- معك وسينصرك ..
فإن لم تأخذ حَقَّكَ في الدنيا؛ فسوف يضاعف لك الأجر في الآخرة
وستأخذ من حسنات من ظلمك حتى ترضى.

* وحسبك أنك تنتظر يوماً يجمع الله فيه الأولين والآخرين ...
والحكَمُ العدل هو الله -جل وعلا- ... والشهود الملائكة.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤).

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٥٣).

(٣) لا تحزن (ص: ٢٣٥ - ٢٣٨).

(٤) سورة الانبياء: الآية: (٤٧).

وقال تعالى تسلية للمظلومين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿١﴾.

قال أبو الدرداء: إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسرى بالليل والناس نيام.

أنهزاً بالدعاء وتزديبه

وما تدرى بما صنع الدعاء

المهم الليل نافذة ولكن

لها أمد وللأمد انقضاء

فيمسكها إذا ما شاء ربي

ويرسلها إذا نفذ القضاء

وبالمثال يتضح المقال

وكما يقال: وبالمثال يتضح المقال... فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا مع هاتين القصتين لنرى كيف يستجيب الحق - جل وعلا- لدعوة المظلوم.

في الحديث الذي رواه مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه أن أروى بنت أويس ادّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم. فقال سعيد: أنا كنت أخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوّقه إلى سبع أرضين». فقال له مروان: لا أسألك بيّنة بعد هذا. فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها. فما ماتت حتى

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: (٤٢ ، ٤٣).

ذهب بصرها. ثم بينا هي تمشى في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت.

* وفي الحديث الذي رواه البخاري عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارة فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلى فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإنني كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أحرمت عنها، أصلى العشاء فأركد في الأولين وأخف في الآخرين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً - أو رجلاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويشنون معروفًا حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة ابن قتادة يُكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة فأطّل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن، وكان بعد إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيتَه بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجوارى في الطرق يغمزهن^(١).

* مرَّ رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال: يا رب إن حِلْمك على الظالمين قد أضرَّ بالمظلومين!!

فنام تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين، وإذا منادٍ ينادى: حلمي على الظالمين، أحلّ المظلومين في أعلى عليين.

* وما هو أحمد بن أبي دؤاد الإيادي: المعتزلي قاضي المعتصم، الذي جر البلاد إلى محنة خلق القرآن، وبسببه أهين علماء الأمة وعذبوا وسُجنوا وقُتلوا.

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٥٥) كتاب الأذان.

سبب ابن أبي دؤاد هذا قُتل أحمد بن نصر الخزاعي، وسُجن الإمام أحمد وعُذِّب بالسياط، ودعا عليه الإمام أحمد، فحبسه الله في جسده كما حبس الإمام، ودخل عليه وعاده عبد العزيز الكناني، وقال له: لم آتكَ عائداً، بل لأحمد الله أن سجنك في جلدك^(١).

قال ابن كثير: ابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحاً في فراشه، لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده، وحرُم لذة الطعام والشراب والنكاح، وغير ذلك، جعل نصف جسده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهشته السباع، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحس به^(٢).

وقد دخل عليه بعضهم فقال: والله ما جئتكَ عائداً، وإنما جئتكَ لأعزيك في نفسك، وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه، فإزداد مرضاً إلى مرضه، وقد صودر في العام الماضي سنة ٢٣٨ بأموال جزيلة جداً، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل، وكذا ابنه أبو الوليد محمد، صودر بألف ألف دينار ومائتي دينار ومات قبل أبيه بشهر^(٣).

انظر كيف أذله الله وحبسه في جسده، وأهين قبل موته، والجزاء من جنس العمل.

قال الإمام أحمد: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنازة حين تمر، فلما مات إمام أهل السنة كانت جنازته أكبر جنازة في التاريخ.

قال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكثر منهم على جنازة أحمد بن حنبل إلا جنازة كانت في بني إسرائيل^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (١١/١٧٠، ١٧١).

(٢) البداية والنهاية (١٠/٣٣٥، ٣٣٦).

(٣) البداية والنهاية (٦/٣٣٦).

(٤) مناقب الإمام أحمد (ص ٥٠٤).

ولما أنزلت رأس أحمد بن نصر من على الصليب كان يوماً مشهوداً وصدق الله قول أحمد، فأحمد ابن أبي دؤاد وهو قاضى قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته، ولم يلتفت إليه، ولما مات ما شيعة إلا قليل من أعوان السلطان (١).

* وها هو الإمام البخارى (رحمه الله) يتعرض لفتنة كبيرة كما كان يتعرض أمثاله لتلك الفتنة زيادة فى الإيمان ومضاعفة فى الأجر، ورفعته فى الدرجة، وتأهياً للنفس حتى تصبر على ما هو أعظم من ذلك.

وهذه الفتنة هى أن أمير خراسان (خلف بن أحمد بن خالد) حقد على الإمام البخارى أعظم حقد وتأججت فى فؤاده نار الغضب ليفتك به إلا أنه يعلم مكانة الشيخ عند الناس وحبهم له، فعمل على مضايقته والإضرار به، فأخرجه من بلده الذى وُلد فيه وتربى على ترابه «بخارى» وطرده عنها ليكون بعيداً عن أهله، وبعيداً عن عشيرته، وعن طلابه وأحبابه ومعارفه.

فحزن الإمام البخارى لذلك لأنها جناية ليس لها مبرر، ولأن معارفه الذين يتلقون عنه سيتأثرون بهذا الانقطاع، ويتأثر هو لقلة معارفه فى البلد التى سيخرج إليها، فلما غادر بلده رفع يديه إلى السماء فى وقت خلوة غفل عنها الكثير ونامت فيها العيون وعجزت فيها القوى إلا قوة الله تعالى ثم أخذ يدعو ويقول: «اللهم عليك به فإنه لا يُعجزك». وكان لسان حاله يقول: أشكو إليك ضعفى وقلة حيلتى أنت ولى من دون الناس، وناصرى من دونهم وأنت القادر العظيم فاجعله عبرة لغيره،... ومن حكمة الله تعالى أن جولة الباطل مرة، وأما الحق فجولته إلى قيام الساعة، استجاب الله تعالى دعوة هذا الإمام المظلوم ورفعها فوق الغمام وقال: لأنصرك ولو بعد حين، فما مضى عليها إلا عدة أيام وإذا بهذا الأمير يُطرد من الإمارة ويودع

(١) البداية والنهاية (١٠/٣٥٦).

السجن وتوضع القيود في قدميه والأغلال في عنقه ويُغرب عن أهله في سجنٍ مظلم كما غرَّب الإمام عن أهله وقومه، وصودرت أمواله، وأُركب على حمار يطاف به على البلاد لِيُشَهَّرَ به بعد تسويد وجهه والتحذير منه، وانقلبت الموازين وأصبح العزيز ذليلاً والذليل عزيزاً، واستمر مُعذباً في السجن مدة طويلة حتى مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

قال الإمام ابن كثير: هذا جزاء من تعرض لأهل الحديث والسنن.

حكاية صياد السمك

يروى أن صياداً يصطاد السمك، ويقوت منه أطفاله وزوجته، خرج يوماً للصيد، فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها، ثم أخذها ومضى إلى السوق لبيعها، ويصرف ثمنها في مصالح عياله.

فلقيه بعض الظلمة من أعوان السلطان، فرأى السمكة معه، فأراد أخذها منه، فمنعه الصياد، فرفع الظالم خشبة كانت بيده، فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصباً بلا ثمن.

فدعا الصياد عليه فقال: إلهي! جعلتني ضعيفاً، وجعلته قوياً عنيفاً، فخذ لي بحقي منه عاجلاً، فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله، وسلّمها إلى زوجته، وأمرها أن تشويها، فلما أخذتها أفلت السمكة من يديها، وفتحت فاهها، ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها عقله. فقام وشكا إلى الطبيب ألماً في يده، فلما رآها قال له: إن دواءها أن تُقطع الأصبع، لئلا يسرى الألم إلى بقية الكف.

فقطع إصبعه، فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد، وازداد تألماً، وارتعدت من الخوف فرائصه. فقال له الطبيب: ينبغي أن تُقطع اليد إلى المعصم لئلا يسرى الألم إلى الساعد فقطعها. فانتقل الألم إلى الساعد.

فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى العضو الآخر الذي يليه، حتى خرج هائماً على وجهه، مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به.

فراى شجرة فقصدها، فأخذه النوم عندها فنام، فراى فى منامه قائلاً يقول: يا مسكين! إلى كم تُقطع أعضائك؟ امضِ إلى خصمك الذى ظلمته فارضه، فانتبه من النوم، وفكر فى أمره، فعلم أن الذى أصابه من جهة الصيد، فدخل المدينة، وسأل عن الصيد، وأتى إليه، ووقع بين يديه يتمرغ على رجليه، وطلب منه الإقالة مما جناه، ودفع إليه شيئاً من ماله، وتاب من فعله، فرضى عنه الصيد وعفا عنه، فسكن فى الحال ألمه، وانتهت فى التو محنته^(١)، والجزاء من جنس العمل ..

كسرى والمرأة العجوز

وذكر بزرجمهر حكيم فارس: أن عجوزاً فارسية كان عندها دجاج فى كوخ مجاور لقصر كسرى الحاكم، فسافرت إلى قرية أخرى، فقالت: يا رب أستودعك الدجاج. فلما غابت، عدا كسرى على كوخها ليوسع قصره وبستانه، فذبح جنوده الدجاج، وهدموا الكوخ، فعادت العجوز فالتفت إلى السماء وقالت: يا رب، غبتُ أنا فأين أنت؟! فأنصفها الله وانتقم لها، فعدا ابن كسرى على أبيه بالسكين فقتله على فراشه. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾^(٢)، ... ليتنا جضيعاً نكون كخيرى ابنى آدم القائل: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾^(٣) «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»، إن عند المسلم مبدأ ورسالة وقضية أعظم من الانتقام والتشفى والحقد والكراهية.

(١) المطرف (١/١٨٧، ١٨٨).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٣٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٢٨).

ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله

كم رأينا أناساً يسعى الواحد منهم ليدبر لأخيه المكائد والمصائب؛ ولكن يشاء الله -جل وعلا- أن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

* حُكِيَ أن خدماً بعض الملوك وجدوا طفلاً في الطريق؛ فالتقطوه فأمر الملك بتربيته وضمه إلى أهل بيته وسماه (أحمد اليتيم)، فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذبته وعلمه ولما حضرته الوفاة أوصى به ولى عهده فضمه إليه واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفياً وخادماً أميناً وبعد ذلك قدمه في أعماله فصار حاكماً على جميع حاشية الأمير ومتصرفاً في شؤون قصره. وفي أحد الأيام أمره أن يُحضر شيئاً من بعض حجراته فذهب ليحضر فرأى بعض جواري الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يفسقان ويزنيان، فتوسلت إليه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل ما يطلب وراودته عن نفسه لتأمن شره فقال لها: معاذ الله أن أخون الأمير أرني وقد أحسن إلى؟! ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر ولكن الجارية أوجست في نفسها خيفة وتوهمت أن أحمد اليتيم سيفشى أمرها للأمير فما كان إلا أن انتظرت الأمير حتى حضر إلى قصره ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ما خبرها؟ فقالت: إن أحمد اليتيم راودها عن نفسها وكان يريد أن يقهرها على الزنا فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه وعزم على قتله ثم دبر قتله في الخفاء حتى لا يعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل.

فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحداً بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الرأس في الطبق وابعث بها إلى فأجاب الخادم بالسمع والطاعة وفي يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد اليتيم، وقال له: اذهب إلى فلان الخادم وقل له: يعطيك كذا وكذا. فامثل الأمر وذهب إلا أنه لقي في

طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يُحكموه بينهم في أمر فاعتذر وقال: إنه مكلف بقضاء أمر الأمير فقالوا: نبعث فلانًا الخادم نائبًا عنك ليحضر ما تطلبه حتى تفصل في شأننا فأجابهم إلى ما طلبوا فأرسلوا واحدًا منهم هو الشاب الذي سبق له الزنا بالجارية فلما ذهب أخذه رئيس الخدم إلى المكان الذي أعده ثم قطع رأسه على غرة ثم وضعها في الطبق وغطاها وجاء بها إلى الأمير فلما أبصر الطبق رفع الغطاء فرأى رأسًا غير رأس أحمد اليتيم فأحضر الأمير أحمد اليتيم فسأله عما فعل فأخبره بما كان فقال الأمير: أتعرف لهذا الخادم ذنبًا؟ فقال: نعم إنه فعل كذا وكذا مع الجارية وعاد وقد سألتني بالله أن أكنم الخبر فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية وعاد إلى ما كان عليه من محبة أحمد وإكرامه، وكانت هذه عاقبة الوفاء ونهاية الخيانة: ﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (١).

كما تدين تُدان

* اعلم أيها الأخ الحبيب أن ما تفعله مع أخيك فإنه سلفٌ ودينٌ فاحذر من أن تفعل مع أخيك ما لا تحب أن يفعله هو معك فإنه كما تدين تُدان وما تزرعه اليوم تحصده غدًا.

* وإليك هذه القصة التي تؤكد لك هذا الكلام وبالمثال يتضح

المقال:

كانت هناك طالبة جامعية في عمر الزهور في العشرين من عمرها . . . جميلة وعاطفية ومن عائلة متواضعة ذات أخلاق كريمة، وكانت لها صديقة تحبها حبًا شديدًا وكانت تلك الصديقة لها أخٌ ليس عنده أي رصيد من الدين أو الخلق فاستطاع بمكره أن يستميل قلب تلك الفتاة وأخذ يداعبها

(١) سورة فاطر: الآية: (٤٣).

بكلامه المعسول حتى أخذت تلك الفتاة تذوب من كلامه .
وأخذ يخطط للإيقاع بتلك الفتاة البريئة في مصيدته وبعد مراوغة
وتخطيط ووعود كاذبة استطاع أن يوقع تلك الفريسة السهلة وأن يسلبها أعز
ما تملكه أي فتاة في هذه الحياة .

وأحست تلك الفتاة بضياع مستقبلها، بل وضياع دينها بعد أن أصبحت
حاملًا من الزنى . . . وظلت تتصل بهذا الذئب لكي ينفذ وعوده لها
بالزواج، ولكنه كان يتهرب منها . . . وبدأت أعراض الحمل تظهر عليها
وأحست الفتاة بأن الأرض ضاقت عليها بما رحبت وضاقت عليها نفسها
فماذا تصنع في تلك المصيبة .

وأخذت تطارده في كل مكان حتى استطاعت أن تكلمه، وأن تطلب منه
أن يتزوجها، فما كان منه إلا أن فكر في فكرة لا تخطر على قلب
إبليس فيا ترى ما هي تلك الفكرة؟

قال لتلك الفتاة: أنا على استعداد لأن أتزوجك، ولكن بشرط أن تأتي
غدًا الساعة الرابعة إلى الشاليه الذي أملكه في المكان الفلاني لتقابلى أُمى
فإن رأتك أُمى ووافقت على زواجى منك فسوف أتزوجك .

وفي نفس الوقت اتفق هذا الذئب مع مجموعة من الذئاب البشرية لكي
يذهبوا إلى الشاليه في نفس الموعد، ليغتصبوا تلك الفتاة ثم يدخل عليها
بعد ذلك ليقول لها: أنا لا أستطيع أن أتزوج من فتاة فعل بها كل هذا .

ووافقت الفتاة على الذهاب إلى الشاليه في الموعد المحدد ظنًا منها أن
الله هداه وأنه سيستر عرضها . . . لكنها لم تكن تعلم ماذا يدبر لها .

وفي الموعد المحدد قامت تلك الفتاة لتذهب إلى الشاليه للقاء والدته -
كما كان يزعم- وإذا بأخيها يصاب بألم شديد في بطنه فكانت بين
نارين . . . بين أن تذهب إلى الشاليه وبين أن تذهب بأخيها الوحيد إلى

المستشفى فما كان منها إلا أن اتصلت بصديقتها - أخت ذلك الذئب - وقالت لها: إننى على موعد الآن مع والدتك فى الشاليه ولكن أخى مريض وسأذهب معه إلى المستشفى فأرجو منك أن تذهبي إلى الشاليه لتخبرى والدتك أننى سأحضر إليها بعد ساعة فوافقت أخت هذا الشاب وهى لا تعرف ما يدبره أخوها لتلك الفتاة.

وذهبت أخت هذا الذئب إلى الشاليه ظناً منها أن أمها هناك وهى لا تعرف لأن أمها فى هذا الوقت كانت خارج البيت، المهم أنها ذهبت إلى الشاليه وبمجرد أن دخلت حتى انقض عليها الذئاب وانتهكوا عرضها وسلبوها أغلى ما تملكه أى فتاة وتركوها جثة هامدة . . . وبعد ساعة من الزمن جاء هذا الذئب ليرى ما صنعوه بتلك الفتاة، وليكون هذا المشهد مبرراً له؛ لأن يرفض الزواج منها . . . ولكن كانت أكبر مفاجأة فى انتظاره !!

دخل الذئب وسأل أصحابه: ماذا صنعتم؟ قالوا: فعلنا كل ما طلبت منا وزيادة . . . وهى بالداخل جثة هامدة من شدة الاعتداء عليها . . . فدخل ونظر إلى الفتاة وإذا بها أخته مُلقاة فى حالة يرثى لها فلم يستطع أن يتكلم كلمة واحدة بل خرج صامتاً وأصحابه يكلمونه وهو لا يرد عليهم حتى وصل إلى سيارته وفتح الباب ثم دخل السيارة، وفتح التابلوه وتناول مسدساً وأطلق الرصاص على نفسه فمات فى التو واللحظة . . . ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ .

أهدى هذه القصة لكل شاب يعيش علاقة محرمة مع أى فتاة: أقول له: اتق الله فى أعراض المسلمات واعلم أنه كما تدين تدان والجزاء من جنس العمل^(١).



(١) قصص وعبر (الجزء الثانى) / للمصنف (ص: ٤٠ - ٤٢).

إن في ذلك لعبرة

أذكر أن أحد الأصدقاء من طلبة العلم وحفظه القرآن.. كان رجلاً صالحاً.. يأتيه بعض الناس أحياناً يقرأ عليهم شيئاً من القرآن كرقية شرعية.. وقد شفى الله تعالى على يديه من شاء..

دخل عليه يوماً من الأيام رجل تبدو عليه علامات الشراء..

جلس بين يدي الشيخ وقال: يا شيخ.. أنا عندي آلام في يدي اليسرى تكاد تقتلني.. لا أنام في ليل.. ولا أرتاح في نهار..

ذهبت إلى عدد كبير من الأطباء.. أجروا لي الفحوصات.. عملوا تمارين.. فما وجدت فائدة أبداً.. الألم يزيد ويشتد حتى انقلبت حياتي عذاباً..

يا شيخ.. أنا تاجر وعندي عدد من المؤسسات والشركات.. فأخشى أن أكون أصبت بعين حاسدة.. أو وضع لي أحد الأشرار سحراً..

قال الشيخ: قرأت عليه سورة الفاتحة.. وآية الكرسي.. وسورة الإخلاص والمعوذتين..

لم يظهر عليه تأثراً!!

خرج من عندي شاكراً.. رجع إليّ بعد أيام يشكو الألم نفسه..

قرأت عليه.. ذهب ورجع.. وقرأت عليه.. لم يظهر عليه أي تحسن..

قلت له لما اشتد عليه الألم: قد يكون ما أصابك هو عقوبة على شيء فعلته.. من ظلم أحد الضعفاء.. أو أكل حقوقهم..

أو ظلمت أحداً في ماله فمنعته حقه.. أو غير ذلك.. فإن كان هناك

شيء من ذلك فسارع إلى التوبة مما جنيت .. وأعد الحقوق إلى أهلها ..
واستغفر الله مما مضى ..

التاجر لم يعجبه كلامي .. وقال - بكبر - : أبدأ .. ما ظلمت أحداً .. ولم
أعتد على شيء من حقوق الناس .. وأشكرك على نصيحتك ..
وخرج .. مرت أيام وغاب الرجل عني .. خشيت أن يكون وجد عليّ
في نفسه .. ولكن لا عليّ فهي نصيحة أسديتها إليه ..
تفاجأت به يوماً في مكان ما .. لقيني فأقبل إليّ مسلماً مسروراً ..
سأله: هاه .. ما الأخبار؟

قال: الحمد لله .. الآن يدي بخير .. بغير طب ولا علاج!!
قلت: كيف؟

قال: لما خرجت من عندك .. جعلت أفكر في نصيحتك .. وأستعيد
شريط ذكرياتي في ذهني .. وأفكر!!
تري هل ظلمت أحداً؟!
هل أكلت حق أحداً?!

فتذكرت أنى قبل سنوات لما كنت أبني قصرى .. كان بجانبه أرض
رغبت في ضمها إليه ليكون أجمل .. كانت الأرض ملكاً لامرأة أرملة توفى
زوجها وخلف أيتاماً ..

أردتها أن تبيع الأرض فأبت .. وقالت: وماذا أفعل بقيمة الأرض .. بل
تبقى لهؤلاء الأيتام حتى يكبروا .. أخشى أن أبيعها ويتشتت المال ..
أرسلت إليها مراراً لشرائها .. وهى تأبى على ذلك ..
قلت: فماذا فعلت؟

قال: انتزعت الأرض منها بطرقى الخاصة ..
قلت: طرقت الخاصة!!

قال: نعم.. علاقاتي الواسعة.. ومعارفي.. استخرجت ترخيصاً ببناء الأرض وضممتها إلى أرضي..

قلت: وأم الأيتام؟!!

قال: سمعت بما حصل لأرضها فكانت تأتي وتصرخ بالعمال الذين يعملون لتمنعهم من البناء.. وهم يضحكون منها يظنونها مجنونة..

وفي الواقع أنني أنا المجنون ليس هي..

كانت تبكي وترفع يديها إلى السماء.. هذا ما رأيته بعيني.. ولعل دعاءها في ظلمة الليل كان أعظم..

قلت: هاه.. أكمل..

قال: رحمت أسأل وأبحث عنها.. حتى عثرت عليها.. فبكيت واعتذرت.. ولا زلت بها حتى قبلت مني تعويضاً عن تلك الأرض.. ودعت لي وسامحتني..

فوالله ما إن خفضت يديها.. حتى دبَّت العافية في بدني..

ثم أطرق التاجر برأسه قليلاً.. ثم رفعه وقال: ونفعني دعاؤها - بإذن الله - نفعاً عجز عنه طب الأطباء.. (١).

قصة مؤثرة

* وهذه قصة واقعية من أيامنا هذه، ترسلها زوجة إلى جريدة الأهرام، ونشرها محرر «بريد الجمعة» عبد الوهاب مطاوع في مقالة تحت عنوان «الضوء الأخير!».

تقول صاحبة القصة: دفعني للكتابة إليك بيتا الشعر اللذان قرأتها في ردك على إحدى الرسائل ويقولان:

(١) استمتع بحياتك / د . محمد العريفي (ص ٣١٣-٣١٥).

إنما الدنيا هبات

وعوار مُترده

شدة بعد رخاء

ورخاء بعد شدة

فأردت أن أروي لك قصتي عسى أن تكون عبرة لغيري. فأنا زوجة وأم لفتاة بالسنة النهائية بإحدى الكليات النظرية ولابن شاب متزوج ولديه طفلان، وزوجي ضابط عسكري بالمعاش، ونعيش في أحد أحياء القاهرة، ومنذ أن بدأت حياتي مع زوجي ونحن نعيش حياة رغدة، وقد استعنت طوال حياتي الزوجية على تربية أولادي بمربيات عديدة، لا أتذكر عددهن من كثرتهن، ولا عجب في ذلك، فقد كانت كل واحدة منهن لا تمكث عندي أكثر من شهرين، ثم تفر من قسوة زوجي العدواني بطبعه، وانذى لا أعرف هل اكتسب عدوانيته هذه خلال رحلة حياته أم إنها وراثية فيه، فقد كان يتفنن في تعذيب أي مربية تعمل عندنا، ولا أنكر أنني شاركته في بعض الأحيان جريمته.

ومنذ خمسة عشر عاماً، وابنتي في السابعة من عمرها، وابني في المرحلة الإعدادية جاءنا مزارع من معارف زوجي، ومن أبناء بلدته، يصطحب معه ابنته الطفلة ذات الأعوام التسعة، فاستقبله زوجي بكبرياء وترفع. وقال المزارع البسيط: إنه أتى بابنته لتعمل عندنا مقابل عشرين جنيهاً في الشهر ووافقنا، وترك المزارع المكافح طفله الشقراء، فانخرطت الطفلة في البكاء، وهي تمسك بجلباب أبيها، وتستحلفه ألا يتأخر عن زيارتها، وألا ينسى أن يسلم لها على أمها وإخوتها، وانصرف الرجل دافع العينين، وهو يعدها بما طلبت. وبدأت الطفلة حياتها الجديدة معنا، فكانت تستيقظ في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ طفلاي لتساعدني في إعداد طعام الإفطار

لهما، ثم تحمل الحقائب المدرسية، وتنزل بها إلى الشارع، وتظل واقفة مع ابنتي وابني حتى يحملهما أتوبيس المدرسة، وتعود للشقة فتناول طعام إفطارها وكان غالباً من الفول بدون زيت، وخبز على وشك التعفن، وفي بعض الأحيان قد نجد عليها بقليل من العسل الأسود أو الجبن، ثم تبدأ في ممارسة أعمال البيت من تنظيف وشراء الخضروات والمسح، وتلبية النداءات حتى منتصف الليل، فتسقط على الأرض كالقذيفة وتستغرق في النوم. وعند أي هفوة أو نسيان أو تأجيل أداء عمل مطلوب ينهال عليها زوجي ضرباً بقسوة شديدة، فتتحمل الضرب باكية صابرة، ورغم ذلك فقد كانت طفلة في منتهى الأمانة والنظافة والإخلاص لمخدوميها، تفرح بأبسط الأشياء، وتغني غناءً حزيناً خافتاً يعبر عن شوقها لبلدتها وأمها وإخوتها وهي تغسل الأطباق، ورغم اعترافي بأنني كنت شريكة لزوجي في قسوته على الخادמות، وتفنته في تعذيبهن، حتى أنه كان أحياناً يخلق الأسباب لضرب أي خادمة تعمل عندنا، إلا أنه كانت تأخذني الشفقة في بعض الأحيان بهذه الفتاة، لطيبتها، وانكسارها وإخلاصها، فأنشد زوجي ألا يضربها، وأقول له: إنها قد كبرت وتعودت على طباعتنا، وتحملتنا كثيراً فلا داعي للاستمرار في ضربها، فكان يقول لي مقهقهاً: إنه لو لم يضربها فإنها ستطلب منه أن يضربها؛ لأنها قد تعودت عليه، وأن هذا الصنف من الناس لا تجدى معه المعاملة الطيبة، واستمرت الفتاة تتحمل العذاب في صمت وصبر، وأتذكر الآن بأنني حين كان العيد يأتي ويخرج طفلاي مبتهجين مهللين، بينما تبقى هذه الطفلة التي تماثلهما في العمر تنظف وتغسل دون شفقة، وبعد أن تنتهي من أعمالها الشاقة ترتدي فستاناً قديماً لكنه نظيف، لأنها كانت تحرص على نظافة ملابسها البسيطة، أما أبوها فلم تره تلك الطفلة إلا مرات معدودة بعد عملها عندنا، فقد انقطع عن زيارتها بعد شهور، وبدأ يرسل أحد أقاربه

لاستلام أجرتها الشهرية، كما لم تر أمها وإخوتها إلا في ثلاث مناسبات محددة، الأولى حين مات شقيقها الأكبر في حادث عند عودته من الأردن، وكانت الفتاة المحرومة تُعلق أملاً كبيراً على عودته، وتحلم بأن ينتشلها من العذاب الذي تعانيه عندنا، فإذا به يلقي مصرعه، وتفقد آخر أمل لها فبكته بحرقة وسراً حتى لا يراها زوجي، فتلقى عقاباً على يديه.

والمرّة الثانية لم تكن تعطفاً منا عليها، وإنما كانت تخلصاً منها في الحقيقة فقد كانت مريضة بمرض مُعدٍ، وخشينا على طفلينا من انتقال العدوى إليهما، فأبعدناهما إلى بلدتها بحجة أن ترى أمها وإخوتها.

وكانت المرّة الثالثة عند وفاة أبيها بعد أن دخلت مرحلة الصبا، واستقر الحزن والانكار في قلبها.

وأرجو أن تصدقني يا سيدي، إذ ليس لدى ما يبرر أن أدعى شيئاً غير صادق، وأنا كتبت لك بإرادتي، إذا قلت إنني أبكي الآن كلما تذكرت قسوة عقابنا لها إذا أخطأت أي خطأ، وكان لا بد أن تخطئ، كأى طفلة، وكأى إنسان، فقد كان زوجي يصعقها بسلك الكهرباء! وكثيراً ما حرمانها من وجبة العشاء في ليالي البرد القاسية، فباتت على الطوى جائعة. ولا أتذكر أنها نامت ليلة لمدة سنوات طويلة دون أن تبكي!

وسوف تتساءل ولماذا تحملت كل هذا العذاب ولم تهرب بجلدها من جحيمكم؟ وأجيبك بأن الفتاة حين قاربت سن الشباب خرجت ذات يوم لشراء الخضروات ولم تعد، فسأل زوجي البواب عنها، وعرف إنها كانت تتحدث لفترات طويلة مع شاب يعمل لدى جزّار بنفس الشارع، وأنه من المحتمل أن تكون قد اتفقت معه على أن يتزوجها وينتشلها من هذه الحياة، فلم يمض أسبوع حتى كان نفوذ زوجي قد تكفل بإحضارها من مخبئها، واستقبلناها عند عودتها استقبالاً حافلاً بكل أنواع العذاب، فقام زوجي

بصعقتها بالكهرباء، وتطوَّع ابني بركلها بعنف، بينما بكت ابنتي وهي تقول لأبيها: حرام يا بابا حرام.. حرام.. فقد سيطرته على نفسه واستدار إليها وضربها هي أيضاً، وكانت المرة الأولى في حياتها التي يضربها فيها أبوها! وعادت الفتاة لحياتها الشقية معنا، واستسلمت لمصيرها، واستمر الوضع كما كان عليه، تخطئ أو تؤجل عمل شيء بعض الوقت، فيضربها زوجي ضرباً مبرحاً، ونخرج في الأجازات إلى منطقة الأهرامات لنستمع بشيء من اللحم، ونترك لها بقايا طعام الأسبوع لتأكله.. إلخ ثم.. شيئاً فشيئاً بدأنا نلاحظ عليها أن الأكواب والأطباق تسقط من يديها، وأنها تتعثر كثيراً في مشيتها، فعرضناها على الطبيب فأكد لنا أن نظرها قد ضعف جداً، وأنه ينسحب تدريجياً، وأنها لا ترى حالياً ما تحت قدميها، أي أنها أصبحت شبه كفيفة، ورغم ذلك فلم نرحمها، وظلت تقوم بكل أعمال نظافة المسكن، وتخرج لشراء الخضار كما كانت تفعل، بل وكثيراً ما صفعتها إذا عادت من السوق بخضروات ليست طازجة وكثيراً ما كانت تفعل لضعف بصرها الشديد، فأشفقت عليها زوجة البواب، فكانت تُجلسها في مدخل العمارة وتذهب هي لشراء الخضروات لها، حتى تنقذها من الإهانة والضرب، واستمر الحال هكذا لفترة من الزمن، ثم خرجت الفتاة ذات يوم من البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقريباً، ولم تعد إليه مرة أخرى، ولم نهتم بالبحث عنها هذه المرة.

ومضت السنوات فأحيل زوجي للتقاعد، واستقبل حياة الفراغ - وفقد المنصب والنفوذ - أسوأ استقبال فتضاعفت عصبيته وثوراته، وانفلاتاته إلى حد غير محتمل، ومع ذلك فقد تحمته بسبب عشرة السنين. وتخرج ابني في الجامعة وعمل، ثم أراد أن يخطب إحدى زميلاته، فخطبناها له، وهي فتاة رائعة الجمال، وتزوجها وسعدنا بها واكتملت

سعادتنا حين عرفنا أنها حامل، ثم جاءت اللحظة السعيدة، ووضعت مولودها فإذا بنا نكتشف لصدمتنا القاسية أنه كفيف لا يبصر، وتحولت الفرحة إلى سحابة كثيفة من الحزن القاتم، وبدأنا الرحلة الطويلة مع الأطباء بلا فائدة، واستسلم ابني وزوجته للأمر الواقع، وانطلقا الأمل في قلوبهما، وأدخلنا حفيدنا الموعود بالعناء حضانة للمكفوفين، وقررت زوجة ابني ألا تحمل مرة أخرى خوفاً من تكرار الكارثة، لكن الأطباء طمأنوها إلى أن هذا مستحيل؛ لأنه لا توجد صلة قرابة بينها وبين زوجها تؤكد العوامل الوراثية، وشجعوها على الحمل وإنجاب طفل آخر يعيد البسمة إلى حياتها وزوجها، وشجعناها نحن أيضاً على ذلك على أمل أن يُرزق ابنتا بطفل طبيعي يخفف من حزنه وصدمة في طفله الأول. وحملت زوجة ابني، وأنجبت طفلة جميلة شقراء نزلت إلى الحياة، فتوقفت قلوبنا حتى زفّ الطبيب البشري بأنها ترى وتبصر، كالأطفال العاديين، وسعدنا بها سعادة مضاعفة، وانهالت عليها وعلى شقيقها اللعب والملابس والهدايا، وبعد سبعة شهور، لاحظنا عليها أن نظرها مُركّز في اتجاه واحد لا تحيد عنه، فعرضناها على أخصائي عيون للاطمئنان على سلامة عينيها، فإذا به يصدمننا بحقيقة أشد هولا، وهي أنها لا ترى إلا مجرد بصيص من الضوء، وأنها معرضة أيضاً لفقد بصرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ورأى زوجي ذلك، فأصيب بحالة نفسية فسدت معها أيامه، وكره كل شيء، ثم تطورت حالته حتى نصحننا الطبيب بإدخاله مصحة نفسية لعلاج من الاكتئاب، وانقبض قلبي، وأحسست بهموم الدنيا تطأ صدري بقسوة، وفي ضيقى وأحزاني تذكرت فجأة الفتاة الكسيرة التي هربت من جحيمنا كفيفة بعد أن أمضت معنا عشر سنوات ذاقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء والضرب والهوان والحرمان، وساءلت نفسي في جزع هل هذا عقاب السماء لنا على ما فعلنا بها؟

وأصبحت صورة هذه الفتاة اليتيمة التي أهملنا علاجها وتسيبنا في كف
بصرها تطاردني في وحدتي، . . . وتعلق أملى في عفو ربي عما جنينا في
أن أجد هذه الفتاة، وأكفر عما فعلنا بها، ورحت أسأل الجميع حتى دلنا
أحد الجيران إلى مكانها، وعلمنا أنها تعمل خادمة بأحد المساجد، فذهبت
إليها وأحضرتها لتعيش معي ما بقي لي من أيامي، ورغم كل قسوة
الذكريات فقد فرحت بسؤالي عنها وسعى إليها لإعادتها، وحفظت العشرة
التي لم نحفظها، وعادت معي لتحسن الطريق وأنا أمسك بيدها. وفرحت
بسماع صوت ابنتي الشابة التي طالما أحببتها هذه الفتاة الطيبة في طفولتها
وصباها، وبسماع صوت ابني الذي عرف الهم طريقه إلى قلبه، واستقرت
الفتاة معنا، وأصبحت أرهاها بل وأخدمها هي وحفيدي الكفيفين. . . وأملى
ودعائي لربي أن يغفر لي ما كان، وأن أقول لمن نضبت الرحمة من قلوبهم:
إن الله حي لا ينام، فلا تقسوا على أحد فسوف يجيء يوم تطلبون فيه
الرحمة من أرحم الراحمين، وتندمون على ما فعلتم في قوتكم وجبروتكم.
هذه هي قصتي يا سيدي التي دفعني بيتا الشعر اللذان قرأتها في ردك
لأن أروياها لك، وأرجو أن يقرأها الجميع ويعتبروا بما فيها والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته^(١).

ثم رد المحرر عبد الوهاب مطاوع على هذه معلقاً:
وهكذا كان الجزء دائماً من جنس العمل، ومع ذلك فما أكثر الخطايا
والآثام، وما أقل الاعتبار.

* * *

(١) جريدة الأهرام - بريد الجمعة الصفحة ١٦ تاريخ ١٥/١/١٩٩١.

من مغبة الظلم

إن الظالم يجنى ثمرات ظلمه في الدنيا والآخرة، فقد قال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»^(١).

* ومضار الظلم كثيرة ولكن حسبنا أن نقف على بعضها:

- (١) يجلب غضب الرب وسخطه ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب.
- (٢) قبول دعاء المظلوم فيه.
- (٣) يخرب الديار ويسببه تنهار الدول.
- (٤) تماشى الخلق عن الظالم ويعددهم منه لخوفهم من بطشه.
- (٥) معصيته متعدية للغير.
- (٦) دليل على ظلمة القلب وقسوته.
- (٧) عدم الأخذ على يد الظالم يفسد الأمة.
- (٨) يجلب كره الرسول ﷺ.
- (٩) صغار الظالم عند الله وذلته.
- (١٠) الظالم يُحرم شفاعته رسول الله ﷺ^(٢).

* بل وفوق ذلك كله فإن الله - عز وجل - يحرمه من نعمة الهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)؛ لأن المعصية لو كانت فيما بين العبد وبين ربه - عز وجل - فإن الله يقبل توبته بل ويبدل سيئاته إلى حسنات... أما مظالم العباد فلا بد للعبد أن يتحلل منها.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠٢) كتاب الأدب، والترمذي (٢٥١١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢١١) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٨٦١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٠٤).

(٢) نضرة النعيم (١٠/٤٩٢٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٥١).

* بل إن الله - عز وجل - يحرم الظالم من محبته ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) . . . ولنا أن نتخيل إنسانًا يعيش في أرض الله . . . والله يبنضه ولا يحبه . . .

لا ظلم اليوم

لا تحزن إن سلب مالك في الدنيا فسوف تجده يوم القيامة حسنات كثيرة . . . ولا تحزن إن ظلمت في الدنيا فسوف يقتص الله لك ممن ظلمك يوم القيامة . . . ولا تحزن إن بخسك الناس حقك في الدنيا فسوف تأخذ حقك كاملاً يوم القيامة .

إذا جاز الوزير وكاتباه

وقاضى الأرض أجحف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل

لقاضى الأرض من قاضى السماء

نقل عن «كانت» الفيلسوف الألماني أنه قال: «إن مسرحية الحياة الدنيا لم تكتمل بعد، ولا بد من مشهد ثان، لأننا نرى هنا ظالماً ومظلوماً ولم نجد الإنصاف، وغالبًا ومغلوبًا ولم نجد الانتقام، فلا بدّ إذن من عالم آخر يتم فيه العدل» .

قال الشيخ على الطنطاوى مُعلِّقًا: وهذا الكلام اعتراف ضمنى باليوم الآخر والقيامة، من هذا الأجنبى .

* إن يقين العبد في أن الله سيجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في أرض المحشر - في محكمة العدل الإلهية - يجعله مطمئنًا قدير العين هادئ البال لأنه يعلم أن الله سيقنص له ممن ظلمه .

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٠).

... إذن فلا داعي للحزن، ما دام العبد لن يضيع حقه أبداً... وسيشفي الله صدره ممن ظلمه في الدنيا أو الآخرة.

* فاما في الدنيا فحسبه أن الله يحرمه نعمة الهداية وأنه يحرمه من محبته بل ومن محبة الخلق.

* وأما في الآخرة فحسبك أن تعلم أنه لن يجاوز الجسر ظالمٌ وأنه لن يدخل عبدٌ جنة الرحمن (جل وعلا) إلا بعد أن يقتص منه لمن ظلمهم.

* ولقد أخبر النبي ﷺ أن الله - عز وجل - سيحكم بين الدواب في تلك المظالم التي كانت بينها في الدنيا... فما ظنكم بالمظالم التي بين العباد. قال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(١)... والجلحاء هي التي ليس لها قرن.

* ومن أجل ذلك أمرنا النبي ﷺ أن نتحلل من المظالم قبل أن نلقى الله - عز وجل - فقال ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(٢).

* قال عمر بن عبد العزيز: «إذا دعيتك قدرتك على ظلم الناس، فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك»^(٣).

* وفي بعض المأثورات: «إذا كان يوم القيامة يجتمع الظلمة وأعوانهم ومن ألاق لهم دواة ويرى لهم قلمًا، فيجعلون في تابوت ويلقون في جهنم»^(٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٢) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم والنصب.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣١/٥).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٥٤٣/٣) - والكبائر للذهبي (ص: ١١٢).

* ويا لها من حرة عندما يرى الظالم حسناته وهي تُوزَع على كل من ظلمهم فقد قال ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طُرح في النار» (١).

* وحسبنا أن نتأمل قول الحق - جل وعلا-: ﴿وَعَنَتِ الرَّجُوعُ لِلْحَيِّ الْقِيَوْمِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) مهطعين مُقْنَعِي رءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ (٤٤) وَمَكَّنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ (٣).



(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة طه: الآية: (١١١).

(٣) سورة إبراهيم: الآيات: (٤٢-٤٥).

وأخيراً

أحرص أخى الحبيب.. وأحرصى أختى الفاضلة على أن تتحللوا من مظالم العباد قبل أن نقف بين يدي الله فى يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

* أسأل الله أن يملأ قلوبنا حباً لكل المسلمين وأن يحول بيننا وبين ظلم العباد وأن نلقاه يوم نلقاه وليس فى رقابنا مظلمة واحدة لأحدٍ من البشر.



النبي ﷺ
والإحسان إلى اليتامى

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ .. والإحسان إلى اليتامى

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
* فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالاً مع بعض أصحابه يعلمهم ويربيهم.. وفجأة دخل عليه رجل يشكو إليه قسوة في قلبه فتبسم النبي ﷺ وقال له: «أحب أن يلين قلبك وتُدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يَلنْ قلبك وتُدرك حاجتك»^(١).

فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الإحسان إلى اليتامى.

* * *

(١) رواه الطبراني في الكبير وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٠).

حق اليتيم

إننى فى تلك السطور القليلة أَدعو نفسى وإخوانى فى كل الأقطار
والأمصار إلى إجابة نداء الواحد القهار للإحسان إلى اليتامى بالليل والنهار
فإن الأمة المسلمة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
الأعضاء بالسهر والحمى.

ونحن فى دعوتنا هذه نريد أن تنهض الأمة من كبوتها ليحمل القوى
فيها الضعيف ويحمل الغنى فيها الفقير، ويحمل العالم فيها الجاهل وبذلك
تتكامل سواعد الأمة وترجع مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس.
قال ﷺ: «كيف يقدر الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قوتها وهو غير
متنع»^(١).

فكيف يقدر الله أمة ضاعت فيها حقوق اليتامى الذين لا يجدون لها
معيناً إلا الله جل وعلا بعد أن حرّموا من أب رحيم يحنو عليهم ويمسح
دمعتهم ويُسبغ جوعتهم، ولقد قال النبي ﷺ: «فى كل ذات كبدٍ حرّى
أجر»^(٢).

فإن لك أجراً فى كل لقمة أو شربة ماء تسوقها لحيوان أعجم فكيف بمن
يسوق لقمة إلى فم يتيم يتجرع مرارة اليتيم؟! ..

بل لقد أخبر النبي ﷺ أنه «غُفِرَ لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس
ركى يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خُفها فأوثقت به خمارها فنزعت له من الماء
فغُفِرَ لها بذلك»^(٣)، فكيف بمن يحمل فى كفه شربة ماء لطفل يتيم . . .

(١) صحيح: رواه البيهقى (٩٤/١٠)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢٥٧/١)، وصححه العلامة الألبانى
رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٩٧).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٦٨٦) كتاب الأدب، وأحمد (١٧١٣١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه
الله فى صحيح الجامع (٤٢٦٣).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٣٢١) كتاب بدء الخلق.

من أكرمك الله بنعمة المال لا تبخل وأقبل بمالك لتتقذ يتيمًا من مرارة الفقر والحرمان ولا تحرم نفسك من أن يكون مالك قائداً لك إلى جنات الخلد ورضوان الرحيم الرحمن فإن «صدقة السر تطفى غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وفعل المعروف يقي مصارع السوء»^(١).

وقفه لطيفة

فإن قال قائل: لماذا لم يعتبر الشارع من فقد أمه يتيمًا كالذي فقد أباه؟
كان الجواب:

لأن الأب هو الذي يعول الصغير، ويرعى شؤونه، ويقوم بتأديبه وتعليمه، وتعاليم الإسلام تحث على معاملة اليتيم معاملة حسنة، وذلك مراعاة لنفسيته؛ لأنه لما فقد أباه شعر بالحاجة الشديدة إلى من يقوم بحمايته، ويقوى عزيمته، ويشد أزره. . . لما فقد أباه شعر بالوحشة والذلة والانكسار فكان لابد من تعويضه . . . لئلا ينحرف . . . فجاء الإسلام ليعالج هذا كله^(٢).

يتم النبي ﷺ كان تشرية لكل يتيم إلى قيام الساعة

في سيرة المصطفى ﷺ ما تطيب به خواطر اليتامى في كل زمان ومكان فقد توفي والده قبل أن يولد، ونشأ في كفالة جده عبد المطلب يلقي من الرعاية والعناية ما يعوضه عن فقد أبيه، . . . يقول ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج

(١) صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٢٤٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٧٦٠).

(٢) منهاج الصالحين (ص: ٦٠٥).

إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جَفْرٌ، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى منهم ذلك: دعوا ابني، فوالله، إن له لسانًا، ثُمَّ يُجْلِسُهُ معه على الفِراشِ، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع^(١). وبعد أن توفي عبد المطلب وعمره ﷺ قد جاوز الثماني سنوات بقليل، انتقلت كفاله - أخذًا بوصية جده - إلى عمه الشقيق أبي طالب^(٢)، فنهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم واختصه بفضل احترام وتقدير، فكان لا ينام إلا وهو إلى جواره ويصطحبه معه ما أمكنته الصُّحبة^(٣).

* قيل لمحمد بن جعفر الصادق: لم أوتيتم النبي ﷺ من أبيه؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق^(٤).

* قال النيسابوري: قال أهل التحقيق: الحكمة في يتم النبي ﷺ أن يعرف قدر الأيتام، فيقوم بأمرهم، وأن يكرم اليتيم المُشارك له في الاسم^(٥).

الحث على كفالة اليتيم والإحسان إليه

فقد أمرنا رب العالمين جل وعلا في كتابه بالإحسان إلى اليتامى في كل زمان ومكان، بل إنه سبحانه قد أخذ العهد والميثاق على الأمم قبلنا أن يحسنوا إلى اليتامى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٦).

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٩٤).

(٢) انظر: خاتم النبیین للشيخ أبي زهرة (١/١٦٦)، والرحيق المختوم للمباركفوري (٦٦).

(٣) انظر السابق.

(٤) تفسير القرطبي (٩٦/٢٠).

(٥) غرائب القرآن ورجائب الفرقان - بهامش تفسير الطبري (١١١/٣٠).

(٦) سورة البقرة: الآية: (٨٣).

﴿ بَلْ إِنْ الْإِحْسَانَ إِلَى الْيَتَامَى مَقْتَرُونَ بِتَحْقِيقِ الْعِبَادِيَةِ لِلَّهِ - جَل وَعَلَا -
فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (١).

* وتتعاقب الآيات التي تحض على الإحسان إلى اليتامى.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢).

لا يطعم اليتيم إلا المخلصون الذين يرثون الجنة

قال تعالى في حق المخلصين: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾
أى: ويطعمون الطعام ابتغاء وجه الله مع شهوتهم له وحاجتهم إليه... ﴿إِنَّمَا
نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ﴾ (١) إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً
قمطيراً ﴿فَكَانَ الْجَزَاءُ لِمَنْ أَطْعَمَ الْيَتِيمَ﴾ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة
وسروراً ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (٢).... ﴿فِيَا لَهُ مِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ﴾.

بيان يقيمان جداراً ليتيمين (١) هذين من يتأسى بهما؟

في ظل تلك الرحلة المباركة التي صحب فيها نبي الله (موسى) و(الخضر) عليهما السلام (٤). فكان من بين الأحداث التي ذكرت أنهما قاما
ببناء جدار ليتيمين في تلك المدينة فلما سأله موسى عليه السلام عن سبب

(١) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٢٠).

(٣) سورة الإنسان: الآيات: (٨-١٢).

(٤) مع الاعتراف بأن العلماء قد اختلفوا في ذلك: هل كان الخضر نبياً أو كان عبداً صالحاً...
والراجع - والله أعلم - أنه كان نبياً.

ذلك قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيُخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (١) فإن كان أنبياء الله قد فعلوا هذا الخير في حق اليتامى فأين من يتأسى بهم في بناء جدران اليتامى التي لا تجد من يقيمها (٢)؟!

ثمرات وفضائل كفالة اليتامى

١- كفالة اليتيم والإحسان إليه امتثال لأمر الله،

فإن الذي أمر بذلك هو الله -جل وعلا-... ولذلك قرن الله (عز وجل) بين عبوديته وبين الإحسان إلى اليتامى فقال (جل وعلا): ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣) فمن أحسن إلى اليتامى فقد أطاع الله فيما أمره.

٢- إكرام لمن شارك رسول الله ﷺ في صفة اليتيم،

في إكرام اليتيم والقيام بأمره إكرام لمن شارك رسول الله ﷺ في صفة اليتيم، وفي هذا دليل على محبته ﷺ.

٣- تحمل البركة على من يكفلون اليتامى،

فإن من كفل يتيماً وأحسن إليه فإن البركة تحلُّ عليه وعلى أسرته. * وتأمل معي ما حدث في بيت أبي طالب - عم النبي ﷺ - عندما كان فقيراً ومع ذلك لما كفل الحبيب محمداً ﷺ عرفت البركة طريقها إلى بيته. فلقد كان أبو طالب فقيراً وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٢) أنا وكافل اليتيم في الجنة/ للمصنف (ص: ٨-١٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٦).

من الطعام أبداً فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة في هذا البيت الكريم وبخاصة في طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ .

* فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتي ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده... فيقول أبو طالب: إنك لمبارك.

وكان الصبيان يصبحون شُعباً رُمصاً^(١)، ويصبح رسول الله ﷺ دهنياً كحياً^(٢).

٤- من أراد أن يلين قلبه ويدرك حاجته فليرحم اليتيم وليمسح رأسه وليطعمه من طعامه،

يروى أن رجلاً شكى إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له ﷺ: «أحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك»^(٣).

وفي رواية قال: «ادن اليتيم منك وألطفه وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك ويدرك حاجتك»^(٤).

(١) الرمض: وسخ أبيض جامد يجتمع في موق العينين.

(٢) انظر عيون الأثر (٥١/١)، واليرة الحلية (١٨٩/١).

(٣) صحيح: رواه الطبراني كما في الترغيب والترهيب (٢٣٧/٣) ومجمع الزوائد (١٦٠/٨)، وقال: في إسناده من لم يسم، وبقية مدلس، ورواه عبد الرزاق في الجامع (٩٦/١١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٠).

(٤) حسن: رواه البيهقي (٦٠/٤)، والخراطي في مكارم الأخلاق (ص ٢١٨)، وابن عساكر (١٥٣/٤٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٠).

فيا من تشعر بقسوة قلبك ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك وأدنه منك وأطفه فسوف يلين قلبك وتدرك حاجتك بإذن الله جل وعلا.

٥- كفالة اليتيم من الأخلاق الحميدة التي أقرها الإسلام وامتدح أهلها،

* عن السائب بن عبد الله رضي الله عنه قال: جىء بى إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة - جاء بى عثمان بن عفان وزهير - فجعلوا يُثنون عليه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُعلمونى به، قد كان صاحبى فى الجاهلية». قال: قال: نعم يا رسول الله، فَنعم الصاحب كنت. قال: فقال: «يا سائب! انظر أخلاقك التى كنت تصنعها فى الجاهلية فاجعلها فى الإسلام: اقر الضيف، وأكرم اليتيم، وأحسن إلى جارك»^(١).

* بل لقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على صالح نساء قريش لشدة الرأفة والرحمة باليتيم.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير نساء ركن الإبل^(٢) صالح نساء قريش. أحناء^(٣) على يتيم فى صغره، وأرعاة على زوج فى ذات يده^(٤)»^(٥).

٦- سلامة المجتمع من الحقد والكراهية،

كَفَالَةُ الْيَتِيمِ تَسَاهِمُ فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ سَلِيمٍ خَالٍ مِنَ الْحِقْدِ وَالْكَرَاهِيَةِ،
وَتَسُوْدُهُ رُوْحُ الْمَحَبَّةِ وَالْوُدِّ.

(١) رواه أحمد (١٥٠٧٤) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) ركن الإبل: أى نساء العرب، ولهذا قال أبو هريرة فى الحديث: لم تتركب مريم بنت عمران بعيراً قط. والمقصود أن نساء قريش خير نساء العرب.

(٣) أحناء: أى أشفقه. والحانية على ولدها: التى تقوم عليهم بعد يتم فلا تتزوج. فإن تزوجت فليست بحانية. والمعنى: أحناءهن.

(٤) ذات يده: أى شأنه المضاف إليه.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٨٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢٥٢٧) كتاب فضائل الصحابة.

٧- دليل على صلاح المرأة التي أوقفت حياتها على كفالة أيتامها،
كفالة اليتيم دليل على صلاح المرأة إذا مات زوجها فعالت أولادها
وخيريتها في الدنيا وفوزها بالجنة ومصاحبة الرسول ﷺ في الآخرة.
* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول من يفتح باب
الجنة إلا أنه تأتي امرأة تبادرني، فأقول لها: ما لك، وما أنت؟ فتقول: أنا امرأة
قعدت على أيتام لي» (١).

ماذا كانت مؤهلات تلك المرأة لكي تنال هذه الدرجة الرفيعة؟ لا شيء
سوى أنها قامت بتربية اليتامى!... لا شيء سوى أنها عكفت على تربية
اليتامى والإحسان إليهم!

تأمل أي منزلة هذه؟! إنها أفضل وأشرف منزلة، فيا سعادة من نال
جواره ويا سعد من كان رفيقه في الجنة... ويا شقاء من أبعد عن رفيقه
ﷺ ﴿لَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (٢).

* أخى الحبيب،

إن كان لديك شوق أن تكون مع النبي ﷺ في الجنة، فأحسن معاملة
اليتيم... إن كان لديك شوق أن تكون مع سيد الأولين والآخرين، وقائد
الغُر المحجلين، فأدخل السرور على قلب يتيم... امسح رأسه...
أكس بدنه... أضحك من اليتامى وجوهاً شق الحزن في خدودها أخاديد!
«ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» فامسح رؤوس اليتامى تعط
من الله الأجر العظيم، والخير العميم (٣).

٨- الفوز بالحسنات بالمسح على رأس اليتيم،

* عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من مسح رأس يتيم لم يمسحه

(١) أخرجه أبو يعلى وذكره الهيثمي في المجمع (١٦٢/٨)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح

(٤٣٦/١٠) بإسناد لا بأس به، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٥٣٧٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٣) منهاج الصالحين (ص: ٦٠٧).

إلا لله كان له بكل شعرة مرّت عليها يدهُ حسناتٌ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة هاتين، وفرّق بين أصبعيه السبابة والوسطى (١).

٩- الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله:

قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار» (٢) فالأرملة التي تُوفى عنها زوجها وقد يكون ترك لها أولاداً يتامى قد تجرعوا غُصص اليتم منذ نعومة أظفارهم، فهم أحوج ما يكون إلى يدٍ حانية تمتد لتمسح جراحاتهم من على صفحات قلوبهم المنكسرة ومن هذا المنطلق حثّ النبي ﷺ أصحاب القلوب الرحيمة على أن يتسابقوا من أجل هؤلاء اليتامى ومن أجل تلك الأم التي انكسر فؤادها بموت زوجها. فمن سعى عليها وعلى أولادها فهو كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يقوم الليل لينا جى ربه وهو كذلك كالذي يصوم النهار . . . فأين أصحاب العقول وأين المشعرون للفوز بهذا الأجر العظيم وتلك المكانة السامية!!؟

١٠- صحبة النبي ﷺ في الجنة:

قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما-» (٣).

وفي رواية: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» (٤).

* قال ابن بطال: حقٌّ على من سمع هذا الحديث - يعنى قول الرسول ﷺ -:

(١) أحمد (٢٥٠ / ٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٠ / ٨): رواه أبو داود باختصار ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب.

(٤) أخرجه الطبرانى في الأوسط كما في مجمع الزوائد (١٦٠ / ٨) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى

والطبرانى في الأوسط وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات، وصححه العلامة

الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٧٦).

«أنا وكافل اليتيم في الجنة» - أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك^(١).

روى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود كُن لليتيم كالاب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق واعلم أنه كما تزرع كذا تحصد.

وقال داود عليه السلام في مناجاته: إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي.

«وإطعام اليتامى من أعظم صفات أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢).

اليتيم يأخذ بيدك إلى الجنة

تعرّفوا على اليتامى واذهبوا إليهم وقدموا لهم الطعام والشراب والكساء فإن اليتامى لهم دولة يوم القيامة.

فإن كان اليتيم مؤمناً ومن أهل الجنة فإن الله - جل وعلا - عندما يأمر الملائكة بأن يأخذوه إلى الجنة... يقول لليتيم: اذهب فانظر في أرض المحشر فمن أطعمك في طعمة أو كسك في كسوة، أو سقاك في شربة ماء فخذ بيديه وأدخله الجنة!!!

فيا لها من لحظة عندما تكون في كُرب يوم القيامة في ذلك اليوم الذي يبلغ طوله خمسين ألف سنة... والناس حفاة عراة غرلاً والشمس قد دنت فوق الرؤوس والناس وقوف بلا طعام، ولا شراب، ولا ظل وقد خاض أحدهم في عرقه حتى أجمه إجماماً.. وجرى بجهنم لها سبعون ألف رمام

(١) فتح الباري (١٠/٤٥١).

(٢) سورة الإنسان: الآية: (٨).

مع كل رمام سبعون ألف ملك يجرونها فتزفر زفرة تكاد تنفلت منهم فلا يبقى ملكٌ مُقرب، ولا نبيُّ مرسلٌ إلا جثى على ركبتيه وقال: يا رب سلِّم. سلِّم. فبينما أنت في هذا الكرب وفي تلك الشدة التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (١) ويقول: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (٢)، تجد يتيماً كنت قد قدمت له الطعام والشراب في الدنيا فيأتيك ويقول لك: ألسنت أنت الذي قدمت لي الطعام والشراب في يوم كذا وكذا؟ فتقول: نعم. فيأخذ بيدك ويقول لك: فإن الله أمرني أن آخذ بيدك إلى جنته ومستقر رحمته.

فيا له من موقف أجد قلمي عاجزاً عن وصفه... إنها الفرحة التي لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من زخرف ومتاع. فلو أنك تملك الدنيا بأسرها لافتديت بها من هول يوم المحشر فها أنت الآن قد أنعم الله عليك بالمال فارحم يتامى المسلمين فكن عوناً لهم في الدنيا يكن الله في عونك في الدنيا والآخرة.

صور مشرقة من الإحسان إلى اليتامى

وها هي صور مشرقة من الإحسان إلى اليتامى نسوقها إليكم عسى أن تكون حادياً لنا جميعاً إلى الإحسان لليتامى.

* قصة تملأ القلب نورا *

قال أحد السلف: كنت في بداية أمرى مُكباً على المعاصي وشرب الخمر فظفرت يوماً بصبي يتيماً فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام وأزلت شعته وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم أن القيامة قد قامت ودُعيت إلى الحساب وأمر

(١) سورة الحج: الآية: (٢).

(٢) سورة المزمل: الآية: (١٧).

بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حفير ذليل يجروننى سحباً إلى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له إلى ربى فإنه قد أحسن إلىّ وأكرمنى . . .

فقلت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه . . .

قال: فاستيقظت وثبتت إلى الله عز وجل وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام . فيا إخوانى هيا بنا نبذل جهدنا لإيصال الرحمة إلى الأيتام فلعل الله أن ينفعنا بدعواتهم وشفاعتهم لنا يوم القيامة . . . فلنسرع الخطأ إلى هذا الخير . وليس إن حال كل واحد منا: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (١)

• قصة المرأة العلوية:

وروى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم . وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة .

فخرجت بناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت، فمرت بجمعين . جمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد . وجمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد . فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له . وقالت: أنا امرأة علوية، ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم . . . فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة . . . فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

البلد من يعرفني، فأعرض عنها. فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فمضت من عنده منكسرة القلب، ففجأت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتاماً، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم. فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فاطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وبيتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عُقد اللواء على رأس النبي ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر... شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية قلت: أقيمى عندى البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم: فانتبه الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دُلَّ عليها أنها عند المجوسى، فأرسل إليها فاتاه فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى. قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلى. قال: لا أفعل. فقال: لا بد منهن. فقال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى. أتدل على الإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك؟. قلت: نعم يا رسول الله. قال: القصر لك، ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمناً فى الأزل، قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله.

.. فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا(١) ..

• قصة عجيبة:

قال بعض الصالحين:

دخلت إلى «مصر» فوجدتُ حَدَّادًا يُخرج الحديد بيده من النار ويقبله على السُّندان ولا يجد لذلك الماء، فقلتُ في نفسي: هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار، فدنوتُ منه وسَلِّمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، فقلتُ له: بالذي مَنْ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لي، فبكى وقال: والله يا أخى ما أنا كما ظننت .

فقلتُ له: يا أخى إن هذا الذى تفعله لا يقدر عليه إلا الصالحون .

فقال: إن لهذا الأمر حديثًا عجيبًا .

فقلتُ له: إن رأيت أن تُعرفنى به فافعل .

قال: نعم، قال: كنت يوماً من الأيام جالساً فى هذه الدكان، وكنت كثير التخليط، إذ وقفت على امرأة لم أر قط أحسن منها وجهاً، فقالت: يا أخى هل عندك شيء لله؟

.. فلما نظرت إليها فنتتُ بها وقلتُ لها:

هل لك أن تمضى معى إلى البيت وأدفع ما يكفيك؟

فنظرت إلى زماناً طويلاً فذهبت وغابت عنى طويلاً ثم رجعت وقالت:

يا أخى قد أحوجتنى الضرورة إلى ما ذكرت .

قال: فقلتُ الدكان ومضيتُ إلى البيت، فقالت لى:

يا هذا إن لى أطفالاً وقد تركتهم على فاقة شديدة فإن رأيت أن تعطينى

شيئاً أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل .

(١) الكبائر للإمام الذهبي - تحقيق د. أسامة عبد العظيم (١٢١، ١٢٢).

قال: فأخذتُ عليها العهود والمواثيق ودفعتُ لها بعضاً من الدراهم فمضت وغبأت ساعة ثم رجعت فدخلتُ بها إلى البيت وأغلقت الباب فقالت: لمَ فعلت هذا؟

فقلتُ لها: خوفاً من الناس!

فقالت: ولمَ لا تخاف من رب الناس؟!

فقلتُ لها: إنه غفور رحيم.

ثم تقدمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة في يوم ريح عاصف، ودموعها تتحدر على خديها فقلت لها:

مِمَّ اضطرابك وبكاؤك؟

فقالت: خوفاً من الله عزّ وجل.

ثم قالت لي: يا هذا إن أنت تركتني لله دعوت الله لك ألا يعذبك بالنار في الدنيا والآخرة.

قال: ففقت وأعطيتها جميع ما عندي وقلت لها:

يا هذه قد تركتك خوفاً من الله عزّ وجل.

فلما فارقتني غلبتني عيني ففقت فرأيت امرأة لم أر قط أحسن منها وجهاً وعلى رأسها تاج من الياقوت الأحمر، فقالت لي: جزاك الله عنا خيراً.

قلت لها: من أنت؟

قالت: أنا أم الضبيبة التي أتتك وتركتها خوفاً من الله عزّ وجل لا أحرقك الله بالنار في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم أفقت من نومي ومن ذلك الوقت لم تعد عليّ النار وأرجو أن لا تعدو عليّ في الآخرة.



وقفات هامة

يقال: إنه يوجد في العالم الإسلامي أكثر من خمسة ملايين يتيم يحتاجون إلى كفالة، ونحن لن نتكلم اليوم عن جمعيات كبار لكفالة الأيتام أو عن وزارات تكفل الأيتام وتعمل في ذلك، لأننا في كلامنا لا نعتمد هذه الأشياء الرسمية... وليس ذلك قليلاً من شأنها لكن نريد من كل واحد منا أن يكون له جهد ذاتي في موضوعاتنا.

رُزرت أحد البلاد العربية فإذا بعدد اليتامى أربعمئة ألف لم يكفل منهم إلى الآن إلا خمسون ألفاً والباقي لا يزالون يحتاجون إلى كفالة. رأيت والله بعض هؤلاء يمشون في الشارع يسألون الناس: أحياناً الجمعيات الخيرية لا تستطيع أن تقوم عليهم أو لا يكون عندها من المصادر المالية ما يمكنها من أن ترعى بها هؤلاء الأيتام.

- فأين جيرانهم؟

أين مدرسوهم؟

- أين الناس الذين يرونهم في الشارع؟

لماذا لا يستطيعون أن يعاونوهم؟

من الأشياء التي نستطيع أن نفعلها مع هؤلاء: أن نُهديهم، وأن نذهب لمدارسهم، وأن نعرف المتفوقين منهم ونشجعهم على هذا التفوق، وعلى إبداعهم وعلى مشاركتهم الوجدانية، وهذا كله له دور وأثر كبير في الشخص وفي اليتيم نفسه.

- فلا بد أن يشعر بالعطف والحنان الخارجى.

وحبذا لو نفعل هذا معه دون أن نُشعره بأن هذا بسبب يُتمه.

والشخص الذى يفعل هذا تُفتح له الأبواب من حيث لا يدري بسبب

دعوة من هذا اليتيم.

ومن يُحسن إلى الناس يُحسن الله تعالى إليه . . . الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

إن مواساة أهل اليتيم ومواساة الأم فيه إشعارها بأن المجتمع معها وهذا بلا شك نوع من الخير.

* بعض الذين يتعاملون مع الأيتام يتعاملون معهم بدلالٍ زائد.

لما جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، إن في حجري يتيمًا. فما يحل لي وما يحرم؟ يعني كيف أتعامل معه . . . قال النبي ﷺ: «ما كنت مؤدبًا ولدك فأدبه مثله»، مثلما تضرب ولدك اضربه.

وذلك لثلا يبين أنك تعامله على أنه يتيم.

فعلينا أن نحرص على أن نصنع منهم أناسًا يغيرون مجرى التاريخ، فالإمام أحمد رحمه الله نشأ يتيمًا مات أبوه وعمره ثلاث سنوات، والشافعي أيضًا نشأ يتيمًا وسفيان الثوري نشأ يتيمًا، والأوزاعي إمام من أئمة الفقه نشأ يتيمًا.

ويكفيك أن رسول الله ﷺ وُلد أصلًا يتيمًا ومع ذلك غير مجرى الدنيا.

وغيرهم كثير نشؤوا أيتامًا، ومع ذلك استطاعوا أن يكون لهم أثر في التاريخ.

ومع رسالة من أجد اليتامي يقول فيها: على المجتمع ألا ينظر لليتيم نظرة الشفقة، فنحن تعبنا من هذه النظرة، نحن نريد الاحترام من الآخرين.

* أنا أذكر أن أحد الإخوة أحضر لقيطًا ليربيه وليرضعه مع ولده واتفق مع زوجته أن يقول للناس: إن هذا ابني وهو فعلاً ابنه من الرضاع -

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

فوافقت الزوجة وقالت: جزاك الله خيراً؛ فهذا أرحم من أن تتزوج علياً في الحقيقة وقالوا للناس هذا بالكذب، وربى الولد عنده، والناس يظنون أنه ابنه ولا يشكون لحظة في ذلك.

— صحيح أن هناك أوراقاً رسمية لا يطلع عليها أحد؛ لكن لا يعلم أنه ليس ابنه إلا هو وزوجته حتى أبنائه الكبار لا يعلمون.

ويقول: لله الحمد، كان راتبى قليلاً وكانت الحالة ميسورة، وبعدما جاء عندنا هذا اليتيم، أتت الدنيا كلها إلينا، وأصبح كل شيء متيسراً، فزاد المعاش وتحسنت الأمور المالية والنفسية وكل شيء، وإضافة إلى محبة الناس، والراحة مع الزوجة؛ وصارت الطمانينة في البيت والراحة.

بل يذكر أنه فعل كما فعل أصحاب الكهف الذين أطبقت عليهم الصخرة، وكانوا يذكرون أعمالهم الصالحة ويدعون الله بها. يقول: في بعض الأحيان حين تتعقد الأمور وتضعب أذكر الله سبحانه وتعالى بهذا الشيء وأقول: اللهم إن كنت تعلم أنى ما ربيت اليتيم إلا ابتغاء وجهك؛ فافرج عني كذا وكذا. فتفرج.

وهنا سألتناه سؤالاً: أحياناً ثقافة المجتمع عندنا ربما تحول بين بعض الناس وبين أن يفعل كهذا الرجل.

فكيف تلقت زوجتك وتقبلت أن تأتي بولد وتربيته مع أولادها ويكبر معهم؟

وكيف تقبل المجتمع الذى حولك هذا الأمر؟

فقال: بداية أنا جاءتنى الفكرة بسبب إحدى قريباتى، وكانت قد أتت بطفل وشجعتنى على هذا الأمر بسبب قولها لى: إن تربيتها لليتيم فتحت لها أبواب الرزق وكل شيء.

فعرضت هذا الموضوع على زوجتى وفى بداية الأمر كانت رافضة وبعد

الإقناع ولله الحمد أتينا باليتيم، وبعدهما أتينا به كان الناس سواء من أقاربي أو من أقاربها مستنكرين لهذا الأمر؛ لكن بداية الأمر كانت صعبة جداً.
توجد بعض دور الأيتام التي بها مجموعة من الأيتام الرُّضَّع الذين لا يزالون في الأشهر الأولى، يمكن للإنسان أن يتفق مع الدار، وأن يأخذ بعضهم إذا كانت زوجته تُرضع حتى تُرضعه؛ لأجل أن يصبح ولدًا له أو إذا كانت زوجته لها أخت مُرضعة، فليحاولوا أن يرضعه من تتحقق به المحرمية.

المقصود: أن عيش هؤلاء الأيتام في أسر خير من عيشهم في مجموعات.

ومن يخجل أن يأخذ طفلاً من دور الأيتام أو عنده شيء من هذا القبيل؛ يمكنه أن يستعوض عن هذا بجار له يتيم أو قريب يتيم.
* ولو رفضت الزوجة فكيف أقنعها؟

يمكن ذلك عن طريق تذكيرها بالأجر العظيم والثواب الجزيل.
ويقول لها الزوج: نأخذ هذا الولد وإذا لم ينصلح حاله بعد شهر أو شهرين أو ثلاثة؛ نعيده إلى دار الأيتام مرة ثانية.

ويذكر بعض الناس وهو من المهتمين بهذا الأمر أنه حصلت له بعض المواقف منها أنه كان في إحدى المتزهات وكان معه مجموعة من الأيتام من أصحاب الظروف الخاصة - مجهولي الأبوين - فكانت توجد مجموعة من القروء يلعبون على جانب الطريق فأراد بعض الأيتام أن يذهبوا إليهم ويلعبوا معهم، وأكبرهم في أولى إعدادي يعني في سن الثانية عشرة تقريباً.
وفي أثناء نزولنا كان يوجد أحد الآباء وكان معه مجموعة أيضاً من أبنائه؛ وكان هناك مشهد مؤثر؛ ألا وهو أنه كان هناك قرد صغير تحتضنه أمه كي لا يرمى عليه الأولاد شيئاً فيؤذيه.

فأراد الأب أن يقول لهم كلمة في بر الوالدين؛ لكن بطريقة حقيقية فقال لكل الموجودين بما فيهم الأيتام الذين معي: انظروا يا شباب إلى هذه الأم كيف تحمي أولادها؟ وبدأ يتكلم كلاماً طويلاً جداً عن الأم.

فجأة سكت جميع الأيتام الذين معي ثم تكلم أحد الأيتام وقال: أنا أمنيته أن تكون هذه أمي، ولو كانت قردة.

المشكلة: أننا قد نكون عرفنا حجم المشكلة التي يعاني منها الأيتام أصحاب الظروف الخاصة؛ لكن نسأل الله أن يعوضهم في الآخرة أو في الدنيا بأحد من أصحاب القلوب الرحيمة.

ويحكى هذا الرجل أن كثيراً منهم نجح في الحياة وفي الدراسة. ولو حظ أن بعض هؤلاء الأيتام سواء مجهولوا الأبوين أو غيرهم عندهم عدم ثقة بأنفسهم، وهذا يخرب حياته أكثر من نظرة المجتمع.

وأيضاً مجموعة كبيرة منهم يتمحورون حول مشكلتهم ويقولون: مشكلتي أنني يتيم واليتيم يحتاج إلى عطف.

* عندي بعض الحقائق سأعرضها عليكم:

* كنت أبحث في المنظمات التنصيرية وكيف يكون عملها في استغلال الأيتام خاصة في البلدان التي يقع فيها شيء من اضطهاد المسلمين.

أنتم تعرفون الاضطهاد الذي وقع على أفغانستان، وعلى العراق. فالعراق وحدها وصل عدد الأيتام فيها إلى مليونين ونصف يتيم. ومثل ذلك في أفغانستان، وعدد كبير في الصومال، وفي تشاد.

مع الأسف بعض الدول الظالمة تحدث مشاكل في هذه الدول الأخرى المسلمة، ثم ترسل بعض ذلك منظماتها ليدوروا في هذا العمل الحقيقير. ففي العراق دخل إليها مائة منظمة تنصيرية بحجة الإغاثة والمساعدة.

وبعد تسونامي في عام ٢٠٠٤م مباشرة دخلت المنظمات التنصيرية،

وأول مدرسة أنشئت للأيتام كان فيها ثلاثمائة يتيم ثم بعد ذلك صاروا يأخذون الأيتام ويرحلون بهم إلى الخارج حتى انتهت إليهم الحكومة الأندونيسية ومنعتهم من أن يسافروا بالأطفال تحت سن ستة عشر عاماً: لكن بعد خراب مالطا.

بل إن أحد المنصرين كتب وقال: نحن لا نأتى إليهم لننصرهم مباشرة، لكننا نعمل لهم أعمالاً تجعل هؤلاء الصغار يسألون: لماذا أنتم رُحماء؟ لماذا نحن فقراء؟ لماذا تساعدوننا؟ لماذا تضحكون لنا؟

فنقول لهم: إن يسوع هو الذي يأمرنا بذلك... يسوع هو الذي أرسلنا إليكم، ونحو ذلك.

توجد منظمة اسمها (وورلد هيلب) المساعدة العالمية أيضاً جاءت إلى «أتشيه» المدينة التي نكبت في تسونامى وكان لها أيضاً دور قوى جداً في التنصير، كانوا يأتون بالمنصرين كل أربعة أو خمسة في طائرة تحمل أكثر من أربعمئة راكب، ولا يوجد بها إلا هؤلاء المنصرون الذين يمكن أن يأتوا في أى طائرة أخرى، لكن الطائرة تكون فارغة ليس فيها سوى هؤلاء الأربعة أو الخمسة الركاب ثم يرجعون بها وقد امتلأت.

فينبغى علينا أن نكون كما قال الله عز وجل: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، ينبغى علينا أن نكون صادقين في العناية بهم؛ لعل الله تعالى أن يكفينا الشر بذلك^(٢).

* وفي الختام: أسأل الله (جل وعلا) أن يملأ قلوب المسلمين رافة ورحمة لهؤلاء الأيتام الذين انكسرت قلوبهم بموت آبائهم.
.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٢) ضع بصمتك/ د. محمد العريفي (ص: ٢٣٦-٢٤١) بتصرف.

النبي ﷺ
وصُحبة الصالحين

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ... وصحبة الصالحين

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

- فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه وهو يوصيهم وصية غالية ويقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(١).
فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا في هذه الليلة مع نعمة الصحبة الصالحة.

اصحاب الأخيار حتى لا تحزن

اعلم أيها الأخ الحبيب:

أن الصاحب كصاحبه، وأن القرين بالقرين، وأن الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والدجاج مع الدجاج، والنسور مع النسور، والصقور مع الصقور، كلٌ مع شكله، والطيور على أشكالها تقع، والخليل على دين خليله.

ففر من قرين السوء فرارك من الأسد، فهو أجرب مُعدٍ يُقودك إلى جهنم

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب والترمذي (٢٣٩٥) كتاب الزهد وحسنه العلامة الألباني

في صحيح الجامع (٧٣٤١).

إن أجبتك قذفتك فيها، وسيكون لك عدواً بين يدي الله الواحد الأحد، ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (١).

ها هو عقبه بن أبي معيط، كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة، ولا يؤذيه وكان كافراً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه ﷺ يؤذونه، وكان لابن أبي معيط صديق كافر غائب بالشام، وقد ظنت قريش أن عقبه قد أسلم لما يعامل النبي ﷺ من معاملة حسنة، فلما قدم خليله من الشام قالت قريش: ها هو خليلك.. ابن أبي معيط قد أسلم، فغضب خليله وقرينه غضباً شديداً وأبى أن يكلم عقبه، وأبى أن يسلم عليه حتى يؤذى النبي ﷺ، فاستجاب عقبه له وأذى النبي ﷺ حتى إنه خنقه بتلابيبه ذات مرة، وحتى أنه بصق في وجهه الشريف مرة أخرى، فاستأثر بكل حقارة ولؤم على وجه الأرض في تلك الساعة، وكان عاقبته أن مات يوم بدر كافراً، فأنزل الله فيه وفي أمثاله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (٢).

فإياك وصديق السوء، فإنه يعدى كما يعدى الصحيح الأجر.

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى (٣)

* فاحرص أيها الأخ الحبيب على صحبة الأخيار الذي يأخذون بيدك

إلى جنة الله - جلّ وعلا - ورضوانه.

(١) سورة الزخرف: آية (٦٧).

(٢) سورة الفرقان: آية (٢٧-٢٩).

(٣) هكذا علمتني الحياة/ للشيخ الحبيب على القرني - حفظه الله - (ص: ٧٦، ٧٧).

- فالمؤمن يتتبع بإخوانه الصالحين في الدنيا والآخرة.. فأما في الدنيا فهم الذين يحرصون كل الحرص على إيصال المنافع الدينية والدنيوية لإخوانهم، ويحرصون على دفع المضار عن إخوانهم.
- وأما في الآخرة فإن المؤمنين يشفع بعضهم لإخوانهم؛ ليدخلوا الجنة إذا أذن الله لهم بذلك - سبحانه وتعالى.

الناس كمعادن الأرض

لو تأملت في الناس لوجدت أن لهم طبائع كطبائع الأرض.. فمنهم الرفيق اللين.. ومنهم الصلب الخشن.. ومنهم الكريم كالأرض المنبثة الكريمة.. ومنهم البخيل كالأرض الجذباء التي لا تمسك ماءً ولا تُنبِت كلاً.. إذن الناس أنواع..

ولو تأملت لوجدت أنك عند تعاملك مع أنواع الأرض تراعى حال الأرض وطبيعتها.. فطريقة مشيك على الأرض الصلبة تختلف عن طريقتك في المشي على الأرض اللينة.. فأنت حذر متأن في الأولى.. بينما أنت مرتاح مطمئن في الثانية.. وهكذا الناس..

قال ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم: الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب»^(١)..

فعند تعاملك مع الناس انتبه إلى هذا - وانتبهى - سواء تعاملت مع قريب كأب وأم وزوجة وولد.. أو بعيد كجار وزميل وبائع..

ولعلك تلاحظ أن طبائع الناس تؤثر فيهم حتى عند اتخاذ قراراتهم.. وحتى تتيقن من ذلك.. اعمل هذه التجربة: إذا وقعت بينك وبين زوجتك

(١) أخرجه أحمد (٤٠٦/٤)، وأبو داود (٤٦٩٣) كتاب السنة، والترمذي (٢٩٥٥)، كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٥٩)..

مشكلة .. فاستشر أحد زملائك ممن تعلم أنه صلب خشن .. قل له:
زوجتي كثيرة المشاكل معي .. قليلة الاحترام لي .. فأشِر علي ..

كأني به سيقول: الحريم ما يصلح معهن إلا العين الحمراء!! اضربها
واجعل شخصيتك قوية عليها!! كن رجلاً!!

وبالتالي قد تشور أنت ويخرب عليك بيتك بهذه الكلمات .. أكمل
التجربة .. اذهب إلى صديق آخر تعرف أنه هين لين لطيف .. وقل له ما
قلت للأول .. ستجد حتماً أنه يقول: (يا أخى هذه أم عيالك .. وما فيه
زواج يخلو من مشاكل .. اصبر عليها .. وحاول أن تتحملها .. وهذه مهما
صار فهي زوجتك .. وشريكك في الحياة) .. فانظر كيف صارت طبيعة
الشخص تؤثر في آرائه وقراراته (١).

ولذلك أمرنا النبي ﷺ بصحبة الصالحين ونهانا عن صحبة الطالحين.
فالصاحب صاحب إما أن يأخذ بيدك إلى مرضاة الله (جل جلاله)،
وإما أن يأخذ بيدك إلى معصية الله؛ ... ولذلك جاءت وصية الحبيب
المصطفى ﷺ حينما قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا
تقى» (٢).



(١) استمتع بحياتك / د . محمد العريفي (ص: ٧٦).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب والترمذي (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (٣٨/٣)،

وحسن العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٣٤١).

لن تجد صديقاً مثاليًا... فلا تحزن

فمن الناس من يريد صديقًا تتوافر فيه كل المميزات ولا يوجد فيه أي شيء من العيوب والنقائص... وكأنه بذلك يريد أن يكون صديقًا لنبي من الأنبياء - صلوات ربي وسلامه عليهم-.

* أخى الحبيب: إن طلب الكمال من المحال.

- قال أحد السلف: نحن ما رضينا عن أنفسنا فكيف نرضى عن غيرنا؟! وقال بعض البلغاء: لا يُزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، ويطنت عقله - عيبٌ خفي - تحيط به كثرة فضائله، أو ذنبٌ صغيرٌ تستغفر له قوة وسائله، فإنك لن تجد - ما بقيت - مهذبًا لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب، فاعتبر بنفسك بعدُ ألا تراها بعين الرضا، ولا تجرى فيها على حكم الهوى، فإن في اعتبارك بها، واختبارك لها، ما يواسيك مما تطلب، ويعطفك على من يذنب، وقد قال الشاعر:

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايبه

* ونصحتي لك: أنه إذا حدثت هفوة من صديقك فاعف عنه وانظر إلى بحار حسناته وستجد أن تلك الهفوة ستذوب في تلك البحار.

وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقه بتقصيره في الأخوة... أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده - اعوجاجه - ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله.

وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان قد آخاه، فخرج إلى الشام، فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال: ما فعل أخى؟ قال: ذلك أخو الشيطان

قال: مه، ... قال إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر. قال: إذا أردت الخروج فأذني فكتب عند خروجه إليه «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حَمَّ ۝۱﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ (١). ثم عاتبه تحت ذلك وعزله. فلما قرأ الكتاب بكى وقال: «صدق الله ... نصح لي عمر فتاب ورجع ... وكذلك حكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كان إلي في هذا الوقت لما وقع في عشرته أن آخذ بيده وأتلف له في المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه».

قال جعفر بن سليمان: مهما فترت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاطي في العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه أسبوعاً ... وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية، ولذلك قال الله تعالى لنيه ﷺ في عشرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢). ولم يقل إنني برىء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب.

وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة. ولذلك قيل لحكيم: أيما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقاً لي. وكان الحسن يقول: كم من أخ لم تلده أمك. ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة.

وقال بعضهم: الصبر على مريض الأخ خير من معاتبته، والمعاتبة خير من القطيعة، والقطيعة خير من الوقعة. وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند

(١) سورة غافر: الآيات: (١ - ٣).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (٢١٦).

الوقية. قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

وقال علي عليه السلام: «أحب حبيك هوناً ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما وأبغض بغضك هوناً ما عسى أن يكون حبيك يوماً ما» (٢).

وقال عمر بن الخطاب: «لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً، وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك».

ترك المعاتبة من المروعة

إن أردت أن تكون محبوباً لدى الناس فاعف عنهم واترك معاتبتهم قدر استطاعتك فإن الناس لا يحبون من يعاتبهم أو يوبخهم.

* وتأمل معي كيف أنه لما حدثت هفوة يسيرة بين ابن السماك - واعظ هارون الرشيد - وبين صديق له فقال له هذا الصديق: الميعاد بيني وبينك غداً نتعاب.

فقال له ابن السماك: بل بيني وبينك غداً نتغافرا!

وهو جواب يأخذ بمجامع القلوب، ملؤه فقه وواقعية، يشير إلى وجود قلب وراء هذا اللسان يلدغه واقع المسلمين، وتؤلمه أسباب تفرقهم.

فلماذا التعاتب المكفهر بين الإخوة؟ كل منهم يطلب من صاحبه أن يكون معصوماً!

أليس التغافر أولى وأطهر وأبرد للقلب؟

أليس جمال الحياة أن تقول لأخيك كلما صالحته: رب اغفر لي ولأخي،

ثم تضمر في قلبك أنك قد غفرت له تقصيره تجاهك؟

(١) سورة المنتحة: الآية: (٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٩٧) كتاب البر والصلة، من حديث أبي هريرة عليه السلام، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨) موقوفاً على (على).

أو ليس عبوس التعاتب تعكيراً تصطاد الفتن فيه كيف تشاء؟
بلى والله . . .

وما أحسن قول الشاعر:

من اليوم نمارفنا
ونطوي ما جرى منا
فلا كان ولا صار
ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولا بد

من المعتبى فبالحسنى
ثم يابى إلا أن يزيد مرحة - مع إخوانه - فيبدل نغمته قائلاً:

تعالوا بنا نطوي الحديث الذي جرى
ولا سمع الواشى بذاك ولا درى
تعالوا بنا حتى نعود إلى الرضا
وحتى كان العهد لم يتغيراً
لقد طال شرح القول والقبيل بيننا

عفا الله عن ذاك العتاب الذي جرى

ثم يبدل نغمته ثالثة، ويتملق أصحابه؛ ليديم محبة أخويةً لذيذة قد ذاق
طعمها الفريد، فيقول:

تعالوا نخلّ العتبَ عنا ونصطلح
وعودوا بنا للوصل فالعود أحمدُ
ولا تخذشوا بالعتب وجه محبة
له بهجة أنوارها تنوقد^(١)

* * *

(١) انظر العوائق (ص: ١٢٩ - ١٣١).

كُنْ سَلِيمَ الصَّدْرِ لِأَخْوَانِكَ

يقال إن أطول الناس أعماراً وأسعدهم عيشاً وأهدأهم بالاً من سلمت صدورهم وطهرت سرائرهم وزكت بواطنهم، فلا يحسدون أحداً ولا يحملون الغلّ والحقد على أحد... ينامون ملء جفونهم بلا غم ولا قلق ولا أرق،... ويسهر غيرهم، لأن قلوبهم قد امتلأت غشاً وحقدًا وحسدًا، فقلوبهم مشتعلة، فكيف يقرّ لهم قرار، وكيف يغمض لهم جفن؟^(١).

* فالمؤمن سليم الصدر لا يحسد ولا يحقد.

وإن أدنى ثمرات المحبة التي يفرسها الإيمان في قلب المؤمن هي سلامته من الغلّ والحسد، فإن أنوار الإيمان كفيّلة أن تُبدد دياجير الحسد من قلبه، وبذلك يُمسي ويُصبح سليم الصدر، نقي الفؤاد، يدعو بما دعا به الصالحون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

المؤمن لا يحسد، لأن الحسد - كما سماه رسول الله - «داء» من أدواء الأمم، داء نفسى يصنع بالروح ما تصنع الأوبئة بالأجسام، فهو غم على صاحبه، ونكد دائم له، وغيظ لقلبه لا ينتهى أمدّه، بل هو داء جسدى أيضاً، يُنهِك القوى، ويؤذى البدن، ويُغَيِّرُ الوجه.

والمؤمن لا يحسد، لأنه يحب الخير لعباد الله جميعاً، وهو لا يعارض ربه في رعاية خلقه أو تقسيم رزقه ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾^(٣).

إنه مؤمن يعدل ربه فيما قسم من حظوظ، وما وزع من مواهب، ويعتقد

(١) لا تخزن وكن مطمئناً (ص: ٢٩).

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣٠).

أن قضاءه تعالى في خلقه صادر عن حكمة بالغة يعرف منها ويجهل، وقد قيل: «الحاسد جاحد، لأنه لم يرض بقضاء الواحد» ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١).

ومن هنا نرى المؤمن لا يفرح بالمصيبة تنزل بغيره، ولا يحزن للنعمة يسوقها الله إلى عبد من عباده.

والمؤمن لا يحسد، لأن همته منوطة بما هو أرفع وأبقى من الدنيا التي يتنافس عليها الناس، ويتحاسدون، وإنما يوجه همته إلى معالي الأمور، إلى المعاني الباقية: إلى الآخرة والجنة.

روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» (٢). . . ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٣).

وقال ابن سيرين: ما حدث أحدًا على شيء من أمر الدنيا . . . إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في جنب الجنة؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على الدنيا وهو يصير إلى النار؟

والمؤمن لا يحقد، لأنه عفو كريم، يكظم غيظه وهو يستطيع أن يمضيه، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويتسامح وهو صاحب الحق، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات، فالعمر لا يتسع لمثل هذا العدا، والدنيا لا تستحق عنده هذا العناء. فكيف يُسلم قلبه للعداوة والأحقاد فتنهشه أفاعيها السامة؟

وكيف يبیت وفي قلبه لأخيه شحناء العداة فيبیت بعيداً عن رحمة الله؟ في الحديث: «تعرض الأعمال كل يوم اثنين وخميس، فيغفر الله عز وجل في

(١) سورة النساء: الآية: (٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

ذلك اليوم لكل امرئ لا يُشرك بالله شيئاً، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»^(١).

والمؤمن لا يحسد ولا يبغض، لأن الحسد والبغضاء من بذور الشيطان، وللمحبة والصفاء من غرس الرحمن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾^(٢).

هذا - وسلامة القلب من الضغن والحسد أول ما يتصف به المؤمن، بل أدنى ما يتصف به. ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه^(٣).

إن سلامة صدرك لإخوانك سبب في دخول الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة»، فطلع رجلٌ من الأنصار تنطف لحيته^(٤) من وضوئه، وقد تعلق نعليه في يديه الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: «إني لآحيت أبي^(٥) فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم.

قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث،

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٣) الإيمان والحياة (ص: ١٧٦ ، ١٧٨) بتصرف.

(٤) تنطف لحيته: يساقط منها الماء.

(٥) لآحيت أبي: أى: نارعه.

فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعارَ وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل - حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً.

فلما مضت الثلاث ليالٍ، وكدتُ أحترق عمله قلت: يا عبد الله! إنني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرارٍ: «يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرارٍ، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به، فلم أرك تعمل كثير عملٍ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت!!

قال: فلما وليتُ دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطبق^(١).
* فيا أخى الحبيب:

- كن سليم الصدر لإخوانك لتسعد في الدنيا والآخرة.
- ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.
- ازهّد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس.
- لا تحمل في قلبك غلاً ولا غشاً ولا حقداً لأحدٍ من المسلمين ولا تحسد أحداً.
- لا تحزن على ما فاتك من الدنيا... فالدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (١،٢٢٨٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (٢٣٨/٤): وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين.

فضائل الأخوة في الله

إن فضائل الأخوة في الله كثيرة جداً وسأكتفى بذكر بعضها:
(١) أنها سبب لتنوق حلاوة الإيمان:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يجد حلاوة الإيمان؛ فليحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل» (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (٢).

(٢) محبة الأخ لأخيه من أوثق عرى الإيمان:

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله» (٣).

(٣) أن الاجتماع قوة:

أن الاجتماع قوة ومجالس أهل التقوى يهابها شياطين الجن والإنس، أما إذا اعتزل المؤمن إخوانه الصالحين، فإنه يصبح عرضة للوساوس والأفكار ولذلك قال ﷺ: «عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» (٤).

(٤) أن رؤيتك لأهل الاستقامة تجعلك تجتهد في طاعة الله جل وعلا . .

(١) صحيح: رواه أحمد (٧٩٠٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٨٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه الطبراني (٢١٥/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠/٧)، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٩٨).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٥٤٧) كتاب الصلاة، والنسائي (٨٤٧) كتاب الإمامة، وأحمد (٢١٢٠٣)، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٠٦٧).

قال عليه السلام : «أولياء الله تعالى الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى» (١) فإن كان هذا الخير يحصل لمن رآهم فكيف بمن يجالسهم . . .

ولهذا قال سفيان: لربما لقيت الأخ من إخواني فأقيم شهراً عاقلاً بلفائه .
(٥) أن مجالسة أهل التقوى تجعلك تعرف من خلالهم أناساً آخرين من أهل الخير فيكونون لك ذخراً في الدنيا والآخرة.

(٦) أنهم يجعلونك في زيادة دائمة في العلم والعبادة: وذلك لأنهم يتسابقون دائماً إلى الخير . . . فتكون كل يوم في زيادة . . . ولهذا قال الحسن البصري: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فآلقها في نحره.

وقال عثمان بن الحكيم: اصحب من هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا .
(٧) أنهم يأخذون بيدك إلى فعل الخيرات وترك المنكرات والتزود من النوافل والسعى إلى مرضاة الله جل وعلا.

(٨) أنهم يحفظون غيبتك فلا يفشوا لك سرّاً، ولا يتهكوا لك حرمة بل يدافعون عنك في كل زمان ومكان.

(٩) أنهم مرآة لك تتعرف من خلالهم على أخطائك وعيوبك وتسمى لإصلاحها.
قال الحسن البصري: قد كان من قبلكم من السلف الصالح يلقي الرجل الرجل فيقول: يا أخي ما كل ذنوبي أبصر، ولا كل عيوبي أعرف فإذا رأيت خيراً فمرني، وإذا رأيت شراً فانهني . . . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلينا مساوينا، . . . وكان أحدهم يقبل موعظة أخيه فينتفع بها (٢).

(١٠) أن مجالسة أهل الصلاح اغتنام للأوقات في العلم والتعلم والذكر وغيره.

(١١) أنك تأنس بهم في الرخاء، وكذلك فهم عدة في البلاء . . . يمدون

(١) صحيح: رواه الحكيم (٤/ ٨٠)، وابن المبارك (١/ ٧٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٣٣).

(٢) الزهد/ للحسن البصري (ص ١٤٣).

لك يد العون لتخفيف همك وغمك ويقدمون لك النصائح الغالية .

قال عمر بن الخطاب: «عليك بإخوان الصدق، فَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ، فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي الرِّخَاءِ، وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ» .

وقال رجل لداود الطائي: أوصني . قال: «اصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة» .

(١٢) أن مجالسهم هي مجالس المغفرة والرحمة... كما قال ﷺ: «ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم: قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبُذلت سيئاتكم حسنات» (١) .

(١٣) أن من يجالس الصالحين تشمله بركة مجالسهم ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم .

كما دل على ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة... وفي آخره: «قال: فيقول الله: فأشهدكم اني قد غفرت لهم، قال: فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة» وفي لفظ: «فيهم فلان عبد خطأ إنما مر فجلس معهم، فيقول: هم الجلساء لا يشقى جلسهم» وفي لفظ: «فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جلسهم» (٢) .

قال أبو الفضلة الجوهري: إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم فهذا كلب أحب أهل الفضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله... ويعنى بالكلب: كلب أهل الكهف المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بِأَسْطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (٣) .

قال القرطبي في تفسيره بعد إيراد لكلام الجوهري: قلت: إذا كان بعض

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٢١٢/٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦١٠) .

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

(٣) سورة الكهف: الآية: (١٨) .

الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصالحاء والأولياء، حتى أخبر الله بذلك في كتابه جل وعلا، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين^(١).

(١٤) ومنها أن المرء مجبول على الاقتداء بجليسه والتأثر بعلمه وعمله وسلوكه ومنهجه فمجالس أهل الخير يتأثر بهم.

قال سفيان بن عيينه: انظروا إلى فرعون معه هامان... انظروا إلى الحجاج معه يزيد بن أبي أسلم شر منه... انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقومه وسدده^(٢).

وقال ابن مسعود: ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب^(٣).

وقال مالك: الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط والصعو مع الصعو، وكل إنسان مع شكله^(٤).
وقال عدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقنلدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

(١٥) أن جليسك الصالح يكفك عن المعاصي لحياثك منه وبذلك تعناد ترك المعاصي لكثرة مجالسة أهل الصلاح.

(١٦) أنك تنتفع بدعائهم لك في الحياة الدنيا - بظهر الغيب - وبعد مماتك.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٧٢) في تفسير سورة الكهف.

(٢) كتاب العزلة (ص ١٤١).

(٣) أدب الدنيا والدين / للماوردي (ص ١٦٧).

(٤) روضة العقلاء / لابن حبان (ص ١٠٩).

قال عليه الصلاة والسلام: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»^(١).
قال عبيد الله بن الحسن لرجل: استكثر من الصديق -يعنى: الصالح- فإن أيسر ما تصيبه أن يبلغه موتك فيدعو لك^(٢).

(١٧) إن الله أوجب محبته للمتحابين فيه:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله سبحانه وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتبازلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى، فأرصد^(٤) الله سبحانه وتعالى على مدرجته^(٥) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه نعمة تربها^(٦) عليه؟ قال: لا، غير أنني أحبته في الله تعالى قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك، كما أحبته فيه»^(٧).

وقال تعالى: «حُتَّتْ محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتبازلين فيَّ.... المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانتهم النبيون والصديقون والشهداء»^(٨).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) كتاب الإخوان (ص ١١٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٥٢٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٣١).

(٤) أرصده لكنا: أعدده له، ووكله بحفظه.

(٥) المدرجة: الطريق، سُميت بذلك، لأن الناس يمرون عليها.

(٦) تربها: أي يقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٨) صحيح: رواه أحمد (١٨٩٤٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٣١).

(١٨) أن المحبة في الله من الإيمان، وإفشاء السلام سبب لحصولها:
 فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (١).

قال النووي - رحمه الله -:

وأما معنى الحديث: فقله رضي الله عنه: «ولا تؤمنوا حتى تحابوا» معناه: لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب» (٢).

(١٩) أن الحب في الله والبغض في الله دليل على كمال إيمان العبد.
 قال رسول الله ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» (٣).

(٢٠) ومن فوائد المحبة في الله أن الله يكرم من أحب عبداً لله.
 وإكرام الله للمرء يشمل إكرامه له بالإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وسائر صنوف النعم.
 عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب عبداً لله إلا أكرمه الله» (٤).

(٢١) أن أعظم الأصحاب عند الله منزلة أشدهما حباً لصاحبه:
 فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحابَّ اثنان في الله - سبحانه وتعالى - إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه» (٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٣٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٨١) كتاب السنة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٣١).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٧٢٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٥٦).

(٥) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٤)، وأبو يعلى (١٤٣/٦)، وابن حبان (٥٦٦)، والحاكم (١٨٩/٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٥٩٤).

وعن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه» (١).

(٢٢) أن المرء يُحشر مع من أحب:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟» قال: لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت»، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت» قال أنس: فإنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم (٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم؟ فقال ﷺ: «المرء مع من أحب» (٣).

(٢٣) المتحابون في الله يظلمهم الله في ظل عرشه يوم القيامة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - سبحانه وتعالى - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، - وذكر منهم - ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه» (٥).

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٤٤) كتاب البر والصلة، وأحمد (٦٥٣٠)، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢٤) أن المتحابين في الله لهم منابر من نور، يجلسون عليها يوم القيامة: فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - المتحابون في جلالى لهم منابر من نور، يغبطهم^(١) النبيون والشهداء»^(٢).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله سبحانه وتعالى: حُتَّتْ^(٣) محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ، المتحابون فيَّ على منابر من نور، يغبطهم النبيون والصدِّيقون، والشهداء»^(٤).

(٢٥) أنك تتفع بشفاعتهم لك يوم القيامة:

إن صحبة أهل الإيمان تثمر لك الخير كله في الدنيا والآخرة. فأما في الدنيا: فإنه يُذكرك بالله ويعينك على طاعته وينصرك إذا كنت في حاجة إلى النصرة ويبدل لك كل ما يستطيع من أجل أن يُدخل عليك السرور والسعادة.

وفي الآخرة يشفع لك عند الله (عز وجل).

قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٥) ولذلك فعلينا أن نتعاهد من الآن على أنه من أذن الله له بالشفاعة يوم القيامة أن يشفع لإخوانه المؤمنين.

(١) الغبطة - بكر الفين: تمنى مثل ما للمغبوط من نعمة دون تمنى روالها عنه، وليت بحمد، والفعل غبط من باب ضرب:

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٥٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٣) حقت: وجبت.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٤٩٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

قال ﷺ موضحاً هذا المشهد المهيّب من مشاهد يوم القيامة - عندما يشفع المؤمنون لإخوانهم-: «...ثم يُضرب الجسرُ على جهنم، وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سلِّم سلِّم». قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحض مزلَّةٌ، فيه خطاطيف، وكلايب، وحسكة تكون بنجد، فيها شويكة، يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسلِّم، ومخدوشٌ مُرسل، ومكدوسٌ في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرَّم صورهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته. فيقولون: ربنا ما بقى فيها أحد من أمرتنا به، فيقول الله عز وجل: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً من أمرتنا به. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً»^(١).

(٢٦) أنك بمحبتك للصالحين وزيارتك لهم تقترب من الجنة شيئاً فشيئاً قال ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: «النبي في الجنة، والصدِّيق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٤٠) كتاب التوحيد، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى في الكبير (١٤٠/١٩)، وفي الأوسط (١١/٦)، وصححه العلامة الألبانى

رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٨٧).

أسباب تقوية الأخوة والمحبة

(١) إخبار من تحبه بأنك تحبه في الله،

قال ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه»^(١)، وفي رواية: «إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه فإنه أبقي في الألفة وأثبت في المودة»^(٢).
وكما حدث بين أبي إدريس الخولاني عندما قال لمعاذ بن جبل: والله إنني لأحبك لله.. ولك أن تتخيل معي أن أخاك المسلم أقبل عليك وقال لك: إنني أحبك في الله.. ألا تتحرك عاطفة المحبة في قلبك لأخيك وتشعر وقتها بأن لك مكانة في قلب إخوانك المؤمنين فتزداد حبا لهم!!؟

(٢) القصد في الحب والبغض،

وهو ألا تبالغ في محبتك لإخوانك فوق المقصود أو تبالغ في كراهيتك لأعدائك.. لأنه قد ينقلب الحال فيصبح الصديق أعلم بالمضرة. ولذا قال علي رضي الله عنه: «أحب حبيبي هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبي يوماً ما»^(٣).

(٢) قضاء حوائج إخوانك وإدخال السرور عليهم،

قال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخى المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه

(١) رواه البخاري في الأدب (١/١٩١، رقم ٥٤٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤١٧).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص ١٢٠، رقم ٦٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٨٠).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

ملا الله قلبه رضا يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل^(١).

(٤) إهشاء السلام،

لقول النبي ﷺ: «والذي نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٢).

(٥) كثرة الهدايا بين الإخوة،

لقوله ﷺ: «تهادوا تحابوا»^(٣) فالهدية لها أثر عظيم ووقع جميل في قلوب الناس... فالإنسان مجبول على محبة ما يهدى إليه وعلى محبة صاحب الهدية ولذلك فالهدية مطلوبة لإيجاد المحبة بين المؤمنين وكذلك لدعوة الناس إلى دين الله جل وعلا.

(٦) حسن الظن بإخوانك،

وذلك لأن سوء الظن يوجد البغضاء بينهم... وحسن الظن يجعل المؤمن يشعر بمحبة أخيه له وبقيمته وقدره عنده وتلك أمور تجلب المحبة بينهم.

(٧) تخول الزيارة،

لقوله ﷺ: «زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا»^(٤) وذلك لأن كثرة الزيارة قد توجد في القلب شيئاً... وأما قلة الزيارة تجعل الإنسان في شوق شديد لرؤية ذلك

(١) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه البيهقي (١٦٩/٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (٩/١١)، وابن عدى (١٠٤/٤)، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (١٦٠١).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٢١/٤)، والحاكم (٣/٣٩٠)، وتمام (١/٣٥)، رقم (٦٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٥٦٨).

الإنسان . . . كما قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» قال: فتزلت هذه الآية ﴿وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ (١) إلى آخر الآية (٢).

(٨) الحرص على الطاعة وترك المعصية:

فالطاعة هي التي تجمع بين المؤمنين . . . والمعصية هي التي تفرق بينهم كما قال النبي ﷺ: «ما نوأد اثنان في الله فيُفرق بينهما إلا بذنب يُحدثه أحدهما» (٣).

وقال في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله: «ورجلان محابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه» (٤).

ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٥).

قال ابن كثير رحمه الله (٦): يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين، الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ . . . ثم أورد حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحبيت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأجوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له

(١) سورة مريم: الآية: (٦٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٧٣١) كتاب تفسير القرآن.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥٣٣٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٣٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الاذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٥) سورة مريم: الآية: (٩٦).

(٦) تفسير ابن كثير (١٢٨/٣) دار الريان.

— النبي ﷺ... وصحبة الصالحين ————— ٣٣٣ —
القبول في الأرض،^(١).

* كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد: سلام عليك أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حَبَّه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه بَغَّضه إلى عباده^(٢).

* فأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا لذة الحب في الله وأن يجمعنا في الفردوس الأعلى إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

* * *

(١) منفق عليه: رواه البخارى (٦٠٤٠) كتاب الادب، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) إنما المؤمنون إخوة للمصنف (٨-١١).

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ ...
والإحسان إلى الجار

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ... والإحسان إلى الجار

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
فلما أذن لنا النبي ﷺ ودخلنا وجدناه جالساً بين جماعة من أصحابه ليخبرهم بهذه الوصية الغالية التي أوصاه بها جبريل (عليه السلام).
فقال لهم ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).

* فتعالوا بنا لتعايش في هذه الليلة بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الإحسان إلى الجار.

حق ضائع

لا شك أن حق الجار أصبح من الحقوق الضائعة في هذا الزمان بين كثير من الناس.

فأكثر الناس لا يعانى فقط من عدم إحسان جاره إليه... بل إنه يعانى من إيذاء جاره له - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٥) كتاب البر والعلة والآداب.

وما علم هذا الإنسان الذي يؤذى جاره أن هذا الفعل يقدر في دينه وإيمانه فقد أقسم النبي ﷺ على ذلك فقال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(١).
أي لا يأمن: شروره وأثامه وأذاه.

* فتعالوا بنا لنعرف حق الجار في ظل هذا الدين العظيم ولنبدأ صفحة جديدة نملؤها إحساناً وإكراماً لجيراننا حتى تعود المحبة بين المسلمين مرة أخرى كما كانت في عهد النبي ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم.

مكانة الجار في الجاهلية والإسلام

كان العرب في الجاهلية يُعظمون حق الجار، ويحترمون الجوار، ويعتزون ببناء الجار عليهم، ويفخرون بذلك، وكان منهم من يحفظ عورات جاره ولا يتهكها، وقد قال عترة بن شداد في ذلك شعراً:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي

حتى يوارى جارتي مشواها

* وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ثلاثة أخلاق كانت في الجاهلية مستحبة والمسلمون أولى بها:

أولها: لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا في بره.

والثاني: لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع.

والثالث: إذا لحق بجاره ديسن أو أصابه شتت أو جهد اجتهدوا حتى يقضوا دينه وأخرجوه من تلك الشدة^(٢).

(١) رواه البخاري (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٢) تنبيه الغافلين (ص: ١٠١).

وحيثما جاء الإسلام أكد حق الجوار، وحث عليه، وجعله كالقربة، حتى كاد أن يورث الجار من جاره؛ كما قال النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

الجيران ثلاثة

قال العلماء: «الجيرانُ ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق. فالجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم، وأما الذي له حقان فالجار المسلم. له حق الجوار وحق الإسلام. وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك، وجاء بذلك حديث لكنه ضعيف، وهذا التقسيم موافق لما جاءت به الآيات والأحاديث بالنسبة لحق المسلم وحق القريب وحق الجار، كما أنه موافق للتقسيم العقلي الاستقرائي وعلى هذا فللجار الكافر مهما كان كفره حق الجوار في الإحسان إليه وترك إيذائه»^(١).

منزلة الجار في الإسلام

للجار منزلة عظيمة، ومكانة عليّة، يدلُّ على ذلك كثرة النصوص الواردة في الحث على الإحسان إليه، والترغيب في ذلك، ولتقتطف من تلك النصوص ما يلي:

١ - قال الله سبحانه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ^(٢) وَالْجَارِ الْجُنُبِ^(٣)﴾^(٤).

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام لحسن أيوب (٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) الجار ذي القربى: الذي بينك وبينه قرابة.

(٣) الجار الجنب: الذي ليس بينك وبينه قرابة.

(٤) سورة النساء: الآية: (٣٦).

٢- وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه» (١) (٢).

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أنه ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٣).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره». وفي رواية لمسلم: «فليحسن إلى جاره» (٤).

٤- وعنه أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن!»، قيل: «من يا رسول الله؟!» قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» (٥) (٦). وفي رواية: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» (٧).

٥- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن» (٨) (٩).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: «يا رسول الله! إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟» قال: «إلى أقربهما منك باباً» (١٠).

(١) أي: ظننت أنه سيلفني عن الله الأمر بتوريث الجار جاره. وفي هذا تأكيدٌ عظيمٌ على الحث على رعاية حقوقه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (١٩٤٣) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (٨٩١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٥) البوائق: الغوائل والشور، والمفرد: بائقة.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٨) قال الجوهري: «الفرسن من البعير كالحافر من الدابة». قال: «وربما استُعير في الشاة».

(٩) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٦٦) كتاب الهبة، ومسلم (١٠٣٠) كتاب الزكاة.

(١٠) صحيح: رواه البخاري (٢٢٥٩) كتاب الشفعة.

٦- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنع جار جازه أن يغرز خشبة في جداره». ثم يقول أبو هريرة: «ما لي أراكم معرضين؟»^(١)، والله، لأرمين بها بين أكتافكم^(٢)»^(٣).

وفي رواية: «نهى رسول الله ﷺ أن يمنع جاره أن يغرز خشبهُ في داره»^(٤).
٧- وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة^(٥)، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»^(٦).

وفي رواية: أن أبا ذر قال: إن خليلي ﷺ أوصاني: «إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف»^(٧).

٨- وعن ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»^(٨).

٩- وعن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أسر عليه من أن يزني بامرأة جاره». قال: «ما تقولون في السرقة؟» قالوا: «حرمها الله ورسوله، فهي حرام». قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة آيات أسر عليه من أن يسرق من بيت جاره»^(٩).

(١) يعنى: عن هذه السنة.

(٢) أى: بينكم. وفيه وجوب تمكين الجار من وضع الخشب على جدار جاره، وهو مذهب أحمد وغيره.

(٣) مضع عليه: رواه البخارى (٢٤٦٣) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٦٠٩) كتاب المساقاة.

(٤) انظر السابق.

(٥) أى: فامرق من لحم دجاج، وغنم، ونحو ذلك.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) انظر السابق.

(٨) صحيح: رواه الترمذى (١٩٤٤) كتاب البر والصلة، وأحمد (٦٥٣٠)، وصححه العلامة الألبانى

رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٣).

(٩) صحيح: رواه أحمد (٢٣٣٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٤٣).

١٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: «يا رسول الله! إن فلانة تصلي الليل، وتصوم النهار، وفي لسانها شيء، تؤذي جيرانها، سليطة». قال: «لا خير فيها، هي في النار». وقيل له: «إن فلانة تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأنوار^(١)، وليس بها شيء غيره، ولا تؤذي أحداً». قال: «هي في الجنة».

ولفظ الإمام أحمد: «ولا تؤذي بلسانها جيرانها»^(٢).

حقوق الجار

ولقد شرع الإسلام للجار حقوقاً عظيمة منها:

* الحق الأول، الإحسان إليه،

أما الحق الأول فإنه الإحسان إلى الجيران، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بذلك في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾^(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»^(٤).

وقد أمر النبي بإكرام الجار وجعل ذلك من لوازم الإيمان، فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره».

بل أقسم النبي ﷺ على أن من يؤذي جاره، ولا يؤمن من شروره وغوائله بأنه متنفٍ عنه الإيمان... فعن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن». قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(٥).

(١) الأنوار: هو اللبن الجامد المشحجر.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٩٣٨٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٥٦٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٦) كتاب الأدب، ومسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

* بل إن من أوليات دعوة النبي ﷺ الأمر بحسن الجوار؛ كما جاء في قصة أبي سفيان مع هرقل أن هرقل قال لأبي سفيان: بما يأمركم، فقال أبو سفيان: (يأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء).

* الحق الثاني، أن يحب لجاره ما يحب لنفسه من الخير،

أيها المؤمنون، إن من الإحسان إلى الجيران سلامة القلب عليهم، وحب الخير لهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسى بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه»^(١).

وفي هذا تأكيد حق الجار، وأن الذي لا يحب لجاره ما يحب لنفسه من الخير فإنه ناقص الإيمان، وفي هذا غاية التحذير ومنتهى التنفير عن إضرار السوء للجار قريباً كان أو بعيداً.

* الحق الثالث، أن يؤدي إليه كل حقوق المسلم على أخيه المسلم،

فإن الجار أولى وأحق بها، فيحسن إليه من كل وجه، يعوده إذا مرض، ويشمته إذا عطس، وينصحه بما يراه خيراً له، ويلبى دعوته، ويتفقد أهله وأولاده في حال غيابه أو سفره، وبعد مماته، ويتبع جنازته إذا مات، ويدعو له، ويأخذ بيده إلى الخير، إلى غير ذلك من الحقوق.

* الحق الرابع، كف الأذى عنه،

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن».

قيل: من يا رسول الله؟

قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣) كتاب الإيمان، ورواه مسلم (٤٥) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

أى: لا يأمن شره وخطره، وفى رواية لمسلم قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»^(١).

وهذا فيه تعظيم حق الجار ووجوب كف الأذى عنه، وأن إضراره من كبائر الذنوب وعظائم المعاصي، وقد عظم الله (جل وعلا) إلحاق الأذى بالجار، وغلظ فيه العقوبة، فى الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم؟ فقال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك»، قلت: ثم أى؟ قال: «أن تزانى حليلة جارك»^(٢).

وقد جاءت الأدلة مشددة فى كف الأذى عن الجار ومحذرة كل التحذير، وقد ربط عدم الإيذاء للجار بقضية الإيمان بالله واليوم الآخر، فى الحديث عن أبى هريرة قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»^(٣).

ونبه على عظم خطر إيذاء الجار على الأعمال الصالحة، فى الحديث عن أبى هريرة أنه قيل للنبي: يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتتصدق وتؤذى جيرانها بلسانها، فقال رسول الله: «لا خير فيها، هى من أهل النار»، قالوا: وفلانة تصلى المكتوبة وتتصدق بأثوار أقط ولا تؤذى أحداً - يعنى: عملها قليل غير أنها لا تؤذى أحداً - فقال رسول الله: «هى من أهل الجنة»^(٤).

* ولقد ضرب رسول الله أروع الأمثلة فى كف الأذى عن الجار.

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٩٣٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٥٦٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم يشكو جاره فقال له: «أذهب فاصبر» فاتاه مرتين أو ثلاثاً.

فقال: «أذهب فاطرح متاعك في الطريق».

ففعل فجعل الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنونه، فعل الله به، وفعل، وبعضهم يدعو عليه فجاء إليه جاره.

فقال: ارجع فإنك لن ترى مني شيئاً تكرهه (١).

* ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له:

إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ، فقال ابن مسعود: اذهب فإن هو عصى الله فيك فاطع الله فيه.

* وشكا بعضهم كثرة الفأرة في داره، فقيل له:

لو اقتنيت هراً؟

فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرّ فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببتُ لهم ما لا أحب لنفسي!!

* الحق الخامس، احتمال الأذى،

وأما خامس الحقوق الكبرى فهو احتمال الأذى منهم والصبر على خطئهم والتغافل عن إساءاتهم، ففي مسند الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إن الله عز وجل يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة»، وذكر في الثلاثة الذين يحبهم: «رجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت» (٢).

* الحق السادس، تعظيم حرمة الجار وصيانة عرضه وعدم خيانتة،

لا يافشاء سره، ولا بهتك عرضه، ولا بالفجور بأهله، فإنه من أقبح

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٥٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٥٥٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٠٨٤٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٥٦٩).

الكبائر، وقد قال ﷺ لما سُئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»^(١)، بل ينبغي أن يحفظه في نفسه وعرضه وماله، حتى يأمنه جاره، فقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن - ثلاثاً - الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(٢) أي: غدره وخيائته وشروره.

وإن هذه لمن أوكد الحقوق، فبحكم الجوار قد يطّلع الجار على بعض أمور جاره فينبغي أن يوطن نفسه على ستر جاره مستحضراً أنه إن فعل ذلك ستره الله في الدنيا والآخرة، أما إن هتك ستره فقد عرض نفسه لجزاء من جنس عمله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٣).

* فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟».

قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره».

قال: «ما تقولون في السرقة؟».

قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام.

قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره»^(٤).

(١) مضع عليه: رواه البخاري (٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٣) سورة فصلت: الآية: (٤٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢٣٣٤٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٤٣).

* الحق الثامن، مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيراً،

فليس من حسن الجوار أن يشبع الإنسان وجاره جائع، والنبي ﷺ يقول: «ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه»^(١). وكثير من الناس لا يعبا بجيرانه، فيأتي إلى بيته بالأطياب، ولا يفكر في جيرانه الفقراء. وهذا لا ينبغي. بل إذا صنع الإنسان طعاماً فينبغي له أن يعطي جاره منه، وذلك تودداً إليه، وتطيباً لنفسه، وتدعيماً للمودة، وقد قال ﷺ: «إذا طبخ أحدكم قدراً فليكثر مرقها، ثم ليناول جاره منها»^(٢) ولا يحتقر أن يرسل لجاره شيئاً بسيطاً، أو يستقله، أو يستحي منه؛ لأنه شيء متواضع، فقد قال ﷺ: «يا نساء المسلمين! لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»^(٣).

* الحق التاسع، مشاركته في أفراحه وأحزانه،

فإذا كان عند جاره مناسبة سارة فينبغي له أن يذهب إليه، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه، ما لم يكن فيه معصية. وإذا ألمت به نازلة فينبغي له أن يحضره، وأن يشاركه ويقاسمه حزنه، ويواسيه بالكلمة الصالحة، ويشد من أزره. وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم، والجار أولى بهذه الحقوق من غيره^(٤).

* الحق العاشر، النصيح له، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر،

فقد يرى الجار من جاره منكراً، أو يراه تاركاً لعمل من أعمال البر، أو نحو ذلك، فيجب عليه أن ينصحه، وأن يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، فإن حقه من ذلك أوكد من حق غيره. وكثير من الناس يرى جاره

(١) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٩٢/٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٨٢).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٥٤/٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٧٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٦٦) كتاب الهبة، ومسلم (١٠٣٠) كتاب الزكاة.

(٤) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٣٠٠).

على معصية ومنكر فلا ينهاه، ولا يأمره بالمعروف. وهذا خيانة للجار، وتفريط في حقه^(١).

*** الحق الحادى عشر، أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه.**

فإذا أراد أن يتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره، فقد يرغب فى شرائها، وكذلك أى أرض أو عقار، وقد قال ﷺ: «من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره»^(٢)، وهذا أطيب لخاطره ولقلبه. وإذا فرط الناس فى هذا الأمر فإنهم يفتحون باباً للمشاحنات والمنازعات والعداوات، فالله المستعان.

*** الحق الثانى عشر، ألا يمنع جاره من غرس خشبة فى جداره،**

إذا احتاج الجار إلى ذلك، فينبغى أن يسمح له بغرس هذه الخشبة، ولا يمنعه من الانتفاع بها، فقد قال ﷺ: «لا يمنع جارٌ جاره أن يغرس خشباً فى جداره»^(٣) ثم قال أبو هريرة: «مالى أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم» أى: لأصرحنَّ ولأحدثنَّ بها بينكم مهما ساءكم ذلك وأوجعكم^(٤).

*** الحق الثالث عشر، عدم استطالة البنيان بحيث يحجب الشمس**

والهواء عن جاره،

*** فمن الضرورة أن يلاحظ الجار أن جاره الملاصق لمسكنه لا بد وأن يكون بعيداً عن إيذائه بمثل هذه الصورة التى يشير إليها هذا الحديث. والتى مضمونها كما هو واضح من النص: أنه إذا أراد الجار أن يبني جداراً يفصل**

(١) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٣٠٠).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٤٩٣) كتاب الأحكام، وضححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٥٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٣) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٦٠٩) كتاب المساقاة.

(٤) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٢٩٩، ٣٠٠).

بينه وبين جاره، لا بد وأن يلاحظ عدم استطالة هذا الجدار حتى لا يحجب الريح - أي: الهواء - عن جاره.

وإذا رأى ضرورة ذلك فلا بد وأن يستأذن جاره. ويستمع إلى رأيه في هذا الموضوع بالذات الذي يتعلق به هو، والذي لا بد وأن يصل إليه إلى حل حتى لا يكون هناك «ضرر أو ضرار» وحتى لا يكون هناك تعدد على مصلحة هذا الجار الملاصق...

فإن أذن الجار لجاره باستطالة جداره، فلا مانع من هذا. وإلا فإنه ينبغي لصاحب الجدار أن لا يؤدي جاره بمنع الهواء عنه؛ لأن الهواء من أكبر النعم التي لا بد وأن يتنفع بها كل إنسان وليس من حق أي إنسان أن يمنع نعمة الله عن عباده...

وإذا كنا نقول هذا بالنسبة لاستطالة الجدار، فهناك أمور ينبغي للجار للملاصق أن لا يمانع فيها، وإلى هذا تشير تلك الأحاديث الشريفة.

*وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنته في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فئانه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستتر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرخته إذا نابتة نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاماً، ويغض بصره عن حرمة، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجمله من أمر دينه ودنياه... هذا إلى جملة الحقوق التي لعامة المسلمين^(١).

(١) لإحياء (٣/١٣٦).

صور مشرفة من قصص الصالحين مع جيرانهم

قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (١).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رجل: يا رسول الله! كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟
قال: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت» (٢).

وقال رضي الله عنه: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأديبين أنهم لا يعلمون منه إلا خيراً، إلا قال الله تبارك وتعالى: قد قبلت قولكم، أو قال: بشهادتكم، وغفرت له ما لا تعلمون» (٣).

* ذكر الإمام الغزالي في «الإحياء»:

أن ابن المقفع بلغه أن جاراً له يبيع داره في دين ركبته وكان يجلس في ظل داره، فقال:

ما قمتُ إذاً بحرمة ظل داره إن باعها مُعدماً!! فدفعت إليه ثمن الدار وقال: لا تبعها.

* وكان القاضي شريح - رحمه الله تعالى - إذا ماتت عنده «هرة» دفنها في فناء بيته!! فسئل عن ذلك، فقال:

أخشى إن ألقيتها في الشارع يتأذى بها الجيران!!

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٩٤٤) كتاب البر والصلة، وأحمد (٦٥٣٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٣).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٢٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٣٢٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٣١٢٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تلخيص أحكام الجائز ص (٢٦).

* وكان لمالك بن دينار رحمه الله تعالى جار يهودى، فحوّل اليهودى مستحمة إلى جدار البيت الذى فيه مالك، وكان الجدار منهدماً فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئاً، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودى من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك! آذيتك كثيراً وأنت صابر ولم تخبرنى!! (١).

فقال مالك: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٢) . . فندم اليهودى، وأسلم.

* وقرأت كذلك قصة شبيهة بهذه، خلاصتها أن أبا حنيفة رضي الله عنه، كان له جار يهودى يلقى أمام داره يومياً القاذورات، فكان أبو حنيفة ينظف أمام بيته، دون أن يقول لليهودى شيئاً، إلى أن حدث يوماً أن أبا حنيفة لم يجد القاذورات أمام بيته كالمعتاد فسأل عن جاره هذا، فقيل له: أنه قد سُجن، فذهب بنفسه إلى السجن وتشفع لجاره هذا، فكانت النتيجة أن أمر رئيس الشرطة بإطلاق سراح كل من سُجن فى هذا اليوم إكراماً لأبى حنيفة. . . فلما علم اليهودى بهذا ندم واعتذر لأبى حنيفة، ثم أسلم.

* * *

(١) الإحياء (٢/٢١٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٤) كتاب الادب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلوة والآداب.

وأخيراً

فينبغي للإنسان قبل السكنى فى مكان ما أن يختار المكان الذى يكون فيه جيران صالحون، فإن الجار قد يطلع على أسرار البيت. وقد يحتاج الإنسان إلى جاره، فإذا كان صالحاً نفعه وخفف عنه، وإن كان غير ذلك سبب لجاره العنت، وقد يكون سبباً فى شقائه، فقد قال ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنىء، وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»^(١) وقد قيل فى الأمثال: الجار قبل الدار.

* وينبغى على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحسن إلى جيرانه وأن يتجنب الإساءة إليهم لتتألف القلوب مرة أخرى ولتعود الأمة خير أمة أخرجت للناس.



(١) صحيح: رواه ابن حبان (٤٠٣٢)، والحاكم (١٧٥/٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٣٨٨/٨)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٨٢/٧)، والخطيب (٩٩/١٢)، والفضاء (١٠٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٢).

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ
واكرام الضيف

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ واکرام الضيف

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
 * فلما أذن لنا النبي ﷺ بالدخول ورأيناه بكينا من شدة الفرح.
 فلما جلسنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه يعلمهم خلقاً عظيماً من أخلاق الإسلام ويقول لهم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...»^(١).

* فتعالوا بنا لتعيش في هذه الليلة المباركة بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة إكرام الضيف.

* * *

(١) منفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الادب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

حق الضيف

إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وجميل الخصال، تحلى به الأنبياء، وحثَّ عليه المرسلون... مَنْ عُرِفَ بالضيافة عُرِفَ بشرف المنزلة، وعلو المكانة، وانقاد له قومه، فما من أحد ساد في الجاهلية والإسلام، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام، وإكرام الضيف، كما قال ابن حبان يرحمه الله: «والعرب لم تكن تعد الجود إلا قري الضيف، وإطعام الطعام، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك»^(١).

النبي ﷺ يحث الأمة على إكرام الضيف

وما هو النبي ﷺ يحث أصحابه وأمته على إكرام الضيف. ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٢) ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٣).

وفيها أيضاً من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبي ﷺ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»، قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان

(١) روضة العقلاء (ص ٢٥٩).

(٢) قال المحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فتح البارى (١٠ / ٤٦٠) طبعة الريان: ثم الامر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية. وقد يكون مستحباً، ويجمع الجميع على أنه من مكارم الأخلاق.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

وراء ذلك فهو صدقة عليك^(١)، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت^(٢).

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «..... وإن لزورك^(٣) عليك حقاً^(٤)».

ويقر النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: «وإن لضيفك عليك حقاً^(٥)».

* وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك فقال: «ما من الناس مثل رجل أخذ بعنان فرسه فيجاهد في سبيل الله ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل باد في غنمه يقرى ضيفه، ويؤدي حقه^(٦)».

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم،

(١) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله فتح الباري (١٠٠/٥٤٩) عن الخطابي قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده في البر على ما بحضرتة يوماً وليلة، وفي اليومين الأخيرين يقدم له ما يحضره فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما راد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٢) مضع عليه: رواه البخاري (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٣) الزور: هو الضيف، يقال: هؤلاء زور.

(٤) مضع عليه: رواه البخاري (١٩٧٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤١٣) بإسناد صحيح من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه وفيه أن سلمان قال لأبي الدرداء رضي الله عنه: إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولضيفك عليك حقاً، وإن لاهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك فقال له: «صدق سلمان». وأصل الحديث عند البخاري (بدون ذكر الضيف) (حديث ١٩٦٨، ٦١٣٩).

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢٨٣٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٢٥٩).

استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقته وجدت ذلك عندي»^(١).

وإكرامك للأضياف يجلب لك محبة الله سبحانه وتعالى؛ لامثالك أمره وطاعتك لرسله عليهم الصلاة والسلام، ثم هو أيضاً يجلب لك محبة المخلوقين، وثناءً حسناً عطرًا فيهم، ولا تظن أن إكرامك للضيف سيسبب لك الفقر، وسيذهب بمالك، ولكن احتسب الأجر والثواب عند الله، وأيقن بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢). فلا تخش من فقر ولا تتحرج من ضيف فالبركة من الله سبحانه، وطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية^(٣)، كما قال رسول الله ﷺ^(٤).

حق الضيف عظيم

وانظر إلى عظيم حق الضيف في هذه الأحاديث:

أخرج البخاري^(٥) من حديث عقبة بن عامر قال: قلنا للنبي ﷺ إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقروننا فما ترى فيه؟ فقال لنا: «إن نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف».

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة ساء: الآية: (٣٩).

(٣) بهذا السياق أخرجه مسلم (حديث ٢٠٥٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً. وفي الصحيحين البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة».

(٤) فقه الأخلاق/ للشيخ مصطفى العدوي - حفظه الله (٢/ ٣٣٣).

(٥) البخاري (حديث ٢٤٦١) ومسلم حديث ١٧٢٧، وقد استدل بهذا الحديث من يرى أن الضيافة واجبة، بينما ذهب الجمهور إلى أنها مستحبة وأنها سنة مؤكدة، ومن حجج الجمهور على استحبابها قول النبي ﷺ: «جائزته يوم وليلة» وإعطاء الجائزة ليس بواجب فالجائزة تفضل.

وقد أورد البخارى رحمه الله تعالى هذا الحديث فى كتاب المظالم من صحيحه مشيراً بذلك فيما يبدو لى إلى أن رب البيت إذا لم يكرم الضيف فقد ظلمه؛ إذ قد أوردته تحت باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظلمه .
وأخرج أحمد بسند حسن من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أبما ضيف نزل يقوم فأصبح الضيف محروماً فله أن يأخذ بقدر قرأه ولا حرج عليه»^(١) - قرأه: أى ضيافته - .

الناس مع الأضياف على قسمين

والناس مع الأضياف على قسمين:

قسم منهم تغمرهم السعادة، ويظهر عليهم أثر الفرح والسرور بمقدم الضيف عليهم، فتعلو وجوههم البشاشة، وينطلق من أفواههم الكلم الطيب، وتخرج عبارات الترحيب التى تنم عما فى صدورهم من حب وتقدير وامتنان وترحيب .

فقد علم هؤلاء أن خيراً قد ساقه الله إليهم، فقاموا بضيافته حق قيام .
أيقن هؤلاء بحديث النبى ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما، اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٢)

وأيقنوا كذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٣) .

فجدير بهؤلاء أن يُكرّموا هم الآخرون، وأن يجازوا بالإحسان إحساناً، وأن تخرج من الضيف كلمات طيبة فى شأنهم ودعوات صالحة لهم فى

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٧٢٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤٠).

(٢) منفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٣) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

حضورهم وعند غيابهم فالإحسان جزاؤه الإحسان كما قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (١).

جدير بالضيف أن يصطحب معه هدية لهم، وأن يجازيهم ولو بكلمة: جزاكم الله خيراً... وقسم آخر يكتبون ويغتمون عند حلول الضيف بهم، تنزل بهم الكربات إذا رأوا ضيفاً قادمًا، فيظهر الضيق ويبدو التبرم ويظهر الحزن على الوجوه.

النفس مجبولة على كراهية من لم يكرمها

والنفس مجبولة على كراهية من لم يكرمها ولم يحسن إليها:

فهذا كليم الله موسى عليه السلام لما نزل هو والخضر قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه، قال موسى عليه السلام للخضر لما أقام الجدار بلا أجر من أهل القرية البخلاء: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٢) فهذا جزاء البخيل! لا يكرم الناس فلا يكرم هو الآخر.

وقد يقول قائل: إن الخضر بنى الجدار مع بخل أهل القرية عليه وعلى موسى! فنجيب إن بناء الخضر الجدار فيه منع لهؤلاء البخلاء من مال كانوا سيستحوذون عليه، فقد كان تحت الجدار مالاً لايتام سيستطو عليه هؤلاء البخلاء إذا لم بين الجدار كما قال الخضر: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (٣) (٤).

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٧).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٤) فقه الأخلاق (٢/ ٣٤٤، ٣٣٥).

الضيف الكافر له حق

وحتى الضيف الكافر له حق:

وذلك لأن أحاديث النبي ﷺ المذكورة من قبل كحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(١) إلى غير ذلك من الأحاديث ليس فيها التقييد بكون الضيف مسلماً، بل فيها الإطلاق، وقال عليه الصلاة والسلام: «في كل كبد رطبة أجر»^(٢). أما حديث: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٣) فهو محمول على طول الملازمة، فالمصاحبة تقتضى طول الملازمة.

هذا وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ ضافه ضيف، وهو كافر، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستمها، فقال رسول الله ﷺ: «المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء»^(٤).

ولك أن تقبل دعوة الكافر إذا دعاك لطعام وذلك لأن النبي ﷺ دعته يهودية إلى طعام فقبل النبي ﷺ دعوتها^(٥).

* * *

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٦٣) كتاب المساقاة، ومسلم (٢٢٤٤) كتاب السلام.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الادب، والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٠٩٤٤)، وحسن العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٦٣) كتاب الأشربة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦١٧) كتاب الهبة، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

(٦) فقه الأخلاق (٢/ ٣٣٥ : ٣٣٧).

صور مشرقة من كرم الأنبياء والصحابة لأضيافهم

* وما هي صور مشرقة من إكرام الأنبياء والصحابة لأضيافهم فهؤلاء الذين قال الله (جل وعلا) في حقهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (١).

إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٢).

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا﴾ وهم الملائكة ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ أى تبشره بإسحاق بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتَهُ الْبَشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ أى سلام عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أى أسرع وقدم لهم عجلًا مشويًا على الحجارة المحماة. ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه، فلهذا عرضوا عنه، عندهما نكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فلما نظرت سارة أنه قد أكرم إبراهيم أضيافه وقامت هي تخدمهم وهم لا يأكلون... تعجبت وقالت: عجبًا لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم وهم لا يأكلون طعامنا. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أى لا تخف منا ﴿إِنَّا﴾ ملائكة ﴿أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سارة استبشارًا بهلاكهم لكثرة فسادهم، وغلظ

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٠).

(٢) سورة هود: الآيات: (٦٩: ٧١).

كفرهم وعنادهم فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أى بولد لها يكون له ولد عقب ونسل (١).

يوسف عليه السلام

* وهذا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام يقول لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَرْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٢).

وقوله: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أى: خير من أكرم الأضياف وأحسن إليهم، وأجلسهم أحسن المجالس، وأطعمهم أحسن الطعام.

وهذا سيد ولد آدم ﷺ

بل هذا سيد ولد آدم: ... محمد بن عبد الله ﷺ الذى كان أكرم الناس لأضيافه وكان يوصى الأمة بإكرام الضيف بل شهدت له خديجة رضي الله عنها بإكرامه للضيف حتى قبل البعثة.

* فعندما عاد النبي ﷺ إليها بعد نزول الوحي عليه وهو يرتجف فؤاده ويقول: «زملونى زملونى»... فلما قال لها: «والله يا خديجة لقد خشيت على نفسى»... وإذا بها تقول له: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق (٣).

* فإذا كان هذا هو حال النبي ﷺ قبل البعثة فكيف يكون حاله بعد البعثة؟

* * *

(١) مختصر تفسير ابن كثير/ محمد نيب الرفاعي (٢/ ٤٥١ ، ٤٥٢).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٥٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وهذا أبو بكر الصديق لما خرج مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسبح في الأرض، وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق... الحديث (١).

أبو أيوب الأنصاري يضيف رسول الله ﷺ

وها هي صورة مشرقة سطرها أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عندما فاز بتزول النبي ﷺ ضيفاً في بيته لمدة سبعة أشهر.

آداب الضيافة (٢)

إن تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كبير، قال الحسن: كل نفقة ينفقها الرجل يُحاسب عليها إلا نفقته على إخوانه في الطعام فإن الله أكرم من أن يسأله عن ذلك،... وقال على رضي الله عنه: لأن أجمع إخواني على صناع من طعام أحب إليّ من أن أعتق رقبة.

* ومن المعلوم أنه ما من إنسان إلا وقد يستضيف أحداً في بيته، إما من الأقارب، أو من الجيران، أو من الإخوان، أو من غيرهم. والضيافة من آداب الإسلام التي اهتم بها، وشرع لها آداباً لكلا الطرفين. للضيف

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٩٨) كتاب الحوالات.

(٢) بتصرف من (موعظة المؤمن) للقاسمي، (فقه الاخلاق) للشيخ مصطفى العدوي، (موسوعة الآداب الإسلامية) للشيخ عبد العزيز ندا.

وللمضيف . وينبغي لكل منهما أن يتأدب بهذه الآداب حتى تؤتى الضيافة ثمرتها، فمن هذه الآداب:

القسم الأول

آداب تتعلق بصاحب الضيافة

الأدب الأول: النية الصالحة،

وذلك بأن ينوى صاحب الضيافة التماس الأجر في ضيافته لإخوانه وإطعامه لهم، وحسن استقباله لهم، وينوى الضيف التماس الأجر في تلبية الدعوة، وزيارة أخيه . فكلهم ماجورون على ذلك .

الأدب الثاني: عدم التكلف للضيف:

فينبغي لصاحب البيت ألا يتكلف فوق طاقته، أو يحملها الكثير لأجل إكرام ضيفه، بل يقدم لهم في حدود الموجود عنده، مع إكرامهم . فإن إبراهيم عليه السلام قد ذبح لضيوفه عجلاً سميناً وشواه وقربه إليهم . فجاء بشيء من خير ما عنده . قال تعالى: ﴿فَرَأَغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَأَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (١) . لكن لا ينبغي أن يقلب الإنسان بيته رأساً على عقب لاستقبال الضيف، ويتجشم الكثير من النفقة، فإن هذا ليس من هدى النبي ﷺ وأصحابه . كما أن فيه مشقة على النفس، وتحميل لها ما لا تطيق، وقد يؤدي اعتياد هذا إلى كراهية استقبال الضيف أصلاً .

كان الفضيل يقول: إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه .

الأدب الثالث: حسن استقبال الضيف:

فينبغي لصاحب الضيافة أن يحسن استقبال ضيفه بالتبسم، وطلاقة

(١) سورة الذاريات: الآية: (٢٦) .

الوجه، وعبارات الترحيب والبشر، فإن هذا مما يشرح صدورهم، ويجعلهم يشعرون بمكانتهم عند أخيهم صاحب الضيافة. وبعض الناس لا يهش، ولا ييش، ولا يتسم في وجوه الضيفان، بل ربما عبس في وجوههم، أو تجهم، فشعروا بالحرج، والصدود، وربما لم يكرروا زيارته، بل ربما رجع بعضهم لسوء الاستقبال. ومهما قدم لضيوفه من واجبات الضيافة، فلا غنى عن حسن الاستقبال.

الأدب الرابع: استعمال أطيب الكلمات في محادثتهم،

* قال ابن حبان رحمه الله:

«ومن إكرام الضيف طيب الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمة بالنفس فإنه لا يذل من خدم أضيافه، كما لا يعز من استخدمهم، أو طلب لقياه أجراً»^(١).

وقالوا: «من تمام الضيافة: الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المأكلة»^(٢).

الأدب الخامس: إجلال الضيف في مكان لائق،

وهذا من كرم الضيافة، أن يُجلس صاحب المكان أضيافه في مكان يليق بهم، من مجلس ونحوه بحيث يكونون مرتاحين في المجلس، ولا يكون المجلس كاشفاً لأهل البيت، أو في مكان قد تفوح فيه رائحة كريهة على الضيف، أو نحو ذلك. وهكذا لا يقعدهم في مكان متسخ أو في مكان شكله غير لائق. فليس هذا من كرم الضيافة.

الأدب السادس: ألا تخص ضيفاً بالحديث دون سائر الضيوف،

وإذا كان معك أكثر من ضيف، فأقبل على كل واحد منهم بوجهك،

(١) روضة العقلاء ص ٢٦١

(٢) البيان والتبيين للجاحظ (١/ ١٠) ..

ولا تخص أحداً دون الآخر بحديثك، أو شيء من ضيافتك، وحاول أن تتلمس رضى كل واحد منهم، فقد كان رسول الله ﷺ أكرم الناس لضيوفه، فقد كان يعطى كل واحد من ضيوفه نصيبه ولا يحسب ضيفه أن أحداً أكرم عليه منه^(١).

الأدب السابع: تعجيل الضيافة وتقديم الطعام على وجه السرعة.

فلا ينبغي أن تترك الضيف يتلوى من الجوع والعطش، ويزهد فى مجلسك بل قد يستأذنك للخروج من عندك، أو يخرج بلا استئذان! فعليك أن تبادر بتقديم ما تيسر عندك على وجه السرعة، ثم ما تلاه شيئاً فشيئاً إن لم يتيسر لك تقديم الجميع دفعة واحدة. وقد أرشد إلى ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢﴾ فهنا راغ إبراهيم ﷺ أى: انسل خفية دون أن يتبه الضيف، فذهب، وأعد الطعام اللائق، وجاء به على عجل. وهذا من حق الضيف. وإكرام الضيف من الأمور الواجبة التى أمر بها النبي ﷺ، واعتبرها من خصال الإيمان، فقال ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه...»^(٣) فلا ينبغي لمسلم التأخر عن إكرام ضيفه أبداً.

* قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فإنها من سنة رسول الله ﷺ: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب.

الأدب الثامن: إحضار الطعام للضيف فى مكانه.

فهذا من أدب القرآن الذى أرشد إليه، وذلك كما فى قوله تعالى عن

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم (ص: ٥٥٥).

(٢) سورة الذاريات: الآيات: (٢٤ - ٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الادب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

إبراهيم: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾^(١) فأحضر لهم الطعام في مكانهم. وهذا هو الأصل، لكن إذا تعارف أهل البلد على أن مجلس الطعام غير مجلس الاستقبال، وأن ينتقل الضيف إلى مجلس الطعام، فلا حرج في ذلك.

الأدب التاسع: ترتيب الأظعمة بتقديم الفاكهة أولاً:

ترتيب الأظعمة بتقديم الفاكهة أولاً إن كانت فذلك أوفق في الطب، فإنها أسرع استحالة، فينبغي أن تقع في أسفل المعدة. وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً مِّمَّا يَتَّخِرُونَ﴾^(٢) ثم قال: ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(٣) ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد، فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام باللحم قوله في ضيف إبراهيم إذا أحضر العجل الحنيد أي: المحنوذ وهو الذي أجيد نضجه وهو أحد معنى الإكرام أعنى: تقديم اللحم.

الأدب العاشر: أن يقدم ألوان الطعام:

أن يقدم من الألوان ألونها حتى يستوفى منها ما يريد ولا يكثر الأكل بعده. وعادة المترفين تقديم الغليظ؛ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده، وهو خلاف السنة فإنه حيلة في استكثار الأكل، ويستحب أن يقدم جميع الألوان دفعة أو يخبر بما عنده^(٤). وقد قال تعالى: ﴿فَرَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ...﴾^(٥) ولم يقل: بعجل هزيل، ولا ضعيف.

الأدب الحادي عشر: خدمة صاحب البيت الضيوف بنفسه:

فهذا مما أرشد إليه القرآن الكريم في قصة إبراهيم عليه السلام، فإنه كما

(١) سورة الذاريات: الآية: (٢٧).

(٢) سورة الواقعة: الآية: (٢٠).

(٣) سورة الواقعة: الآية: (٢١).

(٤) موعظة المؤمن (ص: ١٣٥).

(٥) سورة الذاريات: الآية: (٢٦).

قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١﴾﴾^(١) فهنا قام إبراهيم عليه السلام بخدمة الأضياف بنفسه. وقد بوب عليها البخارى رحمه الله فى صحيحه، فقال: «باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه»^(٢). ولا شك أن هذا أبلغ فى خدمة الضيف وإكرامهم.

الأدب الثانى عشر: عدم رفع الطعام حتى يشبع الضيف:

أن لا يبادر إلى رفع الألوآن قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدى عنها، فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضره أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتغص عليه بالمبادرة^(٣).

الأدب الثالث عشر: أن يكون الطعام كافياً للضيوف:

أن يقدم الطعام قدر الكفاية، فإن التقليل عن الكفاية نقص فى المروءة والزيادة عليه تصنع. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نُهِنَا أَنْ نَجِيبَ دَعْوَةَ مَنْ يِيَاهِي بِطَعَامِهِ. وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباحة، وينبغى أن يعزل أولاً نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه، فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم، وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم^(٤).

الأدب الرابع عشر: أن يتجمل لاستقبال ضيوفه:

وينبغى أن تتجمل للأضياف، وتستقبلهم فى جميل الثياب وحسن المنظر: وقد قال عمر لرسول الله ﷺ لما رأى على رجل حلة من إستبرق: «يا رسول الله، اشتر هذه، فالبها لوفد الناس إذا قدموا عليك»^(٥).

(١) سورة الذاريات: الأيتان: (٢٦، ٢٧).

(٢) فتح البارى (١٠ / ٥٤٨).

(٣) موعظة المؤمن (ص: ١٣٥).

(٤) موعظة المؤمن (ص: ١٣٦).

(٥) أخرجه البخارى حديث ٦٠٨١، ومسلم ٢٠٦٨ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: رأى عمر على رجل حلة من إستبرق، فأتى بها النبى ﷺ فقال: يا رسول الله اشتر هذه فالبها لوفد الناس إذا قدموا عليك، فقال: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له...». قلت: وإنما ردها النبى ﷺ لكونها من الحرير، ولم يرد الرسول ﷺ على عمر قوله: (فالبها لوفد الناس).

الأدب الخامس عشر: ألا ينسى أقاربه،

وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم، وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه، فإن في تخصيص البعض إيحاشاً لقلوب الباقيين، وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان، وإدخال السرور على قلوب المؤمنين، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة، وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته (١).

الأدب السادس عشر: عدم دعوة أهل البدع،

فلا تدعو أهل بدعة إلى طعام لإحياء بدعتهم، فإن في ذلك نوعاً من التعاون على الإثم والعدوان، وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِئِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (٣). وكذلك لا تدعو قوماً يتآمرون على فعل منكر من المنكرات للتآمر على المنكر في بيتك.

الأدب السابع عشر: اهتمام الزوجة بأضياف زوجها،

ومنها اهتمام الزوجة أيضاً بأضياف زوجها: فقد قال فريق من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ (٤).

أى: قائمة على خدمة أضياف زوجها، وعلى ذلك جملة أمثلة أخرى.

(١) موعظة المؤمنين (ص: ١٣٣).

(٢) سورة الانعام: الآية: (٦٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (١٤٠).

(٤) سورة هود: الآية: (٧١).

وقد كان هناك عروس تخدم أضياف زوجها على عهد رسول الله ﷺ (١).

الأدب الثامن عشر: عدم النظر إلى طعام الضيف،

من أدب الطعام أن لصاحب الضيف أن ينظر في ضيفه، هل يأكل أم لا؟ وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر.

روى أن أعرابياً أكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأى سليمان في لقمة الأعرابي شعرة، فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك، فقال له: أنتظر إلى نظر من يرى الشعرة في لقمتي؟! والله لا أكلت معك.

الأدب التاسع عشر: تقسيم الطعام على الضيوف،

وقد يكون مع الأضياف من هو يستحي، ومنهم من هو جرىء، فقد يأكل الجريء حق الحسى، وخاصة إن كان فى الطعام نوع جيد مرغوب، فلك حينئذ أن تقسم عليهم الجيد المرغوب لكل قطعة منه.

الأدب العشرون: يجوز أن تترك الأضياف يأكلوا وحدهم إن أرادوا ذلك،

وإن شئت أن تأكل مع الأضياف أكلت، وإن شئت أن تتركهم يأكلوا وحدهم أكلوا، وإن شاؤوا فرادى، وإن شاؤوا أكلوا مجتمعين، وإن كان الاجتماع أقرب إلى البركة، ومن أدلة ما ذكرنا ما يلى:

* قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ (٢) أى مجتمعين أو متفرقين.

الأدب الحادى والعشرون: يجوز أن ترسل أضيافك إلى غيرك إذا لم يكن عندك طعام،

ويجوز لك أن ترسل أضيافك إلى غيرك من إخوانك المسلمين، كى يضيفوهم إذا لم يكن عندك ما تضيفهم به، أو إذا كان هناك عذر آخر ولكن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٩٧) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٦) كتاب الأشربة.

(٢) سورة النور: الآية: (٦١).

بعد أن تستأذنهم.

* دل على ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: «من يضيف هذا الليلة، رحمه الله»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، وقد تقدم هذا الحديث مطولاً (١).

وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر رضي الله عنه: أن أصحاب الصفة كانوا ناساً فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين؛ فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس» (٢).

الأدب الثانى والعشرون: الإحسان إلى الضيف مدة إقامته:

وذلك بتوفير مكان مناسب له للنوم، وكف ضجيج الأولاد عنه، وتقديم منشفة نظيفة له، وتقريب الوسادة له، وتجهيز الحمام له، وتقريب الطيب، وتقديم المرأة ليتجمل بالنظر فيها، ونحو ذلك.

الأدب الثالث والعشرون: إعطاء الضيف حقه:

وجائزة الضيف على ما جاء فى السنة يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام بلياليها، ولا تلزم الضيافة فوق ذلك، بل ما زاد، فهو صدقة. وقد جعل النبي ﷺ للضيف وللزوار حقاً، فقال لعبد الله بن عمرو: «وإن لزورك عليك حقاً....» (٣) والزور: هم الزوار والأضياف.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٤) كتاب الأشربة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٨١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٧) كتاب الأشربة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٧٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه جائزته، يوم وليلة. والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يُحرجه»^(١).

الأدب الرابع والعشرون: خروج صاحب البيت مع ضيفه إلى الباب مودعاً

فإذا أراد الضيف الانصراف، فينبغي أن يوصله صاحب البيت بنفسه إلى باب الدار، وهذا من احترام الضيف وإكرامه. فلا يقعد صاحب البيت في مكانه، ويأذن للضيف بالانصراف، بل يخرج يودعه بنفسه. زار أبو عبيد الإمام أحمد في منزله، قال: «فلما أردت القيام قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه...»^(٢).

الأدب الخامس والعشرون: تقديم هدية للضيف

وإذا كان بوسعك أن تهدي لضيفك هدية عند انصرافه فافعل جزاك الله خيراً. قال النبي ﷺ: «أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»^(٣). وقال ﷺ: «تهادوا محابوا»^(٤). . . فالهدية لها أثر عظيم في نشر المحبة بين المسلمين.

الأدب السادس والعشرون: الدعاء له بالخير وتذكيره بالله

وينبغي أن تدعو لضيفك بخيري الدنيا والآخرة، وأن تذكره بالله جل

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب اللقطة.

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٢٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٥٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٦٣٧) كتاب الوصية، قال النوى رحمه الله تعالى: قال العلماء: هذا أمر من ﷺ بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تظيماً لنفوسهم، وترغيباً لغيرهم من المؤلفقة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم.

(٤) حسن: رواه البيهقى (١٦٩/٦)، والبخارى في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (٩/١١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله في الإرواء (١٦٠١).

وعلا وأن تُشعره بأنك سعدت بزيارته، وأن تكرر زيارته ستزيد من سعادتك.
الأدب السابع والعشرون: عدم الدخول وإغلاق الباب إلا بعد انصرافه،
 فلا يدخل صاحب البيت، ولا يفتح الباب إلا بعد أن ينصرف الضيف،
 ويركب دابته، أو يمشى. فإن هذا من إكرامه، واحترامه، والتلطف معه.
 ولا ينبغي للمسلم إهمال مثل هذه الآداب.

القسم الثاني آداب الضيف

الأدب الأول: إجابة الدعوة إذا دُعي،

فينبغي للضيف إذا دُعي أن يلبي الدعوة، فإن هذا من حق المسلم على أخيه المسلم، كما قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: ... وإذا دعاك فأجبه...»^(١) فينبغي له إجابة الدعوة. ما لم يكن فيها منكر لا يقدر على تغييره، أو يعلم أن صاحب الدعوة ماله من حرام.

الأدب الثاني: ألا يتربص وقت طعامهم،

فليس من السنة أن يقصد قومًا متربصًا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة، وقد نُهي عنه، ... قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَّهَا﴾^(٢) يعني: منتظرين حينه ونضجه، أما إذا كان جائعًا فقصده بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به، وفيه إعانه لأخيه على حيازة ثواب الإطعام، وهي عادة السلف.

الأدب الثالث: أن يكون مدخله مدخل خير على أهل البيت،

وذلك بأن يكون سببًا لإسعادهم وإدخال السرور عليهم وإخبارهم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٢) سورة الاحزاب: الآية: (٥٣).

بالأخبار الطيبة التي تسعدهم ويا حبذا لو أخذ معه هدية فقد قال
ﷺ : «تهادوا تحابوا» (١).

الأدب الرابع، التأدب بآداب الاستئذان والزيارة،

فيختار الوقت المناسب، ويطرق الباب برفق، ولا يستقبل الباب من تلقاء
وجهه، ويبدأ بالسلام، ويُعرِّف نفسه، ويغض بصره، ولا يرفع صوته،
ويقعد حيث يجلسه صاحب البيت، ولا يكثُر التأمل فيما حوله، ولا يحاول
التجسس على أهله البيت، ولا يطيل الزيارة دون ضرورة، ويستأذن عند
انصرافه، ولا يمشى إلا أن يأذن له صاحب البيت، وغير ذلك.

الأدب الخامس، أن يسمى الله عند دخول البيت،

وهذا من السنن المنسية بين أكثر الناس . . . فصاحب البيت قد ينسى
التسمية عند دخول البيت . . . والضيف قد ينسى التسمية عند دخول
البيت . . مع أن الله عز وجل قد جعل التسمية عند دخول البيت سبباً في
حفظ البيت من دخول الشياطين.

الأدب السادس، أن يلتزم الضيف آداب الحضور،

قال القاسمي: وأما الحضور: فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ
أحسن الأماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم، ولا يعجل بحيث
يفاجئهم قبل تمام الاستعداد، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة، بل
إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه البتة، فإنه قد يكون رتباً في
نفسه موضع كل واحد فمخالفته تُشوش عليه، ولا يجلس في مقابلة باب
الحجرة الذي للنساء وسترهم، ولا يكثُر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه
الطعام فإنه دليل على الشره، ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا
جلس، وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرِّفه صاحب المنزل عند دخوله القبلة

(١) حسن: رواه البيهقي (١٦٩/٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (٩/١١)، وحنه
العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (١٦٠١).

وبيت الماء وموضع الوضوء، وأن يغسل صاحب المنزل يده قبل القوم وقبل الطعام؛ لأنه يدعو الناس إلى كرمه، ويتأخر في آخر الطعام عنهم وعلى الضيف إذا دخل فرأى منكراً أن يغيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف (١).

الأدب السابع، ألا يقترح الضيف طعاماً بعينه،

للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فرمما يشق على المزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين؛ فليختر أيسرهما عليه فإن علم أنه يسرُّ باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح. قال بعضهم: الأكل على ثلاثة أنواع: مع الفقراء بالإثارة، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب (٢).

الأدب الثامن، غص البصر،

غص بصرك أيها الضيف عن النظر إلى عورات البيوت، ولا تتهك حرمتها، فهذا أمر الله لك: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾. وانظر إلى حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم ففيه أن النبي ﷺ قال: «لو أن امرءاً اطلع عليك بغير إذن، فحذفته بحصاة، ففقات عينه لم يكن عليك جناح» (٤).

الأدب التاسع، حفظ السمع،

أيها الضيف العزيز: احفظ سمعك عن استماع المحرمات، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (٥).

(١) موعظة المؤمنین (ص: ١٣٤).

(٢) موعظة المؤمنین (ص: ١٣٣).

(٣) سورة النور: الآيات: (٣٠، ٣١).

(٤) مضق عليه: رواه البخاری (٦٨٨٨) كتاب اللیات، ومسلم (٢١٥٨) كتاب الآداب.

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

وقال النبي ﷺ: «من استمع إلى قوم وهم له كارهون أو يفرون منه، صبَّ في أذنه الآنك يوم القيامة»^(١). - الآنك: أى الرصاص المذاب.

الأدب العاشر، ألا يثير الفتن بين أفراد الأسرة،

وذلك بأن يفشى أسرار بعض أفراد الأسرة إلى الآخرين، فيكون ذلك سبباً في إثارة الفتن والمشاكل فى البيت... وبخاصة إذا كان ذلك بين الزوج وزوجه، فقد قال ﷺ: «ليس منا من خبَّ امرأة على زوجها، أو عبداً على سيده»^(٢).

الأدب الحادى عشر، ألا يتناجى إلا بالبر والتقوى،

أيها الضيف العزيز: إذا تناجيت فلا تتناج إلا بالبر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَّجِرُوا بِالِإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَرُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾^(٣).

وتذكر قول الله عز وجل: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمْرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٤).

الأدب الثانى عشر، أن يحذر من الغيبة والنميمة،

وعلى الضيف الكريم أن يحذر من الغيبة والنميمة حتى لا يؤثم أهل البيت بالقييل والقال، واغتيال المؤمنين والمؤمنات... بل عليه أن يكون ذاكراً لله ومصلياً على رسول الله ﷺ... حاثاً على فعل الخير ومُحرضاً على أبواب البر.

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٢) كتاب التعبير.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢١٧٥) كتاب الطلاق، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٤٣٧).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (٩).

(٤) سورة النساء: الآية: (١١٤).

الأدب الثالث عشر، ألا تخلو بامرأة أخيه،

أيها الضيف الكريم: لا تخلو بامرأة أخيك المضيف لك ولا بإحدى محارمه فالخلوة بالمرأة الأجنبية محرمة، . . . قال النبي ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرايت الحمى^(٢)؟ قال: «الحمى الموت»^(٣).

الأدب الرابع عشر، إذا قرب إليه الطعام فليأكل،

وينبى إذا قرب الطعام للضيف أن يأكل:

فإن الخليل إبراهيم ﷺ لما رأى أيدي الملائكة لا تصل إلى طعامه، خاف منهم، وظن أنهم يريدون به شرًا، لخروجهم عن المعتاد فالضيف الذي لا يأكل - بلا سبب وبلا عذر- يثير الريب والشكوك في نفس أهل البيت. ومن ثم يتألق المثل القائل في بلادنا لمن أكلوا سويًا: (قد أكلنا معًا عيشًا وملحًا) فهذا يعنى: أن بينهما مودة.

وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾^(٤).

الأدب الخامس عشر، ألا يعيب الضيف طعامًا قط،

وعلى الضيف ألا يعيب طعامًا قط. . . فإن أعجبه الطعام أكل منه، وإن لم يعجبه تركه، واعتذر لصاحب البيت بأسلوب مهذب لا يهرج صاحب البيت ولا يهرج زوجته التي أعدت هذا الطعام. فإن النبي ﷺ ما عاب طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركه^(٥).

(١) رواه أحمد (١١٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) الحمى: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن العم ونحوه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٢) كتاب السلام، والمعنى أى: خطر دخول الغريب على المرأة وخلوته بها كخطر الموت.

(٤) سورة هود: الآية: (٧٠).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤٠٩) كتاب الاطعمة، ومسلم (٢٠٦٤) كتاب الاشارة.

الأدب السادس عشر، لزوم الضيف آداب الأكل والشرب،

فيلزمها جميعاً عند جلوسه للأكل مع المضيف، ولا يقصر في الالتزام بها، فإن ذلك من إحسان المرء إلى نفسه، وإلى أخيه، وفي لزومها الخير الكثير، والبركة على الطرفين، وكذلك حتى لا يمل صاحب الضيافة من ضيفه.

الأدب السابع عشر، أن يحمد الله بعد الطعام أو الشراب،

فإذا أكلت أيها الضيف أكلة؛ فاحمد الله عليها، وإذا شربت شربة فاحمد الله عليها؛ فإن النبي ﷺ قال: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها»^(١).

الأدب الثامن عشر، إذا كان صائماً تطوع فله أن يتم صومه وله**أن يفطر،****أيها الضيف الكريم:**

إن كنت صائماً صوم تطوع، فلك أن تتم صومك، وتدعو لأخيك بالبركة، ولك كذلك أن تفطر عند أخيك وتدخل السرور عليه:

أخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دُعي أحدكم إلى طعام، فليُجب فإن شاء طعم وإن شاء ترك»^(٢).

وعند مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دُعي أحدكم، فليُجب فإن كان صائماً فليُصل»^(٣)، وإن كان مفطراً فليطعم»^(٤).

الأدب التاسع عشر، ألا يثقل على صاحب الضيافة حتى يخرجه،

فإذا وجد الضيف أن صاحب البيت رقيق الحال، أو لا يستطيع أن يقوم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٤) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٣٠) كتاب النكاح.

(٣) المراد: الدعاء لأهل البيت بالبركة، وقيل: الصلاة الشرعية بركوعها وسجودها، ويؤيده الحديث الذي أوردته بعده.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٣١) كتاب النكاح.

بواجب الضيافة كما ينبغي، فإنه لا يطيل المكث عنده بحيث يجعله يشعر بالخرج، أو الضيق، أو يدفعه إلى اغتياص الضيف، أو الشعور بالإثم، أو الاستدانة، ونحو ذلك. كما قال ﷺ: «ولا يحل له أن يشوي عنده حتى يُخرجه»^(١).

إلا إذا كان يفرح ويسعد بوجودك، وعنده من السعة ما يقدمه لك من غير إحراج له، فلا بأس بالمقام حينئذ لانتفاء الحرج، واستئناس صاحب البيت بك.

الأدب العشرون: أن يشكر الضيف صاحب الضيافة،

فينبغي للضيف أن يشكر صاحب الضيافة على حسن استضافته، فإن هذا مما يدعو إليه الإسلام، قال ﷺ: «من لم يشكر الناس، لم يشكر الله»^(٢) وكذلك فإن النبي ﷺ دعا لمن أكرمه، فقال لسعد بن عباد بعد أن أطعمه: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»^(٣) ودعا ﷺ لعبد الله بن بسر بعدما أطعمه فقال: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم»^(٤).



(١) صحيح: رواه البخارى (٦١٣٥) كتاب الادب.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠٨٨٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٥٤) كتاب الاطعمة، وأحمد (١١٧٦٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٢٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٤٢) كتاب الاثرية.

النبي ﷺ
وإخلاص النصيحة

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ وإخلاص النصيحة

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

* فلما دخلنا على النبي ﷺ وجدناه جالساً مع بعض أصحابه.

وبعد فترة دخل عليه الصحابى الجليل جرير بن عبد الله رضي الله عنه وكان قد جاء ليبايع النبي ﷺ.. فبايعه على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم^(١).

ثم نظر النبي ﷺ لأصحابه ليوضح لهم قدر ومكانة النصيحة فى الإسلام فقال لهم: «الدين النصيحة»^(٢).

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع النصيحة ومكانتها فى ظل هذا الدين العظيم.



(١) رواه البخارى (٥٨) كتاب الإيمان - ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان.

(٢) رواه مسلم (٥٥) كتاب الإيمان.

ها هو خُلقٌ عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به...
ألا وهو خُلقُ النصيحة.

فالمسلم لا بد أن يحب الخير لإخوانه ولا بد أن يحرص على جلب
المنافع لهم ودفع المصائب عنهم... وهنا يأتي دور هذا الخُلق العظيم - ألا
وهو النصيحة -.

فإذا جاءك جارك أو صاحبك أو قريبٌ لك يستشيرك في أي أمر من
أمر دينه أو دنياه فلا بد أن تقدم له النصيحة الخالصة دون غشٍ أو خداع...
فتنصحه بما فيه مصلحته فهذا حق من حقوق إخوانك عليك.
* فتعالوا بنا لتعيش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلقِ النصيحة.

مكانة النصيحة في الإسلام

إن النصيحة لها مكانة عظيمة في دين الله - جل وعلا- وذلك لما يترتب
عليها من صلاح المجتمع ونقاؤه وطهارته.

ومن المعلوم أن بذل النصيحة من أعظم مقومات ترسيخ الأخوة الإيمانية
في المجتمع المسلم وبخاصة إذا كانت النصيحة خالصة لوجه الله وخرجت
برحمة وحنان وبصورة تجعل الإنسان يشعر بحرص إخوانه على إيصال الخير
إليه.

* ومن أجل مكانة النصيحة في دين الله - جل وعلا- جعلها النبي
ﷺ عماد الدين وقوامه فقال ﷺ: «الدين النصيحة»^(١).

ولقد كان النبي ﷺ دائماً يبذل الوصية والنصيحة لأصحابه ﷺ
وللأمة من بعدهم.

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٥) كتاب الإيمان، من حديث تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورواه البخاري معلقاً باب
الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين...

* فهذا رجل يأتيه ويقول للنبي ﷺ أوصني فيقول له: «أوصيك أن تستحي من الله تعالى، كما تستحي من الرجل الصالح من قومك» (١).

.. ويقول ﷺ لرجل آخر: «أوصيك أن لا تكون لعاناً» (٢).

ويقول لرجل آخر: «أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأس كل شيء، وعلبك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعلبك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض» (٣).

وفي رواية: «أوصيك بتقوى الله تعالى، في سر أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن، ولا تسألن أحداً شيئاً، ولا تقبض أمانة، ولا تقض بين اثنين» (٤).

- بل عندما طلب الصحابة أن يوصيهم وصية مودع قال لهم ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدى فسيري اختلاقاً كثيراً، فعليكم بستى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» (٥).

.. وجاءت وصيته ﷺ بالجار فقال ﷺ: «أوصيكم بالجار» (٦).

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٦٩/٦)، من حديث سعيد بن يزيد الأزدي رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٠١٥٥) أول مند البصريين، من حديث جرّمور الهجيمي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٢٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٣٦٥) باقي مند المكثرين، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٥٥).

(٤) حسن: رواه أحمد (٢١٠٦٣) مند الأنصار رضي الله عنه، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٤٤).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، والترمذي (٢٦٧٦) كتاب العلم، وابن ماجه (٤٢) في مقدمة سننه، والدارمي (٩٥) في مقدمة سننه، وأحمد (١٦٦٩٤) مند الشاميين، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

(٦) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (١١١/٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي أمامة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٤٨).

ولا عجب في ذلك فلقد أوصاه جبريل (عليه السلام) بالجار كثيراً...
 قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).
 - بل وجاءت وصية النبي ﷺ بأصحابه رضي عنهم فقال ﷺ: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم...»^(٢).

وقال ﷺ: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيني، وقد قضاوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم ومجاوزوا عن مسيئهم»^(٣).
 * هكذا كان النبي ﷺ يتعهد أصحابه وأمهة بالوصية والنصيحة فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا مع خلق من أخلاق الرسول ﷺ عسى الله أن يرزقنا صحبته في الجنة.

بذل النصيحة من صفات الأنبياء

ولقد كان الأنبياء يبذلون النصيحة لقومهم من أجل أن يأخذوا بأيديهم إلى طاعة الله - جل وعلا -.

قال تعالى مخبراً عن نبيه نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِيسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى مخبراً عن نبيه هود - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِيسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عائشة رضي عنها.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢١٦٥) كتاب الفتن، وابن ماجه (٢٣٦٣) كتاب الأحكام، وأحمد (١١٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، من حديث عمر بن الخطاب رضي عنه، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥١٠) كتاب فضائل الصحابة، عن أنس رضي عنه.

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٦٢).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (٦٨).

وقال تعالى مخبراً عن نبيه صالح - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ (١).

* وقال تعالى مخبراً عن نبيه شعيب - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (٢).

* ووصى إبراهيم - عليه السلام - بنيه بأن يموتوا على الإسلام... قال تعالى: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣).

* بل كان الصالحون يحرصون على بذل النصيحة..

فها هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة ليبذل النصيحة لنبى الله موسى - عليه السلام - كما وصفه الحق - جل وعلا - فقال: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٤).



(١) سورة الاعراف: الآية: (٧٩).

(٢) سورة الاعراف: الآية: (٩٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٣٢).

(٤) سورة القصص: الآية: (٢٠).

النبي ﷺ يبذل للأمة النصيحة الخالصة

لقد كان النبي ﷺ يتعهد أصحابه ﷺ والأمة من بعدهم بالنصح والتواصي فكان ينصح لهم ويوصيهم ويعلمهم ويوجههم.

* عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً...». الحديث (١).

* هكذا كان النبي ﷺ يبذل لهم النصيحة والوصية الغالية... بل إنه ﷺ سأل أصحابه ﷺ في حجة الوداع فقال لهم: «وأنتم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت (٢).

فشهد الصحابة أن النبي ﷺ قد بلغ وأدى ونصح لهم وللأمة من بعدهم... ونحن (والله) نشهد أن النبي ﷺ قد بلغ وأدى الذي عليه ونصح لنا ولم يترك خيراً إلا وقد دلنا عليه ولم يترك شراً إلا وقد حذرنا منه - بأبي هو وأمي ﷺ - .

وها هو ﷺ يعلمهم بذل النصيحة

وكان النبي ﷺ يُعلم أصحابه وأمته من بعدهم بذل النصيحة والتواصي فيما بينهم ليسعدوا في الدنيا بطاعة الله - جل وعلا - وفي الآخرة بجنته ورضوانه - سبحانه وتعالى - .

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٩٠٥) كتاب المناسك، وابن ماجه (٣٠٧٤) كتاب المناسك، والدارمي

(١٨٥٠) كتاب المناسك، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله

في صحيح سنن أبي داود، والحديث أصله في مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه» (١).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا نصح العبد لسيدته وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين» (٢).

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «للمملوك الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي إلى سيده الذي له عليه من الحق والنصيحة والطاعة أجران» (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة» (٤).

مبايعة على النصح لكل مسلم

عن جرير بن عبد الله بن جبير قال: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» (٥).

* قال الإمام النووي -رحمه الله-: ومما يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة لجرير بن جبير رواها الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده، اختصارها أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً، فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٥٠) كتاب العتق، ومسلم (١٦٦٤) كتاب الإيمان، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٥١) كتاب العتق، ومسلم (١٥٤) كتاب الإيمان، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٥٠) كتاب الأحكام، ومسلم (١٤٢) كتاب الإيمان، من حديث معقل بن يسار المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان، من حديث جرير بن عبد الله بن جبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

من ثلاثمائة درهم، أتبعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله. فقال: فرسك خير من ذلك أتبعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة مائة، وصاحبه يرضى وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها، فقيل له في ذلك. قال: إنني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم (١).

من روائع نصح النبي ﷺ

المدح.. هو مفتاح القلوب..

نعم.. من أجمل مهارات الكلام أن تكون مبدعاً في تعويد نفسك على اكتشاف صواب الآخرين.. ومدحهم والثناء عليهم به.. قبل الانتباه إلى خطئهم..

ويتأكد ذلك عندما تريد أن تُنبه شخصاً إلى خطأ ما.. كثير من الناس يرد النصيحة لا لاجل تكبره عنها.. أو عدم اقتناعه بخطئه..

وإنما لأن الناصح لم يسلك الطريق الصحيح لتقديم النصيحة.. هب أنك ذهبت إلى مستشفى حكومي للعلاج.. فلما أقبلت إلى موظف الاستقبال فإذا وراء الزجاج شاب مراهق يقرب جريدة بين يديه.. ويده سيجارة.. غير مبال بما حوله.. وإذا شيخ كبير أعمى يقف مُتعباً في يده اليمنى طفل صغير.. وفي الأخرى ورقة الكشف يتظر أن يحوله الموظف إلى الطبيب.. وإذا بجانبه عجوز كبيرة بيدها طفلة تبكي وقد تمكنت الحمى من جسدها.. وتتظر أيضاً الموظف أن يفرغ من قراءة أخبار ناديه المفضل

(١) مسلم شرح النورى (٢/٥٣).

ليحولها لطبيب الأطفال ..

لما رأيت هذا المنظر ثارت أعصابك - ولا نلومك على ذلك - فصرخت
بالموظف: هيه!! أنت جالس في مستشفى أو في .. أما تخاف الله!!

المرضى يثنون من الألم وأنت تقرأ جريدة!!

لا .. وتدخن أيضاً!!

والله إنه أمرٌ عجيب .. مثلك ما يُريه إلا شكوى لمدير المستشفى .. أو
المفروض أن تُفصل من عملك ..

وبدأت تقذف هذه العبارات كالبرق عليه ..

هب أنه لم يرد عليك .. ولم يقابل صراخك بصراخ ..

هب فعلاً أنه ألقى جريدته .. وأنهى تحويل المرضى إلى الأطباء ..

هل تعتبر نفسك نجحت في حل المشكلة؟!

كلا .. أنت هنا عاجلت الموقف لكنك لم تعالج المشكلة .. لأنه وإن

استجاب لك الآن إلا أنه سيعود إلى تصرفه المشين غداً وبعد غد ..

إذا كيف أتصرف!!؟

تعال إليه واكظم غيظك ..

تعامل مع الموقف بعقل لا بعاطفة ..

لا تدع المناظر المؤذية تؤثر في تصرفاتك ..

ابتسم، وإن كنت مُغضباً، وإن كانت الابتسامة صفراء لا مشكلة،

ابتسم، وقل: السلام عليكم .. سيردّ وهو ينظر إلى صورة لاعبه المفضل:

عليكم السلام .. انتظر لحظة ..

قل أى كلمة تجعله يلتفت إليك .. كأن تقول: كيف الحال؟ .. مسأك الله

بالخير .. سيرفع رأسه - حتماً - إليك ويقول: الحمد لله بخير .. في هذه

المرحلة تكون قد قطعت نصف المشوار ..

تَلَطَّفَ إليه بأى عبارة تمدحه بها ..
 قل له مثلاً: هل تُصدق! المفروض أن مثلك ما يعمل فى استقبال مستشفى ..
 سيتغير ويقول: لماذا؟
 قل: لأن هذا الوجه المنير إذا رآه المريض زال مرضه فلا يحتاج إلى
 طبيب ..
 سيبتسم متعجباً من جرأتك - يا بطل - .. وتنبج أساريه .. وقد صار
 الآن مهيناً لقبول النصيحة ..
 ويقول: ماذا عندك؟
 عندها قل: يا أخى الحبيب! ترى هذا الشيخ الكبير .. وهذه العجوز
 المسكينة .. لبتك تنهى لهما إجراءات الدخول على الطبيب ..
 سيتناول أوراقهما .. ويحولهما للطبيب .. ثم يتناول ورقتك .. فإذا
 انتهى منك وسلمك الورقة ..
 فقل له: سبحان الله! .. هذه أول مرة أراك ومع ذلك فقد دخلت إلى
 قلبى .. لا أدري كيف!!
 والله إنك أحب إليّ من آلاف الناس .. (وفعلاً أنت صادق فهو مسلم
 أحب إليك حتماً من ملايين الكفار) ..
 سيفرح ويشكر لك لطفك ..
 فقل: وعندى كلمات أود أن تسمعها لكنى أخاف أن تُغضبك ..
 سيقول: لا .. لا .. تفضل ..
 عندها قدم له النصيحة ..
 أنت قد منَّ الله عليك بهذه الوظيفة .. وفى واجهة المستشفى .. وأنت
 قدوة لغيرك .. فليتك تتلطف قليلاً مع المرضى .. وتهتم بهم .. لعل دعوة
 صالحة تُرفع لك فى ظلمة الليل من فم عجوزٍ عابدة .. أو شيخ زاهد ..

:أجزم أنه سيخفض رأسه وأنت تتكلم .. ويردد: أشكرك .. جزاك الله خيراً ..

وكذلك استعمل هذه الأساليب مع كل شخص تعالج سلوكه ..

مثل: شخص يتهاون بالصلاة ..

أو أب يهمل بناته فيتكشفن .. ويتساهلن بالحجاب ..

أو شاب عاق لوالديه ..

لأجل أن يقبلوا منك لا بد أن تمارس المهارات المناسبة ..

نعم .. استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح خطأ الآخر .. كن مؤدباً ..

محترماً لرأيه .. قل له: أنا ما أنصحك إلا لأنى أعلم أنك تقبل النصح ..

وفى التنزيل العزيز يقول الله: ﴿ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ۖ ﴾ (١).

وقد كان المربي الحكيم ﷺ يستعمل طرقاً ومهارات تجعل من يُعَدل سلوكهم لا يملكون إلا أن يقبلوا منه ..

أراد ﷺ يوماً أن يُعَلِّم معاذ بن جبل ذكراً يقوله بعد الصلاة ..

فأقبل إلى معاذ وقال: «يا معاذ!.. والله إنى أحبك.. فلا تدعن فى دبر كل

صلاة أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك..».

بالله عليك .. ما علاقة المقطع الأول من الكلام «والله إنى أحبك» ..

بالمقطع الثانى: «لا تدعن أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك»!؟

قد يكون الأنسب لقوله: «إنى أحبك» أن يقول بعدها وأريد أن أزوجك

ابنتى - مثلاً - أو أعطيك مالاً .. أو أدعوك إلى طعام ..

ولكن أن يتبع خبر المحبة تعليمة ذكراً من أذكار الصلاة .. !! فهذا

يحتاج إلى تأمل ..

(١) سورة المجادلة: الآية: (١٢).

أندري ما موقع قوله: «والله إني أحبك»؟ إنه التهيئة لقبول النصيحة..
بمشاعر صادقة.. فإذا ارتاحت نفس معاذ واستبشر، أعطاه النصيحة..
* وفي موقف آخر..

قبض ﷺ يد عبد الله بن مسعود بيده اليمنى، ثم وضع يده اليسرى فوقها، كنوع من العطف والتهيئة، ثم قال: «يا عبد الله!... إذا جلست في التشهد فقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته...».

حفظها عبد الله ووعاها..

ومضت سنوات ومات رسول الله ﷺ..

فكان عبد الله يفخر بذلك ويقول: علمني رسول الله ﷺ التشهد وكفني بين كفيه..

* وفي يوم آخر لاحظ ﷺ أن عمر رضي الله عنه إذا طاف بالكعبة وحاذى الحجر الأسود زاحم الناس وقبله.. وكان صلباً قوى البدن.. وربما زاحم الضعفاء..

فأراد ﷺ أن يقدم له نصيحة.. فقال - على سبيل التهيئة لقبول النصيحة - «يا عمر! إنك رجل قوى..» فرح عمر بهذا الشئ...
فقال ﷺ: «فلا تزاحم عند الحجر..».

* ومرة أراد أن ينصح ابن عمر بقيام الليل.. فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل..».

وفي رواية قال: «يا عبد الله! لا تكن مثل فلان.. كان يقوم الليل.. فترك قيام الليل..».

نعم.. كان ﷺ يستعمل هذا الأسلوب الرائع مع جميع الناس.. ومع الوجهاء خاصة..

في بداية بعثة النبي ﷺ . . كان الناس ما بين مُقبل ومُدبر . .
وكان رجل في المدينة اسمه: سويد بن الصامت وكان رجلاً شريفاً في
قومه . . عاقلاً شاعراً . . يحفظ كلام الحكماء . . حتى قيل: إنه كان يحفظ
كل ما روى عن لقمان الحكيم . . .
حتى بلغ من إعجاب الناس به أنهم كانوا يسمونه: الكامل . . ؛ لِجِلْدِهِ
وشعره . . وشرفه ونسبه . .

وهو الذي يقول:

ألا رباً من تدعو صديقاً ولو ترى

مقالته بالغيب ساءك ما يفري

مقالته كالشهد ما كان شاهداً

وبالغيب مأنور على ثغرة النحر

بسرّك باديه ونحت أديمه

نيممة غش تبتري عقب الظّهر

تبين لك العينان ما هو كاتم

من الغلّ والبغضاء بالنظر الشزر

قَدِمَ سويد بن الصامت يوماً إلى مكة حاجاً . . أو معتمراً . .

فتحدث الناس بدخوله مكة . . وأقبلوا لرؤيته . .

فسمع النبي ﷺ به فأقبل عليه . . فدعاه إلى الله . . وإلى الإسلام . .

وجعل يحدثه بالتوحيد والرسالة وأنه نبي يوحى إليه قرآن . . وأن هذا القرآن

هو كلام الله تعالى . . فيه عبر وأحكام . .

فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؟!!

فقال له رسول الله ﷺ: «ما الذي معك؟!»!

قال: معي مجلة لقمان - يعني: حكمة لقمان . .

فلم يُعنفه ﷺ أو يحقره.. مع أنه يضاهى كلام الله بكلام البشر..
وإنما تَلَطَّفَ معه..

وقال ﷺ: «اعرضها عليّ..».

فشرع سويد يقرأ ما يحفظ من كلام لقمان وحكمه..

ورسول الله ﷺ يستمع إليه بكل هدوء..

فلما انتهى سويد..

قال ﷺ له: «إن هذا الكلام حسن..».

ثم قال - مشوقاً لسويد -: «والذي معي أفضل من هذا.. قرآن أنزله الله

تعالى عليّ.. هو هدى ونور..» ثم تلا عليه رسول الله ﷺ القرآن.. ودعاه

إلى الإسلام.. وسويد يستمع مُنصتاً..

فلما فرغ ﷺ من كلامه.

ظهر على سويد التأثير.. وقال: إن هذا لقول حسن..

ثم انصرف سويد عن النبي ﷺ.. ولا يزال متأثراً بما سمع.. فقدم

المدينة على قومه.. فلم يلبث أن وقع قتال بين قبيلتي الأوس والخزرج..

وكان من قبيلة الأوس فقتلته الخزرج..

وذلك قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة..

ولا يُدرى هل أسلم أم لا؟ وإن كان رجالاً من قومه ليقولون: إنا لنراه قد

قُتل وهو مسلم..

فتأمل في تعامله ﷺ معه.. وكيف ملكه بأخلاقه ولم يعنف

عليه.. (١).

* * *

(١) استمع بجيانك / د . محمد العريفي (ص: ٣٢٧-٣٢٢).

منزلة حديث (الدين النصيحة)

هذا الحديث جليل القدر وعظيم الشأن، ثم هو قليل الألفاظ، كثير الفوائد والمعاني، بل إن أحكام الإسلام داخلة تحته؛ لأنه ينص على أن عماد الدين وقوامه النصيحة، فبوجودها يبقى الدين قائماً في المسلمين، وبعدمها يدخل النقص على المسلمين في جميع شؤون حياتهم. وأهمية هذا الحديث تأتي من أهمية النصيحة التي جعلها رسول الله ﷺ قوام الدين وعماده، وقد حدّد ﷺ الناصح والمنصوح بشكل واضح؛ فالناصح هو كل مسلم آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وكل هذا قد بيّنه ﷺ في قوله: «الدين النصيحة» فمن التزم بدين الإسلام وجب أن يكون ناصحاً.

أما المنصوح: فقد بيّنه ﷺ بقوله: «النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

ولربما يسأل المرء نفسه: كيف تكون النصيحة لهذه الأصناف؟

الجواب وبالله التوفيق:

١- النصيحة لله: النصيحة لله تعالى معناها منصرف إلى الإيمان به، ونفى الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه - سبحانه وتعالى - من جميع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاته من أطاعه ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور والدعوة إلى جميع الأصناف المذكورة، والحث عليها، والتلطف مع جميع الناس ودعوتهم إليها، وخلاصة القول: أن يكون الإنسان مطيعاً لله بفعل أمره وترك نهيه، ووصفه بصفات الكمال والعظمة، وتنزيهه من النقص.

٢- النصيحة لكتاب الله: النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى: الإيمان بأنه كلام الله تعالى - حروفه ومعانيه - منه بدأ وإليه يعود، مُنزلٌ غير مخلوق، تكلم الله به حقاً، وألقاه إلى جبريل فنزل به جبريل - عليه السلام - على محمد ﷺ، ثم الاهتمام بتلاوته والحشوع عندها، وحفظه، وتفسيره، والذَّبُّ عنه، ودحض تأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والاعتقاد بأنه منهج للحياة شامل كامل صالح لكل زمان ومكان، وبذل ما في الوسع لإقامة حكمه، والعمل به، والوقوف عند أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتصديق بأخباره والتفكير في عجائبه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومته وخصوصه وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه. والاهتمام بتعلُّمه وتعليمه عملاً بقوله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه»^(١).

٣- النصيحة لرسول الله ﷺ: النصيحة لرسول الله ﷺ تصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونُصرتِه حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاته من وآله، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبيثُ دعوته ونشر شريعته، ونفى التهمة عنها، ونشر علومها والتفقه في معانيها، والتلطف في تعلمها وإعظامها، وإجلالها، والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلُّق بأخلاقه والتأدب بأدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه؛ فالنصيحة للرسول ﷺ هي محبته حباً يفوق محبة النفس والأهل والولد والناس أجمعين عملاً بقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٢).

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٥)، كتاب الإيمان، ومسلم (٤٤) كتاب الإيمان.

٤- النصيحة لأئمة المسلمين: وتكون بإعانتهم على ما حملوا القيام به، ومعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ما لم يبلغهم من حقوق المسلمين، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، والاتصال بهم وإخبارهم بعيوبهم، وتذكيرهم بالله تعالى واليوم الآخر، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحثهم على الزهد والورع والعدل، ومجانبة الظلم.

ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم ضعف أو سوء عشرة أو فجور أو ظلم؛ ما أقاموا الصلاة، وأن لا يُغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعوا لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين؛ من يقومون بأمر المسلمين ويُحكّمون شرع الله تعالى، وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم العلماء فتكون نصيحتهم بتوقيرهم وأخذ العلم عنهم، واتباعهم في الأحكام وإحسان الظن بهم.

٥- النصيحة لعامة المسلمين: هي في إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم وديانهم، وكف الأذى عنهم؛ فيعلمهم ما يجهلون من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذبّ عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيطهم إلى الطاعات.



الدروس المستفادة من حديث «الدين النصيحة»

- ١- الأمر بالنصيحة، والتأكيد عليها، حتى جعلت كأنها الدين كله للاعتناء بها.
- ٢- إن النصيحة تُسمى ديناً وإسلاماً، والإسلام قائم على التناصح.
- ٣- إن على العالم أن يأتي بالأمر المهم إجمالاً، ثم يأتي به تفصيلاً ليتأهب السامع فيتطلع إلى بيان هذا المفضل؛ فيكون أوقع في النفس وأدعى للقبول.
- ٤- إن النصيحة واجبة على كل مسلم لأخيه المسلم في كل حال وزمان ومكان.
- ٥- إن النصيحة لأئمة المسلمين السمع لهم والطاعة بالمعروف وإعانتهم على الحق وإرشادهم فيما جهلوه أو غفلوا عنه، والوفاء بعهدهم وامثال أمرهم على الحق.
- ٦- ومن الدروس المستفادة أن الدين يُطلق على العمل لكونه سَمَى النصيحة ديناً.
- ٧- ومن الدروس المستفادة أيضاً أن الدين ليس عقيدة وعبادة فقط، ولا معاملة فقط، كما يقول البعض، وإنما عقيدة وعبادة ومعاملات ونظام حياة^(١).



(١) النصيحة / عبد الله بن عبد الحميد الأثرى (ص: ٧-١٢).

نصيحة غالية من إبراهيم بن أدهم

ذهب رجل مذنب إلى رجل من الصالحين اسمه: إبراهيم بن أدهم فقال له: إني مُسرف على نفسي بالذنوب والمعاصي فأريد منك وصفة تجعلني أبتعد عن الذنوب والمعاصي.

فقال له إبراهيم بن أدهم: سأخبرك بخمسة أشياء إن فعلتها فلن تكون من العصاة.

فقال الرجل: هات ما عندك يا إبراهيم، فقال: الأولى إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئاً من رزقه، فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم، والأرزاق كلها من عند الله؟ فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل من رزقه وتعصيه؟! قال: لا يا إبراهيم هات الثانية. فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك لله، فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه؟! قال: لا يا إبراهيم هات الثالثة فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكاناً لا يراك فيه فاعصه فيه قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر - يعلم السر وأخفى - ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء. فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه؟! قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني إلى أجل معدود. فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١)، فقال له: إذا كنت

(١) سورة الاعراف: الآية: (٣٤).

تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة؟! قال: نعم. هات الخامسة يا إبراهيم. فقال: إذا جاءك الزبانية - وهم ملائكة جهنم - ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا إبراهيم، أنا أستغفر الله وأتوب إليه... ولزم العبادة حتى فارق الحياة.

اجعل لسانك عذبًا

لا تخلو حياتنا من مواقف نحتاج فيها إلى تقديم توجيهات ونصائح للآخرين.. نقدمها إلى الولد.. الزوج.. الصديق.. الجار.. الأبوين تختلف نهايات النصائح.. باختلاف بداياتها..

أعني إن كانت البداية بأسلوب مناسب.. ومدخل لطيف.. انتهت كذلك.. وإن كانت بأسلوب جاف.. ومدخل عنيف.. انتهت كذلك.. عندما ننصح الناس.. فنحن في الواقع نتعامل مع قلوبهم.. لا أجسادهم.. لذلك تجد بعض الأبناء يتقبل من أمه النصح ولا يتقبل من أبيه.. أو العكس..

والطلاب يتقبلون من مدرس دون الآخر.. وأول البراعة في النصيحة.. أن لا تكثر منها وتدقق على كل صغير وكبير.. حتى لا يشعر الآخرون أنك مراقب لحركاتهم وسكناتهم.. فتثقل عليهم..

ليس الغي بسيد في قومه

لكن سيد قومه المتغابي

وإن استطعت أن تقدم النصيحة على شكل اقتراح.. فافعل.. مثال: قدمت زوجتك طعامك إليك.. وقد تعبت في صنعه وإعداده.. ولكنه مالح.. فلا تقل: أووه.. ما هذا الطعام؟..

أعوذ بالله!!

وضعت علبة ملح كاملة ١١

لا.. وإنما قل: لو قللت الملح فى الطعام لكان أحسن..
وكذلك لو رأيت ولدك متسخ الملابس.. فقدم النصيحة على شكل
اقتراح.. لأن الناس لا يحبون تلقى الأوامر.. فقل: لو تغير ملابسك
بشباب أجمل..

ولو تأخر طالب عن مدرسته.. قل: لو ما تأخر عن مدرستك مرة
أخرى.. أفضل.. استعمل هذه الأساليب دائماً: ما رأيك لو فعلت كذا..
أترح عليك كذا وكذا..

فهذه الأساليب الرقيقة أحسن من قولك.. يا قليل الأدب..

كم مرة قلت لك..

أنت ما تفهم..

إلى متى أعلمك؟!!

اجعله يحتفظ بماء وجهه.. ويشعر بقيمته حتى وهو مخطئ..

أندرى لماذا؟

لأن المقصود علاج أخطائه لا الانتقام منه أو إهنته..

يعنى يا جماعة.. بالعبرة الصريحة: لا أحد يحب أن يتلقى الأوامر..

وانظر إلى المنهج النبوى فى ذلك..

أراد ﷺ يوماً أن يوجه عبد الله بن عمر للتعبُّد بصلاة الليل.. فما

دعاه وقال: يا عبد الله قم الليل.. وإنما قدم النصيحة على شكل اقتراح..

وقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل»..

وفى رواية قال: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان.. كان يقوم الليل فترك قيام

الليل»..

بل إن استطعت أن تلفت نظره إلى الأخطاء من حيث لا يشعر فهو أولى..

* عطس رجل عند عبد الله بن المبارك . فلم يقل الحمد لله . .

فقال عبد الله: ماذا يقول العاطس إذا عطس؟

قال: الحمد لله . .

فقال عبد الله: يرحمك الله . .

* وكان رسول الله ﷺ كذلك . .

كان إذا انصرف من صلاة العصر . . دخل على نسائه واحدة واحدة . .

فيدنو من إحداهن . . ويتحدث معها . . فدخل على زينب بنت جحش . .

فوجد عندها عسلاً . . وكان ﷺ يحب العسل والحلواء . . فأخذ يأكل

منه ويتحدث معها . . فاحتبس عندها أكثر ما كان يحتبس عند غيرها . .

فغارت عائشة وحفصة . . وتواصتا من دخل عليها تقول له: أجد منك ريح

مغافير . . وهو شراب حلو يشبه العسل . . ولكن له رائحة سيئة . .

وكان ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح من بدنه أو فمه . . لأنه

يُناجى جبريل . . ويناجى الناس . .

فلما دخل على حفصة . . سأته ماذا أكل؟

فقال: «شربت عسلاً عند زينب . .» .

فقالت: إني أجد منك ريح مغافير . .

فقال: «لا بل شربت عسلاً . . ولن أعود له . .» .

ثم قام ودخل على عائشة . . فقالت له عائشة مثل ذلك . .

ومضت الأيام . . وكشف الله له القضية كلها . .

وبعد أيام . . أسراً إلى حفصة رضيها حديثاً . . فأظهرته . .

فدخل عليها يوماً . . وعندها الشفاء بنت عبد الله . . وكانت صحابية

تعلم الطب . . وتعالج الناس . . فأراد ﷺ أن يلفت نظر حفصة إلى

خطئها معه بأسلوب غير مباشر . . ليكون أرفق وأحسن . . فماذا فعل؟

فقال ﷺ للشفاء: «ألا تُعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة؟»
ورقية النملة كلام كانت نساء العرب تقوله.. يعلم كل من سمعه أنه
كلام لا يضر ولا ينفع..

ورقية النملة التي كانت تعرف بينهن أن يقال:

العروس تحتفل..

وتختضب وتكتحل..

وكل شيء تفتعل..

غير أن لا تعصى الرجل..

فأراد ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة والتأديب لها تعريضاً.. بأن تردد

جملة: غير أن لا تعصى الرجل..

وما أجمل هذه الأساليب في علاج أخطاء الآخرين ليقى الود في

القلوب متيناً لا تهزه الأخطاء ولا تكدره كثرة النصائح..

* أحد السلف استلف منه رجل كتاباً.. فردّه إليه بعد أيام وعليه آثار

طعام.. كأنه حمل عليه خبزاً أو عنباً.. فسكت صاحب الكتاب..

وبعد أيام جاءه صاحبه يستعير منه كتاباً آخر.. فأعطاه الكتاب في

طبق.. ١١.

فقال الرجل: إنما أريد الكتاب.. فما بال الطبق؟!

فقال: الكتاب لتقرأ فيه.. والطبق لتحمل عليه طعامك!

فأخذ الكتاب.. ومضى.. فقد وصلت الرسالة..

* وأذكر أن أحدهم كان يعود إلى بيته ليلاً.. وينزع ثوبه..

يعلقه على الشماعة.. وينام.. فتأتى زوجته.. وتفتح محفظة النقود..

ثم تأخذ بعض المال الموجود.. من فئة الريال.. والخمسة..

فإذا استيقظ صباحاً وذهب إلى عمله.. واحتاج أن يحاسب في بقالة

ونخزها.. لم يجد ذلك المال اليسير.. فتحير الرجل.. ترى أين ذهب المال؟! فراقبها.. حتى فهم القضية..

فرجع إلى بيته يوماً.. وقد جعل في جيبه ضفدعاً!

ونزع ثوبه كالعادة.. واضطجع كهيئة النائم.. وهو يراقب الثوب.. فأقبلت زوجته لتأخذ ما يتيسر.. كالعادة!!

أقبلت إلى الثوب تمشي رويداً.. أدخلت يدها بهدوء.. فلمست الضفدع.. فتحرك فجأة.. فصرخت: آ آ آه.. يدي.. ففتح الزوج عينيه.. وقال: آ آ آه.. جيبي..

ليتنا نستعمل هذا الأسلوب.. مع جميع الناس.. أولادنا إذا وقعوا في أخطاء.. ومع طلابنا..

* نايف أحد الأصدقاء.. كان له أم صالحة.. لا ترضى أن يبقى في البيت صور أبدأ.. لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة..

كان عندها طفلة صغيرة.. عندها ألعاب متنوعة.. إلا الدُمى.. العرائس.. كانت الأم تمنعها من شراء الدُمى والعرائس وتأذن لها في بقية أنواع الألعاب..

أهدت إليها خالتها دُمى.. عروسة تتكلم وتتحرك.. وقالت لها: العبي بها في غرفتك.. واحذري أن تراها أمك.. وبعد يومين.. علمت الأم.. فأرادت أن تقدم النصيحة بأسلوب مناسب..

جلسوا على الطعام.. فقالت أم نايف: يا أولاد..!! من يومين.. وأنا أشعر أن البيت ليس فيه ملائكة!! لا أدري لماذا خرجت.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

والبنت الصغيرة تسمع وهي ساكنة..

وبعد الغداء رجعت الصغيرة إلى غرفتها.. فلإذا بين يديها ألعاب

كثيرة.. والعروسة من بينها.. فالتقطتها.. وجاءت بها إلى الأم وقالت:

ماما.. هذه التي طردت الملائكة.. افعلى بها ما شئت!!

فما أجمل هذه الأساليب ليكون أحدنا مُصلحاً لأخطاء الناس.. ناصحاً

لهم وفي الوقت نفسه خفيف النفس عليهم غير مضجر ولا مُمل لهم..

يعنى دع المنصوح يحتفظ بماء وجهه.. ويمكن أن تاكل العسل من غير

أن تحطم الخلية.. لا تنصحه كأنه قد كفر بفعله..

بل أحسن الظن به.. واعتبر أنه وقع في الخطأ من غير قصد.. أو من

غير أن يعلم..

كانت الخمر في أول الإسلام لم تُحرّم بعد.. ثم نزل تحريمها على

مراحل..

ففي المرحلة الأولى.. بغضهم الله تعالى في الخمر ولم يقطع

بتحريمها.. فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ

لِلنَّاسِ﴾ (١).

ثم في المرحلة الثانية: حرّم عليهم شربها قرب وقت الصلاة فقال: ﴿لَا

تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٢).. فصار الشخص لا يكاد

أن يجد وقتاً لشرب الخمر لانشغاله بالصلوات وتتابعها..

ثم في المرحلة الأخيرة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣).. فترك كل من كان يشربها

شربها وانتهوا عنها..

إلا أن بعض الناس خارج المدينة لم يعلموا بالتحريم القطعى للخمر..

وفي يوم أقبل عامر بن ربيعة.. الصحابى الجليل.. من سفر.. فأهدى

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١٩).

(٢) سورة النساء: الآية: (٤٣).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٩٠).

لرسول الله ﷺ راوية خمر.. جرة كاملة مملوءة خمرًا..
ولم يكن النبي ﷺ يشرب الخمر لا في الجاهلية ولا في الإسلام..
لكن الناس كانوا يهدون إليه هدايا أحيانًا لا ليستعملها وإنما ليهدبها أو
بيعها..

فكان بعضهم قد يهدى إليه ذهبًا أو حريرًا فلا يلبسه وإنما يهديه لزوجاته
أو غيرهن..

نظر النبي ﷺ إلى الخمر مستغربًا.. والتفت إلى عامر بن ربيعة..
وقال: «أما علمت أنها قد حرمت؟»..

قال: حرمت؟! لا.. ما علمت يا رسول الله..

قال: «فإنها قد حرمت»..

فحملها عامر..

فأسر إليه بعضهم بأن يبيعها..

فسمعه النبي ﷺ فقال: «لا.. إن الله إذا حرم شيئًا.. حرم ثمنه»..

فأخذها رضى الله عنه فأهرقها على التراب^(١)..

وانتبه أن تمدح نفسك وأنت تنصح.. فترفع نفسك وتسحب المنصوح

إلى القاع..

لا أحد يرضى بذلك..

بعض الآباء - مثلاً -.. إذا نصح ولده بدأ يذكر أمجاده.. أنا كنت

وكنت.. ولعل الولد يعلم تاريخ والده..!!

فإذا احتجت أن تضرب مثلاً وأنت تنصح فحاول جاهداً أن لا تضربه

على نفسك فتذكر بطولاتك وأمجادك.. وإنما اضرب المثال بغيرك.. حتى

لا يشعر المنصوح أنك تهينه وتمدح نفسك..^(٢)

(١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) استمع بحياتك (٢٤٠-٢٤٥).

اقبل نصيحة إخوانك

كان هناك ثلاثة من الأصدقاء (أحمد وفتحى وعصام) وكانوا يعيشون فى مدينة جميلة تطل على البحر مباشرة وكانت مليئة بالحدائق والبساتين. وكان الثلاثة مجتهدين فى الدراسة ومتفوقين.

وفى نهاية كل أسبوع يخرجون سوياً فى نزهة لتجديد النشاط مرّة أخرى فيرجعوا إلى دراستهم فى غاية التركيز والنشاط.

وفى يوم من الأيام خرجوا لنزهة جميلة إلى إحدى حدائق المدينة المطلّة على البحر. . . وأخذوا معهم الطعام والشراب والفاكهة واللعب التى سيلعبون بها.

فلما وصلوا وضعوا أغراضهم تحت إحدى الأشجار الوارفة وأخذوا يلعبون ويمرحون فى الحديقة.

فلما حان وقت الصلاة ذهبوا إلى المسجد القريب وصلوا صلاة الظهر ثم عادوا وقد حان وقت الغداء فأخرجوا الطعام وجلسوا يأكلون الطعام الشهى الذى أعدته لهم والدة أحمد.

ولما انتهى الثلاثة من الغداء قام أحمد ونظف مكانه وكذلك فعل عصام. . . أما فتحى فقد ترك بقايا الطعام فى الحديقة وقال لهما هيا بنا لنستمتع مره أخرى باللعب.

فقال له أحمد: يا فتحى. لماذا لا تنظف مكانك وتضع بقايا الطعام فى سلة المهملات؟

فتحى: لأننا بعد قليل سوف نترك هذا المكان فلا يضرنى أن المكان نظيف أو غير نظيف.

عصام: لكن هذا لا يجوز يا فتحى لأن الإسلام دين النظافة ولأنك لا بد أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

أحمد: نعم يا فتحى... وكذلك لا بد أن تعلم أن بقايا الطعام التى تركتها سوف تتغير رائحتها وستؤذى من سيأتى بعدنا لنفس المكان، ونحن قد جئنا لهذا المكان فوجدناه نظيفاً ولا بد أن نتركه نظيفاً.

* ورغم كل هذا أصر فتحى على أن يترك بقايا الطعام.

* فقال أحمد لعصام: أنا أستطيع أن أنظف مكان فتحى وأحمل بقايا طعامه إلى سلة المهملات ولكنى أريد أن ألقنه درساً لا ينساه أبداً.

* وبالفعل بعد أسبوع ذهب الثلاثة كالعادة للترهة واللعب فنزلوا فى نفس المكان ووضعوا أغراضهم تحت نفس الشجرة.

فلما أرادوا أن يلعبوا قال فتحى: هيا نذهب إلى مكانٍ آخر فإنى أشم رائحة كريهة فى هذا المكان.

أحمد: ولكن يا فتحى هذا أفضل مكان فى هذه الحديقة فكيف نتركه.

فتحى: ألا تشم هذه الرائحة الكريهة؟

أحمد: طبعاً أشمها وهى فعلاً رائحة كريهة جداً ولكنك لم تسأل نفسك عن سبب هذه الرائحة الكريهة.

فنظر فتحى فوجد أن بقايا الطعام التى تركها هنا منذ أسبوع قد تعفنت وتسببت فى هذه الرائحة الكريهة.

فقال له عصام: أرايت يا فتحى كيف أنك حرمتنا من اللعب فى هذا المكان الجميل بسبب بقايا الطعام التى تركتها.

أحمد: بل ومن المؤكد أنك حرمت كثيراً من الناس من أن يستمتعوا بهذا المكان بسبب هذه الرائحة.

فوضع فتحى رأسه فى الأرض وقال: أنا آسف... وسوف أنظف المكان فوراً ولن أفعل ذلك أبداً... وأنتم على حق لأنه لو فعل كل إنسان فى الأماكن العامة مثلما فعلت فلن يبقى مكان نظيف فى المدينة أبداً.

* وبالفعل قام فتحى بتنظيف المكان وهو يشعر بالسعادة .
ثم أخذوا يلعبون ويستمتعون بهذه الحديقة الجميلة ويقولون: - حقاً . - إن
النظافة من الإيمان .

آداب النصيحة

وهناك آداب ينبغى أن نتحلى بها عند بذل النصيحة لمن حولنا:

(١) أن تكون النصيحة خالصة لوجه الله:

بحيث لا يرجو الناصح إلا وجه الله والدار الآخرة ولا يكون ذلك
لمطمع دنيوى أو لطلب الرياء والسمعة .

(٢) أن تكون عن دراية وعلم:

لأن الإنسان إذا لم يكن على علم فقد ينصح بمنكر، وقد ينهى عن
معروف، فلا بد من العلم بذات الأمر الذى فيه النصيحة، وليس شرط العلم
أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كاملاً، وحافظاً للصحيحين، لا، بل المقصود
هو العلم بذات الأمر المنصوح به .

(٣) أن يتحلى الناصح بخلق الرفق:

كذلك على الناصح أن يتخلق بالرفق، أى: أن تكون النصيحة فى رفق
ولين، وقد أمر الله تعالى باللين مع من هو أكفر أهل الأرض فى زمنه
(فرعون) فقال لنبيه موسى وهارون (عليهما السلام) حينما أمرهما بالذهاب
إلى فرعون الطاغية المتكبر: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (١) ،
والنبي ﷺ يقول: «إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا
شانه» (٢) ، وقال عليه الصلاة والسلام: «من يُحرم الرفق يحرم الخير كله» (٣) .

(١) سورة طه: الآية: (٤٤) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٢) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث جرير ابن عبد الله رضي الله عنه .

قال ربنا - جل وعلا - : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١)، وقال - جل وعلا - : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٢)، فمن لوازم النصيحة الرفق، أن تكون رفيقاً رحيماً في نصيحتك .

(٤) اختيار الأسلوب المناسب للنصيحة:

وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص... فبعض الناس يحتاج إلى النصيحة بشكل مباشر وبعضهم يحتاج إلى النصيحة بشكل غير مباشر كما كان النبي ﷺ يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا... أو يفعلون كذا...».

- بل وفي أكثر الأحوال يحتاج الناس إلى النصيحة من خلال القدوة المتمثلة في شخص الناصح الذي يبذل لهم النصيحة.

- ولا ننسى أيضاً أن بذل النصيحة للصغير يختلف عن بذلها للكبير... وكذلك فإن بذلها لصاحب المكانة المرموقة يختلف عن بذلها للرجل البسيط.

- فالحاصل أنه ينبغي لمن يبذل النصيحة أن يتحلى بالذكاء وفقه النفس حتى يعلم متى يتكلم ومتى يصمت ومتى يبذل النصيحة بشكل مباشر ومتى يبذلها بشكل غير مباشر.

(٥) أن لا يكون الهدف منها التشهير أو الانتقاص:

فالواجب على الناصح أن يجعل المنصوح يشعر بأن المقصود إرادة الخير له... وأن تلك النصيحة ليس من ورائها أي مطمع سوى الفوز برضوان الله والحرص على جلب المنفعة لإخوانه المسلمين أمثالا لقول سيد المرسلين ﷺ - كما عند مسلم - : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٣).

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٥) كتاب الإيمان، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) أن تشمل النصيحة أمر الدين والدنيا،

فإذا رأيت أخاك مقصراً في طاعة الله أو جريئاً على معصية الله -جل وعلا- فعليك أن تبذل له النصيحة بكل رحمة وحنان... وكذلك إذا رأيت مقبلاً على أمر من أمور الدنيا وعلمت أن مصلحته في أن يتعد عن ذلك الأمر فانصحته في ذلك فإن الواجب على المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير في أمور الدنيا والآخرة.

(٧) لا تنصح أخاك إلا سراً،

* قال مسعر بن كدام - رحمه الله تعالى -: «رحم الله من أهدى إلى عيوبى في سر بينى وبينه، فإن النصيحة في الملاءم تقريع»^(١).

ولذلك قال الشافعي - رحمه الله -:

تعهدي بنصحك في انفراد

وجنبتى النصيحة في جماعه

فإن النصح بين الناس نوع

من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتى وعصيت أمرى

فلا تجزع إذا لم تُعط طاعه

وقال: «من وعظ أخاه سراً فقد وعظه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»^(٢).

* ولذلك فينبغي أن نحرض كل الحرص على بذل النصيحة للغير سراً حتى لا نجرح مشاعره ونؤذي أحاسيسه فيكون ذلك حائلاً بينه وبين قبول النصيحة والانتفاع بها.

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٩٠).

(٢) مقدمة المجموع شرح المهذب (١/ ٣١).

(٨) على الناصح أن يتخلق بخلق الصبر،

وأخيراً فإن الذي يبذل النصيحة للناس عليه أن يتحلى بالصبر وذلك؛ لأن أكثر الناس لا يستجيبون في التو واللحظة بل إن بعضهم قد يسمع النصيحة فلا يستجيب لها إلا بعد سنوات ولذلك فعلى الناصح أن يعلم يقيناً أنه ليس عليه إلا البلاغ أما الهداية فلا يملكها أحد إلا الله -جل وعلا- فقد قال تعالى للحبيب محمد ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١).

- ونحن نعلم أن النبي ﷺ عرضت عليه الأمم فرأى النبي ومعه الرهيط ورأى النبي ومعه الرجل والرجلان ورأى النبي وليس معه أحد (٢) . . . أي: لم يؤمن معه من قومه أحد.

- بل ونحن نعلم أيضاً كيف تحمل النبي ﷺ الأذى من مشركي قريش وغيرهم وكيف أنهم دبروا المؤامرات تلو المؤامرات لقتل الحبيب محمد ﷺ ومع ذلك كان يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (٣) بل وعند فتح مكة لم ينتقم من أهل مكة ولم يعلق لهم المشانق بل قال لهم بلسان الرحمة: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» (٤).

ثمرة غالية

وها هي ثمرة غالية من ثمرات بذل النصيحة ألا وهي أن العبد إذا دل الناس على أي خير فله مثل أجرهم دون أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

(١) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٥٢) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٧٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٧٩٢) كتاب الجهاد والسير، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه البيهقي في الكبرى (١١٨/٩).

* قال ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (١).
 وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم، مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» (٢).
 وقال ﷺ: «ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعَمِ» (٣) (٤).

من فوائد النصيحة والتواصي

- واليكم تلكم الباقية العطرة من فوائد النصيحة والتواصي:
- (١) النصيحة لُب الدين وجوهر الإيمان.
 - (٢) دليل حب الخير للآخرين، وبغض الشر لهم.
 - (٣) تكثير الأصحاب إذ إنه يؤمن منه الجانب، وتقليل الحُساد، إذ إنه لا يحب لغيره الشر والفساد.
 - (٤) صلاح المجتمع إذ تُشاع فيه الفضيلة، وتُستر فيه الرذيلة.
 - (٥) إحلال الرحمة والوداد مكان القسوة والشقاق.
 - (٦) الاشتغال بالنفس لاستكمال الفضائل من تمام النصح.
 - (٧) بيان خطأ المخطئ في المسألة والمسائل - وإن كرهه - من النصيحة الواجبة لا من الغيبة المحرمة.
 - (٨) من قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والتفريع.
 - (٩) في التواصي بالحق وبالصبر ونحوهما ما يكفل حياة مستقرة

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حُمُر النَّعَمِ: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة،

من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

للمجتمع الإسلامي.

(١٠) في الأخذ بوصية الله - عز وجل - ووصية رسوله ﷺ صلاح حال الفرد والمجتمع معاً.

(١١) للوصية الصادقة تأثير بالغ في النفس وهي دافع قوى لتنفيذ الموصى به.

(١٢) الوصية وسيلة من وسائل التقوى والتذكر والتعقل^(١).

وأخيراً: فإني أسأل الله - جل وعلا - أن يرزقنا الرفق والرحمة في نصح الناس من حولنا وأن يرزقنا الإخلاص في الأمور كلها... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) نضرة النعيم (٨/٣٥٠٧).

النبي ﷺ
ولذة الذكر

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ ولذة الذكر

وما نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه . . ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم .
وما نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب .

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ - وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه يعلمهم ويربيهم ويوصيهم بكل خير ينفعهم في دنياهم وآخرتهم فقال لهم النبي ﷺ : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق - أي الفضة -، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى. قال: «ذكر الله» (١).
فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع ذكر الله (جل وعلا).

لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله

يا من تريد السعادة الحقيقية عليك بذكر الله - جل وعلا - أما سمعت قول الله - جل وعلا - : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (٢).
وقال تعالى: ﴿فأذكروني أذكركم﴾ (٣).

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الادب، وصححه

العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٢٩).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).
 وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢).

* وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحى والميت» (٣).
 ورواه مسلم فقال: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحى والميت» (٤).

* وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت على، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله» (٥).
 * وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلة في الجنة» (٦).

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» (٧).

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير

(١) سورة الجمعة: الآية: (١٠).

(٢) سورة الاحزاب: الآية: (٣٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٥) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٣) كتاب الأدب، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٠٠).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) كتاب الدعوات، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٧) حسن: رواه الترمذى (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥).

أعمالكم، وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: «ذكر الله تعالى»^(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلى، ويطعمون كما نطعم، ولهم فضل من أموال، يحجون، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون. فقال: «ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم. ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون، وتحمدون وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال أبو صالح الراوي عن أبي هريرة، لما سُئِلَ عن كيفية ذكرهن، قال: يقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثاً وثلاثين^(٢).

وزاد مسلم في روايته: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

* وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إنى لأحبك، فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»^(٣).



(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢١١٩٥)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٢٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٤٣) كتاب الأذان، ومسلم (٥٩٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٢) كتاب الصلاة، والنسائي (١٣٠٣) كتاب السهو، وأحمد (٢١٦٢١)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

الصدق حبيب الله، والصراحة صابون القلوب، والتجربة برهان، والرائد لا يكذب أهله، ولم يوجد عمل أشرح للصدر وأعظم للأجر كالذكر ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(١) وذكره سبحانه جنته في أرضه من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وهو إنقاذ للنفس من أوصابها وأتاعبها واضطرابها بل هو طريق مسرّ مختصر إلى كل فوز وفلاح... طالع دواوين الوحي؛ لترى فوائد الذكر، وجرب مع الأيام بلسمه لتتال الشفاء.

بذكره سبحانه تنقش سُحب الخوف والفرع والهم والحزن. بذكره تزاح جبال الكرب والغم والأسى.

ولا عجب أن يرتاح الذاكرون فهذا هو الأصل الأصيل، لكن العجب العُجاب كيف يعيش الغافلون عن ذكره ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْثُونَ﴾^(٢).
يا من شكى الأرق وبكى من الألم وتفجع من الحوادث، ورمته الخطوب هيا اهتف باسمه المقدس، هل تعلم له سَمياً.

بقدر إكثارك من ذكره ينبسط خاطرك، يهدأ قلبك، تسعد نفسك، يرتاح ضميرك؛ لأن في ذكره -جل في علاه- معاني التوكل عليه والثقة به والاعتماد عليه والرجوع إليه، وحسن الظن فيه، وانتظار الفرج منه، فهو قريب إذا دُعِيَ، سميع إذا نُودِيَ، مجيب إذا سُئِلَ، فاضرع واخضع واخشع، وردد اسمه الطيب المبارك على لسانك توحيداً وثناءً ومدحاً ودعاءً وسؤالاً واستغفاراً، وسوف تجد -بحوله وقوته- السعادة والأمن والسرور والنور والحبور ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٢) سورة النحل: الآية: (٢١).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٤٨).

(٤) لا تحزن (ص: ٣٥، ٣٦).

أفضل الذكر وأنفعه

من الذاكرين من يتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطأ على الذكر.

ومنهم من لا يرى ذلك، ولا يتدئ على غفلة، بل يسكن حتى يحضر قلبه، فيشرع في الذكر بقلبه، فإذا قوى، استتبع لسانه فتواطأ جميعاً.
فالأول: ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه.

والثاني: ينتقل من قلبه إلى لسانه، من غير أن يدخل قلبه منه، بل يسكن أولاً حتى يحس بظهور الناطق فيه، فإذا أحس بذلك نطق قلبه، ثم انتقل النطق القلبي إلى الذكر اللساني، ثم يستغرق في ذلك؛ حتى يجد كل شيء منه ذاكراً.
وأفضل الذكر وأنفعه: ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده^(١). اهـ.

الذكر والشكر

* قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

مبنى الدين على قاعدتين: الذكر والشكر، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٢).

وليس المراد بالذكر مجرد الذكر اللساني بل الذكر القلبي واللساني، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم إلا بتوحيده، فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه^(٣).

(١) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٢٧٢).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٣) الفوائد (ص: ١٣٨).

* فاحرص على أن تكون ذاكرًا لله في جميع أحوالك: فإذا جاءك الأمر من عند الله فامتثل لأمره فانت ذاكرٌ لله.. وإذا جاءك النهي من عند الله فانتهيت فانت ذاكرٌ لله.

وبالجملة... فذكر الله -جل وعلا- هو أن يكون الله منك على بال دائماً فلا تحرك ساكنًا إلا وفق شرعه ومنهاجه وبما جاء في سنة رسوله ﷺ.

في رحاب الذاكرين

* فيها هو سيد الذاكرين رسول الله ﷺ تقول عنه أمنا عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه. ولم تستن حالة من حالة، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه - تعالى - في حال طهارته وجنابته.

وأما حال التخلّي، فلم يكن يشاهده أحدٌ يحكى عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلّي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر، وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا» (١).

وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل، فلا ريب أنه لا يكره بالقلب. * وكان ﷺ يدعو ويقول: «... اللهم اجعلني لك شاكراً لك ذاكرًا لك راهبًا...» (٢).

* وقال تعالى لكليمه موسى (عليه السلام): ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١) كتاب الوضوء، ومسلم (١٤٣٤) كتاب النكاح.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥١٠) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٥٥١) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٨٥).

(٣) سورة طه: الآية: (٤٢).

وقال تعالى على لسان نبيه موسى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿١﴾.

* وما هو زكريا (عليه السلام) يسأل الله أن يرزقه الولد فتبشره الملائكة بالولد... فيطلب آية وعلامة على هذه المعجزة فكانت العلامة أنه يظل ثلاثة أيام لا يستطيع أن يتكلم إلا بذكر الله.

قال تعالى حاكياً عنه أنه: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٢﴾.

* وهذا نبي الله يونس (عليه السلام) التقمه الحوت... فنجاه الله برحمته ثم بكثرة ذكره وتسيحه وقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُعْثُونَ ﴿٣﴾.

* بل ها هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

«كان رضي الله عنه يقرأ القرآن في ركعة، ثم يوتر بها»^(١).

ومن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين قُتل: لقد قتلتموه وإنه ليحیی الليل كله بالقرآن في ركعة^(٥).

قال النووي في «التيان» (٥٥): «فمن الذين كانوا يختمون الختمة في اليوم واللييلة: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتميم الداري، وسعيد بن جبیر، ومجاهد، والشافعي، وآخرون».

(١) سورة طه: الآيات: (٣٣-٣٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٤١).

(٣) سورة الصافات: الآيات: (١٤٣-١٤٤).

(٤) إسناده صحيح: أخرجه الطحاوي والبيهقي (٢٥/٣)، وابن أبي داود، وصحح إسناده الشيخ شعيب

الارناؤوط، والشيخ زهير الشاويش في تحقيق شرح السنة (٤/٤٩٩).

(٥) الزهد ص ١٢٧ لأحمد بن حنبل.

* وما هو عروة بن الزبير (رحمه الله):

عن ابن شوذب قال: كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجلاه.

* وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه:

قيل له: كم تُسبِّح في كل يوم؟ قال: مائة ألف إلا أن تُخطئ الأصابع.

* وهذا أبو هريرة رضي الله عنه كان يُسبِّح في اليوم واللييلة اثنا عشر ألف تسبيحة ويقول: أُسبِّح بقدر ديتي.

* وهذا أبو حنيفة النُّعمان: قال شمس الأئمة الكردي في كتابه «مناقب

الإمام أبي حنيفة» أنه: كان يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان كل يوم مرتين؛ مرة في النهار ومرة في الليل.

* وهذا شيخ الإسلام وبقية الأعلام أبو بكر بن عيَّاش:

قال الذهبي: قد روى من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عيَّاش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة.

وهذه عبادة يُخضع لها^(١).

قال يحيى الحماني: لما حضرت أبا بكر الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما

يُبيكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة.

* وهذا الحسن بن صالح بن حي الثوري:

قال وكيع: كان الحسن وعليّ ابنا صالح، وأمهما قد جزءوا الليل ثلاثة

أجزاء يختمون فيه القرآن في بيتهم كل ليلة، فكان كل واحد يقوم بثلثه، فماتت أمهما، فكانا يختمانها، ثم مات عليّ، فكان الحسن يختم كل ليلة^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٥٠٣).

(٢) تهذيب التهذيب (٢/٢٨٨).

* وهذا أمير المؤمنين في الحديث الإمام يحيى بن سعيد القطان:

«قال يحيى بن معين: أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة»^(١).

* وهذا إمام الدنيا وناصر السنة الشافعي:

قال الذهبي في «السير» (٣٦/١٠): «قال الربيع بن سليمان من طريقين عنه، بل أكثر - : كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة. ورواها ابن أبي حاتم عنه، فزاد: كل ذلك صلاة»^(٢).

وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٥٤/١): «قال الربيع: نمت في منزل الشافعي ليالي، فلم يكن ينام إلا يسيراً من الليل.

وقال الحميدي: كان الشافعي يختم القرآن كل يوم ختمة».

هُمُ الرَّجَالُ وَعَيْبٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ

لَمْ يَتَّصَفَ بِمَعَانِي وَصَفِهِمْ رَجُلٌ

* وهذا عبد الرحمن بن مهدي:

قال علي بن المديني: كان وردُّ عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن^(٣).

وقال الذهبي في السير: «عبد الرحمن له جلاله عجيبة، وكان يُغشى عليه إذا سمع القرآن»^(٤). نقله صاحب «شريعة المقارن»^(٥).

* * *

www.ibtesama.com

(١) السير (١٧٩/٩).

(٢) آداب الشافعي (ص ١٠١).

(٣) السير (٢٠٣/٩).

(٤) السير (١٥٣/٩).

فضائل وثمرات الذكر

وما هي بعض فضائل وثمرات ذكر الله (جل وعلا):

١- أن الله يذكر من يذكره،

ولو لم يكن هناك ثمرة للذكر سوى أنك إذا ذكرت الله ذكرك في التو واللحظة لكفى بها شرفاً وفخراً.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾ (١).

عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه قال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بطاعتي ﴿أذْكَرُكُمْ﴾ بمغفرتي ورحمتي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

وقال الحسن البصري رحمه الله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ فيما افترضت عليكم.. ﴿أذْكَرُكُمْ﴾ فيما أوجبت لكم على نفسي..

وقال: إن الله يذكر من يذكره، ويزيد من يشكره.

قال رسول الله ﷺ: «قال الله: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك؛ ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملائكة أو في ملائكة أو في ملائكة أو في ملائكة منهم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن أتيتني تمشي أتيتك أهراً» (٢).

٢- يجعلك في معية الله (جل وعلا)،

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني...» (٣) الحديث.

* وقد ذكر أهل العلم أن المعية معيتان: معية عامة، ومعية خاصة.

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٣٨/٣) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء.

بأما المعية العامة: هي معية علم وإحاطة . والمعية الخاصة: فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصر والتوفيق . . .

٣- الفوز بمحبة الله (جل وعلا)

* عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» (١) . . .

قال الحافظ في الفتح: «وقد جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها المستقيم» . . .

٤- الله يباهى بك الملائكة

ففى يوم من الأيام خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا قال: آله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك قال: «أما إنى لم أستحلفكم تهمه لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة» (٢) .

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبة له وأن له منزلة على غيره من الأعمال (٣) . . .

وقال رحمه الله: ويكفى فى شرف الذكر: أن الله يباهى ملائكته بأهله (٤) .

(١) مضق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٩٤) كتاب الذكر والدعاء .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠١) كتاب الذكر والدعاء .

(٣) صحيح الوابل الصيب (ص ١٣٨) .

(٤) مدارج السالكين .

٥- الفوز برضوان الله (جل وعلا)،

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»^(١).

٦- صلاة الله وملائكته على أهل الذكرا

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۗ﴾ (٤٢) هو الذي صَلَّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٢﴾.

فهنيئًا لمن صَلَّى الله عليه وملائكته فهذا هو الذي فاز بخيرى الدنيا والآخرة.

٧- سبب للفلاح فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانثَرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤).

٨- حرز من الشيطان،

عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن.. فقال: إن الله أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن» وفى الحديث: «وأمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٤) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) سورة الاحزاب: الآيات: (٤١-٤٣).

(٣) سورة الانفال: الآية: (٤٥).

(٤) سورة الجمعة: الآية: (١٠).

يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكنتي رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - فقص الحديث - فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي لم يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال رسول الله ﷺ: «صدَّقك وهو كذوب ذاك شيطان» (٣).

٩- يطرد الشيطان:

والذكر ليس حرراً من الشيطان فحسب بل إنه يطرد الشيطان ويمنعه من دخول البيت.

تمثلاً إذا ذكر الإنسان ربه عند دخوله لبيته لم يدخل الشيطان البيت، وإذا ذكره عند طعامه لم يستطع أن يأكل معه، . . . قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت. فإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» (٤).

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٦٣)، ورواه أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، وغيرهما، من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، مرفوعاً، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).
 (٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء.
 (٣) صحيح: رواه البخاري (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن.
 (٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨) كتاب الأشربة، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة» (١).

١٠- أنه يحل عقد الشيطان،

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد، يضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» (٢).

١١- أنه يزيل الهم والغم،

قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحداً قط همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً» (٣).

ومن أعرض عن ذكر الله وجد الغم والكرب والضنك، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (٤).

١٢- أنه بذكر الله تطمئن القلوب.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٨٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١١٤٢) كتاب الجمعة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤٥٢/١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٩٩).

(٤) سورة طه: الآية: (١٢٤).

(٥) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ شُؤٌّ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ذكر الله عز وجل يُذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل؛ إذ بحسب ذكره يجد الأمن، ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أماناً له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا، . . . والله المستعان. اهـ (٢).

١٣- الذكر حياة للقلوب والأبدان،

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحى والميت» (٣).

وفى لفظ مسلم: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت» (٤).

١٤- بالذكر تغفر الذنوب،

قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ

(١) سورة آل عمران: الأيتان: (١٧٣ - ١٧٤).

(٢) صحيح الوابل الصيب (ص ١٤٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٧)، كتاب الدعوات ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين.

(٥) سورة الاحزاب: الآية: (٣٥).

— ٤٣٦ — ليلة في بيت النبي ﷺ
 جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ
 الْعَامِلِينَ ﴿١﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: سبحان الله
 ويحمده في يوم مائة مرة؛ حُطَّتْ عنه خطاياها، وإن كانت مثل زبد البحر» (٢).

وعن سعد بن أبي وقاص قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيعجز
 أحدكم أن يكسب كل يوم، ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف
 يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يُسَبِّحُ مائة تسبيحة، فيُكْتَبُ له ألف حسنة، أو
 يُحَطُّ عنه ألف خطيئة» (٣).

وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن
 إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بني آدم ما دامت الأرواح فيهم.
 فقال الله: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني» (٤).

١٥- أهل الذکرهم السابقون،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في مكة فمر
 على جبل يقال له: جُمدان. فقال: «سيروا، هذا جُمدان، سبق المفردون» (٥)
 قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» (٦).

ذكر ابن القيم رحمه الله من فوائد الذكر أن عمال الآخرة كلهم في
 مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القتر
 والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا تجلى الغبار وانكشف رأيهم الناس،

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٥-١٣٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٨) كتاب الذكر والدعاء.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢٩/٣)، والحاكم (٤/٢٩٠)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٦٥٠).

(٥) المفردون: قال ابن قتيبة وغيره، وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون
 الله تعالى. قاله النووي في شرح مسلم.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٦) كتاب الذكر والدعاء.

وقد حازوا قَصَبَ السبق.

١٦- تحضك الملائكة وتتنزل عليك السكينة،

عن أبي هريرة رضي قال: قال رسول الله ﷺ: «... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نَسَبُهُ»^(١).

١٧- بالذكر تقبل الصلوات وتستجاب الدعوات،

عن أبي هريرة رضي عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم الذائر الله كثيراً ودعوة المظلوم والإمام المقسط»^(٢).

... وعن عبادة بن الصامت رضي عن النبي ﷺ قال: «من تعارَّ من الليل؛ فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استُجيب له، فإن تَوَضَّأَ وُصِّلِيَ؛ قُبِّلَتْ صَلَاتُهُ»^(٣).

١٨- تفتح أبواب السماء،

عن ابن عمر قال: بينما نحن نصلِّي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فقال رسول الله ﷺ: «من القائل كلمة كذا وكذا؟» قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله قال: «عجبت لها. فتحت لها أبواب السماء»^(٤).

قال ابن عمر: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) حسن: رواه البيهقي في الشعب (١١/٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصححة (١٢١١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١١٥٤) كتاب الجمعة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٠١) كتاب المساجد.

١٩- ترطيب اللسان،

ومن فوائد الذكر التي ذكرها ابن القيم - رحمه الله - قال:

أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل؛ فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك؛ فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللفو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى وقع في كل لغو وباطل وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: «أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: «إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأنبئني منها بشيء أتشبث به». قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل»^(٢).

٢٠- زيادة الإيمان،

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٤).

(١) صحيح الوابل الصيب (ص ٨٥) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وابن حبان (٩٦/٣-إحسان)، برقم

(٨١٤)، وغيرهم، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، قال الترمذي: هنا حديث حسن غريب.

وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٩٥)، برقم (١٤٩١).

(٣) سورة الانفال: الآية: (٢).

(٤) سورة التوبة: الآيتان: (١٢٤-١٢٥).

٢١- الفوز بكنز من كنوز الجنة،

عن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فجعلنا لا نصعد شرقاً، ولا نعلو شرقاً، ولا نهبط في واد، إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال: فدنا منّا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً. ثم قال: يا عبد الله ابن قيس، ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله،^(١).
قال الحافظ في الفتح: قوله: «من كنوز الجنة» وحاصله أن المراد أنها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة. اهـ^(٢).

٢٢- من أسباب الثبات والنصر،

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٤) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

٢٣- ذكر الله يسهل الصعب ويسر العسير،

فما ذكر الله على صعب إلا أصبح سهلاً ولا على شدة إلا زالت ولا على كربة إلا انفرجت.

٢٤- الذّاكر لا يرد دعاءه،

قال ﷺ: «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذّاكر الله كثيراً ودعوة المظلوم

(١) مضع عليه: رواه البخارى (٦٦١٠) كتاب القدر، ومسلم (٢٧٠٤) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) فتح البارى (٥٠٩/١١).

(٣) سورة الانفال: الآية: (٤٥).

(٤) سورة البقرة: الآيتان: (٢٥٠-٢٥١).

والإمام المقسط، (١).

٢٥- يعصمك الله من الوقوع في المعاصي،

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وفى هذا المعنى أيضاً قول الله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٣﴾﴾.

وقد تقدم أن الصلاة إنما شرعت لذكر الله.

٢٦- يدفع الله عنك العذاب،

إن الاستغفار له شأن عظيم إذ هو أحد أقسام الذكر، فبه تُستجلب الذرية، وبه تُستجلب الأرزاق، وبه تُغفر الذنوب، وبه يدفع الله عنك العذاب... أما عن غفران الذنوب، ودفع العذاب.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٤﴾﴾ (فأخبر أنه سبحانه لا يعذب مستغفراً). اهـ.

٢٧- الذكر يعينك على أعباء الحياة ويعطيك القوة.

قال هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

والاستغفار أحد أقسام الذكر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن فاطمة أتت النبي صلوات الله عليه تسأله خادماً، وشكت

(١) حسن: رواه البيهقي في الشعب (١١/٦)، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٢١١).

(٢) سورة الأعراف: الآيات: (٢٠٠-٢٠١).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٥) سورة هود: الآية: (٥٢).

العمل، فقال: «ما ألفتيه عندنا» قال: «ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تُسبِّحين ثلاثاً وثلاثين، وتُحمدين ثلاثاً وثلاثين، وتُكبرين أربعاً وثلاثين حين تأخذين مضجعتك»^(١).

يقول ابن القيم رحمه الله: وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سنته وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً؛ فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً.

٢٨- الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل

لِلجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

قال ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ ذَكَرَ اللَّهُ»^(٢).

قال ﷺ: «لأن أقمع مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقمع مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة»^(٣).

٢٩- الملائكة تبني للذاكر دوراً في الجنة وتفرس له نخلاً

فالملائكة يبنون للذاكر دوراً في الجنة ويفرسون له نخلاً ما دام ذاكراً... فإذا أمسك عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء والغرس.

قال ﷺ: «لقيت ليلة أُسرى بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد أقرئ أمك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان،

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٨) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والحاكم (٤٦١/١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وصححه الألباني في «المشكاة»، برقم (٢٢٦٩).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٣٦٦٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٣٦).

وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (١).
وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال: سبحان الله وبحمده،
غُرست له نخلة في الجنة» (٢).

٣٠- أنه يجلب الرزق،

قال عز وجل عن رسوله نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ (٣).

٣١- أنه سبب للفوز بحفظ الله،

فإن العبد إذا تعرّف على الله بذكره في الرخاء فإن الله يعرفه في الشدة
ويتحفظه وينجيّه.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة» (٤).

٣٢- أنه سبب للنجاة من عذاب الله،

لعم معاذ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما عمل آدمي عملاً قط
أحبه له من عذاب الله من ذكر الله» (٥).

٣٣- أن يسعد به جلسه،

فقد قال تعالى في الحديث القدسي عن أهل الذكر: «هم الجلساء لا

(١) حسن: رواه الترمذی (٣٤٦٢)، والطبرانی في «الكبير»، برقم (١٠٣٦٣)، والبزار في «البحر
الزخار»، برقم (١٩٩١، ١٩٩٢)، وغيرهم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وحنه الألباني في
«صحيح الجامع»، برقم (٣٤٦٠).

(٢) رواه الترمذی (٣٤٦٤)، وابن حبان برقم (٨٢٦/إحسان)، والحاكم (٥٠١/١، ٥١٢)، من حديث
جابر رضي الله عنه. وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم (٦٤٢٩).

(٣) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٩٨/٦) بإسناد صحيح.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٣٩/٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٤٤).

يشقى بهم جلسهم (١).

وقال ﷺ: «مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن يتباع منه، وإما أن نجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن نجد منه ريحا خبيثة» (٢).

٢٤- أنه أمان من الحسرة يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة» (٣).

٢٥- أن دوام الذكر يوجب الأمان من نسيانه:

أن دوام ذكر الرب -تبارك وتعالى- يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ (٤) إن نسيان الله عز وجل يسبب نسيان الإنسان لنفسه ومصالحها، فتهلك وتفسد، فيكون لها الخسران في الآخرة والعياذ بالله، فمن نسى الله عز وجل أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (٥).

٣٦- علاج لقسوة القلب:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٠١) كتاب البيوع، ومسلم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة.

(٣) صحيح: رواه ابو داود (٤٨٥٦)، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٧٧).

(٤) سورة الحشر: الآية: (١٩).

(٥) سورة طه: الآيات: (١٢٤-١٢٦).

— ٤٤٤ — ليلة في بيت النبي ﷺ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١﴾ .

٣٧- أن الذكر نورٌ للذاكر في الدنيا والآخرة،

فالذكر نورٌ للذاكر في الدنيا وفي القبر، وعلى الصراط.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (٢).

٣٨- أن الذكر يجعلك في جنة الدنيا،

قال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». قالوا: وما رياض الجنة؟
قال: «حلق الذكر» (٣).

٣٩- إدامة الذكر تنوب عن التطوعات،

فإدامة الذكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية، أو
مالية، كحج التطوع، فقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه
قال: «جاء الفقراء إلى النبي ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال
بالدرجات العلى والنعيم المقيم؛ يصلون كما نصلى، ويصومون كما
نصوم، ولهم فضلٌ من أموال يحجون بها، ويعتمرون، ويجاهدون
ويتصدقون. قال: «ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم
يُدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أتم بين ظهرائه، إلا من عمل مثله؟
تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» (٤).

فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر
أنهم يسبقونهم بهذا الذكر.

(١) سورة الزمر: الآيات: (٢٢-٢٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٥١٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥٦٢)،
والتعليق الرغيب (٣٣٥/٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٨٣٤) كتاب الأذان، ومسلم (٥٩٥) كتاب المساجد.

٤٠- أنه سبب للأمان،

فالذكر يذهب عن القلب مخاوفه ويجلب الأمن والأمان.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَاطَأَ بَصْرَهُ رَأَى، قَالَ: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا» (١).

فحين ذكر رسول الله ﷺ ربه فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٢)؛ رآه عنه الخوف، وحصلت له السكينة والطمأنينة.

٤١- الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب،

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٣).

٤٢- الملائكة تتنافس على رفع الذكر،

عن أنس: أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «أيكم المتكلم بالكلمات؟» (٤) فأرّم القوم. فقال: «أيكم المتكلم بها فإنه لم يقل بأساً؟» فقال رجل: جئت وقد حفزني النفس فقلتها، فقال: «لقد رأيت اثني عشر ملكاً يتدرونها أيهم يرفعها».

٤٣- الذكر يحفظ عليك ولدك،

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يَقْدِرَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٢٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٣) سورة غافر: الآية: (٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٠٠) كتاب المساجد.

بينهما ولد في ذلك لا يضره شيطان أبداً^(١).

٤٤- الذكر يحفظ عليك جوارحك،

عن أبي ذر، عن النبي ﷺ أنه قال: «يصبح على كل سلامي^(٢) من أحدكم صدقة. فكل نسيحة صدقة، وكل تمحيبة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويُجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»^(٣).

٤٥- الذكر يحفظ عليك طعامك،

عن حذيفة قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده. وإننا حضرنا معه مرة طعاماً. فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع. فأخذ بيده فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه. وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها. فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسى بيده إن يده في يدي مع يدها»^(٤).

٤٦- سبب لإنجاب الذرية،

قال نوح عليه السلام: ﴿لَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٥﴾، والاستغفار أحد أقسام الذكر، ودعاء الرب تبارك وتعالى قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ قَالِ تَعَالَى: ﴿٥﴾﴾

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٣٨٨) كتاب الدعوات.

(٢) سلامي: قال النووي: أصله عظام الأصابع وسائر الكف. ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٧) كتاب الأثرية.

(٥) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

سَمِعُ الدُّعَاءَ (٣٨) فَادَّتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴿١﴾ .

٤٧- أهل الذكر هي أمان من أهوال يوم القيامة،

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعتنه يقول: «إن صاحب القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فبُعِطَى الْمَلِكُ يَمِينَهُ وَالخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لِهَمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ بِمَ كُنِينَا هَذِهِ، فَيَقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ» (٢) .

٤٨- الذكر يثقل الموازين

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (٣) .
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كنبني الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في

(١) سورة آل عمران: الآيات: (٣٨-٣٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٤٨/٥) بإسناد حسن.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٩٤) كتاب الذكر والدعاء.

كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»^(١)

٤٩- أهل الذكر في ظل عرش الرحمن؛

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(٢).

ذكر ابن القيم رحمه الله في فوائد الذكر قال: الذكر مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل. اهـ^(٣).

٥٠- الذكور ترفع درجاته في الجنة،

قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٤).

ومن حديث بريدة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة ... ثم يقال له: اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً»^(٥).

فأسأل الله (جل وعلا) أن يجعل قلوبنا وألسنتنا لا تفتبر أبداً عن ذكره ولا عن شكره وأن يجعلنا من الذاكرين الله كثيراً وأن يجمعنا في الفردوس الأعلى مع سيد الذاكرين محمد بن عبد الله ﷺ.



(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) كتاب الإيمان، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح الوابل الصيب.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٦٤) كتاب الصلاة، والترمذي (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٢٤٠).

(٥) رواه أحمد بإسناد حسن.

بِسْمَةِ
بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة



وما نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه... ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم. وما نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدنا الحبيب المصطفى ﷺ يمزح مع أمنا عائشة وأمنا سودة ﷺ وكان موقفًا في قمة الروعة والجمال.

فيا ترى ما الذي حدث.. هيا لترك المجال هنا لأمنا عائشة لتروي لنا ما حدث.

* قالت عائشة رضي الله عنها:

أتيت النبي ﷺ بخزيرة قد طبختها له فقلت لسودة - والنبي ﷺ بيني وبينها -: كلى. فأبت فقلت: لتأكلين أو لالطخن وجهك، فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فطلبت وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع يده لها وقال لها: «الطخي وجهها»، فضحك النبي ﷺ فمرَّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله فظن أنه سيدخل فقال: «قوما فاغسلا وجوهكما». فقالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ (١).

كُنْ مَرِحًا تَبْتَسمَ لَكَ الْحَيَاةُ

«من أعظم وسائل امتلاك قلب الزوجة، التلطف في معاملتها... ومن أعظم مظاهر هذا التلطف، المسارعة في إدخال السرور عليها...» بعبارة

(١) صحيح: «مسند أبي يعلى» (٤٤٩/٧) وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٣١).

حانية مملوءة عاطفة و رقة، أو بشيء من الترفيه البريء والمزاح الجائز، أو من خلال مساعدتها في شيء من الخدمة المنزلية ونحوها..

لقد نهج رسول الله ﷺ في معاملته لعائشة رضي الله عنها وهي الفتاة الحديثة السن، نهجاً حانياً لطيفاً، فكان يُدخل عليها السرور بفعله وعباراته، حتى كان يقوم لها بسترها لتنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد حتى ترضى، وهو صابر لها، وربما جلس لها يُحادثها قبل صلاة الفجر، ويلطفها حتى يأتيه المؤذن.. وربما امتدح جمالها - كما روى عنه - فيقول: «يا عويش مالي أراك قد أشرق وجهك؟ فقالت: وما لي لا أفعل ذلك وقد دعوت لي...» وكان نهجه ﷺ، إذا خلا بنسائه كان ألين الناس، وأكرم الناس، ضاحكاً بساماً.

وأقر رسول الله ﷺ أصحابه على مضاحكة الزوجات والأولاد، وما يخالط ذلك عادة من الغفلة والنسيان، وقال لبعض أصحابه ممن استنكر ذلك «.. ساعة وساعة...»، وكان عمر رضي الله عنه يأمر الرجال بأن يكونوا مع زوجاتهم كالصبيان في المزاح والملاطفة، فيقول: «ليعجبنى الرجل أن يكون في أهل بيته كالصبي، فإذا ابتغى منه وُجد رجلاً..» وكان ابنه عبد الله رضي الله عنه يمثل ذلك، فيمازح مولاته حتى يقول لها: «خلقني خالق الكرام، وخلقك خالق اللثام، فتغضب، وتصبح، وتبكي، ويضحك عبد الله بن عمر»^(١).

* أخى الحبيب :

تتمنى الزوجة منك أن تلاطفها أثناء التعامل اليومي، وهذه الملاطفة والمداعبة والملاعبة عبادة تؤجر عليها إذا ما نويت بها وجه الله - عز وجل - أما سمعت يوماً من الأيام عن نبيك ﷺ وهو يلطف ويداعب أزواجه ويراعى شعورهن..؟ أما قرأت في سيرته العطرة الطاهرة كيف كان يجلس معهن ويقلب النظر إليهن ليُمتعن بهن..؟ وهو من؟ إنه القائد الأعلى والزوج

(١) أخلاق الفتاة الزوجية - د . عدنان حسن باحارث - ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

الأكمل، إنه من كمل مع زوجاته، وكملن معه - عليه الصلاة والسلام -، ورضى الله عنهن -، كيف لا..؟ وهو القائل: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة، - وذكر منها - ملاعبة الرجل امرأته» (١).

إن المشكلة الحقيقية أنك تجد الزوج مرحاً ولطيفاً مع أصحابه، فإذا دخل بيته انقلب إلى شخص آخر مقطباً عابساً، يفضب لاتفه الأسباب..!!
يقول أحدهم: «إنني متزوج منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً، وقلما ابتسمت لزوجتي خلال هذا العمر الطويل! بل قلما حدثتها أكثر من بضع عبارات، ابتداءً من الساعة التي أصبح فيها حتى أغادر البيت، قاصداً إلى عملي..!!» (٢).

فإذا كان تبسمُ المسلم في وجه أخيه صدقة كما أخبر النبي ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» فأولى الناس بتلك الابتسامة هي رفيقة الحياة، وشريكة العمر، فكم تشعر الزوجة بالسرور حين يقابلها زوجها بابتسامة تزيل عنها همَّ يومها وعناء عملها..!!
إن الابتسام يُشرق الوجه، وأما العبوس فإن أردت أن تعرف ما يفعله العبوس؛ فانظر إلى وجهك في المرأة عندما تكون غضبان عابساً،... انظر إلى وجهك كم هو مُنفرٌ وقبيح، وانظر كم يجلب مثل هذا الوجه على صاحبه من السخط والأذى!!» (٣).

* أخى الحبيب:

عندما تحتفظ بروح الدعابة مع شريكة حياتك.. وحين تستمر على تواضعك معها، فإنك ستجد أمراً عجباً..!! إنها إن قست عليك أو أخطأت معك، فإنها تسارع إلى الاعتذار إليك عما بدر منها.. (٤).

(١) رواه النسائي وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٥٣٤).

(٢) كيف تكب الأصدقاء وتؤثر في الناس؟ - ديل كارنيجي - ٧٢ - ... وقد ذكرتني كلمات هذا الزوج بدعابة تقول: قالت الزوجة لزوجها: ابتسم قليلاً.. كي لا يعرف الناس إننا متزوجان!

(٣) عودة الحجاب - د. محمد بن إسماعيل المقدم - ج ٢ ص ٤١٣.

(٤) حتى يبقى الحب / د. محمد محمد بدرى (ص: ٢٦٦-٢٦٩) بتصرف.

المزاج المعتدل

إن المزاج من الأشياء التي يحبها كثير من الناس بل هو من أعظم وسائل الدخول إلى قلوب الناس... والإنسان يحتاج أحياناً إلى المزاج المعتدل بلا إسراف ولا تقتير.

* ولقد نهج الإسلام المنهج الواقعي في تقعيد الأصول والمبادئ التي يقيم عليها شريعته ونظرتة للأمور. فكان تجاوبه مع طبيعة الإنسان أحد الركائز التي بُنيت عليها أحكامه وتشريعاته، فاعتبر في الإنسان جانبه الروحي والجسدي، وجانبه المعنوي والمادي.

فالإنسان في تصوير الإسلام هو ذلك الكائن المزدوج الطبيعة، المكون من قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، ممتزجتين مترابطتين غير منفصلتين، فلا هو قبضة من طين الأرض خالصة، فيهبط إلى مستوى الجماد أو الحيوان، ولا نفخة روح خالصة فيؤله أو يتأله، إنما هو مزاج من الطين، ونفخة من روح الله يُكوّنان هذا الكيان.

ولما كانت الفكاهة تكاد تكون ضرورة نفسية وعقلية يميل الإنسان بطبعه إليها؛ حيث لا يحتمل الجّد المتواصل؛ لأن ذلك يحمل العقل على الجمود والجفاف، أقر بها الإسلام واعترف بحاجة إشباعها على غرار الحاجيات النفسية الأخرى.

وقد أبرز ابن الجوزي في مقدمة كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين» ثلاثة دوافع أساسية لتأليف مؤلفه: (ثالثها: أن يُروِّح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظاً يوم القسمة؛ فإن النفس قد تملُّ من الدؤوب في الجّد، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو...)(١)(٢).

(١) أخبار الحمقى والمغفلين (ص: ١٦).

(٢) قضايا اللهو والترفيه (ص: ١٩٣، ١٩٤).

صور من مزاح النبي ﷺ

* ولكي تكتمل الأسوة والقدوة في النبي محمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.

فلقد كانت سيرة المصطفى ﷺ أنموذجاً متكاملًا للشخصية المسلمة المثالية من جميع الجوانب والمكونات.

(فهو في خلوته يصلى ويظيل الخشوع والبكاء؛ حتى تتورم قدماه، وهو في الحق لا يبالي بأحد في جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بشرٌ سوى، يحب الطيبات، ويبش ويتبسم، ويداعب، ويمزح، ولا يقول إلا حقاً ﷺ) (١).

* هكذا كان النبي ﷺ أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتَعْجَباً مما تحدثوا به وخلطاً لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٢).

بل ولى الصحیحین من حدیث جریر من حدیث علی: یضحک مما تضحکون منه، ویتعجب مما تعجبون منه، ... ومسلم من حدیث جابر بن سَرة: كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم (٣).

وتأمل معي ما قاله هذا الصحابي الجليل:

ففي الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رأيتني إلا تبسماً في وجهي ولقد شكوت إليه أني لا أثبتُ على الخيل، فضرب بيده في صدرى وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» (٤).

* روى أن امرأة عجوزاً جاءت تقول: يا رسول الله: ادع الله لي أن

(١) الحلال والحرام: د / يوسف القرضاوى (ص: ٢٧٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى في الشمائل، وصححه الألبانى رحمه الله في مختصر الشمائل (ح ١٩٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المآجد ومواضع الصلاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

يُدخلني الجنة، فقال لها: «يا أم فلان! إن الجنة لا يدخلها عجوز»^(١).
وانزعجت المرأة وبكت، ظناً منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك
منها بين لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزاً، بل يُنشئها الله
خلقاً آخر، فتدخلها شابة بكرًا، . . . وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿إِنَّا
أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾^(٢).

* وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ - أي طلب منه دابة
يحملة عليها- فقال: «أنا حاملك على ولد ناقه»، فقال: ما أصنع بولد الناقة؟
فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟»^(٣).

* وعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: «إني لا
أقول إلا حقاً»^(٤).

* وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان في بيت عائشة، فبعث إليه
بعض نسائه بقصعة، فدفعتها عائشة فآلقتها وكسرتها، فجعل النبي ﷺ
يضم الطعام ويقول: «غاريت أمكم». فلما جاءت قصعة عائشة بعث بها
إلى صاحبة القصعة التي كسرتها وأعطى عائشة القصعة المكسورة^(٥).

* وعن أنس بن مالك قال: كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان
النبي ﷺ ربما مازحه إذا جاء، فدخل يوماً يمازحه، فوجده حزينا، فقال:

(١) صحيح: أخرجه الترمذي في الشمائل (ص: ١٩٧)، والبيهقي في البعث (٣٨٢)، والبخاري في
الأنوار (١/٢٥٨/٢٢٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٢) سورة الواقعة: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٨) كتاب الأدب، والترمذي (١٩٩١) كتاب البر والصلة، وأحمد
(١٣٤٠٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في التعليق على المشكاة (٤٨٨٦)، ومختصر
الشمائل (٢٠٣).

(٤) حسن: رواه الترمذي (١٩٩٠) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٥٠٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه
الله في السلسلة الصحيحة (١٧٢٦).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

«ما لي أرى أبا عمير حزيناً؟» فقالوا: يا رسول الله، مات نغره الذي كان يلعب به، فجعل يناديه ﷺ: «يا أبا عمير! ما فعل النغير؟» (١).

* وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه: زاهر بن حرام، قال: وكان النبي ﷺ يحبه وكان دميماً، فأتاه النبي ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: «من يشتري العبد؟»، فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسداً (٢)، فقال النبي ﷺ: «ولكن عند الله لست بكاسد- أو قال: لكن عند الله غال (٣)».

موقف طريف

وها هو موقف من أطرف المواقف التي دارت بين النبي ﷺ وبين أحد الصحابة رضي الله عنه.

فقى الصحاحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: هلكت، وقعت على أهلي في رمضان، قال: «أعنت رقة». قال: ليس لي. قال: «فصم شهرين متتابعين». قال: لا أستطيع. قال: «فأطعم ستين مسكيناً». قال: لا أجد. فأتى بعرق (٤) فيه تمر، فقال: «أين السائل؟ تصدق بها». قال: على أفقر مني؟ والله ما بين لابتيتها (٥) أهل بيت أفقر منا.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٠٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الأدب.

(٢) كاسداً: من الكساد وهو العطل والبوار.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٢٢٣٧)، والترمذي في الشمائل (٢٣٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٤) عرق: هو المكمل ويقال إنه يع خمس عشرة صاعاً، والصاع خمسة أرتال وثلاث كما هو رأى الشافعي أو ثمانية كما هو قول أبي حنيفة.

(٥) لابتيتها: اللابة: الأرض ذات الحجارة السود.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: «فأنتم إذا»^(١).

وموقف آخر

وها هو موقف آخر يوضح لنا كيف كان النبي ﷺ سهلاً لينا، لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها في موضعها.

ففي الحديث الذي رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عاليةً أصواتهن على صوت النبي ﷺ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبي ﷺ، فدخل والنبي ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي. فقال عليه السلام: «عجبتُ من هؤلاء اللاتي كُنَّ عندي، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب»^(٢).

فقال: أنت أحقُّ أن يهين يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عدوات أنفسهن، أتهبنتي ولم تهين رسول الله ﷺ؟ فقلن: إنك أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً»^(٣) إلا سلك فجاً غير فجع»^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية السُّتر من بنات لعائشة لُعب، فقال: «ما هذا يا عائشة؟»، قالت: بناتي. ورأى بينهن فرساً

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٨٧) كتاب الأدب، ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.

(٢) تبادرن الحجاب: أي: اختبان وراء الستارة.

(٣) فجاً: الفجع: هو الطريق الواسع.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

لها جناحان من رفاع، فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟». قالت: فرس. قال: «وما هذا الذي عليه؟»، قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان؟»، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه^(١).

هذه بتلك

بل وصل الأمر إلى درجة رفيعة من الحلم والتواضع حتى إن النبي ﷺ كان يسابق أمنا عائشة رضي الله عنها لتعلم يقيناً أن النبي ﷺ لن يحرمها من اللطف والعطف والرعاية فهي صفات راسخة في قلب الحبيب ﷺ الذي ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وكنت جارية، لم أحمل اللحم ولم أبدن.

فقال رسول الله ﷺ للناس: «تقدموا، تقدموا، فتقدموا، ثم قال: يا عائشة تعالي حتى أسابقك» فسابقته فسبقته، فسكت، حتى إذا حملت اللحم ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالي أسابقك»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك»^(٢).

اللهم حوالبنا ولا علينا

وها هو موقف آخر طريف يحدث للنبي ﷺ فقد جاءه أعرابي وهو ﷺ يخطب الجمعة فطلب من النبي ﷺ أن يستسقى لهم فقد

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٣٢) كتاب الأدب، والنسائي في الكبرى تحفة الأشراف (١٧٧٤٢/١٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله على المشكاة (٣٢٦٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥٧٤٥)، صححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٣١).

أجذبت الأرض فدعا النبي ﷺ فنزل المطر أسبوعاً كاملاً لا ينقطع... وإذا بنفس الرجل يأتي إلى النبي ﷺ في الجمعة التي تليها يطلب منه أن يسأل الله -جل وعلا- أن يحبس عنهم المطر فقد غرقوا... فضحك النبي ﷺ.

ففي الصحيحين: عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة فقال: قحط المطر، فاستسق ربك، فنظر إلى السماء وما نرى من سحب، فاستسقى، فنشأ السحاب بعضه إلى بعض، ثم مطروا حتى سالت مئاعب^(١) المدينة، فمازالت إلى الجمعة المقبلة ما تُقلع ثم قام ذلك الرجل، أو غيره - والنبي ﷺ يخطب، فقال: غرقنا، فادع ربك يحبسها عنا، فضحك، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا» - مرتين أو ثلاثاً، فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يميناً وشمالاً يُمطر ما حوالينا، ولا يُمطر فيها شيء، يُريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته^(٢).

* وينقسم المزاح إلى قسمين:

- ١- محمود: وضابطه كما قال ابن حبان: «هو الذي لا يشوبه ما كره الله عز وجل، ولا يكون بإثم، ولا قطيعة رحم».
- ٢- مذموم: وضابطه كما قال ابن حبان - أيضاً - :
«الذي يُثير العداوة، ويذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويُجرى الدنئ عليه، ويُحقد الشريف به»^(٣).



(١) المئاعب: جمع مئعب - بفتح أوله وثالثه - وهو ميل الماء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٣) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٩٥) كتاب صلاة الاستسقاء.

(٣) «روضة العقلاء» (ص: ٧٧).

آداب المزاح

- ١- ألا يكون المزاح فيه تجريح لأحدٍ من الناس .
- ٢- أن يكون المزاح لا كذب فيه .
- فقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً . . بل قال النبي ﷺ :
 «أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ..» (١) .
- وحذر النبي ﷺ من أن يكذب الرجل ليضحك من حوله فقال
 ﷺ : «ويلٌ للذي يحدث فيكذب، ليضحك به القوم ويلٌ له، ويلٌ له» (٢) .
- ٣- أن يكون المزاح لقصد التسلية أو الترفيه عن النفس، وإيناس
 المصاحبين والتودد إلى المخالطين .
- كان ابن سيرين الإمام العلم المحدث، إذا اشتدَّ الضحى ينزل إلى
 سوق البصرة، فيسلم على الناس ويمازحهم ويوزع البسمات على
 المسلمين، ولذلك أحبوه، وحشروا في درسه، وتعلقت به القلوب،
 فإن القلوب لا تحب الفظ الغليظ ولو كان تقياً، بل تحب الدعوب
 القريب من الناس .



(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٣) .

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٥١٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧١٣٦) .

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ وفضل
الصلاة على النبي

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ وفضل الصلاة على النبي

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.
فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه ﷺ يقول لهم: «من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطَّ عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات» (١) .. ثم قال لهم: «من صلى على حين يُصبح عشراً وحين يُمسي عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة» (٢).

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع فضل الصلاة على النبي

ﷺ.



(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٠٢/٣) والبخارى فى الأدب المفرد (٦٤٣)، والنسائى فى الكبرى

(٢١/٦ رقم ٩٨٩١)، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٩).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٧).

الصلاة على النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: «والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلى عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعاً» (٢). اهـ.

* وهل هناك أحدٌ يستطيع أن يُحصى عدد الملائكة الذين يصلون على النبي ﷺ فإن البيت المعمور وهو قبلة أهل السماء السابعة فقط يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه إلى قيام الساعة.

فكل يوم يدخل سبعون ألفاً ثم يأتي في اليوم التالي سبعون ألفاً غيرهم فمن يستطيع أن يُحصى عدد ملائكة السماء السابعة وحدها.

قال ﷺ: «إنه ليدخل البيت المعمور في كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه إلى قيام الساعة» (٣).

بل قال ﷺ: «أطت السماءُ ويحوقُّ لها أن تثط، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبرٍ إلا وفيه جبهة ملك ساجدٌ يسبحُ الله بحمده» (٤).

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٨٠٦/٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٤) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه ابن مردويه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٢٠).

النبي ﷺ يشتاق إليكم فكيف لا تشتاقون إليه وتصلون عليه

قال ﷺ: «وددت أنى لقبى إخوانى الذين آمنوا ولم يرؤنى» (١).
وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى».

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة، وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات» (٢).

فيا ليتنا نعلم قدر النبى ﷺ ونشتاق إليه كما يشتاق هو إلينا ونحبه كما يحبنا . . . أما علمتم أن النبى ﷺ خبا دعوته شفاعة لأمته.

فقد قال ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإنى خبات دعوتى شفاعة لأمى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمى لا يُشرك بالله شيئاً» (٣).

* بل إن النبى ﷺ ينتظرنا على الحوض يوم القيامة ليرى الذين اتبعوه وعاشوا على سنته وشرعه ومحبه لسقيهم من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا يظماون بعدها أبداً.

* بل وحتى عند دخول الجنة يعلم النبى ﷺ أن الله (عز وجل) جعل له من أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإذا بالحبيب ﷺ يستزيد ربنا (عز وجل) ويطلب منه المزيد ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال ﷺ: «أعطيت سبعين ألفاً من أمى يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي (عز وجل) فزادنى

(١) صحيح: رواه أحمد (١٢١٦٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٨٨).

(٢) حسن: رواه أحمد (١١٢٧٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٤١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

مع كل واحد سبعين ألفاً^(١).

وفي رواية قال ﷺ: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي»^(٢).

* فالنبي ﷺ يفعل كل ذلك من أجلنا . . فكيف لا تشتاق قلوبنا وأعيننا لرؤيته وصحبه في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

* وكيف لا تصلى عليه كلما ذكر اسمه ﷺ .

إن الذي يحب النبي ﷺ لا يفتر لسانه أبداً عن الصلاة عليه ﷺ فهذا فعل الحبيب مع حبيبه ﷺ .

مواطن الصلاة على النبي ﷺ

* وها هي بعض مواطن الصلاة على النبي ﷺ كما أوردها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام).

الموطن الأول وهو أهمها وأكدها في الصلاة في آخر التشهد..

وقد أجمع المسلمون على مشروعيتها . واختلفوا في وجوبه فيها .

الموطن الثاني من مواطن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأول

وهذا قد اختلف فيه، فقال الشافعي في «الأم»: «يُصَلَّى على النبي ﷺ

في التشهد الأول». هذا هو المشهور من مذهبه، وهو الجديد، لكنه يستحب

وليس بواجب، وقال في القديم: «لا يزيد على التشهد» وهذه رواية المازني

(١) صحيح زرواه أحمد (٢٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٨٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٣٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٨٦) كتاب

الزهد، وأحمد (٢١٦٥٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧١١١).

عنه، وبهذا قال أحمد، وأبو حنيفة. ومالك رحمهم الله تعالى، وغيرهم.

الموطن الثالث من موطن الصلاة عليه ﷺ، آخر القنوت

استحبه الشافعي ومن وافقه واحتج لذلك بما رواه النسائي عن محمد بن سلمة عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات في الوتر قال: «قل: اللهم اهدني فيمن هديت، وبارك لي فيما أعطيت، وتولني فيمن توليت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت وصلى الله على النبي»^(١) وهذا إنما هو في قنوت الوتر.

الموطن الرابع من موطن الصلاة عليه ﷺ، صلاة الجنائز بعد

التكبيرة الثانية،

والدليل على مشروعيتها في صلاة الجنائز، ما روى الشافعي في «مسنده» عن أبي أمامة بن سهل، أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ: «إن السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًا في نفسه، ثم يصلي على النبي ﷺ ويخلص الدعاء للجنائز في التكبيرات لا يقرأ في شيء منهن، ثم يسلم سرًا في نفسه»^(٢).

وقال صاحب «المغني»: روي عن ابن عباس أنه صلى على جنازة بمكة فكبر، ثم قرأ وجهر وصلى على النبي ﷺ، ثم دعا لصاحبه فأحسن، ثم انصرف وقال: هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنائز.

إذا تقرر هذا فالمستحب أن يصلى عليه ﷺ في الجنائز كما يصلى عليه في التشهد. لأن النبي ﷺ علم ذلك أصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٢٥) كتاب الصلاة، والترمذي (٤٦٤) كتاب الصلاة، والنسائي (١٧٤٥)،

(١٧٤٦) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وابن ماجه (١١٧٨) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد

(١٧٢٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٢٧٣).

(٢) صحيح: رواه ابن عساکر (١٥٣/٥٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (٧٣٤).

عليه، وفي «مسائل عبد الله بن أحمد» عن أبيه قال: «يصلى على النبي ﷺ ويصلى على الملائكة المقربين».

الموطن الخامس من مواطن الصلاة عليه ﷺ، في الخطب، كخطبة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، وغيرها
وقد اختلف في اشتراطها لصحة الخطبة.

قال الشافعي وأحمد - رحمهما الله - في المشهور من مذهبهما: لا تصح الخطبة إلا بالصلاة عليه ﷺ.

وقال أبو حنيفة ومالك: تصح بدونها. وهو وجه في مذهب أحمد. والدليل على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة ما رواه عبد الله بن أحمد... حدثنا أبي، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا خالد، حدثني عون بن أبي جحيفة كان أبي من شرط عليّ (والشرط: جمع شرطة وهو الجندي الذي يقوم بالحراسة) وكان تحت المنبر، فحدثني أنه صعد المنبر - يعني: علياً رضي الله عنه - فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثاني عمر» وقال: «يجعل الله الخير حيث شاء» (١).

فهذا دليل على أن الصلاة على النبي ﷺ في الخطب كان أمراً مشهوراً معروفاً عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

الموطن السادس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ، بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة،

لما روى مسلم في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمرو، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ،

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٣٩) منذ العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١٢٠١)، والحديث أصله عند البخاري (٣٦٧١) كتاب المناقب.

فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبى إلا لعبد من عباد الله تعالى، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى» (١).

الموطن السابع من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، عند الدعاء، وله

ثلاث مراتب:

إحداها: أن يصلى عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله تعالى .

والمرتبة الثانية: أن يصلى عليه فى أول الدعاء وأوسطه وآخره .

والثالثة: أن يصلى عليه فى أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما .

والصلاة على النبي ﷺ للدعاء مثل الفاتحة من الصلاة .

وهذه المواطن التى تقدمت كلها شرعت الصلاة على النبي ﷺ فيها

أمام الدعاء فمفتاح الدعاء الصلاة على النبي ﷺ كما أن مفتاح الصلاة

الطهور . فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا .

الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، عند دخول

المسجد، وعند الخروج منه:

فى «المسند» «والترمذى»، «وسنن ابن ماجه» من حديث فاطمة بنت

الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل

المسجد قال: «اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى

أبواب رحمتك» وإذا خرج قال مثلها إلا أنه يقول: «أبواب فضلك» (٢).

الموطن التاسع من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، على الصفا والمروة:

لما روى إسماعيل بن إسحاق فى كتابه: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان

يكبر على الصفا ثلاثًا، يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة .

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣١٤) كتاب الصلاة، وابن ماجه (٧٧١) كتاب المساجد والجماعات، وأحمد

(٢٥٨٨٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٧١٤/١).

وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ثم يصلى على النبي ﷺ، ثم يدعو ويطلب القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة مثل ذلك» (١) . . . وهذا من توابع الدعاء أيضاً.

الموطن العاشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ، عند اجتماع القوم

قبل تفرقهم،

وقد تقدمت الأحاديث بذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، أنه قال: «ما جلس قومٌ مجلساً ثم تفرقوا ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم من الله ترةٌ إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم» (٢).

الموطن الحادي عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ، عند ذكره،

وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ، فقال أبو جعفر الطحاوي، وأبو عبيد الله الحلبي: تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه. وقال غيرهما: ذلك مستحب وليس بفرض يائمه تاركه، ثم اختلفوا فقالت فرقة: تجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة؛ لأن الأمر مطلق لا يقتضى تكراراً، والمأهية تحصل بمرة، وهذا محكى عن أبي حنيفة، ومالك، والثوري، والأوزاعي . . . قال عياض، وابن عبد البر: وهو قول جمهور الأمة.

وقالت فرقة: بل تجب في كل صلاة في تشهداتها الأخير كما تقدم، وهو قول الشافعي، وأحمد في آخر الروايتين عنه، وغيرهما.

وقالت فرقة: الأمر بالصلاة عليه أمر استحباب لا أمر إيجاب. وهذا قول ابن جرير. وطائفة.

(١) ضعيف: رواه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٧٤-٧٥)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في تحقيقه على هذا الكتاب (٨٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (١/٦٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢١٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٧٣٨).

الموطن الثاني عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، عند استلام الحجر،

كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أراد أن يستلم الحجر قال: اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وسنة نبيك ﷺ (١).

الموطن الثالث عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، عند الوقوف على قبره،

عن مالك عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما... ذكره مالك في «الموطأ» (٢).

الموطن الرابع عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو نحوها،

عن أبي وائل قال: «ما رأيت عبد الله جلس في مأدبة ولا جنازة ولا غير ذلك، فيقوم حتى يحمد الله، ويشئ عليه، ويصلي على النبي ﷺ، ويدعو بدعوات. وإن كان يخرج إلى السوق فيأتي أغفلها مكاناً فيجلس فيحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويدعو بدعوات».

الموطن الخامس عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، عقب ختم القرآن،

وهذا لأن المحل محل دعاء... ونص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على الدعاء عقب الختمة، فقال في رواية أبي الحارث: «كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده» (٣).

(١) ضعيف: الطيالسي (٢٥/١)، وابن أبي شيبة (٤٤١/٣)، والبيهقي (٧٩/٥)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١٠٤٩)، وذكره الحويني في الفتاوى الحديثة، وقال: لا يثبت.

(٢) صحيح: رواه مالك في الموطأ (١٦٦/١)، والبيهقي في الكبرى (٢٤٥/٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تحقيقه على كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩٨).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٤٢/١)، والبيهقي في الشعب (٣٦٨/٢)، وقال الهيثمي في المجمع (١٧٢/٧): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وإذا كان هذا من أكد مواطن الدعاء وأحقها بالإجابة فهو من أكد مواطن الصلاة على النبي ﷺ .

الموطن السادس عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : يوم الجمعة،

عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «أكثرُوا عليّ من الصلاة في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتي تُعرض عليّ في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم مني منزلة» (١).

كتب عمر بن عبد العزيز أن انشروا العلم يوم الجمعة . فإن غائلة العلم النسيان، وأكثرُوا الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة (٢).

الموطن السابع عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند القيام من المجلس،

عن عثمان بن عمر، قال: «سمعت سفيان بن سعيد ما لا أحصى، إذا أراد القيام يقول: صلى الله وملائكته على محمد وعلى أنبياء الله وملائكته» هذا الذي رأيت من الأثر في هذا الوطن (٣).

الموطن الثامن عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند الهم، والشدائد، وطلب المفضرة،

لحديث الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها

(١) حسن لغيره: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٤٩/٣)، وفي شعب الإيمان (١١٠/٣)، والديلمي (٨١/١)، وقال المنذرى (٣٢٨/٢): رواه البيهقي بإسناد حسن إلا أن مكحولاً قيل لم يسمع من أبي أمامة، وقال المناوى (٨٧/٢): أعله الذهبي في المهدب بأن مكحولاً لم يلق أبا أمامة فهو منقطع، وقال العجلوني (١٩٠/١): رواه البيهقي بإسناد جيد عن أبي أمامة، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٧٣)، وقال: حسن لغيره.

(٢) قال البخاري في «القول البدیع» (ص ١٩٧): أخرجه ابن وضاح، وابن بشكوال من طريقه، والنميري.

(٣) انظر القول البدیع للبخاري (ص ٢٤٥).

الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبي: قلت: يا رسول الله! إنى أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت»، قال: قلت: الربع؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك» قال: قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذًا تكفي همك ويُغفر لك ذنبك» (١).

الموطن التاسع عشر من موطن الصلاة على النبي ﷺ ، عند كتابة اسمه ﷺ ،

عن أبي هريرة روى قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب» (٢).

وقال محمد بن أبي سليمان: رأيت أبي في النوم، فقلت: يا أبت! ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، فقلت: بماذا؟ قال: بكتابتي الصلاة على النبي ﷺ (٣).

وقال عبد الله بن الحكم: رأيت الشافعي في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وغفر لي ورفقني إلى الجنة كما تُزف العروس، ونثر عليّ كما يُنثر على العروس. فقلت: بِمِ بلغت هذه الحال؟ فقال لي قائل: يقول لك بما في كتاب «الرسالة» من الصلاة على النبي ﷺ قلت: فكيف ذلك؟ قال: وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، قال: فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت النبي ﷺ .

(١) رواه الترمذي والحاكم وأحمد وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٩٩٩) والصحيحة (٩٥٤).

(٢) ضعيف جداً: رواه الطبراني في الأوسط (٢٣٢/٢)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في الللة الضعيفة (٣٣١٦)، وقال: ضعيف جداً.

(٣) قلت: لأن الدال على الخير كفاعله فكلمة قارئ لفظ الصلاة على النبي ﷺ كان للكاتب مثل أجره وكأنه صلى عليه هو وقارئ الكتاب.

المواطن المشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند تبليغ العلم إلى الناس عند التذكير والقصص واللقاء الدرس، وتعليم العلم، في أول ذلك وآخره:

كتب عمر بن عبد العزيز: «أما بعد فإن أناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن من القصاص من قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبي ﷺ . فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة، ويدعوا -أى: يتركوا- ما سوى ذلك» (١) والصلاة على النبي ﷺ في هذا الوطن؛ لأنه موطن لتبليغ العلم الذي جاء به ونشره في أمته، وإلقائه إليهم ودعوتهم إلى سبته وطريقته ﷺ . وهذا من أفضل الأعمال وأعظمها نفعاً للعبد في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢) . . . وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ (٣).

فحقيق بالمبلغ عن رسول الله ﷺ الذي أقامه الله في هذا المقام أن يفتح كلامه بحمد الله تعالى، والثناء عليه وتمجيده والاعتراف له بالوحدانية، وتعريف حقوقه على العباد، ثم بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وتمجيده والثناء عليه، وأن يختمه أيضاً بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم تسليمًا.

(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٥/٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تحفته

على كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (٧٦).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٢٣).

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

الموطن الحادى والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، أول
النهار وآخره،

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علىّ حين
يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة» (١).

الموطن الثانى والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، عند
خطبة الرجل المرأة فى النكاح،

عن ابن عباس رضي الله عنه فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
قال: يعنى: أن الله تعالى يثنى على نبيكم ويغفر له وأمر الملائكة بالاستغفار
له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢) أثنوا عليه فى
صلاتكم وفى كل مساجدكم، وفى كل موطن، وفى خطبة النساء فلا
تسوه.

الموطن الثالث والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، فى كل
موطن يجتمع فيه لذكر الله،

لحديث أبى هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله سيارة من الملائكة إذا
مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض: اقعديا، فإذا دعا القوم آمنوا على دعائهم،
فإذا صلوا على النبي ﷺ صلوا معهم، حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض:
طوبى لهؤلاء يرجعون مغفوراً لهم» (٣) وأصل الحديث فى مسلم . وهذا
سياق مسلم بن إبراهيم الكشى: حدثنا عبد السلام بن عجلان، حدثنا أبو
عثمان النهدي، عن أبى هريرة فذكره.

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٧) وصحيح
الترغيب والترهيب (٢٣٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٣) رواه ابن النجار عن أبى هريرة.

الموطن الرابع والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند الحاجة تعرض للعبد،

عن ابن مسعود قال: «إذا أردت أن تسأل حاجة فابدأ بالمدحة والتحميد والثناء على الله عز وجل بما هو أهله، ثم صلّ على النبي ﷺ ثم ادعُ بعدُ، فإنّ ذلك أحرى أن تصيب حاجتك».

الموطن الخامس والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : في الصلاة في غير التشهد،

عن الحسن قال: «إذا مرّ بالصلاة على النبي ﷺ فليقف وليصلّ عليه في التطوع»^(١) ونص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على ذلك فقال : «إذا مرّ المصلي بآية فيها ذكر النبي ﷺ فإن كان في نفلٍ صلى عليه ﷺ».

الموطن السادس والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند كل كلام ذي بال،

فإنه يبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم بالصلاة على رسوله ﷺ ثم يذكر كلامه بعد ذلك.

الموطن السابع والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : في أثناء صلاة العيد،

فإنه يُستحب أن يحمد الله ويشنّ عليه، ويصلي على النبي ﷺ قال إسماعيل بن إسحاق . . . عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود، وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد بيوم فقال لهم: «إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه؟ قال عبد الله: تبدأ فتكبر تكبيرةً تفتح بها الصلاة، وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ، ثم تكبر وتركع، ثم تقوم وتقرأ

(١) قال السخاوي في القول البديع (ص ١٧٢): أخرجه إسماعيل القاضي والنميري.

وتحمد ربك، وتصلى على النبي محمد ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم ترقع. فقال حذيفة، وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن (٢)(١).

فضائل وثمرات الصلاة على النبي ﷺ

- الأولى: امثال أمر الله سبحانه وتعالى .
 الثانية: موافقة سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف كما تقدم.
 الثالثة: موافقة ملائكته فيها.
 الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلى مرة.
 الخامسة: أنه يُرفع له عشر درجات.
 السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.
 السابعة: أنه يمحي عنه عشر سيئات.
 الثامنة: أنه يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تُصاعد الدعاء إلى رب العالمين.

- التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفرادها.
 العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب كما تقدم.
 الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.
 الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.
 الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصدقة لدى العسرة.
 الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج.

(١) صحيح: رواه البيهقي في الكبرى (٢٩١/٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تحقيقه على فضل الصلاة على النبي ﷺ (٨٨).

(٢) مختصر جلاء الأفهام للإمام ابن القيم (ص: ٥٩-٦٨) اختصار وتحقيق المصنف.

الخامسة عشرة: أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه .
 السادسة عشرة: أنها زكاة للمصلي وطهارة له .
 السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته .
 الثامنة عشرة: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة .
 التاسعة عشرة: أنها سبب لرد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه .

العشرون: أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه كما تقدم .
 الحادية والعشرون: أنه سبب لطيب المجلس ، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة .

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفى الفقر كما تقدم .
 الثالثة والعشرون: أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ .

الرابعة والعشرون: نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ .
 الخامسة والعشرون: أنها ترمى صاحبها على طريق الجنة وتخطى بتاركها عن طريقها .

السادسة والعشرون: أنها تنجى من نتن المجلس الذى لا يُذكر فيه الله ورسوله ويُحمد ويُثنى عليه فيه ، ويُصلى على رسوله ﷺ .
 السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذى ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله .

الثامنة والعشرون: أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط ، وفيه حديث ذكره أبو موسى وغيره .

التاسعة والعشرون: أنه يُخرج بها العبد عن الجفاء .
 الثلاثون: أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلى عليه بين

أهل السماء والأرض؛ لأن المصلي طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره، وأسباب مصالحه، لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له، لأن الرحمة إما بمعنى الصلاة كما قاله طائفة، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلا بد للمصلي عليه من رحمة تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه.

فهذا قلب المؤمن: توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محوٌ ولا إزالة.

قال معاذ بن جبل: «ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»..... وذكر رسوله ﷺ تبعٌ لذكره.

والمقصود: أن دوام الذكر سبب لدوام المحبة. فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسّمك لا حياة له إلا به.

الرابعة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبه للعبد، فإنها إذا كانت سبباً لزيادة محبة المصلي عليه له، كذلك هي سبب لمحبه هو للمصلي عليه.

الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى في قلبه معارضة

لشيء من أوامره.

السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض اسم المصلى عليه ﷺ وذكره عنده كما تقدم قوله ﷺ: «إن صلاتكم معروضة عليّ»^(١) وقوله: «إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام»^(٢). وكفى بالعبد نبلاً أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله ﷺ.

السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط، والجواز عليه، لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلواته على فأقامته على قدميه وأنقذته»^(٣) رواه أبو موسى المدني وبني عليه كتابه في «الترغيب والترهيب» وقال: هذا حديث حسن جداً.

الثامنة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضى من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

التاسعة والثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله.

الأربعون: أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء. ودعاء العبد

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٠٤٧) كتاب الصلاة، والنسائي (١٣٧٤) كتاب الجمعة، وابن ماجه (١٦٣٦) كتاب ما جاء في الجنائز، والدارمي (١٥٧٢) كتاب الصلاة، وأحمد (١٥٧٢٩) أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٢) صحيح: رواه النسائي (١٢٨٢) كتاب السهو، والدارمي (٢٧٧٤) كتاب الرقاق، وأحمد (٣٦٥٧) مسند المكثرين من الصحابة، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١٧٤).

(٣) ضعيف: ذكره الهيثمي في المجمع (١٧٩/٧)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٢٠٨٦).

وسؤاله من ربه نوعان:

١- أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماتة، وما ينوبه في الليل والنهار. فهذا دعاء وسؤال وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

الثاني: سؤاله أن يثنى على خليله وحبيبه ويزيد في تشریفه وتكريمه وإثارة ذكره، ورفعته... ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه، فالمصلي عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب الله ورسوله... فمن أثر الله على غيره، أثره الله على غيره.

وهاهنا نكتة حسنة لمن علم أمته دينه وما جاءهم به، ودعاهم إليه وحضتهم عليه، وصبر على ذلك، وهي أن النبي ﷺ له من الأجر الزائد على أجر عمله مثل أجور من اتبعه. فالداعي إلى سنته ودينه، والمعلم الخير للامة إذا قصد توفير هذا الحظ على رسول الله ﷺ وصرفه إليه، وكان مقصوده بدعاء الخلق إلى الله التقرب إليه بإرشاد عباده، وتوفير أجور المطيعين له على رسول الله ﷺ مع توفيتهم أجورهم كاملة كان له من الأجر في دعوته وتعليمه بحسب هذه النية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١).

بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ

وها هي بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ:

(١) اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد (٢).

(١) مختصر جلاء الأفهام (ص: ٦٩-٧٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٣٦٩) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (١).

(٣) اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (٢).

(٤) اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم (٣).

(٥) اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد (٤).

(٦) اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٥).

(٧) اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (٦).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٠٥) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٣٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٧٩٨) كتاب تفسير القرآن.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٣٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٥) رواه أحمد (١١٨/٤) بإسناد صحيح.

(٦) رواه أحمد (١١٩/٤) بإسناد صحيح.

النبي ﷺ
ونعمة الأمل

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ ونعمة الأمل

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما صار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول، فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه يث الأمل في قلوبهم ويقول: «يلبغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزٌ عزيز أو بذلٌ ذليل؛ عزاً يعزز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»^(١).

- ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يث فيها النبي ﷺ الأمل في قلوب أصحابه.. بل كان دائماً يث الأمل في قلوبهم.

فها هو يث الأمل في قلب خباب بن الأرت عندما جاءه يشكو من شدة العذاب الذي وقع عليه ويطلب منه أن يدعو الله لينزل نصره عليهم فقال له النبي ﷺ: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله تعالى هذا الأمر

(١) أخرجه أحمد (١٠٣/٤)، والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم (٤٧٧/٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي (١٨١/٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣).

حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (١).

• وما هو يقول لأصحابه: «إن الله زوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيلغ ملكها ما زوى لى منها» (٢).

• وما هو فى يوم الخندق عندما حاصر عشرة آلاف من الكفار مدينة الرسول وأرادوا القضاء على الإسلام والمسلمين.

وإذا بالنبي ﷺ يقوم ليضرب تلك الصخرة التى عجز عنها أصحابه ويث الأمل فى قلوبهم.

أخذ النبي ﷺ المعول ونزل الخندق وقال: «بسم الله» ثم ضرب الصخرة ضربة قوية فكسر ثلثها وهو يقول: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام.. والله إنى لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة».. ثم ضرب الصخرة ضربة ثانية فكسر الثلث الثانى وهو يقول: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس.. والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض» ثم ضرب الصخرة ضربة ثالثة فكسر ما تبقى منها وهو يقول: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن.. والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا» (٣).

• وفى صلح الحديبية عندما اعترض عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بنود الصلح قال له رسول الله ﷺ بكل ثقة وأمل فى نصر الله: «إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى».

• بل كان النبي ﷺ يفتح الأمل للعصاة والمذنبين حتى لا يأسوا من رحمة الله.. ومن أجل أن يرجعوا ويتوبوا إلى الله.. بل كان يُحذر الناس من أن يُقنطوا أحداً من رحمة الله.

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦١٢) كتاب المناقب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٩) كتاب الفتن وأشراف الساعة.

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٣/٤)، رقم (١٨٧١٦) وحسن إسناده الحافظ فى الفتح (٣٩٧/٧).

• هكذا كان النبي ﷺ يبت الأمل في كل لحظة في قلوب أصحابه وأمته من بعدهم.

• فتعالوا بنا لتعيش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الأمل.

لا بد من الأمل^(١)

ففي واقعنا المعاصر كثير من الأحداث التي يندى لها الجبين خجلاً، وتضيق بها صدور الذين لهم مسحة من أخلاق وقيم؛ حيث تحملت البشرية في العقود الماضية من المعاناة والألم ما لم يشهد له البشر مثيلاً من قبل. ورغم التقدم العلمي والتقني وما صحبه من مزايا وحسنات فقد وصلت البشرية إلى حالة غير مسبوقة من الانحدار الأخلاقي، وضعف القيم الإنسانية والاستهانة بها، وازدياد نزعات العنصرية والعدوانية، وضعف تقدير كرامة الإنسان.

وينطبق هذا تماماً على واقع المسلمين وما يحدث لهم من تشريد وقتل واغتصاب، وما يتشر بينهم من تفكك وضعف وانحصار؛ فكثرت المآسي، وأصابت ذوى الأخلاق الحميدة والنفوس الشريفة ببعض اليأس والإحباط، وعاش البعض في حالة من اليأس والقنوط؛ يرى الحياة كلها ظلمات، وأصبح عبوساً مهموماً متشائماً!

• ومن هنا كان لا بد أن نبث روح الأمل، وأن نضيء أنواره، ليعيش المرء على الأمل والرجاء في رحمة الله تعالى، والثقة واليقين في الخالق سبحانه.

وعلى العاقل المؤمن أن لا ييأس ولا يقنط، بل يصبر ويحتسب ويكون واثقاً في ربه على الدوام، وكله أمل ورجاء في رحمة الله تعالى.

(١) بتصرف من كتاب (الأمل) / للأستاذ: رضا سعد مدبولي.

فلنحيا إذن بروح الأمل، ولنجعله زاداً لنا يدفعنا إلى الحياة والجد والعمل.

- فبالأمل تنمو شجرة الحياة ويرتفع صرح العمران، ويشعر المرء بالسعادة والبهجة.

- وبالأمل والرجاء ينهض الإنسان ويعمل، ويكدّ ويتعب، ويتحول من الكسل والخمول إلى النشاط والهمة والكفاح.

وكثيراً ما نرى الناس يعيشون ويتحملون المصاعب والآلام على بريق الأمل والرجاء:

- فالزارع يزرع ويتعب أملاً في الحصاد.

- والتاجر يسافر ويجدُ أملاً في الكسب والربح.

- والطالب يذاكر ويجتهد أملاً في النجاح.

- والمريض يتناول الدواء المرَّ أملاً في الشفاء.

- والمذنب يرجع إلى ربه أملاً في قبول توبته وغفران ذنوبه.

والمؤمن يخالف هواه ويطيع ربه أملاً في رضوانه وجنته.

والجندي يستبسل في المعركة ويجاهد أملاً في النصر أو الشهادة.

- والشعوب تتحمل ويلات الحرب وتصر على الكفاح أملاً في الحرية.

فالأمل يدفع المخفق إلى تكرار المحاولة، ويدفع الكسول إلى الجد،

ويدفع المجد إلى المداومة، ويدفع الناجح إلى مضاعفة الجهد.

فهذا هو الأمل الذي نريده، وهذا هو الأمل الذي نبشُّه؛ إنه عملٌ وجدُّ

وكفاح ونشاط، إنه حياة دائمة متجددة، إنه ثقة ورجاء في الله، إنه تعلق

دائم ومستمر بالخالق المحسن البر الرحيم.



ما الأمل؟

الأمل هو الرجاء، وهو ظن حصول ما فيه مسرة^(١)، فإن كان الأمل هو توقع أو ظن حصول أسباب المسرات، فإن هذا التوقع أو الظن قد يحيا في نفس الإنسان وقد يموت على حسب ما يلاقيه الإنسان في حياته من مبشرات بحصول مذنونته أو منفرات بفوات ذلك المذنون.

ولا يحيا الأمل في الإنسان إلا بروح تبعته في نفسه، كما لا يحيا الجسد إلا بالروح تدب في أركانه؛ وروح الأمل هي التي تجعله حياً في النفس بالأسباب التي تبقى هذا الأمل حياً كالمبشرات التي تسره وتدفعه دائماً إلى الحركة والعمل، كما قيل: «لولا الأمل ما كان العمل»، كما أنها تدفع عن نفس صاحبها كل الأسباب التي تميت الأمل في النفس؛ كالتغيرات التي تدفعه إلى اليأس والقنوط.

طبيعة الأمل،

الأمل والرجاء في تحصيل كل ما يعود على الإنسان وعلى مجتمعه بالنفع والخير في العاجل والآجل صفة محمودة؛ لأنها باعثة مُحركة على مواصلة العمل. و ضد ذلك اليأس؛ وهو مذموم لأنه صادٌّ عن العمل وقاطع للرجاء.

وأحوج الناس إلى الأمل: رجل غلب عليه اليأس، ورجل غلب عليه الخوف حتى أضر بنفسه وأهله، فهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرف التفريط.

أما إذا كان الأمل حرصاً على الدنيا، وانكباباً على ملذاتها، وحباً لها وإعراضاً عن الآخرة فهو مذموم؛ وذلك كأمل العاصي المغرور المتمنى على

(١) المفردات للراغب الأصفهاني: (٢/ ١٩٠)، مادة (رجا).

الله تعالى الأمانى مع الإعراض عن العمل، وهو الذى قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿ذُرِّهِمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقد أخبر النبي ﷺ أن الإنسان يظل محبباً للعالم، طويل الأمل فى أعراضها وإن كبرت سنه؛ فقال ﷺ: «لا يزال قلب الكبير شاباً فى اثنتين: فى حب الدنيا، وطول الأمل» (٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً فى الوسط خارجاً منه، وخط خُطوطاً صفاراً إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط، وقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذى هو خارج أمله، وهذه الخطط الصفار الأعراض؛ فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (٣).

وهذا الأمل المذموم هو ما كان يخاف منه على رضي الله عنه على المؤمنين حينما قال: «أخوف ما أخاف عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى».

ولابد من معرفة أن الأمل فى الله ورجاء مغفرته لابد أن يقترن بالعمل لا بالكسل والتمنى؛ فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٤).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).

فلا يقول إنسان: إن عندى أملاً فى الله، وأحسن الظن به، ثم بعد ذلك نراه لا يؤدي ما عليه تجاه الله فى فروض وأوامر، ولا ينتهى عما نهى الله

(١) سورة الحجر: الآية: (٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٠) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٧) كتاب الرقاق.

(٤) سورة الكهف: الآية: (١١٠).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢١٨).

عنه: .. والذي يفعل ذلك إنما هو مخادع يفتش نفسه.

وأوضح الإمام ابن القيم في مدارج السالكين الفرق بين الرجاء والتمنى فقال: «والفرق بينه وبين التمنى أن التمنى يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجهد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل».

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذر بها ويأخذ زرعها.

والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذر بها ويرجو طلوع الزرع؛ ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل..
فلا بد في الرجاء والأمل من الأخذ بالأسباب، وإلا أطلق على هذا الأمل حُقم وغرور، وكان من قبيل العجز.

الإيمان قرين الأمل

الإيمان والأمل متلازمان؛ فالؤمن أوسع الناس رجاءً، وأكثرهم تفاؤلاً واستبشاراً، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم والضجر؛ إذ الإيمان معناه الاعتقاد بقوة علياً تدبر هذا الكون، لا يخفى عليها شيء، ولا تعجز عن أي شيء، الاعتقاد بقوة غير محصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير محدود.

الاعتقاد بالله قدير رحيم، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويمنح الجزيل، ويغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.

- إله هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأبرُّ بخلقه من أنفسهم.
- إله يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

- إله يفرح بتوبة عبده أشد من فرحة صاحب الضالة إذا وجد ضالته،
والغائب إذا وفد على أهله، والظمان إذا ورد الماء.

- إله يجزي الحبنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد، ويجزي
السيئة بمثلها أو يعفو.

- إله يدعو المعرض عنه من قريب، ويتلقى المقبل عليه من بعيد ويقول:
«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في
نفسى، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم، وإن تقرب إلى شبراً تقربت
إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشى أتيته
هرولة»^(١).

المؤمن الذى يعتصم بهذا الإله البر الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود،
ذى العرش المجيد، الفعال لما يريد، يعيش على أمل لا حد له، ورجاء لا
تنفصم عُراه، إنه دائماً متفائل، ينظر إلى الحياة بوجه ضاحك، ويستقبل
أحداثها بشغفٍ باسم، لا بوجه عبوس.

وإذا تغلب اليأس على إنسان اسودَّت الدنيا فى وجهه وضاعت عليه
الأرض بما رحبت، وتقطعت دونه الأسباب، وأوصدت فى وجهه الأبواب.

ولا شك أن اليأس قرين الكفر؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٣).

فكل من فقد الإيمان بالله حُرم الأمل والنظرة المتفائلة للناس والكون
والحياة، أما المؤمن فإنه يعيش بالأمل والتفاؤل والاستبشار.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) سورة يوسف: الآية: (٨٧).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٥٦).

ومن الألم يأتي الأمل

لا شك أن الإنسان يحب الراحة والمتعة ويكره الألم والحُرمان ومع ذلك فقد يأتي الخير كله من وراء هذا الألم ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١) ...
فقد يتألم الإنسان، فيفرُّ إلى الله - جلَّ وعلا-؛ ليقف بين يديه مُصليًا خاشعًا باكياً وهو الذي لم يسجد لله سجدة واحدة أيام الترف والدعة والراحة.

- وقد يتألم آخر فيتحرك فؤاده وتهتز مشاعره، فيرفع يديه؛ ليدعو. من قلبه؛ حتى يفرج الله همه وحزنه.

- وقد يتألم ثالث فيُخرج شحنة الألم التي تعتصر قلبه في خطبة مؤثرة أو قصيدة رائعة ينتفع بها الناس من حوله.

* إن أشد الناس تألماً هم - في الغالب - أكثر الناس إبداعاً وعطاءً ولذلك نرى أصحاب الرسول ﷺ الذين عاشوا أحلك لحظات الألم والمعاناة: ... ألم الجوع والفقر والأذى والطرْد والتشريد وهجر الأوطان وألم القتل والجراحات المؤلمة... كانوا أكثر الناس بذلاً وتضحية وكانوا أفضل الناس كرماً وجوداً ودينياً وخلُقاً.

* نعم - أيها الأخ الحبيب - إن الإنسان الذي يتعب في حياته كثيراً ويتألم يكون مؤثراً فيمن حوله؛ لأن كلامه يخرج من القلب وأفعاله تعبر عن صدقه وإحساسه بمن حوله.

* فلا تخزن ولا تجزع من الألم فلربما كان ذلك دافعاً لك إلى البذل والعطاء ونقطة انطلاقٍ إلى النجاح والنبوغ والتميز.

وأنا أقول عن نفسي (٢): لقد تألمت في حياتي كثيراً كثيراً، وكابدت المتاعب وعشت حياة كانت في غاية القسوة، فكان ذلك من أعظم الأسباب

(١) سورة النور: الآية: (١١).

(٢) العبد الفقير إلى الله (محمود المصري).

التي جعلتني أشعر بآلام الناس من حولي، وأكره الظلم أكثر من أي شيء وأحرص كل الحرص على أن أبذل دعوتي للناس بكل رحمة وحنان... بل لا أكون مبالغاً حينما أقول: إن الآلام التي اعتصرت قلبي تحولت إلى بسمة لا تفارق وجهي أبداً، فلقد جعلت الألم والبسمة عملة واحدة لها وجهان فجعلت الألم في قلبي وجعلت البسمة لمن حولي؛ لأن الناس ليس لهم أي ذنب في أن يشاركوني أحزاني... فكلما ابتسمت في وجه مسلم وكانت بسمتي سبباً في سعادته، زال الألم من قلبي بقدر إسعادي لغيري.

* بل إن الألم كان سبباً في أن أقف متحدياً نفسي أن أكون ناجحاً في حياتي، وفي دعوتي، وفي آخرتي... وهكذا يكون الألم دافعاً لنا جميعاً لأن ننجح في ديننا ودنيانا (١).

الأمل عند الأنبياء (عليهم السلام)

الأمل والرجاء خلق من أخلاق الأنبياء، وهو الذي جعلهم يواصلون دعوة أقوامهم إلى الله سبحانه دون يأس أو ضيق، برغم ما كانوا يلاقونه من أذى وإعراض وعدم سماح لدعوة الله.

الأمل عند نبي الله نوح عليه السلام

ظل نبي الله نوح عليه السلام يدعو قومه إلى الإيمان بالله ألف سنة إلا خمسين عاماً دون أن يملّ أو يضرجر أو يسأم، بل كان يدعوهم بالليل والنهار، في السر والعلن، فرادى وجماعات، ولم يترك طريقاً من طرق الدعوة إلا سلكه معهم أملاً في إيمانهم،.. يقول تعالى عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَفْسَحُوا يَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (٧) ثُمَّ

(١) لا تحزن وابتسم للحياة / للمصنف (ص ٤٨-٤٩).

إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ (١)
وقد أوحى الله تعالى إلى نوح أنه لن يؤمن معه أحد إلا من آمن
وَاتَّبَعَهُ، فصنع السفينة بأمر الله، وأنجاه الله هو والمؤمنين.

الأمل عند نبي الله إبراهيم عليه السلام

أعطى الله سبحانه نبيه إبراهيم الرشد والحكمة منذ صغره، وابتعثه
رسولاً إلى قومه، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام، فدعا إبراهيم أباه إلى الحق
بالبطش وباللطف وبالهداية، وبين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان
التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنه شيئاً.

فلما عرض إبراهيم عليه السلام على أبيه الهداية والرشد توعدّه أبوه آزر
وهدّده، ولم يقبل منه نصحاً، فخرج إبراهيم إلى حرّان، ورأى أهلها يعبدون
الكواكب، فناظرهم في ذلك ودعاهم إلى الله.

ولما أنكر إبراهيم عليه السلام على قومه بيبابل عبادتهم للأصنام، وقام
فكسرها، وناظرهم في عبادتها، أجمعوا أمرهم على إلقاءه في النار وتحريقه بها
وظلوا يجمعون حطباً من كل الأماكن لمدة طويلة، ثم أضرموا فيه ناراً عظيمة
لم ير لها مثيل، ووضعوا إبراهيم في كفة منجنيق، وألقوه في النار، وهو
يقول: حسبى الله ونعم الوكيل، فكانت النار برداً وسلاماً عليه بأمر الله.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل: قالها إبراهيم عليه
السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّخِذُوهُمْ فِرَادِهِمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ﴾ (٢) (٣).

(١) سورة نوح: الآيات: (٥-٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧٣).

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب تفسير القرآن، ح (٤٥٦٣).

وهكذا كان إبراهيم عليه السلام واثقاً في ربه راجياً رحمته، عنده الأمل واليقين في نصر الله ووقوفه بجانب المؤمنين، فكان هذا الأمل واليقين في الله قوة تعينه على أعباء الدعوة ونوراً يضيء له الطريق.

وها هو ذا عندما يبلغ الكبر، ويصير شيخاً كبيراً في السن، وزوجته سارة عاقر لا تلد؛ لا يفقد الأمل في أن يرزقه الله بالأولاد والذرية الصالحة، فيدعو ربه قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١)، فرزقه الله سبحانه بإسماعيل من زوجته هاجر، وقيل إن سن إبراهيم عند مولد إسماعيل قد بلغ ستاً وثمانين سنة، ثم يأخذ إبراهيم زوجته هاجر وابنتها إسماعيل عند البيت الحرام امثالاً لأمر الله - وكانت مكة وقتذاك صحراء قاحلة لا أنيس فيها ولا جليس - فترك لهما جراباً فيه تمر ووعاءً فيه ماء.

وبعد فترة نفذ التمر والماء، وبكى الرضيع إسماعيل، لكن هاجر لم تياس من رحمة الله، وظلت تبحث في الوادي وتصعد جبل الصفا لتنظر عليه هل تجد إنساناً أو مغيثاً لها، ثم تنزل منه سريعاً لتصعد إلى جبل المروة فلم ترَ أحداً، وفعلت ذلك سبع مرات، ثم جاءها الفرج وأدركتها رحمة الله، ونبع بئر زمزم، وتجمع الناس عند الماء فعمروا المكان.

ثم رزق الله سبحانه إبراهيم بولدٍ آخر هو نبي الله إسحاق من زوجته سارة العاقر التي لا تلد، وقد أثنى إبراهيم على ربه شاكرًا له تلك النعمة العظيمة، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَبَّ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٢).



(١) سورة الصافات: الآية: (١٠٠).

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣٩).

الأمل عند نبي الله موسى عليه السلام

ظهر الأمل والثقة في نصر الله بصورة جليّة في موقف نبي الله موسى عليه السلام مع قومه حين طاردهم فرعون وجنوده واقترب منهم، فشرع بنو إسرائيل باليأس حينما وجدوا فرعون على مقربة منهم، وظنوا أنه سيدركهم، خاصة أنهم لم يجدوا أمامهم سوى البحر، فقالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ فقال لهم نبي الله موسى عليه السلام في ثقة و يقين: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١).

فأمره الله سبحانه أن يضرب بعصاه البحر، فانشقّ نصفين، ومشى موسى وقومه وعبروا البحر في أمان، ثم عاد البحر كما كان، فغرق فرعون وجنوده، ونجا موسى ومن آمن معه به.

الأمل عند نبي الله أيوب عليه السلام

ابتلى الله سبحانه نبيه أيوب عليه السلام في نفسه وماله وولده، إلا أنه لم يفقد أمله في أن يرفع الله الضرُّ عنه، وكان دائم الدعاء لله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٢).

فلم يُخَيِّبِ الله أمله، فحقق رجاءه وشفاه الله وعافاه وعوّضه عما فقده، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (٣).



(١) سورة الشعراء: الآيتان: (٦١، ٦٢).

(٢) سورة الانبياء: الآية: (٨٣).

(٣) سورة الانبياء: الآية: (٨٤).

الأمل عند نبي الله يونس عليه السلام

ظل نبي الله يونس يدعو قومه، فلم يستجيبوا له، فتوعدّهم بعذاب الله، وترك البلد لأن العذاب سينزل عليهم، وهنا هرع قوم يونس إلى الله يتوبون إليه ويستغفرونه، حتى رفع الله عنهم العذاب؛ يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١).

أما نبي الله يونس عليه السلام فقد ركب سفينة في البحر، ولكثيرة حمولة السفينة اقتربت من الغرق، فأجروا بينهم قرعة على من تقع عليه يلقى نفسه في الماء ليخفف حمل السفينة، فوقعت القرعة على يونس، ولما ألقى نفسه في الماء إذا بحوت ضخم يتلعه، وصار يونس في بطن الحوت يعيش في ظلمات شديدة، ومع ذلك لم ييأس، بل ظل يُسبِّح ربه ويدعوه؛ حتى استجاب الله له، وأمر الحوت أن يُخرجه من بطنه ليعود إلى قومه؛ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا التُّونُ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

الأمل عند نبي الله زكريا عليه السلام

كبر نبي الله زكريا، وكانت زوجته عاقراً لا تلد، لكن أمله في الذرية الصالحة لم ينقطع، وذات يوم وجد عند مريم طعاماً فسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكَ هَذَا﴾ فاجابت: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣).

(١) سورة يونس: الآية: (٩٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات: (٨٧-٨٨).

(٣) سورة آل عمران: (٣٧).

.. وهنا ارداد أمل ركريا في رحمة الله ورزقه، فدعا ربه أن يرزقه .
 يقول تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (١) فاستجاب الله له، وحقق أمله، ورزقه بيحيى؛ قال تعالى:
 ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) .

الأمل عند نبي الله محمد ﷺ

كان النبي ﷺ حريصًا على هداية قومه، ولم ييأس يومًا من تحقيق ذلك، وكان دائمًا يدعو ربه أن يهديهم ويشرح صدورهم للإسلام .
 وقد ظل النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو قومه إلى الإسلام، فيلقبون دعوته بالاستهزاء، وقرآنه بالبلغو فيه والتكذيب، وآياته بالتعنت والعناد، وأصحابه بالأذى والعذاب، فما لانت له قناة، ولا انطفأ في صدره أمل، ولما اشتد أذى المشركين لأصحابه أمرهم بالهجرة إلى الحبشة .
 وجاءه أحد أصحابه خباب بن الأرت رضي الله عنه وكانت مولاته تكوى ظهره بالحديد المحمى، فضاق بهذا العذاب المتكرر ذرعًا، وقال للرسول ﷺ في ألم: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟، فقال النبي ﷺ لصاحبه، داعيًا إياه إلى الصبر على بأساء اليوم أملاً في نصر الغد: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (٣) .

(١) سورة آل عمران: الآية: (٣٨) .

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣٩) .

(٣) رواه البخارى في صحيحه، كتاب الإكراه، ح (٦٩٤٣) .

ولقد جاءه ملك الجبال عليه السلام بعد رحلة الطائف الشاقة، وقال له: لقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك؛ فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين، فقال ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» (١).

لقد كان رسول الله ﷺ واثقًا في نصر الله له، وبدا ذلك واضحًا في رده على أبي بكر الصديق أثناء وجودهما في الغار ومطاردة المشركين لهما، فقال له بكل ثقة وإيمان: ﴿لَا تَحْزَنُ إِنْ لَمْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَالْحَالُ﴾ (٢).

أثر الأمل على الفرد والأسرة والمجتمع

١ - أثر الأمل على الفرد

المؤمن الذي يعتصم بالله سبحانه يعيش على أملٍ لا حدَّ له؛ فهو متفائل دائمًا ينظر إلى الحياة بوجهٍ ضاحك، ويتقبل أحداثها بثغرٍ باسم لا بوجه عبوس.

- فهو إذا حارب كان واثقًا بالنصر لأنه مع الله؛ ... يقول تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٣).

- وإذا مرض لم ينقطع أمله في العافية؛ يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٤).

- وإذا اقترف ذنبًا لم ييأس من المغفرة، ومهما يكن ذنبه عظيمًا فإن عفو الله أعظم؛ يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، ح (٣٢٣١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، ح (١٧٩٥).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٣) سورة الصافات: الآيات: (١٧٢، ١٧٣).

(٤) سورة الشعراء: الآيات: (٧٨-٨٠).

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ .
 - وهو إذا أعسر انتظر اليسر؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٢﴾ .

- وهو إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان على رجاء من الله أن يأجره في مصيبته ويخلفه خيراً منها؛ يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٣﴾ .

- وهو إذا عادى أو كرهه كان قريباً إلى الصلوة والسلام، راجياً في الصفاء والوثام، مؤمناً بأن الله يُحوِّكُ القلوب؛ يقول تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ .

- وهو إذا رأى الباطل يقوم في غفلة الحق أيقن أن الباطل إلى زوال، وأن الحق إلى ظهور وانتصار؛ يقول تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿٥﴾ ، ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ ﴿٦﴾ .

- وهو إذا أدركته الشيخوخة وكبر سنه، أخذ يرجو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم، وحياة بلا موت، وسعادة بلا شقاء؛ في ﴿جَنَّتْ عَدْنُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴿٧﴾ .

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الشرح: الأيتان: (٥، ٦).

(٣) سورة البقرة: الأيتان: (١٥٦، ١٥٧).

(٤) سورة المتحنة: الآية: (٧).

(٥) سورة الانبياء: الآية: (١٨).

(٦) سورة الرعد: الآية: (١٧).

(٧) سورة مريم: الأيتان: (٦١، ٦٢).

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مُناد: إن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»^(١).

الأمّل إذن هو إكسير الحياة، ودافع نشاطها، ومخفف ويلاتها، وباعث البهجة والسرور فيها.

هكذا يكون صاحب الأمل

- الأمل والرجاء يُحوّلان الإنسان إلى طاقة خلاقية، فيصير إنساناً مبدعاً جديراً بإنسانيته؛ لأنه يرجو ربه ويؤمن به سبحانه... والإسلام هو الرسالة القادرة على بناء إنسان قوى متوازن متكامل الشخصية: يمشى على الأرض ويتطلع إلى السماء، يعايش الواقع ويرنو إلى المثال، يعمل للدنيا ولا ينسى الآخرة، يجمع المال ولا ينسى الحساب، يأخذ الحق ولا ينسى الواجب، يتعامل مع الخلق ولا ينسى الخالق، يعتز بماضيه ولا ينسى حاضره ومستقبله، يحب قومه ولا ينسى بني الإنسان، يصلح نفسه ولا ينسى إصلاح غيره، يهتدى ويهتدي، ويأتمر ويأمر، وينتهي وينهى؛ فهو دائماً داعٍ إلى الخير، أمرٌ بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، حافظ لحدود الله يتواصى مع سائر المؤمنين بالحق وبالصبر، كما أمر الله في قوله: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾^(٢).

ب- أثر الأمل على الأسرة،

وإذا سَرَتْ روح الأمل في الأسرة امتلأت أركانها بالتفاؤل والبشر والسعادة. فالأسرة المتفائلة إذا مرض لها مريض عاشت بالأمل في شفاء هذا

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب: في دوام نعيم أهل الجنة ونودوا أن تلکم الجنة.

(٢) سورة العصر: الآيات: (١-٣).

المريض، وإذا مرت بها ضائقة علمت أن مع العسر يسراً، وإذا ابتليت علمت أن الله يختبرها فتصبر على البلاء حتى ينفك هذا الكرب. وهي متماسكة في مواجهة أية مشاكل تواجهها مهما كان حجمها - وما أكثر هذه المشاكل - وكلما مرت بمشكلة من مشاكل الحياة تجدها أسرة متماسكة متحدة في التفكير لحل المشكلة، ولا تجد بينها فرد يتخلى أو أخ يائس، حتى وإن وُجد هذا الفرد تجد باقي الأفراد يؤازرونه.

وهي أسرة تعيش في ترابط على قلب رجل واحد، ودائماً ما ترى الأمن والسكينة والرحمة والطمأنينة والهدوء داخلها.

ج - أثر الأمل على المجتمع،

كذلك فإن هذا المجتمع يتصف بالتكامل والتضامن، بحيث ينهض القوى بالضعيف، ويعود الغنى على الفقير، ولا يضيع عاجز ولا مسكين، ودائماً وأبداً ما يتواصى أبناء هذا المجتمع ويتناصحون، وكل إنسان يرى أنه مسؤول عن حوله من أبناء مجتمعه؛ ينصح لهم وينصحون له، ويوصيهم بالحق والصبر ويتقبل الوصية منهم.

وهو مجتمع يتصف بالتطهر والترقى؛ لأنه مجتمع نظيف يُربى أبناءه على الطهارة والعفة والإحسان، ويُحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن ابتلى منهم بمعصية استر وتاب ورجع. وما لا شك فيه أن مجتمعاً قائماً على هذه الأسس يعتصم بحبل الله سبحانه وينشر داخله روح الإسلام هو مجتمع مليء بالأمل؛ حيث تشيع روح الأمل والتفاؤل بين أفرادهِ ويسعون دائماً نحو التقدم.



كيف تحصل على التفاؤل؟

وفيما يلي مجموعة من الخطوات العملية التي عن طريقها يمكن أن يصير الإنسان متفائلاً وأن يصبح سعيداً، ولكن في البداية عليه أن يدرك أن الغرض الحقيقي من الحياة هو أن يعبد الله عز وجل، وبالعابادة الحققة لله تعالى يحقق الخير ويسعد نفسه والآخرين، ولبلوغ هذه الغاية ينبغي مراعاة ما يلي:

١- اختر الوسط الذي يلائمك: فلكي تجلب لنفسك التفاؤل صاحب أهل الخير والصلاح؛ لأن المؤمن متفائل بعيد عن اليأس والتشاؤم، وابتعد عن لا يثقون بأنفسهم ومن يترددون في كل عمل، وكذلك الحاسدين والمتشائمين الذين يتضجرون دائماً لغير سبب مفهوم.

٢- انظر دائماً إلى الجانب الحسن: كل شيء فيه جانبان: جانب حسن جميل إيجابي، وجانب سلبي، والإنسان المتفائل يَجْمُلُ في عينيه كل شيء، والمتشائم يقبح في عينيه كل شيء، فانظر دائماً إلى الجانب الحسن، وتغاضَّ عن عيوب الناس وسيئاتهم،... والعاقِل هو الذي ينسى عيوب الناس وينشغل بعيبه.

٣- تقدير النفس والثقة بها دائماً: حاول دائماً أن تستمد من إيمانك بالله ثقة تجعلك واثقاً من نفسك في إنجاز ما ينبغي عليك عمله؛ وذلك لكي تعمل بجدٍّ ويقين للوصول إلى الهدف المنشود.

٤- أحبِّ عملك: أكثر الأعمال إنتاجاً ما كان ثمرة يدين تعاملان فيه عن حب واقتناع، والشخص الذي يهدف إلى السعادة والنجاح في كل ما يؤديه من أعمال لا يستطيع أن يصل إلى هدفه إلا إذا أحب عمله وأقبل عليه في مرح وابتهاج.

٥- احتفظ بالتوازن بين روحك وجسمك: الإنسان مخلوق من جسد وروح، لكل منهما متطلبات ينبغي تحقيقها لكي يحدث له التوازن؛ فيجب أن تعطى جسدك ما يحتاج إليه من الراحة والطعام والشراب، وحينما تبدأ عمالك وجسمك قد أخذ قسطه من الراحة، فإنك تُقبل عليه بنشاط وجدية، ويكون الإتقان فيه متحققاً بدرجة كبيرة، كما يجب أن تعطى الروح غذاءها من الطاعة والعبادة، وعلى كُلِّ منا أن يُحصن نفسه بالإيمان بالله، فالإيمان هو الذي يُحرك الجبال ويؤدي إلى النجاح والصحة والسعادة.

٦- الحوادث أكبر مُعين لنا: لا يسلم الإنسان في الدنيا من التعرض للسوء والبلاء، والمؤمن يستقبل ذلك بإيمان وصبر، فيرضى بقضاء الله سبحانه، وعلى العاقل أن يستقبل الحوادث في هدوء، ولا يجعل للوساوس واليأس والجنين إلى نفسه سبيلاً؛ يقول النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (١).

٧- كيف تصبح أكثر ثقة بنفسك؟

ثقتك بنفسك تعنى نجاحك في حياتك، والثقة وعدم التردد يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بمدى معرفتك الحقيقية بنفسك.

• ارضاء الضمير هو بداية بناء الثقة بالنفس؛ إذ إن إرضاء الضمير يعنى التصرف الصحيح والبعد عن الأخطاء التي سيحاسبنا الله عليها، فإذا جاسب الإنسان نفسه، وعرف أخطائه، وتاب عنها وصحَّ مساره، وأصبح مجموع تصرفاته صحيحاً زادت ثقته في نفسه، وهو ما يؤهله للمسير على درب النجاح والفلاح.

• حب الآخرين والتعامل معهم بلباقة يجعلك شخصاً مرغوباً فيه،

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق، ح (٢٩٩٩).

ويزيد من ثقتك في نفسك .

* الابتعاد نهائياً عن الأفكار والمشاعر السلبية التي تحاول التأثير على شخصيتك؛ مثل القلق والخوف من الفشل وغيرهما .

* عاشر الناجحين الواثقين من أنفسهم، وتعلم كيف تتصرف مثلهم لو كنت مكانهم .

* حدد أهدافك التي ترغب في تحقيقها على المدى القصير، مع مراعاة أن تكون هذه الأهداف واقعية وممكنة التحقيق، وعند تحقيقها ستزداد ثقتك في نفسك .

٨- لا تجعل الشعور بالتقصير والنقص مَعوقاً عن العمل: ثق أنه لا يوجد إنسان كامل، ولكن الإنسان الراغب حقاً في خوض غمار طريق النجاح يبحث دائماً عن تلك الصفات أو المهارات التي لا يملكها، ويعمل على اكتسابها .

٩- اقتل في نفسك الخوف من الفشل: الخوف من الفشل مشكلة تواجهنا جميعاً، والخوف من الفشل عدوك اللدود الذي يتربص بك في طريق النجاح ويقتل فيك روح المغامرة، وهذا الشعور والإحساس يصيبك بالإحباط .

١٠- دع النقد الهدام واحرص على النقد الإيجابي الذي يدفعك للعمل... قد يوجه إليك بعض الأشخاص نقداً هداماً غير حقيقي محاولاً أن يضعه حجر عثرة في طريق نجاحك .

لكي تنجح في مواجهة النقد الهدام عليك أن تواجه ناقدك بابتسامة رقيقة تثبت له من خلالها أن كلماته عديمة التأثير لأنها ليست حقيقية، وبعبارة رقيقة تحاول من خلالها أن تمتص حدة هجومه تذكر له فيها أن ملاحظاته القيمة ستأخذها في اعتبارك عندما تقوم بتقييم ما قاله من نقد، ولا تحاول الدخول في مواجهة لإثبات خطأ ما يقوله .

وأكد لمن يحاول انتقادك انتقاداً ظالماً أن النقد لا يؤثر فيك بالسلب على الإطلاق؛ وأنه لا يمثل أي نوع من الحساسية بالنسبة لك، وأنها وجهات نظر، وأنت تحترم وجهات نظر وآراء الآخرين، ولا تستطيع أن تنتقدهم نقداً قد يسبب لهم الغضب أو الإحراج.

وينبغي أن تُفرق بين هذا النقد الهدّام وبين ما يقدمه لنا إخواننا من نصّح وتصحيح لأخطائنا وعيوبنا، . . . والعصمة للأنبياء وخدمهم، وكل ابن آدم خطأً، وخير الخطائين التوابون.

١١- كن طموحاً وانظر دائماً إلى الأمام: النجاح في الحياة وتحقيق الطموحات والأهداف المرجوة ليس شعاراً يُرفع فحسب، ولكنه رغبة أكيدة يلزم لتحقيقها معرفة الطرق التي يمكن من خلالها الوصول إلى ذلك.

١٢- لا تستسلم لأزماتك النفسية، وقم بحلها بالطرق الصحيحة:
كثيراً ما نشعر بالملل والسأم والضيق، ولا نجد سبباً مباشراً وظاهراً لتلك الظاهرة، وينعكس ذلك الشعور السلبي على حياتنا بصفة عامة، وعلى أعمالنا بصفة خاصة؛ مما يسبب لنا متاعب لا حصر لها قد تصل إلى حد الإحباط والفشل وعدم تحقيق النجاح المرجو.

* أسأل الله أن يرزقني وإياكم نعمة الأمل.

* * *

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ
وإفشاء السلام

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ وإفشاء السلام

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم. وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته... وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول. فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً مع بعض أصحابه يعلمهم حقاً من حقوق المسلم على أخيه المسلم فقال لهم ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(١).

فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة إفشاء السلام.

إفشاء السلام

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنَبُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِّنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) سورة النور: الآية: (٢٧).

(٣) سورة النور: الآية: (٦١).

(٤) سورة النساء: الآية: (٨٦).

المُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٤﴾ (١).

والسلام بمعنى: الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: (السلام عليك) فهذا يعنى أنك تدعو له بأن الله يُسلمه من كل آفة: يسلمه من المرض، من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب، يسلمه من النار... فهو لفظ عام، معناه: الدعاء للمُسَلَّم عليه بالسلامة من كل آفة.

وكان الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم من محبتهم لله عز وجل كانوا يقولون في صلاتهم: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان وفلان، فنهاهم النبي ﷺ أن يقولوا: السلام على الله، السلام على عباده، وقال: «إن الله هو السلام» يعنى: السالم من كل عيب ونقص - جل وعلا - فلا حاجة أن تُثنوا عليه بالدعاء بأن يُسَلِّم نفسه. ثم قال لهم: قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك سلِّمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض» (٢).

ولا أدري هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا في الصلاة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؟! لا أدري هل نحن نستحضر أننا نُسَلِّم على أنفسنا،... السلام علينا، وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض، يعنى نُسَلِّم على الأنبياء، ونسلم على الصحابة، ونسلم على التابعين لهم بإحسان، ونسلم على أصحاب الأنبياء، كالحواريين أصحاب عيسى، والذين اختارهم موسى - عليه الصلاة والسلام - سبعين رجلاً، وغير ذلك؟! هل نحن نستحضر أننا نُسَلِّم على جبريل وعلى ميكائيل وعلى إسرافيل وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة؟! لا أدري هل

(١) سورة الذاريات: الآيات: (٢٤ - ٢٥).

(٢) مفتح عليه: رواه البخارى (٨٣١) كتاب الاذان، ومسلم (٤٠٢) كتاب الصلاة.

نحن نستحضر هذا أم لا؟ إن كنا لا نستحضر فيجب أن نستحضر ذلك؛ لأن الرسول ﷺ قال: «إنكم إذا قُلتُم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض».

والسلام مشروعٌ بين المسلمين، مأمورٌ بإفشائه،... قال النبي ﷺ: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». يعني أظهروه.. أعلنوه.

وصدق رسول الله ﷺ؛ إن إفشاء السلام يبين الناس من أسباب المحبة، ولذلك إذا لاقاك رجل ولم يُسلم عليك كرهته، وإذا سلم عليك أحبته - وإن لم يكن بينك وبينه معرفة -؛ ولهذا كان من حُسْنِ الإسلام أن تفسى السلام، وأن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (١).

قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» (٢).

ولنا مع هذا الحديث العظيم وقفة يسيرة.. فلقد بدأ النبي ﷺ تلك الحقوق بالسلام، وذلك لأن السلام سبب لإيجاد المحبة بين المؤمنين كما جاء في الحديث.. ولكن المقصود هنا ليس ذات السلام بل المقصود هو ثمرة السلام - ولك الأجر على ذات السلام إن شاء الله - فثمرة السلام هي تأليف قلوب المؤمنين... وهناك أناس يجعلون السلام بينهم وسيلة للبغيضاء فهو لا يُسلم على أخيه إلا وهو عابس الوجه... ونسى هذا الأخ الكريم أن ابتسامته في وجه أخيه المسلم صدقة.. ونسى أن الإسلام جعل السلام سبباً لتماسك الأمة واجتماعها على الحب في الله ولم يجعله سبباً لتفرقها

(١) شرح رياض الصالحين / الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله) (٣/٤-٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

واختلافها . . بل ربما يقف العبد بين يدي الله تعالى فتستوى حسناته مع سيئاته فتأتي حسنة من ابتسامته في وجه أخيه المسلم فتدخله الجنة .
 فهيا يا أخى استجب لنداء رسول الله ﷺ وسلّم على من تعرف ومن لا تعرف فإن من أشرط الساعة أن الرجل لا يلقى السلام إلا على من يعرفه .

قال رسول الله ﷺ: «إن من أشرط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة»^(١) .

وفي رواية له: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة»^(٢) .
 وهذا أمرٌ مشاهد في هذا الزمن، فكثير من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون، وهذا خلاف السنة، فإن النبي ﷺ حثَّ على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وأن ذلك سبب في انتشار المحبة بين المسلمين التي هي سبب للإيمان الذي به يكون دخول الجنة .

* وعن عبد الله بن سلام رضي عنه قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل^(٣) الناس إليه فكننتُ فيمن جاءه، فلما تأملتُ وجهه واستبته^(٤) عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب . قال: فكان أول ما سمعته من كلامه أن قال: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(٥) .

* وعن أبي مالك الأشعري رضي عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة عُرفاً

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٨٣٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٤٨) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٨٦٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٤٧) .

(٣) انجفل الناس: أي: أسرعوا ومضوا كلهم .

(٤) استبته: أي: تحققته وتبيته .

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألباني رحمه

الله في السلسلة الصحيحة (٥٦٩) .

يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أحدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»^(١).

تعليم الله (سبحانه وتعالى) السلام لآدم وذريته

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم ﷺ قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحوونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله»^(٢).

فبين الحديث: أن المولى سبحانه علم آدم السلام وبين له أنه تحيته وتحية ذريته من بعده.

وجاء في الحديث: رد الملائكة على آدم «السلام عليك ورحمة الله» بزيادة: «ورحمة الله». وهذا يبين مشروعية الزيادة في الرد على الابتداء، ورد السلام واجب والزيادة سنة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ فيه حث على فعل الزيادة، وفيه إشارة للمؤمنين على أن الله تعالى يشبههم على إحسانهم ويجزيهم به.

والسلام كان تحية إبراهيم للملائكة... قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴿٤﴾.

وتبين الآية: أن تحية إبراهيم عليه السلام أعظم من تحية الملائكة له كما

(١) أخرجه أحمد (٣٤٣/٥)، قال الهيثمي (١٩٢/٣): رجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٢٣٢).

(٢) مضاف عليه: رواه البخاري (٣٣٢٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٤١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة النساء: الآية: (٨٦).

(٤) سورة الذاريات: الآيتان: (٢٤-٢٥).

تفيده الجملة الاسمية (سلام) فتحية الملائكة جاءت باسم منصوب (سلاماً) متضمن لجملة فعلية تقديرها: سلّمنا عليك سلاماً. والجملة الفعلية تقتضى التجديد والحدوث. وتحية إبراهيم جاءت جملة اسمية (سلام) والتي تفيد الثبوت واللزوم، فكانت تحية إبراهيم أعظم لتضمينها الثبوت والدوام.

والله سبحانه وتعالى كرم أنبيائه: بأن سلّم عليهم وأمنهم.

قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (١)، ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢)، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣).

أى: سلامٌ عليكم من غضبي، سلام عليكم من عذابي، سلام عليكم من سخطى، سلام عليكم من كل ما تكرهون وما أكره.

أما عيسى عليه السلام فقد ذكر له سلاماً خاصاً لأنه يحتاج إلى سلام من نوع جديد. سلام متجدد في الأرض وينتقل إلى السماء ويمتد إلى أن ينزل مرة أخرى إلى الأرض؛ فيحتاج إلى سلام جديد متواصل إلى أن يموت ويدفن في آخر الزمان فجاء القرآن فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٤).

وأمر المولى سبحانه رسوله ﷺ والمؤمنين بإفشاء السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٦).

(١) سورة الصافات: الآية: (٧٩).

(٢) سورة الصافات: الآية: (١٠٩).

(٣) سورة الصافات: الآية: (١٨١).

(٤) سورة مريم: الآية: (٣٣).

(٥) سورة الانعام: الآية: (٥٤).

(٦) سورة النور: الآية: (٢٧).

وجاء الأمر من الله للمؤمنين بالتسليم على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة... وصلاة الملائكة: الدعاء، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع له الثناء من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً... ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، السلام على النبي بمعنى التحية والانقياد والإذعان له وترك المخالفة. وأن يجعلوه سالماً من الأذية القولية أو الفعلية.. فالله أمنه وحفظه.. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

وتحية المولى سبحانه للمؤمنين يوم القيامة في دار السلام، هي السلام قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾^(٣)، أى: يسلم المولى تعالى عليهم كقوله سبحانه: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾^(٤).

كما أن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب قائلين: سلام عليكم أى: أمان وأمنة لكم فلا خوف ولا حزن.

وكذلك تحية المؤمنين فيما بينهم عند التلاقي والتزاور في الجنة هي (السلام).. قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأُخْرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

عن عبد الله بن مسعود قال: قال ﷺ: «إن السلام اسم من أسماء الله وضعه الله في الأرض فأفشوه فيكم فإن الرجل إذا سلم على القوم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب»^{(٦)(٧)}.

(١) سورة الاحزاب: الآية: (٥٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

(٣) سورة الاحزاب: الآية: (٤٤).

(٤) سورة يس: الآية: (٥٨).

(٥) سورة يونس: الآية: (١٠).

(٦) صحيح: رواه الطبراني (رقم ١٠٣٩١)، وصححه العلامة الالباني رحمه الله في الصحيحة (١٦٣٨).

(٧) إفشاء السلام وصية خير الانام ﷺ / أ. أمانى عطا (ص: ٥-١٠).

آداب السلام^(١)

* الأدب الأول: إفشاء السلام،

فإن هذا مما أمر به الرسول ﷺ، فقد قال ﷺ: «أفشِ السلام، وأطعم الطعام، وصلِّ الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، وادخل الجنة بسلام»^(٢) فإفشاء السلام من الخصال الموجبة لدخول الجنة، المورثة لها، كما قال ﷺ: «أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، تورثوا الجنان»^(٣)، وجعل إفشاء السلام سبباً للسلامة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷺ: «أفشوا السلام تسلموا»^(٤). وجعله كذلك سبباً لعلو المكانة في الدنيا والآخرة، فقال ﷺ: «أفشوا السلام كي تعلوا»^(٥)، وجعل إفشاء السلام، ونشره في المجتمع، وإلقاءه على الناس من خير خصال الإسلام، فقال ﷺ: «لما سُئل: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٦).

وهذا الإفشاء للسلام يشمل البدء بالسلام، وردُّ السلام على من بدأ به، وهو من الأمور التي تؤدي إلى نشر المحبة والوثام بين أفراد المجتمع المسلم، كما قال ﷺ: «أفشوا السلام بينكم محابوا»^(٧)، وقال ﷺ: «والذي نفسي

(١) بتصرف من موسوعة الآداب الإسلامية / أ. عبد العزيز ندا - حفظه الله - .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٧٨٧٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٨٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (١٨٥٤) كتاب الأطعمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٦٦).

(٤) حسن: رواه أحمد (١٨٠٥٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٩٣).

(٥) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٣٠/٨)، والترغيب والترهيب (٢٨٦/٣). قال المنذرى

(٢٨٦/٣): بإسناد حسن. وقال الهيثمي (٣٠/٨): إسناده جيد، وصححه العلامة الألباني رحمه

الله في صحيح الجامع (١٠٨٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (١٢) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٩) كتاب الإيمان.

(٧) صحيح: رواه الحاكم (١٨٥/٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٨٦).

بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(١).

* الأدب الثاني، أن يبدأ المرء من لقيه بالسلام:

فإن هذا من حق المسلم على أخيه المسلم، كما قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه..»^(٢) وكذلك قال ﷺ أيضاً: «إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل: السلام عليكم ورحمة الله»^(٣)، وسئل ﷺ: الرجلان يلتقيان، أيهما يبدأ بالسلام؟ فقال: «أولاهما بالله»^(٤).

* الأدب الثالث، الحرص على استعمال تحية الإسلام:

وهي التحية التي شرعها الله تعالى لعباده، والتي تُعد شعاراً للمسلمين، وهي تحية الملائكة، وتحية أهل الجنة، وهي قول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم! اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملائمتهم جلوس - فقل: السلام عليكم. قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم..»^(٥).

فينبغي الحرص على هذه التحية، وعدم العدول عنها إلى غيرها، كما يفعل بعض الناس الذين يعرضون عن تحية الإسلام، ويستعملون غيرها، فيقولون: صباح الخير.. ونحوها.

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٢٩) كتاب الأدب، والترمذي (٢٧٢١) كتاب الاستئذان والآداب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٣٦٧).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٩٤) كتاب الاستئذان والآداب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٧٠٣).

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٦٨) كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٤٦٦٢).

* الأدب الرابع، الحرص على إلقاء السلام كاملاً،

فإن ذلك أعظم للأجر، وأكمل وأحسن، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال النبي ﷺ: «عشر». وجاء آخر فقال: السلام عليك ورحمة الله، فقال النبي ﷺ: «عشرون» وجاء ثالث فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ: «ثلاثون»^(١). يقصد بذلك الحسنات، فكلما كان السلام أكمل كلما كان الأجر أعظم.

* الأدب الخامس، وجوب رد السلام لمن ألقى عليه السلام،

فيجب على الإنسان إذا ألقى عليه السلام أن يرد السلام، قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»^(٢) ويجزئ عن الجماعة الجالسين أن يرد أحدهم لقوله ﷺ: «يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم»^(٣).

* الأدب السادس، رد التحية بأحسن منها أو بمثلها،

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٤)، وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يرد السلام بأكثر مما ألقى عليه، فإذا قال له أحد: السلام عليكم. قال: وعليكم السلام ورحمة الله. وإذا قال له: السلام عليكم ورحمة الله. قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وإذا قال له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ومغفرته.

* الأدب السابع، اجتناب تحية الموتى،

وهي أن يقال: عليك السلام يا فلان. بل يقول: السلام عليك .. فإن

(١) حسن: رواه الترمذى. (٢٦٨٩) كتاب الاستئذان والآداب، وأحمد (١٩٤٤٦)، وحنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٦٤٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٥٢١٠) كتاب الأدب، وحنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٦٤٨).

(٤) سورة النساء: الآية: (٨٦).

النبي ﷺ أتاه رجل فقال له: عليك السلام يا رسول الله! فقال له النبي ﷺ: «لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى»^(١).

*** الأدب الثامن: عدم التشبه بغير المسلمين في تحيتهم:**

سواء كان التشبه بهم في حركاتهم، أو في ألفاظهم؛ فإن مشابهتهم محرمة. وقد نهى عنها النبي ﷺ حيث قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا النصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»^(٢).

وقال ﷺ أيضاً: «تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها فعل اليهود»^(٣)، فتحصل من ذلك تحريم الإشارة بالأكف فقط، أو بالإصبع فقط، كما يفعل كثير من الناس، لكن لو أنه أشار بيده مع إلقاء السلام بلسانه إذا كان الشخص بعيداً لكي ينبهه، فإنها لا تدخل في هذا الباب - إن شاء الله - وما يندرج في هذا الباب - وينبغي أن يحذر منه الإنسان - التشبه بغير المسلمين في ألفاظ سلامهم، كمن يقابل أخاه فيقول له: «بُنْجور، أو جودمورنج، أو بُنْسوار، أو نحو ذلك، فهذا لا يجوز بحال، وهو مما يقع تحت طائلة الأحاديث المذكورة.

*** الأدب التاسع: عدم بدء أهل الكتاب وغير المسلمين بالسلام:**

فإن هذا مما نهى عنه النبي ﷺ، فقد قال ﷺ: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه»^(٤).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٠٩) كتاب الأدب، والترمذي (٢٧٢١) كتاب الاستئذان والآداب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٤٠٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٩٥) كتاب الاستئذان والآداب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢١٩٤).

(٣) صحيح: رواه أبو يعلى (٣٩٧/٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٨٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٧) كتاب السلام.

ولا يعنى ذلك أن نتعرض لأهل الكتاب بالإيذاء أو السب فإن هذا من الظلم الذى لا يُقره الإسلام.. وإنما المقصود هنا هو إظهار عزة المسلم فى الأرض.

* الأدب العاشر: رد تحية غير المسلم بقول، وعليكم،

فإن نفرًا من اليهود مروا بالنبي ﷺ فقالوا له: السام عليك. فقال لهم: «وعليكم..» (١)، وقال ﷺ: «إن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم فإنما يقول: السام عليكم، فقولوا: وعليكم» (٢).

* الأدب الحادى عشر: يبدأ الصغير والقليل والراكب بالسلام،

وهذا كله مما أرشدت إليه الأحاديث النبوية الصحيحة فى هذا الباب، فإذا تقابل رجل مع أكثر من رجل سلم عليهم، أو مجموعة مع مجموعة أكبر منهم، فعلى المجموعة الأقل أن يبدأوا بالسلام. وإذا تقابل صغير مع كبير يبدأ الصغير بالسلام. وإذا تقابل راكب مع ماشٍ يبدأ الراكب بالسلام، ويبدأ الماشى بالسلام على القائم، والقائم يسلم على القاعد، وراكب السيارة أو الدراجة يبدأ بالسلام على الماشى أو القاعد، وكل ذلك قد أمر به النبي ﷺ، حيث قال: «يسلم الراكب على الراجل، ويسلم الراجل على القاعد، ويسلم الأقل على الأكثر، فمن أجاب السلام فهو له، ومن لم يجب فلا شيء له» (٣)، وقال ﷺ: «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير» (٤)، وقال: «يسلم الفارس على الماشى، والماشى على القائم، والقليل على الكثير» (٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٢٤) كتاب الادب، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٢٨) كتاب استابة المرتدين، ومسلم (٢١٦٤) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٨١١٣)، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢١٩٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٢٣١) كتاب الاستئذان.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٧٠٥) كتاب الاستئذان والآداب، وأحمد (٢٣٤٢٣)، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١١٥٠).

ث. وإذا مر رجل كبير بعدد من الصبيان سلم عليهم كما سيأتى فى الأدب العشرين إن شاء الله، وكذلك إذا كان الراكب كبيراً والماشى صغيراً سلم الراكب على الماشى، وإذا كان الماشى كبيراً والقاعد صغيراً سلم الماشى على القاعد.

* الأدب الثانى عشر، السلام عند مفارقة المجلس والخروج منه،

وبعض الناس يغفل عن هذا الأدب، فإذا دخل المجلس سلم، ثم إذا خرج لحاجة فإنه لا يسلم، وهذا خلاف السنة فإن النبي ﷺ قال: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»^(١)، وهكذا من باب أولى أن يعيد السلام إذا عاد إلى المجلس ثانية. وإفشاء السلام يزيد المحبة كما سبق. خلافاً لما يزعمه الجهال من أنه ينقصها، فينبغى عدم إهمال هذا الأمر.

* الأدب الثالث عشر، التصافح مع السلام عند التقابل،

وهذا من آداب السلام التى ندب إليها الإسلام، فإذا لقي المؤمن أخاه المؤمن فينبغى له إضافة إلى إلقاء السلام أن يأخذ بيده، ويصافحه، فإن فعل هذا فله أجر كبير، وهو مما يقوى المودة بين المسلمين، وقد قال ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا»^(٢)، وقال ﷺ: «إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه، وأخذ بيده فصافحه، تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر»^(٣)، وقد سُئل النبي ﷺ: يا رسول الله! الرجل منا يلقى أخاه، أو صديقه، أينحنى له؟ قال: «لا». قال: فيلتزمه ويقبله؟

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٠٨) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٠٦) كتاب الاستئذان والآداب، وأحمد (٧١٠٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢١٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٢٧) كتاب الاستئذان والآداب، وابن ماجه (٣٧٠٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٢٥).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٨٤/١) قال الهيثمى (٣٦/٨): يعقوب بن محمد بن الطحلاء روى عنه غير واحد ولم يضمفه أحد وبقية رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٦٩٢).

قال: «لا». قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: «نعم»^(١)، فدل هذا الحديث على استحباب المصافحة، وعلى عدم جواز الانحناء، كما يفعله البعض تشبهاً بالكفار، وعلى عدم جواز المعانقة كما هي حال الكثير.

* الأدب الرابع عشر: إعادة السلام إذا حال حائل بين الشخصين؛

وهذه سنة عظيمة، لا يفعلها كثير من الناس، وهي أنه لو كان شخصان يمشيان، ثم افترقا حول جدار، أو شجرة، أو عمود، أو غيره، ثم التقيا بعد أن يجتازا الحائل، فينبغي لهما أن يتبادلا السلام ثانية، وقد قال ﷺ: «إذ اصطحب رجلان مسلمان، فحال بينهما شجر، أو حجر، أو مدر، فليسلم أحدهما على الآخر، ويتبادلوا السلام»^(٢).

* الأدب الخامس عشر: السلام قبل السؤال والكلام؛

فلا يبدأ الشخص بسؤال إنسان عن شيء، أو بتكليمه إلا بعد أن يسلم أولاً؛ لقوله ﷺ: «السلام قبل الكلام»^(٣)؛ ولقوله ﷺ: «السلام قبل السؤال، فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه»^(٤).

* الأدب السادس عشر: عدم السلام عند قضاء الحاجة؛

فلا يبغي إلقاء السلام على إنسان جالس على بول أو غائط، ولا يجوز لهذا أن يرد السلام، فإن النبي ﷺ سلم عليه رجل وهو يقضي حاجته، فلم يرد عليه النبي ﷺ، وقال له: «إني كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهر»^(٥).

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٧٢٨) كتاب الاستئذان والآداب، وابن ماجه (٣٧٠٢) كتاب الادب، وحسنه العلامة الالبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٦٠).

(٢) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٥١/٦)، قال المناوى (٢٨٨/١): فيه بقية، وحاله مشهور لكن له شواهد، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٩٦٢).

(٣) رواه الترمذى (٢٦٩٩) كتاب الاستئذان والآداب.

(٤) حسن: أورده ابن عدى (٢٩٠/٥)، ترجمة ١٤٢٩ عبد العزيز بن أبى رواد، وقال: قال البخارى: كان يرى الإرجاء، وحسنه العلامة الالبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨١٦).

(٥) مسلم (٣٧٠) عن ابن عمر. والزيادة من قوله ﷺ لآبى داود (١٧)، عن المهاجر بن قنفذ، صحيح أبى داود (١٣).

• **الأدب السابع عشر:** إعادة السلام ثلاثاً، خصوصاً إذا لم يسمع، فإن النبي ﷺ كان إذا سلمَ سلمَ ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً^(١)، ولا سيما إذا سلم الشخص على آخر بعيد عنه لا يسمعه.

• **الأدب الثامن عشر:** خفض الصوت بالسلام إذا دخل على نائمين، فإن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، حتى يُسمع المستيقظين، ولا يزعج النائمين، فجاء أنه ﷺ: «كان يدخل من الليل، فيسلم تسليمًا لا يوقظ النائمين، ويُسَمع اليقظان»^(٢).

• **الأدب التاسع عشر:** إذا مرَّ على مجلس فيه مسلمون ومشركون سلم، وذلك تعظيمًا لحق الإسلام، فإن النبي ﷺ: «مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم»^(٣).

• **الأدب العشرون:** التسليم إذا مرَّ على صبيان، فإن هذا مما يؤلف قلوبهم، ويطيب نفوسهم، فإن النبي ﷺ: «مر على صبيان فسلم عليهم»^(٤) وهذا من تواضعه ﷺ. وللأسف فإنه يوجد من يتكف عن فعل هذا. ويرى أن تسليم الرجل على الصغار يحط من شأنه، وفعل النبي ﷺ خير ردُّ على هذا.

• **الأدب الحادى والعشرون:** استحباب تبليغ السلام من شخص لآخر، فإن النبي ﷺ قال لعائشة: «إن جبريل يقرأ عليك السلام»^(٥) فقالت عائشة **نوشها:** «وعليه السلام ورحمة الله».

وقد أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبى يُقرئك السلام، فقال له:

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٢٤٤) كتاب الاستئذان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٥٥) كتاب الأشربة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٥٤) كتاب الاستئذان، ومسلم (١٧٩٨) كتاب الجهاد والسير.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢١٦٨) كتاب السلام.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢١٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٤٤٧) كتاب فضائل الصحابة.

«عليك وعلى أهلك السلام»^(١). ولا شك أن هذا يدخل في إفشاء السلام، وتأليف القلوب، وكل ذلك من مقاصد الشرع المطهر. وهو مما ينبغي الحرص عليه.

فينبغي لكل مسلم أن يتأدب بكل ما جاء في هذا الفصل من آداب السلام، فإن لذلك أعظم الآثار، وأجملها، سواءً على الأفراد، أو الجماعات، ولا ينبغي أبداً الاستهانة بهذه الآداب، أو إهمالها، وإلا حُرِمَ الناس خيراً كثيراً.

ثمرات إفشاء السلام

ينبغي أن نعلم أن ثمرات إفشاء السلام كثيرة جداً ولكن سأكتفي بذكر بعضها عسى أن نحرص من الآن على إفشاء السلام لنفوس بالأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

(١) إفشاء السلام امتثال لأمر الله (جل وعلا)،

حسبك بإفشاء السلام أنك بذلك تمتثل أمر الله (جل وعلا).

فالخير كل الخير في امتثال أمر الله.. والشر كل الشر في مخالفة أمره.

(٢) إفشاء السلام قرينة إلى الله (جل وعلا)،

وذلك لأن إفشاء السلام طاعة لله.. وكل طاعة تُقرب العبد من الله

(جل وعلا).

قال عليه السلام: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»^(٢).

(٣) دليل على الإخلاص،

فإن العبد إذا سلم على من يعرف ومن لا يعرف فهذا دليل على

(١) حسن: رواه أبو داود (٥٢٣١) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٥٩٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٤٣٥٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥١٩٧) كتاب الأدب، والترمذي (٢٦٩٤) كتاب الاستئذان والآداب، وقال العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠١١).

إخلاصه وتواضعه .

* ولقد سئل رسول الله ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(١) .

(٤) سبب فى إشاعة الحب والرحمة بين المسلمين؛

فإفشاء السلام بين المسلمين سبب فى نشر روح الحب والمودة والرحمة بينهم... إفشاء السلام يجلب الحب.. والحب يزيد الإيمان.. والإيمان يوصل إلى الجنة.

ولذا قال النبي ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٢) .
فالسلم سبب فى جلب المحبة بين الناس التى تجعلهم فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله .

قال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»^(٣) .

(٥) إفشاء السلام سبب لمضاعفة الحسنات؛

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «السلم عليكم»، فردَّ عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «عشر».

ثم جاء رجل آخر فقال: «السلم عليكم ورحمة الله» فردَّ عليه فجلس، فقال: «عشرون».

ثم جاء رجل آخر: فقال: «السلم عليكم ورحمة الله وبركاته»، فردَّ عليه فجلس، فقال: «ثلاثون»^(٤) .

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٦٨٩) كتاب الاستئذان والأداب، وأحمد (١٩٤٤٦)، وحنه العلامة

الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٦٤٤).

(٦) إفشاء السلام سبب في دخول الجنة،

قال ﷺ: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» (١).

فضل المصافحة

* عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرقا» (٢).

* وقال ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيُسَلِّم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا لله فلا يفترقان حتى يُغفر لهما» (٣).

* أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا نعمة إفشاء السلام وأن يرزقنا ثمرته وهي الحب في الله... وأن يجمعنا بهذا الحب في الفردوس الأعلى.



(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٤٥١/٥)، وصححه

العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢١٢) كتاب الأدب، والترمذی (٢٧٢٧) كتاب الاستئذان والأداب، وابن

ماجه (٣٧٠٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٢٥).

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٨٩/٤)، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٧٨).

النبي ﷺ
وتعدد الزوجات

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ وتعدد الزوجات

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدناه جالساً مع أمهاتنا (أمهات المؤمنين) يعلمهن مما علمه الله ويذكرهن بالله (جل وعلا).. فكانت كل واحدة منهن تتعلم الكتاب والسنة من النبي ﷺ لتنشر هذا الخير بعد ذلك بين نساء المسلمين.

* ونحن نعلم أن هناك من المستشرقين وأذئابهم من أثاروا شبهة تعدد زوجات النبي ﷺ.. فما رأيكم في أن نرد عليهم في هذه الليلة المباركة ليعرف الشرق والغرب قدر رسول الله ﷺ وقدر أمهات المؤمنين ﷺ.

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع الحكمة من تعدد زوجات النبي ﷺ.



الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ

إن الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ كثيرة ومتشعبة، ويمكننا أن نُجملها فيما يلي:

أولاً: الحكمة التعليمية.

ثانياً: الحكمة التشريعية.

ثالثاً: الحكمة الاجتماعية.

رابعاً: الحكمة السياسية.

* أولاً، الحكمة التعليمية،

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بضع معلمات للنساء، يعلمنهن الأحكام الشرعية. فالنساء نصف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال... وقد كان الكثيرات منهن يستحين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية، وخاصة المتعلقة بهن، كاحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل... كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان - كما تروى كتب السنة أشد حياء من العذراء في خدرها... فما كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يُعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يُكنى في بعض الأحيان، ولربما لم تفهم المرأة عن طريق «الكناية» مراده عليه السلام.

تروى السيدة عائشة أن امرأة من الأنصار، سألت النبي ﷺ عن غسلها من الحيض، فعلمها ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها: «خذي فرصة مسكة [أي قطعة من القطن بها أثر الطيب] فتطهري بها...» قالت: كيف

أتطهر بها؟ قال: «تطهري بها» قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال: «سبحان الله تطهري بها».

قالت عائشة رضي الله عنها: فاجتذبتها من يدها، فقلت لها: ضعيفا في مكان كذا وكذا، وتتبعني بها أثر الدم، وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه^(١). فكان صلوات الله وسلامه عليه يستحي من مثل هذا التصريح وهكذا كان القليل أيضاً من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها، وعلى حياتها، فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عما يقع لها.

فأخذ مثلاً لذلك حديث (أم سلمة) المروي في الصحيح، وفيه تقول: «وجاءت أم سليم (زوج أبي طلحة) إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق... هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال لها النبي ﷺ: «نعم إذا رأت الماء». فقالت أم سلمة: لقد فضحت النساء، ويحك أو تحتلم المرأة؟ فأجابها النبي الكريم بقوله: «إذا فِيمَ يُشبهها الولد؟»^(٢).

وهكذا مثل هذه الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجواب عنها فيما بعد روجاته الطاهرات... ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «رحم الله نساء الأنصار، ما منعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»^(٣). وكانت المرأة منهن تأتي إلى السيدة عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساء الرسول خير معلمات موجّهات لهن، وعن طريقهن تفقه النساء في دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبي ﷺ فحسب، بل هي تشمل قوله، وفعله، وتقريره... وكل هذا من التشريع

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤) كتاب الحيض، ومسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٠) كتاب العلم، ومسلم (٣١٣) كتاب الحيض.

(٣) التمهيد لابن عبد البر.

الذى يجب على الأمة اتباعه، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله عليه السلام فى المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتى أكرمهن الله فكن أمهات المؤمنين وزوجات لرسوله الكريم فى الدنيا والآخرة؟

لا شك أن لزوجاته الطاهرت رضوان الله عليهن أكبر الفضل فى نقل جميع أحواله، وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم. ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومُحدثات نقلن هديه عليه السلام، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء. ومن أوضح الأمثلة عائشة رضي الله عنها.

ثانياً، الحكمة التشريعية:

وهذه الحكمة ظاهرة تُدرَك بكل بساطة، وهى أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة... ونضرب مثلاً (بدعة التبنى) التى كان يفعلها العرب قبل الإسلام، فقد كانت ديناً متوارثاً عندهم. يتبنى أحدهم ولداً ليس من صُلبه، ويجعله فى حكم الولد الأصلى، ويتخذه ابناً حقيقياً له حكم الأبناء من النسب فى جميع الأحوال، فى الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح، وإلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان ديناً تقليدياً متبعاً فى الجاهلية.

وما كان الإسلام ليقرهم على باطل، ولا ليتركهم يتخبطون فى ظلمات الجهالة، فمهد لذلك بأن ألهم رسوله ﷺ أن يتبنى أحد الأبناء وهو زيد ابن حارثة رضي الله عنه وذلك قبل البعثة النبوية. وبعد ذلك روجه عليه السلام بابنة عمته (زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها) وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقة بينهما فكانت تغلظ له فى القول وترى أنها أشرف منه لأنه كان عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول ﷺ وهى ذات حسب ونسب. ولحكمة يريد بها الله طلق زيدُ زينبَ وأمر الله رسوله ﷺ

أن يتزوجها ليبطل (بدعة التبنى) ويقيم أسس الإسلام ويأتى على الجاهلية من قواعدها.

ثالثاً، الحكمة الاجتماعية،

وهذه تظهر بوضوح فى تزوج النبي ﷺ بابنة الصديق الأكبر (أبى بكر) رضي الله عنه ووزيره الأول... ثم بابنة وزيره الثانى الفاروق (عمر) رضي الله عنه وأرضاه... ثم باتصاله عليه السلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب، وتزوجه العديد منهن، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباطٍ وثيق، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقى حول دعوته فى إيمان، وإكبار، وإجلال.

لقد تزوج النبي ﷺ بالسيدة (عائشة) بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدراً لديه، الذى كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وروحه وماله، فى سبيل نصرة دين الله، والذود عن رسوله، وتحمل ضروب الأذى فى سبيل الإسلام - حتى قال عليه السلام مشيداً بفضل أبى بكر:

«ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها، ما خلا أبى بكر، فإن له عندنا يدٌ يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة... وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر. وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كِبوةٌ إلا أبى بكر فإنه لم يتلعم، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبى بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»^(١).

فلم يجد رسول الله ﷺ مكافأة لآبى بكر فى الدنيا، أعظم من أن يُقر عينه بهذا الزواج بابنته، ويصبح بينهما (مصاهرة) وقرابة تزيد فى صداقتهما وترابطهما الوثيق.

كما تزوج صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة (حفصة بنت عمر) رضي الله عنها

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٦١) كتاب المناقب، رابن ماجه (٩٤) المقدمة وصححه العلامة الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٨٩٤).

فكان ذلك قرّة عين لأبيها (عمر) على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين. وعُمَر هو بطل الإسلام الذي أعزّ الله به الإسلام والمسلمين ورفع به منار الدين، فكان اتصاله عليه السلام به عن طريق المصاهرة، خير مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة، فكان زواجه بابتئهما أعظم شرفٍ لهما، بل أعظم مكافأة ومِنَّةً، ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرفٍ أعلى من هذا الشرف، فما أجمل سياسته وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلي رضي الله عنهما بتزويجهما بيناته... وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه، وخلفاؤه من بعده في نشر ملته، وإقامة دعوته، فما أجملها من حكمة، وما أكرمها من نظرة.

رابعاً، الحكمة السياسية،

لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة، من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله... فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة، أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة (مصاهرة) وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته،... ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة التي هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج.

١- تزوج ﷺ بالسيدة (جويرية بنت الحارث) سيد بني المصطلق وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر، أرادت أن تفتدي نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال فعرض عليها أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا؟ (أى أنهم في الأسر)، فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو

المصطلق هذا النبل والسمو، وهذه الشهامة والمزوعة أسلموا جميعاً، ودخلوا في دين الله، وأصبحوا من المؤمنين.

فكان رواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها، لأنه كان سبياً لإسلامهم وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

أخرج البخارى في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق، فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهماً، فوكت (جويرية بنت الحارث) في سهم ثابت بن قيس، فجاءت إلى الرسول فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، وقد كاتبني ثابت بن قيس على تسع أواق، فأعنى على فكاكى، فقال عليه السلام: «أوَ خير من ذلك»، فقالت: ما هو؟ فقال: «أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك»... فقالت: نعم يا رسول الله. فقال ﷺ: «قد فعلت»^(١).

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يسترقون؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبى بنى المصطلق، فبلغ عتقهم مائة بيت، بتزوجه عليه السلام بنت سيد قومه، وتحقق الأمل البعيد المنشود من ورائه فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية، وأسلم أبوها الحارث وعاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة والدعم المادى والأدبى معاً للإسلام والمسلمين. أصبحت جويرية بنت الحارث زوجة لسيد المرسلين وأماً للمؤمنين، فكانت رضي الله عنها عالمة بما تسمع، وعاملة بما تعلم، فقيهة عابدة، تقية ورعة، نقية الفؤاد، مضيئة العقل، مشرقة الروح، تحب الله ورسوله وتحب الخير للمسلمين.

وكانت رضي الله عنها تروى من حديث رسول الله ﷺ، ناقلة لحقائق الدين من خزائنها عند من تنزلت عليه ﷺ، يرويه عنها سدنة العلم من علماء

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى.

الصحابة رضي الله عنهم، لينشروه في المجتمع المسلم علماً وعملاً، وفي عامة المجتمع الإنساني دعوة وهداية^(١).

لقد حدث عن جويرية رضي الله عنها ابن عباس، وعبيد بن السباق، وكريب مولى ابن عباس ومجاهد، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي، بلغ مُسندها في كتاب بقي بن مخلد سبعة أحاديث^(٢). منها أربعة في الكتب السنية، عند البخاري حديث، وعند مسلم حديثان، وقد تضمنت مروياتها أحاديث في الصوم وحديث في الدعوات وفي الزكاة، كما روت في العتق، وبسبعة أحاديث شريفة خلّدت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها اسمها في عالم الرواية، لتضيف إلى شرف صحبتها للنبي صلّى الله عليه وآله وأمومتها للمسلمين، تليقها الأمة سنن المصطفى صلّى الله عليه وآله ما تيسر لها ذلك^(٣).

وكانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها من الذاكرين لله كثيراً والذاكرات، القانتات الصابرات في مجال مناجاة الله تعالى وتحميده وتقديسه وتسبيحه،... فهذه أم المؤمنين جويرية تحدثنا عن ذلك فتقول: إن النبي صلّى الله عليه وآله خرج عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم. قال النبي صلّى الله عليه وآله: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»^(٤).

٢- زواجه صلّى الله عليه وآله «بصفية بنت حيى بن أخطب» رضي الله عنها وكانت صفية رضي الله عنها قد أسرت في غزوة خيبر بعد قتل زوجها ووقعت (كما في صحيح

(١) محمد رسول الله لمحمد صادق عرجون.

(٢) دور المرأة في خدمة الحديث لأمال قرداش.

(٣) المصدر السابق.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٦) كتاب الذكر والدعاء.

البخارى) فى سهم أحد أصحاب النبي ﷺ وهو دحية الكلبي ﷺ فجاء رجل إلى النبي ﷺ فذكر له شأنها وقال أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير، إنها لا تصلح إلا لك، فقال: ادعها، فلما نظر إليها قال: خذ جارية من السبي غيرها، ففعل وخيرها النبي ﷺ بين أمرين:

(أ) إما أن يعتقها ويتزوجها ﷺ .

(ب) وإما أن يُطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت ﷺ أن يعتقها وتكون زوجة له، وذلك لما رآته من جلالته وقدره وعظمته، وحسن معاملته . . . وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس . وبهذا الزواج الاختيارى أصبحت صفية بنت حبي بن أخطب (سيد يهود بنى النضير وألد أعداء النبي ﷺ) إحدى أمهات المؤمنين، تتساوى فى جميع الحقوق مع عائشة بنت أبى بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكل زوجات النبي ﷺ (١).

* تضيد تهمة خبيثة (٢) *

هذا الزواج جعل بعض مرضى النفوس (وخاصة أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم) يتهمون الرسول ﷺ بأنه ما استرجع صفية وتزوجها إلا بدافع رغبة جسدية. بينما الحقيقة التى يؤكدتها السياق أن الدافع لجعل النبي ﷺ صفية زوجة له أسمى وأشرف من ذلك، وهو أن صفية بنت ملك وزوجة ملك، ومثلها لا يوهب كما توهب السبايا الأخريات. ولهذا استرجعها النبي ﷺ من دحية ﷺ، مما يدل على الباعث الإنسانى النبيل الذى فيه تكريم لهذه السيدة العظيمة فى قومها، وذلك حسب القاعدة الإسلامية الشريفة «أكرموا عزيز قوم ذل» . . . وليس أكرم لها وأجبر

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه السلام للصابونى.

(٢) موسوعة الفزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

لخاطرها من أن تكون زوجة النبي ﷺ بدلاً من أن تكون مملوكة عند رجل من عامة الناس.

وباعث آخر «للرد على مرضى النفوس» ألا وهو مواساة هذه السيدة العظيمة في قومها وإعزازها وتكريمها.

روى الواقدي عن ابن أبي سبرة عن أبي حرمة عن أخته أم عبد الله عن ابنة أبي القين المزني قالت: كنت ألف صفة من بين أزواج النبي ﷺ وكانت تحدثني عن قومها وما كانت تسمع منهم ثم ذكرت حديثاً طويلاً إلى أن قالت، فقالت صفة: (فسُيت في حصن النزار) قبل أن ينتهي رسول الله ﷺ إلى الكتيبة (أحد الأودية في الشطر الثاني لخبير) فأرسل بي إلى رحله ثم جاءنا حين أمسى فدعاني، فجلست وأنا مُقنعة حياءً فجلست بين يديه فقال: «إن أقيمت على دينك لم أكرهك وإن اخترت الله ورسوله فهو خير لك»، فقالت: أختار الله ورسوله والإسلام... فأعتقني الرسول ﷺ وتزوجني^(١).

وعن صفة زوجها أنها قالت: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما أحد أكره إليّ منه، قتل أبي وزوجي وقومي، فقال: «يا صفة أما إنني أعتذر إليك مما صنعت بقومك إن قومك صنعوا كذا وكذا» (وأخذ يعدد الأسباب التي حملته على أن يفعل بهم ما فعل)، قالت صفة: وما زال يعتذر إليّ حتى ذهب ذلك من نفسي، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب إليّ منه ﷺ ثم قالت: «ما رأيت أحداً قط أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ»^(٢).

فلو لم يكن باعث استرجاع صفة من دحية الكلبي هو باعث إنساني

(١) مغازي الواقدي.

(٢) السيرة الحلية.

شريف ما خيرها النبي ﷺ - بعد أن حررها من الأسر - بين أن تعود إلى أهلها حرة مُعززة مكرمة وبين أن يتزوجها لتكون إحدى أمهات المؤمنين .

ولو أراد ﷺ أخذها لنفسه جارية سرية لفعل ، ولا يمكن أن يجد طاعن أى مجال للطعن فى تصرفه ﷺ لأن قوانين الحرب المتفق عليها بين جميع الشعوب والأمم والتي عمل بها الإسلام وطبقها (كعمل حربى مقابل) فى ذلك العصر تبيح للنبي ﷺ أن يعامل صفة كنوع من الرقيق فيتخذها لنفسه جارية دوغما أخذ موافقتها لأنها أسيرة حرب تعتبر مملوكة بموجب قانون الحرب الدولى المعمول به فى ذلك العصر^(١) .

ولكن النبي ﷺ تكريماً لهذه السيدة العظيمة فى قومها أبى إلا أن يخصصها من بين جميع السبايا بإعطائها مطلق الحرية فى أن تختار أى السبيلين تريد بمحض إرادتها . والعودة إلى عشيرتها مع البقاء على دينها أو الدخول فى الإسلام لتكون زوجة للرسول عليه السلام لا فيرق بينها وبين ابنة أبى بكر فى الحقوق والواجبات فاخترت الزواج بمحض اختيارها .

وكان النبي ﷺ يبالغ فى إكرام هذه السيدة ﷺ ويراعى شعورها لعلمه بما هى عليه من حساسية وشعور مرهف ، كامرأة عزيزة فى قومها فقدت الوالد والزوج (كلاهما ملك على قومه) .

فقد كانت صفة نفسها تتحدث عن هذه المعاملة النبيلة والمواساة النابعة من أشرف قلب ، فقد قالت : كنت ألقى من أزواج النبي ﷺ ، ... يفخرن على ، يقلن : يا ابنة اليهودى وكنت أرى رسول الله ﷺ يلطف بى ويكرمنى ، فدخل على يوماً وأنا أبكى فقال : «مالك» ، فقلت : أزواجك يفخرن على ويقلن : يا ابنة اليهودى قالت فرأيت رسول الله ﷺ قد

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل .

غضب ثم قال: «إذا تعالوا لك أو فاحررك فقولى: أبى هارون وعمى موسى»^(١). وفى رواية: «وزوجى محمد ﷺ».

وأضاف صاحب كتاب (سمط النجوم العوالى)^(٢) إلى البواعث التى ذكرنا باعثاً آخر فقال: إن صفية بنت حُسى بن أخطب، هى بنت ملك وزوجة ملك من ملوك اليهود وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى نفاستها، فلو خصَّ بها لأمكن تغيير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه فإن فى ذلك رضى للجميع.

وهكذا يتضح نُبْل القصد وشرف الغاية فى كل عمل يعمله النبي ﷺ وصحابته الكرام، كما تنكشف أمام أضواء هذه الحقيقة المشرقة الناصعة خبث ونوايا وسوء مقاصد الذين يفسرون تزوج النبي ﷺ من صفية ذلك التفسير المقصود به الطعن فى مقام الرسول الأعظم ﷺ.

فهل يفهم الحاقدون على الإسلام ونبي الإسلام هذه الحقائق المشرقة والمقاصد النبيلة السامية التى يحاولون طمسها بألوانٍ قائمة كالحجة من الشكوك الباغية الظالمة^(٣).

٣- وكذلك تزوج عليه السلام بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) وأبو سفيان كان فى ذلك الحين حامل لواء الشرك، وألدّ الأعداء لرسول الله ﷺ وقد أسلمت ابنته فى مكة، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها، وهناك مات زوجها فبقيت وحيدة فريدة لا معين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم بأمرها أرسل إلى (النجاشى) ملك الحبشة ليزوجه إياها فأبلغها النجاشى ذلك فَسُرَّت سروراً لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه

(١) مغارى الواقدى.

(٢) سمط النجوم العوالى (٢/ ١٦٠).

(٣) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

وتعالى، لأنها لو رجعت إلى أبيها وأهلها لأجبروها على الكفر والردة، أو عذبوها عذاباً شديداً، وقد أصدقها عنه أربعمئة دينار مع هدايا نفيسة. ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام. ولما بلغ (أبا سفيان) الخبر أقر ذلك الزواج وقال: «هو الفحل لا يُقَدَحُ أنفه» فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته لها... إلى أن هداه الله تعالى للإسلام^(١).

ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة من تزوجه عليه السلام بابنة أبي سفيان، فقد كان هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين، سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة مع أن أبا سفيان كان وقت ذلك من آل بني أمية خصومة لرسول الله ﷺ، ومن أشدهم عداً له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سبباً لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته... كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريماً لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارةً بدينها، فما أكرمها من سياسة وما أجلها من حكمة؟؟؟ (٢) (٣).

شبهة زواجه ﷺ من أمنا عائشة وهي صغيرة السن

وهناك من المستشرقين من يظعن في زواج النبي ﷺ من أمنا عائشة رضي الله عنها وهي بنت تسع سنين... وتبعه في ذلك بعض أتباعهم من بني جلدتنا - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

* وقبل أن نرد على هؤلاء المستشرقين فلا بد أن ننظر نظرة سريعة على مراحل زواج النبي ﷺ.

(١) المصدر السابق.

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه السلام للصابوني.

(٣) تنزيه سيد الأنبياء عن مطاعن السفهاء / د . سيد عبد القوي (٢٤-٣٥) بتصرف.

* فلقد مرَّ النبي ﷺ في زواجه بخمس مراحل:

(١) ظل حتى سن الخامسة والعشرين من عمره بلا زواج.
 (٢) من الخامسة والعشرين إلى أن بلغ الخمسين من عمره كان متزوجاً
 بزوجة واحدة. أسنّ منه بخمسة عشر عاماً وقد تزوجت قبله مرتين . . . وهي
 أمنا خديجة رضي الله عنها.

(٣) من سن الخمسين إلى الثالثة والخمسين بلا زواج.
 (٤) من الثالثة والخمسين من عمره إلى الخامسة والخمسين كان قد تزوج
 زوجة واحدة كبيرة في السن وهي أمنا سودة بنت زمعة رضي الله عنها . . . ويقال أنه
 ﷺ تزوجها في الخمسين من عمره وذلك بعد وفاة أمنا خديجة بعدة
 أشهر.

(٥) زواجه من باقى أمهات المؤمنين كان من بعد سن الخامسة والخمسين
 من عمره . . . وذلك بعد أن كبر سن النبي ﷺ وانشغل بالغزوات وتبليغ
 رسالة رب الأرض والسموات.

فلو كان زواجه من أجل الشهوة لتزوج النبي ﷺ وهو في ريعان
 شبابه . . . وبخاصة وأنه كان يمتلك قوة أربعة آلاف رجل.

ففي صحيح البخارى من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ
 يطوف^(١) على نسائه في ليلة واحدة وله تع نوسة.

وفي رواية للبخارى عن قتادة أنه قال: حدثنا أنس بن مالك قال: كان
 النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن
 إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يُطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى
 قوة ثلاثين.

وفي رواية: «قوة أربعين».

(١) يطوف على نسائه: أى يجامعهن.

قال الحافظ في الفتح: وفي صفة الجنة لأبي نعيم من طريق مجاهد مثله وزاد «من رجال أهل الجنة» وعند أحمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه «إن الرجل من أهل الجنة يُعطى قوة مائة في الأكل والشرب والجماع والشهوة» فعلى هذا يكون حساب قوة نبينا أربعة آلاف (١).

* أما عن شبهة زواج من أمنا عائشة وهي صغيرة في السن فأقول
أن ذلك كان لسبعة أسباب:

(١) أن النبي ﷺ تزوج عائشة بأمر من الله جل وعلا:

فلقد كان رواج النبي ﷺ بعائشة رضيها بوحي من السماء فلقد رآها في منامه ثلاث ليالٍ وكان جبريل (عليه السلام) يأتيه بصورتها ويقول له: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. . . وبإيها من كرامة عظيمة لأمنا عائشة رضيها.

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أرئتك في المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك في سرقة» (٢) من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه. فأقول: إن بك هذا من عند الله بضمه» (٣).

وعن ابن أبي مليكة عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة» (٤).

(٢) من المعلوم أن الفتاة في أرض الجزيرة العربية وفي المناطق الحارة كانت وما زالت تبلغ مبكراً. . . أي أن عائشة وهي في هذا السن كانت ناضجة ومكتملة الأنوثة كأي امرأة. . . وكانت قادرة على القيام بأعباء البيت والزوج.

(١) فتح الباري (١/ ٤٥٠) ط. دار الريان.

(٢) السرقة: القطعة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٩٠) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (٢٤٣٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٨٠) كتاب المناقب وقال الأرنبوط: رجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٣) أن النبي ﷺ أراد أن يرتبط بأبي بكر ليرد له بعض ما قدمه لخدمة هذا الدين العظيم ولذلك تزوج النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها.

(٤) أن تنوع السن في زوجات النبي ﷺ كان مطلوباً لأن النبي ﷺ هو القدوة والأسوة... فمن خلال ذلك نتعلم كيف تعامل النبي ﷺ مع الزوجة الصغيرة والكبيرة.

(٥) أن البيئة هي التي تحدد.

فلقد كان الزواج المبكر منتشرًا في ذلك الوقت في أرض الجزيرة.

- فهذه صفية بنت حُيَ بن أخطب كانت قد تزوجت أول مرة وهي تبلغ من العمر إحدى عشرة سنة.

- وهذه حفصة بنت عمر كان أول زواج لها وهي تبلغ الثانية عشرة من عمرها.

ولذلك نجد أن المشركين الذين كانوا يبحثون عن أي شيء يطعنون من خلاله في النبي ﷺ ودعوته قد اتهموه بأنه ساحر وأنه كاهن وأنه مجنون ولكنهم لم يقولوا: أنه تزوج طفلة صغيرة... فلو كان زواجه من عائشة في هذا السن شبهة ما تركها المشركون أبداً.

- ونحن إذا رجعنا إلى الوراثة قليلاً نجد أننا في مصر الحبيبة كان سن الزواج في منتصف القرن العشرين يتراوح ما بين الثانية عشر إلى العشرين... فلو بقيت البنت بلا زواج حتى سن الخامسة والعشرين لكانت مشكلة خطيرة تهدد مستقبل هذه الفتاة.

- واليوم أصبح سن الزواج يتراوح ما بين الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين... فلو تزوجت البنت وهي تبلغ الثامنة عشر من عمرها لقال الناس: إنها تزوجت مبكراً.

- فالشاهد أن البيئة هي التي تحدد سن الزواج.

(٦) أن النبي ﷺ تزوجها في السنة الثانية للهجرة.

وكان ذلك بداية التشريع... فكان الأمر يحتاج إلى وجود فتاة صغيرة في بيت النبي ﷺ لتسأله كثيراً وتعرف الكثير والكثير من الأحكام الشرعية ثم تنقل هذا العلم للأمة.

ولذلك كان من حكمة الخالق (جل وعلا) أن عائشة لم تُنجب لى تتفرغ تماماً لطلب العلم ولتعليم الأمة... بل جعل الله (جل وعلا) حُب عائشة يتمكن من سويداء قلب النبي ﷺ حتى يتحدث معها كثيراً ويُعلمها الكثير والكثير ثم تنقل كل هذا للأمة.

ولذلك مكثت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في بيت النبي ﷺ تسع سنين ثم توفى النبي ﷺ وظلت من بعده تُعلم الأمة وتُبلغ سنة النبي ﷺ سبعة وأربعين سنة.

(٧) وأخيراً أقول: إن هذه الشبهة بدأت تظهر منذ خمسين سنة فقط... فلو كانت شبهة لظهرت منذ مئات السنين.

* وأقول لهؤلاء المستشرقين: ليس في ديننا ولا في حياة نبينا ﷺ ما نستحي من ذكره... بل سيرته كلها فخرٌ للكون كله.

* * *

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ
وغيره النساء

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ وغيره النساء

— وما نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في طُرقات المدينة المنورة ذاهبين إلى

الحبيب المصطفى ﷺ لسعد برؤيته ونقضى ليلة في بيت النبي ﷺ .

• وفي هذه الليلة جاءت هالة بنت خويلد - أخت خديجة أم المؤمنين

ﷺ فاستأذنت على رسول الله ﷺ ففرح النبي ﷺ لأن صوتها ذكره

بخديجة ﷺ فقال النبي ﷺ : «اللهم هالة» - أي: يا ليتها تكون هالة -

فقال أمنا عائشة ﷺ: فغرت. فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز

قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها»^(١) .

فوهن عائشة ﷺ قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما

غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها،

وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت

له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟

فيقول: «إنها كانت وكانت . . . وكان لي منها ولدا»^(٢) .

• وهن عائشة ﷺ أنها قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على

خديجة. وإنى لم أدركها. قالت: وكان رسول الله ﷺ - إذا ذبح الشاة

فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة». قالت: فأغضبه يوماً فقلت:

خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ : «إنى رُزقتُ حبتها»^(٣) .

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٧) كتاب فضائل الصحابة وغيرهما.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب المناقب، وهذا لفظه، ومسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة بنحوه، وغيرهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة واللفظ له.

قال الإمام الذهبي: قلت: وهذا من أعجب شيء (١) أن تغار زوجته من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي ﷺ بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ، فهذا من الطاف الله بها وبالنبي ﷺ، لثلاثا يتكدر عيشهما. ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي ﷺ لها وميله إليها. فرضى الله عنها وأرضاها.

* وعن عائشة قالت: دخلت امرأة سوداء على النبي ﷺ، فأقبل عليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال! فقال: إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان (٢).

هكذا كانت أمنا عائشة تغار على النبي ﷺ غيرة شديدة... ومع أن كل أمهات المؤمنين كن يغرن على النبي ﷺ إلا أن غيرة عائشة كانت واضحة جلية.

* ونحن ما زلنا نتحدث عن بيت النبي ﷺ، هذا البيت الأسوة الحسنة والقُدوة العظيمة الذي مرت به جميع أصناف الحياة، وظروف الزمان من فقر وغنى، ومن فرح وحزن، ومن شدة ورخاء ومن عسر ويسر، كل ذلك ليكون لنا القُدوة والأسوة الحسنة لما نعيشه في حياتنا، إنه بيت يدخل عليه ما يدخل على بيوت المسلمين، من الهم والحزن والفرح والسرور والكثرة والقلّة والفقر والغنى. ولقد مر بنا من أحاديث النبي ﷺ وسيرته أنه كان يخرج من بيته ليس عنده طعام وأن عائشة تذكر أن النبي ﷺ كان يمر عليه شهر وشهران وثلاثة ولا يوقد في بيته النار ﷺ (٣).

(١) علق الشوكاني رحمه الله على هذا الموطن فقال: سبب الغيرة ما كانت تسمعه من ثناء رسول الله ﷺ على خديجة، وتفخيمه لسانها كما سبق في ترجمتها ﷺ، فلا عجب إذن.

(٢) رواه أحمد وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات | السير (١٦٥/٢).

(٣) رواه البخاري (٩٠٧/٢) ورقمه (٢٤٢٨) عن عروة عن عائشة ﷺ: إن كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلثة أهلة في شهرين وما أوقدت في آيات رسول الله ﷺ نار فقلت يا خالة ما كان يمشكم قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله جيران من الأنصار وكانت لهم منافع وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من البانها فيسقين.

عليه. ومرّ علينا أيضاً أن النبي ﷺ لما فُتحت عليه الفتوح كان يجعل لأهل بيته مؤونة سنة، وذلك مما أغناه الله سبحانه وتعالى وأعطاه بعد الفتوح. فمر على بيت النبي ﷺ ففر ومَرَّ عليه غني، مر عليه فرح بتزويج بناته ﷺ، ومر عليه حزن بفقده أبنائه وبناته صلوات الله عليه وسلامه عليه: .

إذاً بيت النبي ﷺ بيت لنا فيه أسوة حسنة في أنه مرّت به جميع ظروف الحياة وأصنافها وظروفها، فلنا فيه الأسوة الحسنة والقدوة الكريمة. وستحدث الآن في جانب من الجوانب التي مرت بالنبي ﷺ. كلنا يعلم أن النبي ﷺ كان عنده عدة نسوة، ومعناه أن هناك نوعاً من الغيرة، ونوعاً من التنافس على محبة النبي ﷺ (١).

عاطفة الغيرة عند الزوجة

تسبب عاطفة الغيرة عند الزوجة وجداً شديداً، وحزناً عظيماً، خاصة إذا اشتدت، ولم تجد متنفساً تتصرف من خلاله، حيث تختل قدرتها وتقتصر عن النظر الصحيح والتقدير الجيد للأمور. ذلك لأن المرأة خلقت يتنازعها إحساسان قويان هما: إحساس العاشقة، وإحساس الوالدة، وليس أغلب على نفسها، ولا أملك لمشاعرها من هذين الإحساسين الغريزيين. ولما كانت الرابطة الزوجية أقوى الروابط بين اثنين، بحيث يشعر كل منهما بأنه شريك للآخر في كل شيء، كانت داعية التغاير بينهما أكد، وأسبابها أوفر حتى يتغايرا على الدقائق والخفايا، ويعتمدا على الظن والوهم، فيغيرهما ذلك إلى التنازع والتخاصم. (٢).

(١) في بيت النبي / أ. أحمد صقر السويدي (ص: ١٦٥).

(٢) المجموعة الكاملة - عباس محمود العقاد - ج ٢٥ ص ١٤٦.

ولا شك أن حياة النبي ﷺ مع أزواجه قدوة لكل مسلم، وتلك الحياة مع سموها ورفعتها وطهرها، لم تسلم من غيرة أزواجه ﷺ...

كيف عالج النبي ﷺ الغيرة بين نسائه؟

فالنبي ﷺ مرت به تلك الغيرة التي تغارها النساء من بعضهن بعضاً، ولذلك عالج النبي ﷺ هذه الغيرة في نسائه بعدد من الأمور نذكرها دون ترتيب تصاعدي أو تنازلي ولكنها على بعض المواقف منها:

أولاً: أن النبي ﷺ يرد هذه الغيرة إلى أنها وارع أو أنها نزعة من نزعات الشيطان^(١).

فعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت أنه بلغه أن عائشة كانت نائمة عند رسول الله ﷺ ففقدته من الليل، فسمعت صوته وهو يصلي، قالت: فقممت إليه فأدخلت يدي في شعره ثم رجعت إلى فراشي ثم إنه سلم، فقال: «أجاءك شيطانك؟» فقلت أما لك شيطان؟ قال: «بلى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم»^(٢).

* وعن عبد الله بن أبي مليكة أنه سمع محمد بن قيس بن مخزوم يقول: سمعت عائشة تُحدث. قالت: إلا أحدثكم عنى وعن النبي ﷺ؟ قلنا: بلى. قالت: لما كانت ليلتي التي هو عندى - تعنى النبي ﷺ - انقلب فوضع نعليه عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فلم يلبث إلا ريثما ظن أنى قد رقدت، ثم انتعل رويداً وأخذ رداءه رويداً، ثم فتح الباب رويداً، وخرج رويداً، وجعلتُ درعى في رأسى، واختمرت وتقنعتُ إزارى

(١) التمهيد لابن عبد البرج: ٢٣ ص: ٣٥١.

(٢) سنن النسائي (٧٢/٧) ورقمه (٣٩٦٠) ونصه: عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت أن عائشة قالت: التمت رسول الله ﷺ فأدخلت يدي في شعره، فقال: «قد جاءك شيطانك؟» فقلت: أما لك شيطان، فقال: «بلى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم» الحديث صححه الألباني في فقه السيرة (ص ٦٢).

وانطلقت في أثره حتى جاء البقيع، فرفع يديه ثلاث مرات، فأطال ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، وسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل.

فقال: مالك يا عائشة حشياً رابية^(١).

قالت: لا.

قال: «لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير».

قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي. فأخبرته الخبر.

قال: «فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟»

قالت: نعم. فلهزني في صدري لهزة أوجعتني.

ثم قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟»

قلت: مهما يكتم الناس فقد علمه الله.

قال: «إن جبريل أتاني حين رأيت، ولم يدخل عليّ وقد وضعت ثيابك

فناداني، فأخفى منك، فأجبت فأخفيتك منك، فظننت أن قد رقدت وكرهت أن

أوقظك، وخشيت أن تستوحشني، فأمرني أن أتى البقيع، فأستغفر لهم».

قلت: كيف أقول يا رسول الله.

قال: «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله

المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(٢).

وفي رواية، أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً. قالت: ففرت

عليه، فجاء، فرأى ما أصنع، فقال: «مالك يا عائشة؟ أغرت».

فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟

فقال رسول الله ﷺ: «أقد جاءك شيطانك؟».

(١) ظن أنها أصابها ضيق في التنفس لأن صوت نفسها كان عاليًا من أثر الجري.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز.

قالت: يا رسول الله أو معى شيطان؟

قال: «نعم».

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: «نعم».

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: «نعم ولكن ربي أعاننى عليه حتى أسلم»^(١).

ومعنى أن النبي ﷺ يرد هذا الأمر ويدفع هذه الغيرة أن هذا الذى حدث منك يا عائشة إنما هو نزغة من نزغات الشيطان، ووسواس منه، فاستقرت عائشة رضي الله عنها.

الثانى، الدعاء لهن:

فالنبي ﷺ لما خطب أم سلمة^(٢)، قالت له ﷺ: إني غيرى وإني مُصيبة، يعنى إني أغار، وإني كثيرة الأولاد، عندي صبية فى البيت. فقال النبي ﷺ: «أما قولك إني مصيبة فإن الله سيكفيك صبيانك يعنى - سيكفيهم برعاية رسول الله ﷺ -، وأما قولك إني غيرى فادعوا الله أن يذهب غيرتك». فدعا لها رسول الله ﷺ، وفى رواية أخرى، أما أيتامك فعلى الله وعلى رسوله... والشاهد فى هذا دعوة النبي ﷺ لها أن تذهب عنها هذه الغيرة وأن ينزع الله ما فيها، وهذا نوع من العلاج، أن يدعو الرجل لزوجاته بأن ينزع الله سبحانه وتعالى هذه الغيرة عنهن فتستقر نفوسهن على الخير.

(١) صحيح مسلم (٢١٦٨/٤) ورقمه (٢٨١٥) كتاب صفة القيامة.

(٢) وفى مسند الإمام أحمد (٣١٣/٦) ورقمه (٢٦٧١١) ومنه: (فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ وبرسوله أخبر رسول الله ﷺ أنى امرأة غيرى وإنى مُصيبة وأنه ليس أحد من أوليائى شاهداً فبعث إليها رسول الله ﷺ: «أما قولك أنى مصيبة، فإن الله سيكفيك صيانك، وأما قولك أنى غيرى، فادعوا الله أن يذهب غيرتك وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضانى» قلت: يا عمر قم فزوج رسول الله ﷺ).

الأمر الثالث:

الذي عالج به النبي ﷺ الغيرة بين نسائه: ذكر فضائلهن، وما قدمنه، ولعله مر بنا في باب الوفاء الذي كان فيه رسول الله ﷺ لزوجاته أن عائشة رضي الله عنها تقول: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكذب يأساً من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها يوماً فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت: فرأيت غضب غضباً، أسقطت من خلدي وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبي ﷺ ما لقيتُ قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنتُ بي إذ كذبتني الناس وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد وحُرمتوه مني، قالت: فغدا وراح على بها شهراً^(١).

عن عائشة قالت كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثني عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين، قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء^(٢).

فهذا نوع من العلاج الذي عالج به النبي ﷺ: أن يذكر فضائل المرأة التي يُغار منها حتى تعرف المرأة الأخرى التي عند زوجها لها مكانتها... وكلُّ له فضل وكلُّ له خير.

عن أنس قال بلغ صفية أن حفصة قالت إني ابنة يهودي. فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: «ما شأنك» فقالت: قالت لي حفصة:

(١) سير اعلام النبلاء (٢/١١٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٦/١١٧)، ورقمه (٢٤٩٠٨).

إني ابنة يهودى فقال النبي ﷺ: «إنك ابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي، فقيم تفخر عليك» فقال: «اتق الله يا حفصة»^(١).

ومعنى قول النبي ﷺ إنك ابنة نبي، لأنها من ذرية هارون ﷺ، وأن عمك نبي يعنى موسى عليه السلام فهذا نسب عظيم تنتهى إليه، وإنك لتحت نبي، أى إنك زوجة نبي، فقيم تفخر عليك، فأنت فى فخر النسب أعظم، لأنك تعودين إلى سلالة أنبياء.

ثم قال: اتق الله يا حفصة. ومعنى اتق الله يا حفصة توجيه آخر، وهو توجيه رائع، توجيه روجاته إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، والاستغفار من هذا الأمر.

الرابع: وأيضاً من المعالجة التى عاجلها النبي ﷺ فى روجاته أنه كان يجمعهم ﷺ، فى مجلس واحد، وهذا الجمع يذهب ما فى النفس من الغيرة، ويقرب الأنفس إلى بعضها بعضاً كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

تقول عائشة رضي الله عنها: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، بمعنى أنه جمعهم فى بيت واحد، فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بابنتي، فأجلسها عن يمينه أو شماله..^(٢) وهذا إشارة بأن النبي ﷺ كان يجمع نساءه فى مجلس واحد.

(١) صحيح: سنن الإمام أحمد (١٣٥/٣) ورقمه (١٢٥١٤) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦١٨٣).

(٢) انظر صحيح مسلم (١٩٠٥/٤) ورقمه (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة وهو بتعامه: عن عائشة قالت اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: «مرحباً بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً فبكت فاطمة، ثم أنه سارها فضحكت أيضاً، فقلت: لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ، فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت أحصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتهما عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ، حتى إذا قبض سألتهما فقالت إنه كان حدثنى: «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به فى العام مرتين، ولا أرانى إلا قد حضر أجلي، وأنك أول أهلى لحوثاً بى ونعم السلف أنا لك» فبكت لذلك، ثم أنه سارنى فقال: «الآن ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت لذلك.

الخامس: ومن الأمور التي عالج بها الرسول ﷺ الغيرة بين نسائه أنه كان يمر عليهن ضحى، فيسال عن أحوالهن جميعاً، ويستخير عن أفعالهن فيدل ذلك على أن هذا المرور إشارة إلى أنه يرعى البيوت كلها، فلا يغفل عن بيت من هذه البيوت...

السادس: ومنه كذلك ﷺ في معالجته لهذه الغيرة أنه يعالج هذه الأمور بالحلم وبالإعراض عن بعض الأخطاء التي تحدث،... فقد ورد أن النبي ﷺ كان عنده أضياف في بيته، فأرسلت امرأة من نسائه إلى بيت ضررتها الذي فيه أضياف، قصعة فيها شيء من الشريد، فلما رأت (عائشة) زوجة النبي ﷺ التي هو في بيتها هذا الإناء الذي جاء ضربته برجلها أو بيدها فانكسر هذا الإناء، فما زاد النبي ﷺ إلا أن قال: غارت أمكم، يعني هذا التصرف تصرف غيرة، فكان نوع من المزاح والحلم، فخبأ النبي ﷺ هذا الإناء ولما جاء إناء آخر من غزو دفعه رسول الله ﷺ إلى بيت التي كُسر إناؤها،... هذا نوع من المعالجة التي عالجها النبي ﷺ (١).

السابع: من المعالجة تخفيف هذا الأمر الذي قد يقع من زوجات النبي ﷺ بنوع من العلاقة العاطفية التي مارسها النبي ﷺ.

لما رجع النبي ﷺ من خيبر وكان قد تزوج من صفية بنت أبي العاص فتلقته عائشة بنت أبي بكر متغطية، ونظرت إلى صفية وخرجت فرأها النبي ﷺ فعلم غيرتها، فخرج النبي ﷺ خلفها وضمها إليه رسول الله ﷺ فأذهب ما في نفسها، وهذا من العلاج الذي عالج به النبي ﷺ في الغيرة بين نسائه وإلا

(١) صحيح البخارى (٢٠٠٣/٥) ورقمه (٥٢٢٥) كتاب النكاح عن أنس قال كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلحق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند النبي ﷺ هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى النبي ﷺ كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت النبي ﷺ كسرت.

فالفيرة أمر فطري عند النساء، ولكن عالج النبي ﷺ بكل رحمة وحنان وهو المبعوث رحمة للعالمين.

الثامن: الاستئذان في بعض الأمور: وهذا الذي فعله النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه . . . فإن النبي ﷺ لما مرض ثقل عليه أن يتحرك بين بيوته، فكان يقول لهن جميعاً لو رأيتم أن أطبب في بيت إحدائكن! فقالت أم سلمة رضي الله عنها: نعلم ماذا تريد؟ تريد ابنة أبي قحافة، يعني تريد أن تكون عند عائشة، نعلم هذا. فسكت النبي ﷺ قالت: فجعلناه في بيت عائشة رضي الله عنها يُطَبَّب، وهذه كرامة الله لعائشة أن يموت ﷺ في بيتها (١).

وفي رواية أخرى كان ﷺ يرفع رأسه ويقول: عند من الليلة؟ فتقول إحداهن: نعلم من تريد، تريد عند عائشة، فأذنت الجميع في هذا (٢).

التاسع: القرعة في السفر: والنبي ﷺ كان يقرع بين نسائه في السفر، حتى لا يقال إنه اختار فلانة أو فلانة، فكان إذا أراد السفر أقرع بين نسائه (أي جعل قرعة)، فمن وقعت عليها القرعة خرجت معه ﷺ، وما ذاك حتى يعالج هذا الأمر، فكان منه صلوات الله وسلامه عليه علاج لهذه الفيرة:

(١) سير اعلام النبلاء (١٤٧/٢).

واستأذن النبي ﷺ نساءه في مرضه، فقال: «إنه ليشق عليّ الاختلاف بينكن، فأئذن لي أن أكون عند بعضكن» فقالت أم سلمة: قد عرفنا من تريد. تريد عائشة قد أذنا لك تقول عائشة: «وكان آخر راده من الدنيا ريقى، أتى بسواك، فقال: «انكبه يا عائشة». فكنته، وقُبض بين نحري ونحري، ودفن في بيتي» هذا حديث صالح الإسناد ولكن فيه انقطاع.

(٢) وفي صحيح البخارى (١٦١٧/٤)، ورقمه (٤٤٥٠) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غدا، أين أنا غدا» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور على فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقى. ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له أعطنى هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه، فقضمته، ثم مضفته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدرى.

عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أفرع بين نساءه، فأيتهن يخرج سهمها، خرج بها النبي ﷺ فأفرع بيننا في غزوة غزاهما، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع النبي ﷺ بعد ما أنزل الحجاب (١).

العاشرة: الشدة: ولا يمنع هذا أيها الأخوة من بعض الشدة. وقد ورد في بعض الأحاديث عن النبي ﷺ أنه تصرف بنوع من الشدة وبيان الغرض في هذا الأمر، كما قال لحفصة: اتق الله يا حفصة، وكما مرَّ على عائشة فما زال يذكر محاسن خديجة شهراً كاملاً حتى لا تذكر عائشة ﷺ خديجة بسوء (٢).

الحادي عشر: السماح بالانتصار في مواطن الخطأ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج رسول الله ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطى، فأذن لها. فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلتني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة (٣) ... وأنا ساكتة ... قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: «أى بنية أأستنجين ما أحب؟» فقالت: بلى ... قال: «فأحبي هذه» ... قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول

(١) أخرجه البخاري (١٠٥٥/٣) ورقمه (٢٦٦١) كتاب الشهادات.

(٢) سير أعلام النبلاء ج: ٢ ص: ١١٢.

قالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكذب بسام من ثناء عليها واستغفار لها فذكرها يوماً فحملتني الغيرة فقلت لقد عرضك الله من كبيرة السن قالت: فرأيت غضباً أسقطت في خلدي وقلت في نفسي اللهم إن أذبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت قال: «كيف قلت والله لقد آمنت بي إذ كلبنى الناس وآوتني إذ رفضني الناس ورزقت منها الولد وحرمتموه مني» قالت: فغدا وراح عليَّ بها شهراً.

(٣) قال الإمام النووي: قولها: (يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة) معناه: يسألنك التسوية بينهن في محبة القلب، وكان ﷺ يسوي بينهن في الأفعال والميت ونحوه، وأما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمون على أن محبتهم لا تكليف فيها ولا يلزمه التسوية فيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله - سبحانه وتعالى -، وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال. (مسلم بشرح النووي (٢٩٥/١٥)).

الله ﷺ فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ.

فقلن لها: ما نراك أغيت عنا من شيء فأرجعي إلى رسول الله ﷺ فقولى له: أن نساءك ينشدنك (١) العدل في ابنة أبي قحافة. فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً. قالت عائشة رضي الله عنها: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ. ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب. وأتقى لله عز وجل. وأصدق حديثاً. وأوصل للرحم. وأعظم صدقة. وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة (٢) من حد (٣) كانت فيها. تسرع منها الفية (٤).

فاستأذنت على رسول الله ﷺ، . . . ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. . . فأذن لها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. . . قالت (٥): ثم وقعت بي. . . فاستطالت علي. وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر.

(١) أي: يالك.

(٢) السورة: الثوران وعجلة الغضب.

(٣) هكذا في معظم النسخ: «سورة من حد»، وفي بعضها: «من حدة» وهي: شدة الخلق وثورانه. انتهى من «حاشية مسلم».

(٤) أي: الرجوع، والمراد أنها تسارع إلى الرجوع إذا وقع شيء من حدة أو سرعة غضب.

(٥) يعني: عائشة رضي الله عنها، والمراد: أن زينب وقعت في عائشة رضي الله عنها، أي نالت منها، وعند البخاري (٢٥٨١): «رفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبها».

قالت: فلما وقعت بها لم أنشئها^(١) حين أنحيت عليها^(٢) فقال رسول الله ﷺ وتبسم: «إنها ابنة أبي بكر»^(٣). وإنما سمع النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها أن تتصر لنفسها لأن ربيب رضي الله عنها دخلت بيتها من غير إذن، وذكرت من خصوصيات الحياة الزوجية ما ينبغي ألا يثار بين الضرائر.

فهذه بعض الصور التي عالج بها النبي ﷺ الغيرة بين نسائه^(٤).

اصبر على غيرة زوجتك

أخي الحبيب:

إن المرأة - وإن كانت سريعة التظن، كثيرة التشكك، حادة الغيرة - إلا أن هذا كله ينفى من نفسها أن يؤكد لها الرجل في بساطة أنه لها وحدها، بل إنها في كثير من الأحيان لتسمنى أن ينفى لها الرجل ما قام بنفسها من الوسوس، فإذا همَّ بذلك سارعت إلى تصديقه؛ لأن أعصابها أضعف من احتمال اليقين الأليم، في هذه الناحية التي تملأ كل كيانها الأصيل^(٥).

فالغيرة عند المرأة انفعال وقتي قد يتجدد باستمرار؛ ولكن بواعثها غريزية بحتة. . . وإن كانت تظهر في صور مختلفة، فقد «تغار المرأة من المرأة لجمالها ولحسن هندامها ولغناها، ويبعث غيرتها في ذلك غريزة الجنس أو غريزة

(١) أي: لم أمهلها.

(٢) أي: حين قصدها بالمعارضة، وفي بعض الروايات للم، وغيره: «لم أنشئها أن أنختها».

أي: قمعتها وقهرتها. . . وفي رواية البخاري «تكلمت عائشة ترد على ربيب حتى أسكتها».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٥٨١) في الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب: من أهدى إلى صاحب ونحري بعض نسائه دون بعض، ومسلم (٢٤٤٢) في فضائل الصحابة/ باب: في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، وأحمد (٦/١٥٠-١٥١)، والنسائي (٣٩٥٦).

(٤) في بيت النبي / أ. أحمد صقر السويدي (ص: ١٦٦-١٧٥) بتصرف.

(٥) سيد قطب، صفحات مجهولة - محمد سيد بركة - ص ٨٦.

الأمومة، فالجمال مظهر الأنوثة الأول، وحسن الهندام يساعد على ظهوره، والغنى لتمكن من الظهور.. ولذلك تغار المرأة الفقيرة من جاريتها؛ لأنها اشترت فستاناً ثميناً وتطلب مثله بالذات غير معترفة بالفارق المادى بينهما.. لأن الفستان متصل بالجمال والأنوثة والغريزة، وكل امرأة تعد نفسها أفضل من هذه الناحية، ولا تعترف بالفروق فيها.

وهي في ذلك قد تقتنع بجميع المقدمات التي - قد - يقدمها الزوج لثبت الفروق المادية؛ ولكنها تضرب بتلك المقدمات عرض الحائط حين تتعارض مع ما تريد..

* أخى الحبيب:

إن زوجتك تحبك.. ولأنها تحبك؛ فهي تغار عليك؛ حتى من نسمة الهواء التي تداعب وجنتيك، بل من قطرات الماء التي تلامس شفتيك، بل من كل ما يجذب ناظريك، نعم.. عذاب.. جحيم.. بكاء دموع، ألم بلا حدود، تلك هي الغيرة تؤرق نومها، وتقض مضجعها، وتقتل الابتسامة على شفتيها، وتزرع الحزن في عينيها، فرفقاً - عزيزي الزوج - بذلك القلب الرقيق الرحيم الغيور. واصبر على غيرتها، واجعل تعاملك معها دائماً في إطار من روح الصداقة^(١).



(١) حتى يبقى الحب / د . محمد محمد بلدى (ص: ٢٧٢-٢٧٣) بتصرف.

النبي ﷺ
والضربون للنساء

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ والضربون للنساء

وها نحن نتخيل الآن وكأنا قد نزلنا أرض المدينة المنورة ومشينا في طُرقاتها فوجدنا بيتًا بسيطًا من بعيد، . فلما اقتربنا علمنا أنه بيت النبي ﷺ فدخلنا بعد أن أذن لنا النبي ﷺ فوجدناه حزينًا . فلما سأله أحد الصحابة عن سبب حزنه ﷺ قال: «لقد طاف بأل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكين الضرب وإيم الله لا تجدون أولئك خياركم» (١) . * ومن أجل ذلك كان النبي ﷺ ينهى عن ضرب النساء إلا إذا كان هناك سبب شرعي . . . ووضح أن الضرب هنا ليس ضرب انتقام وإنما ضرب تأديب - وأنا أسميه ضرب المحب - .

ضرب الزوجة.. لماذا؟

فمن الأزواج من قسا قلبه، وغلظ طبعه، وتعدى طوره وساء للدين فهمه؛ حيث يضرب زوجته ضرب غرائب الإبل، ويسومها سوء العذاب عند أتفه الأسباب، وربما تستر بعض أولئك العتاة القساة بالإذن القرآني بالضرب، ففهموه على غير وجهه وبعضهم يرى أن ذلك من الرجولة؛ فالرجولة في نظرهم تعنى الظلم، والقهر، والتسلط، والاستعلاء، والاستبداد، والقوامة عندهم طوق في عنق المرأة لإذلالها وتسخيرها .

والعجيب أن ترى بعض هؤلاء يتذلل ويتمسكن لأهل الزوجة قبل

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٦) كتاب النكاح ، والنسائي (٩١٦٧)، وابن ماجه (١٩٨٥) كتاب النكاح ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥١٣٧).

الزواج، فإذا ما ظفر بإزبه تنكّر وقلب ظهر المجن، فانقلبت. ذلته طغياناً، وتبدلت مسكنته تسلطاً وجبروتاً.

فتراه بعد ذلك يرفع يده أو عصاه على زوجته عند أدنى سبب، وربما بلا سبب، وربما ضربها هي وأولادها، وربما جمع إلى الضرب الشتم، والسبّ والقذف. إن المرأة ليست هملاً مضاعفاً فيصنع بها كيف يشاء.

إن للمرأة في هذه الحالة الحق الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع إلى الحاكم أمرها؛ لأنها إنسان مكرم داخل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١).

وليس حسن المعاشرة أمراً اختيارياً متروكاً للزوج إن شاء فعّله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب.

وليس الرفق بالمرأة من باب الرفق بالحيوان الأعجم، ولكنه حق لها، وواجب على زوجها؛ فهي مكرمة مثله بالخلق السوي، والصورة الحسنة، والتقويم الحسن، . . . هي مكرمة - كذلك - بالبيان والعقل، وحمل الأمانة؛ فهذه المزاي مشاعة بين الرجل والمرأة؛ فمن أراد أن يعامل الزوجة معاملة الدابة والسلعة فقد كفر نعمة الله، وعرض نفسه للعقوبة (٢).

فأين أولئك القساء من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (٣).

وأين هم من قول النبي ﷺ: «إني أخرج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة» (٤).

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٠).

(٢) انظر عودة الحجاب (٢/٤٦٥-٤٦٦) د. محمد إسماعيل المقدم (حفظه الله).

(٣) سورة الفجر: الآية: (١٤).

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٢/٤٣٩)، وابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الادب وحسنه الاباني رحمه الله في الصحيحة (١٠١٥).

وقوله ﷺ: «النساء شقائق الرجال»^(١) . . .

وقوله ﷺ: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يضاجعها»^(٢) . . .

فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء؛ إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته مهينة كمهانة عبده؛ بحيث يضربها بسوطه أو بيده، مع أنه يعلم أنه لا بد له من الاجتماع والاتصال الخاص بها^(٣) .

قال السيد محمد رشيد رضا - رحمه الله - في هذا الحديث: «وأذكر أنني هُديت إلى معناه العالى قبل أن أطلع على لفظه الشريف؛ أقول: يا الله . . . العجب كيف يستطيع الإنسان أن يعيش عيشة الأزواج مع امرأة تُضرب؟ تارة يسطو عليها بالضرب، فتكون منه كالشاة مع الذئب، وتارة يُدَلُّ لها كالعبد طالباً منتهى القرب»^(٤) .
ولا يفهم مما مضى الاعتراض على مشروعية ضرب الزوجة بضوابطه، ولا يعنى أن الضرب مذموم بكل حال .

لا، ليس الأمر كذلك؛ فلا يطعن في مشروعية الضرب إلا من جهل هداية الدين، وحكمة تشريعاته من أعداء الإسلام ومطاياهم ممن نبتوا في حقل الغرب، ورضعوا من لبنه، ونشأوا في ظله .

هؤلاء الذين يتظاهرون بتقديس النساء والدفاع عن حقوقهن؛ فهم يطعنون في هذا الحكم، ويتأففون منه، ويُعدُّونه إهانة للمرأة .

وما ندري من الذى أهان المرأة؟ أهو ربها الرحيم الكريم الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟

(١) أخرجه أحمد (٢٥٦/٦ ، رقم ٢٦٢٣٨) ، والترمذى (١٨٩/١ ، رقم ١١٣) ، من حديث عائشة، وأخرج به أبو داود (٦١/١ ، رقم ٢٣٦) ، والدارمى (٢١٥/١ ، رقم ٧٦٤) ، وأبو عروانة (٢٩٠/١) ، والحديث صححه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٨٦٣) ، وصححه الشيخ أحمد شاکر فى تحقيق الترمذى (١٩٠-١٩٢) .

(٢) أخرجه البخارى (٥٢٠٤) كتاب النكاح، ومسلم (٢٨٥٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(٣) انظر نداء للجنس اللطيف ص ٤٦ .

(٤) نداء للجنس اللطيف ص ٤٦ .

أم هؤلاء الذين يريدونها سلعة تُمتهن وتُهان، فإذا انتهت مدة صلاحيتها ضربوا بها وجه الثرى؟
 إن هؤلاء القوم يستنكفون من مشروعية تأديب المرأة الناشز (١)، ولا يستنكفون أن تنشر المرأة، وترفع على زوجها، فتجعله - وهو رأس البيت - مرؤوساً، وتصر على نشوزها، وتمشى في غلوائها، فلا تلين لوعظه، ولا تستجيب لنصحه، ولا تبالي بإعراضه وهجره.
 ترى كيف يعالجون هذا النشوز؟ ويم يشيرون على الأزواج أن يعاملوا به الزوجات إذا تمردن؟

لعل الجواب تضمنه قول الشنفرى الشاعر الجاهلى حين قال مخاطباً زوجته:
 إذا ما جئت ما أنهارك عنه
 فلم أنكر عليك فطلقبنى
 فأنت البعل يومئذ لقومى

بسوطك - لا أبالك - فاضربينى (٢)

نعم لقد وُجد من النساء - وفى الغرب خاصة - من تضرب زوجها مرة إثر مرة، والزوج يكتم أمره، فلما لم يعد يطيق ذلك طلقها، حينئذ ندمت المرأة، وقالت: أنا السبب؛ فلقد كنت أضربه، وكان يستجى من الإخبار بذلك، ولما نفذ صبره طلقنى!

وقالت تلك المرأة القوامة: أنا نادمة على ما فعلت، وأوجه النصيحة بالآلة تضرب الزوجات أرواجهن!

لقد أذن الإسلام بضرب الزوجة كما ترى قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (٣).

(١) الناشز: التى ارتفعت عن طاعة زوجها، من النشور وهو الارتفاع.

(٢) ديوان الشنفرى ص ٧٩ .

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٤).

وكما في قوله - عليه الصلاة والسلام - في حجة الوداع: «ولكم عليهن إلا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح» (١).

ولكن الإسلام حين أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذي يُقصد به التشفى والانتقام، والتعذيب، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها.

وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب، تصحبه عاطفة المربي والمؤدب؛ فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها؛ فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها:

- أ - أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها.
- ب - أن يتناسب العقاب مع نوع التقصير؛ فلا يبادر إلى الهجر في المضجع في أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد، ولا يبادر إلى الضرب وهو لم يجرب الهجر؛... ذلك لأن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم.
- ج - أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاج والتأديب والزجر لا غير؛ فيراعى التخفيف فيه على أحسن الوجوه؛ فالضرب يتحقق باللكزة، أو بالمشواك ونحوه.
- د - أن يتجنب الأماكن المخوفة كالرأس والبطن والوجه.
- هـ - ألا يكسر عظماً، ولا يشين عضواً، ولا يدميها، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد.
- و - ألا يتمادي في العقوبة قولاً أو فعلاً إذا هي ارتدعت وتركت النشوز. فالضرب - إذا - للمصلحة لا للإهانة (٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج، وأبو داود (١٩٠٥) كتاب المناسك، وابن ماجه (٣٠٧٢) كتاب المناسك، والدارمي (١٨٥٧).

(٢) رسائل في الزواج والحياة الزوجية / ١. محمد بن إبراهيم الحمد (ص: ١٧٧-١٨١).

ضرب النساء

لقد شرع الله تعالى سنة الثواب والعقاب، وجعل الثواب لمن أحسن وأتاب، ثم كان العقاب لمن حاد عن الصواب، بعد ما نُصح فما استجاب. لكنه سبحانه أمر بالتدرج عند التقويم والإصلاح؛ بحيث يكون الضرب آخر الوسائل التي يلجأ إليها الزوج أو المربي، ويكون أيضاً علاجاً لمرض، فإذا ذهب المرض فلا حاجة لهذا العلاج من أصله.

وعلى هذا فالضرب ضرورة يلجأ إليها الرجل بعد أن يكون قد استنفذ كل الوسائل المتاحة، والسبل المباحة من موعظة ونصح ثم هجر للمرأة في مضجعها في حالة نشورها وعصيانها، أو تكرر الخطأ منها بلا اكتراث ولا اهتمام.

وهو كذلك آخر مرحلة يضطر إليها الزوج نظراً لما قد يتبع عنه من تفاقم المشاكل، بسبب ضربة خاطئة، أو تجاوز الحدود الشرعية في الضرب.

قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ (١).

وقال ﷺ: «واضربوهن ضرباً غير مبرح» (٢). وليس النساء أمام الضرب سواء؛ فليست الوضيعة كالرفيعة (أى فى المنزلة)، وليست الحية كالجرية، ولا الجانية كالبريئة، فمن النساء من تكفيها النصيحة، وتصحى بمجرد مراجعتها. ومثل هذه فإن اللجوء إلى ضربها عند الخطأ ربما شق قلبها وقلق كبدها، وإذا تكرر ذلك فربما أصابتها حالة نفسية يصعب علاجها فيما بعد. ومن النساء من لتحمل الضرب بشرط ألا يكون فى حضرة الأقارب أو الأجانب، فإذا حضروه استشاطت غضباً وازدادت خطأ، وعلى الزوج أن يراعى ذلك، فإن لم يكن الزوج حقيقاً حليماً بحيث يراعى هذه الجوانب

(١) سورة النساء: الآية: (٣٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

فإنه بلا شك يقود السفينة للغرق والحياة الزوجية للفشل. ومن النساء من يُصلحها الضرب أحياناً، ولكن يراعى حدود الشرع في ذلك.

* حدود الضرب ونوعه:

أولاً: لا يكون الضرب على الوجه لأنه يهينها، والوجه موضع تكريم، وبه موضع السجود للرب الكريم. قال عليه السلام: «ولا يضرب الوجه» (١).

ثانياً: ألا يكون في مواضع حساسة من جسدها.

ثالثاً: ألا يكون مبرحاً - أي شديداً - لقوله عليه السلام: «واضربوهن ضرباً غير مبرح» قال ابن عباس وغير واحد: غير مبرح يعني غير مؤثر. وقال الفقهاء: هو ألا يكسر عضواً ولا يؤثر فيها شيئاً (٢).

وعلية فالذي يضرب زوجته حتى تحمر عينها أو تتورم شفرتها أو تكسر سننها، أو يزرق جلدتها فإنه مخالف مخالفته صريحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فليُصلح نفسه قبل أن يُصلح امرأته.

رابعاً: أن يكون على قدر الخطأ. فليس كل خطأ ولو كان صغيراً تقام له مجلدة للمرأة. والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (٣)

وليعلم الزوج حين يضرب زوجته أنه مؤدب ومُصلح، وليس خصماً ونداء، وفرق شاسع بين الاثنين، فالمؤدب يحاول إصلاح زوجته مراعيًا في ذلك تفادي المفساد التي تنتج عن ضربها، فضلاً عن أن يحقق بذلك مصلحة، وهي الوصول بزوجته إلى طاعته، أما إذا وقف منها موقف الخصم، واستخدم الشدة بكل معانيها، واستحضر جام غضبه، فإنه يضرب

(١) أخرجه الطبراني (٤٢٨/١٩)، والحاكم (٢٠٤/٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٢٩٥/٧)، وأحمد (٤٤٧/٤)، وابن ماجه (١٨٥٠)، وابن حبان (٤٨٢/٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣١٤٩).

(٢) تفسير ابن كثير لسورة النساء.

(٣) سورة النحل: الآية: (١٢٦).

ولا يدري أين وقعت يده، ويركل ولا يدري ماذا أصابت رجله، ويسب ولا يدري ماذا قال، وتساله المسكينة أن يكف فلا يسمع سؤالها، وتستغيث فلا يُغيثها، وتبكي وتصرخ فلا يرحم دموعها وصراخها، بل ربما تمزقت ثيابها، وسال دمها... والذي يعامل امرأته بهذا الأسلوب سيفشل لا محالة في إصلاح زوجته.

لذلك حذر الله تعالى عند ضرب النساء من التماذي في العقاب إذا أعلنت المرأة أي إعلان يدل على التراجع والطاعة، فقال تعالى: ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (١).

قال ابن كثير رحمه الله: فإذا أطاعت المرأة زوجها فيما يريد منها عما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء في غير سبب فإن الله تعالى الكبير وليهن، وهو يتقمم ممن ظلمهن وبغى عليهن (٢).

وفي غالب الأحيان فإن الذي يكثر من ضرب امرأته يجعلها تتعود على الضرب وتستأسد، فتتحول من قطعة إلى أسد، وربما مدت يدها عليه حال ضربها، فإن لم تمد يدها فلن يسلم من لسانها ودعواتها عليه، ومثل هذه الزوجة تكره زوجها ولا تتمنى أن تراه، فهل هذه حياة؟!

والأدهى من ذلك والأمر أنه ربما يكون هذا الزوج حلو اللسان مع الناس خارج البيت، شديد الحلم والتواضع، كثير المجاملات، لكن ليس لبيته من ذلك كله نصيب. قال ﷺ: «إني أخرج عليكم حق الضعيفين، اليتيم والمرأة» (٣). يعني ألحق الحرج والإثم بمن يتعدى على الضعيفين.

(١) سورة النساء: الآية: (٣٤).

(٢) راجع تفسير الآية: ﴿وَاللَّيْنِ تَغْلِبُونَ نُشْرُوهُنَّ﴾.

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الادب، قال البرصيري (١٠٣/٤) : هذا إسناده صحيح رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٠١٥).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي، فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً». ألا فليتنق الزوج ربه في زوجته كما أوصى النبي ﷺ بذلك فقال: «واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوانٌ عندكم»^(١).
 أى أسيرة في أيديكم ليس لها بعد الله إلا زوجها، فلا ينفرد بها إلا في خير.

موقف النبي الكريم ﷺ من ضرب النساء

في الحديث أن النبي ﷺ ما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب امرأة قط ولا خادماً قط»^(٢).
 وقد استنكر رسول الله ﷺ على هواة الضرب لنسائهم تلك الممارسات فقال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم»^(٣).
 وفي رواية الدارمي: «ما بال الرجل يجلد امرأته جلد العبد ولعله يضاجعها في آخر يومه؟».

وعن إياس بن أبي ذئاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» قال: فذئب «أى اجترأ» النساء وساءت أخلاقهن على أزواجهن، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذئب النساء يا رسول الله وساءت أخلاقهن على أزواجهن منذ نهيت عن ضربهن، فقال النبي ﷺ: «فاضربوا» فضرب الناس نساءهم تلك الليلة، فأتى نساء كثير يشتكين الضرب، فقال النبي ﷺ حين أصبح: «لقد طاف بأل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكين الضرب، وإيم الله، لا تجدون أولئك خياركم»^(٤).

(١) حسن: روله الترمذى (١١٦٣) كلب الرضاع، وحنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٨٠).
 (٢) أخرجه احمد (٦ / ٢٣٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٥٠٧).
 (٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٠٤) كتاب النكاح، ومسلم (٢٨٥٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها.
 (٤) أخرجه أبو داود (٢١٤٦) كتاب النكاح، والنسائى (٩١٦٧)، وابن ماجه (١٩٨٥) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٧).

وقد رفض ﷺ تزويج الضراب للمرأة ما دامت في مجال الاختيار. حدث هذا عندما تقدم معاوية لخطبة فاطمة بنت قيس وكذلك أبو جهم، فلما استشارت رسول الله ﷺ في العريسين؛ فلم يوافق ﷺ على أبي جهم وقال: «رجلٌ ضرابٌ للنساء»^(١).

وفي رواية أحمد: «لا يضع عصاه عن عاتقه».

إذا فكثرة الضرب ليست من الخلق الحسن، وفاعلها ليس من خيار المسلمين بنص الرسول ﷺ: «ليس أولئك بخياركم». وهو القائل أيضاً ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»^(٢). وعليه، فمن رفض تزويج الضراب للنساء فإن رفضه في محله.

وكان ﷺ عظيم اللطف بالنساء، يظهر ذلك فيما روى عنه أنه ما ضرب شيئاً قط بيده لا امرأة ولا خادماً.

وقوله لأحمنة: «رويداً سواك بالقوارير»^(٣) وشبه النبي ﷺ النساء بالقارورة الزجاجية الضعيفة، سريعة الكسر والتحطيم.

ولما طلب نساؤه منه ﷺ زيادة النفقة والمصروفات، والتوسعة في العيش جلس مهموماً غاضباً لزهده في الدنيا ومتاعها، فلما أقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما واستأذنا في الدخول عليه ﷺ؛ وجداه جالساً وحوله نساؤه ساكتاً لا يتكلم، فلما عرف كل منهما سبب غضبه ﷺ من نساؤه قام أبو بكر ليضرب ابنته عائشة، وقام عمر ليضرب حفصة وهما يقولان لابنتيهما: تسألان رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟ فنهاهما رسول الله ﷺ عن ضربيهما^(٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٨٠) كتاب الطلاق.

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٠٨٤) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٩٦٧) كتاب النكاح، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٤٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٣) كتاب الفضائل.

(٤) والقصة بتامها في تفسير ابن كثير لسورة الاحزاب: (٢٨) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ﴾.

ز: وقد روى أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعاً وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالي؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها عليّ، فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخي، إنى احتملتها لحقوق لها عليّ، إنها طباحة لطعامي، خبّارة لخبزي، غسّالة لثيابي، مُرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا احتملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي، قال عمر: فاحتملها يا أخي فإنما هي مُدّة بسميرة.

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ في الله وكان من الصالحين يزوره في كل سنة مرة، فجاء لزيارته فطرق الباب، فقالت امرأته: مَنْ؟ فقال: أخو زوجك في الله جئت لزيارته، فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلّمه وفعل به وفعل، وجعلت تُذمّم عليه، فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل، وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحّب به ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك، ثم أدخل أخاه، والمرأة على حالها تذمّم وتأخذ بلسانها، وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودّعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة، وقال: فلما كان من العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته، فطرق الباب فقالت امرأته: مَنْ بالباب؟ قال: أخو زوجك في الله، فلان، فقالت: مرحباً بك وأهلاً

وسهلاً، اجلس فإنه سيأتني إن شاء الله بخير وعافية، قال: فتعجب من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره، فتعجب أيضاً لذلك، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله، وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف، فلما أراد أن يفارقه؛ قال: يا أخى، أخبرني عما أريد أن أسألك عنه؟ قال: وما هو يا أخى، قال: عام أول أيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تدم كثيراً، ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مُسَخَّرٌ بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً لا تدمذم، ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك، فما السبب؟ قال: يا أخى، توفيت تلك المرأة الشرسة، وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها، كنت معها في تعب وأنا أحتملها فكان الله قد سخَّر لي الأسد الذي رأيت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة، وأنا في راحة معها، فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائفة^(١).

* وكان لشريح القاضي جار من كِنْدَةَ يُفزع امرأته ويضربها، وكانت روجة شريح مثالا للزوجة المطيعة فأنشد يقول:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم
فَسُلَّتْ بيمينى حين أضرب زينباً
أضربها في غير ذنب أنت به
فما العدل منى ضرب من ليس ملذباً

* * *

(١) كتاب الكبانر للذهبي ص ١٧٩-١٨٠.

نبذة من سورة ما الأسباب التي تجلب الضرب للنساء

أما عن الأسباب التي تجلب الضرب للنساء فمنها ما يكون بسبب الزوجة نفسها.. ومنها ما يكون بسبب الزوج.

* فأما الأسباب التي هي من جهة الزوجة فهي:

- ١- نشوزها وعدم طاعته وعدم التزامها بما يلزمها به زوجها.
- ٢- الامتناع عن فراشه بدون عذر.
- ٣- خروجها بغير إذنه.

٤- إدخالها في بيته أحداً لا يجب هو دخوله عنده.

٥- إهمالها الحجاب أو التزين للزوج. وغير ذلك.

* وأما من الأسباب التي هي من جهة الزوج فهي:

١- الغيرة الشديدة في غير محلها، والناجحة عن الوسوسة... فبعض الأزواج يشك حتى في أصابعه، فيغلق جميع الأبواب والنوافذ على زوجته ويمنعها من الخروج إلى البلكوته ولو بحجابها، ويأمرها بما لم يأمر به الله ورسوله من التنثر أمام المحارم.

٢- الخلط بين حق الزوجة وحق الأبوين، وعدم الفصل في خلافات الزوجة مع الأم بالحكمة، فتارة يرضى أمه على حساب الزوجة وتارة يحدث العكس... والتوسط والتثبت هو السبيل الصحيح، لأن البعض يكذب زوجته ويصدق أمه مطلقاً والبعض يصدق زوجته ويكذب أمه مطلقاً.

وكلا الأمرين بغيض وفيه ظلم، فأحياناً يتهم الرجل زوجته بدون بينة ويقول لها: أمي لا تكذب، وأحياناً يحدث العكس.

٣- خوف الرجل الشديد على أبنائه، بصورة تجعله يضرب امرأته كلما رآها تضرب أحد أبنائه، أو اشتكى له الابن.

وهذا خطأ شنيع يقع فيه الرجل، فحنان المرأة على أولادها معروف، فلن تضرب أبناءها إلا لضرورة.

ثم إنها تجلس مع أبنائها أكثر مما يجلس الرجل فلا بد لها من أن تخيف أبناءها وتُربِّيهم، بل إن بعض الرجال يضرب زوجته لمجرد شكوى الولد لأبيه، ولهذه سلبيات خطيرة منها:

أ- أن الرجل يُجرئ بذلك ولده على أمه ويدربه على عقوقها، وبذلك يُعرضه لعذاب الله، فأيهما أهون؛ ضرب أمه له؛ أم عذاب الله للعاق؟! أين عقلك يا رجل؟

ب- لا يجوز أن يقابل ضرب الولد من أمه بضرب الرجل للمرأة، فهذا ميزان جائر.

ج- يولد هذا السلوك الكراهية بين المرأة وزوجها، بل بينها وبين أبنائها، حيث صار الرجل بجبروته ومعه أبنائه حزباً، والمرأة الضعيفة حزباً وحدها، وفرق كبير بين الحزبين!!.

د- هو تعليم للولد كثرة الشكايا والقبيل والقال وسوء الفعال.

هـ - وهو كذلك تعدى على حق المرأة ومسئوليتها في تربية الأبناء.

قال عليه السلام: «المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها»^(١).

فعلى كل من الزوجين أن يعرف حدوده ويلتزمها حتى تكون الحياة بينهما هنيئة رغدة، لا بذئثة نكدة، عامرة بالحب والإيمان، والجميل والعرفان^(٢).

٤- النزاع بسبب عدم وفاء الزوج بما اشترطه لزوجته:

كان يكون أهل الزوجة قد اشترطوا عليه شيئاً بعينه يفعل به بعد الزواج فيوافق الشاب... فإذا تزوج وأصبحت زوجته في بيته نقض العهود والمواثيق.

(١) منفق عليه: رواه البخاري (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٢) أيها الضرابون للنساء / الشيخ جمال عبد الرحمن (ص ٥٧: ٧١) بتصرف.

فهذا من الأسباب التي تجلب المشاكل في البيت . . ومن ثم فقد يصل الأمر إلى النزاع والشتم والضرب - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

لا تكن منهم

وأخيراً أيها الأخ الحبيب . . . يا من تضرب زوجتك وتؤذيها أقول لك : لا تكن ممن قال النبي ﷺ في حقهم : « لا تجدون أولئك خياركم » .
واعلم أن المسلم الوفي إذا أوصاه حبيبٌ بوصية فإنه يكون حريصاً على تنفيذ ما في تلك الوصية - إلا إذا كان في تنفيذها معصية لله - فما ظنك إذا علمت أن النبي ﷺ قد أوصاك بزواجك خيراً فقال ﷺ :
« استوصوا بالنساء خيراً » وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » وقال ﷺ : « الله الله في النساء » .

* فيا ترى هل ستحفظ وصية النبي ﷺ أم أنك ستضيعها؟
أسأل الله (جل وعلا) أن يؤلف بين قلب كل زوج مسلم وزوجته وأن يملأ بيوت المسلمين بالمودة والمحبة والرحمة والحنان .



**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

A decorative rectangular frame with ornate, scroll-like corners and a double-line border.

مشكلات فى بيت النبوة

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

مشكلات في بيت النبوة

وها نحن تتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم. وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

قلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول. قلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً حزيناً.. فقد حدثت مشكلة بينه وبين أزواجه.. فيا ترى ما هي المشكلة وكيف تم حلها؟ فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا في هذه الليلة مع الحلول التي كان يفعلها النبي ﷺ في تلك المشكلات.

في بيت النبي ﷺ (١)

لا شك أن سيرة النبي ﷺ مع أزواجه قدوة لكل مسلم ومسلمة، فمن هذه السيرة المباركة يجب أن نستلهم العبر والدروس، وأن نضعها أمام أعيننا نبراساً نهتدى به في دياجير الحياة،... وحياة النبي ﷺ مع أزواجه مع سموها ورفعته وطهرها، لم تسلم من بعض الخلافات، ذلك أن الرسول ﷺ بشرٌ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة، وأزواجه نساء كن من البشر، ولا بد أن يطرأ على هذه الحياة «البشرية» ما يطرأ على حياة بني البشر من مشاكل وخلافات، ولنتعلم منها نحن ونأخذ العبر والدروس...

(١) بتصرف من كتاب (حتى يبقى الحب) / د. محمد محمد بدرى.

مشكلة النفقة

حدث بين النبي ﷺ وبين نسائه - رضوان الله عليهن - خلاف حول موضوع النفقة، فجنه يسألنه النفقة ومتاع الحياة الدنيا، والنبي ﷺ ليس عنده، ولم يبخل عليهن بشيء،... فعن جابر رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر رضي الله عنه فوجد الناس جلوساً بباب النبي ﷺ، ولم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً، وحوله نساؤه، واجماً - أي: ساكناً -، فقال عمر: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ ولا كلمن النبي ﷺ لعله يضحك! فقال: يا رسول الله، لو رأيت ابنة ريد - امرأة عمر - سألتني النفقة أنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: «هن حولي كما ترى يسألتنني النفقة».

فقام أبو بكر إلى عائشة رضي الله عنها يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة رضي الله عنها يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ وليس عنده؟ فقلن: والله ما نسال رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده،... ثم اعتزلهن شهراً أو تسعة وعشرين يوماً، ثم نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ (١).

قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة، إنني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلني فيه حتى تستشيرني أبويك» قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية.. قالت: أفيك أستشير أبواي؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال رضي الله عنه: «لا

(١) سورة الأحزاب: الآيات: (٢٨-٢٩).

تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني مُعْتَبًا ولا مُتَعْتَبًا؛ ولكن بعثني معلمًا ميسرًا»^(١).

لا تقل إلا حقًا

وذات مرة يحدث خلاف بين النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها، فقال لها رسول الله ﷺ: «ندخل بيتنا عمر بن الخطاب».

فقال عائشة: لا.

فقال: «ندخل بيتنا أبا بكر».

فقالت: نعم.

ويحكم بينهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فيقول النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة: «تكلمي أو أتكلم!»، فتقول رضي الله عنها: تكلم أنت، ولا تقل إلا حقًا!!
فالتفت إليها أبو بكر رضي الله عنه: ولطمها على وجهها حتى آدمى فاما - أي: خرج منه الدم-، وقال: أو يقول غير الحق يا عدوة نفسها؟!، فاستجارت برسول ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال ﷺ: «إنا لم ندعك لهذا، ولم نُرد منك هذا»^(٢).

بعض المراجعين

أدخلاني في سلامكما

يدخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذات مرة على رسول الله ﷺ، فيسمع صوت ابته عائشة عاليًا على رسول الله ﷺ فلما دخل تناولها ليلطمها، قال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله، فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مُغضبًا، فقال ﷺ لعائشة حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟، فمكث أبو بكر أيامًا، ثم استأذن على رسول

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٧٨) كتاب الطلاق.

(٢) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٤٦٢): أخرجه الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف.

الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال رسول الله ﷺ : «قد فعلنا، قد فعلنا» (١).

قصة العسل

اتفقت ذات مرة عائشة وحفصة رضي الله عنهما - على أمر أحزن النبي ﷺ ونزل بشأنه قرآن يتلى إلى يوم الدين، وترك الحديث لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يمكث عند زينب بنت جحش رضي الله عنها ويشرب عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ فلتقل له: إني أجد منك ريح مغاير - صمغ حلو يسيل من شجر العرفط رائحته غير مستحبة-، فدخل على إحداهن رضي الله عنهما، فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه فتزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (٢) إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (٣) ونزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ (٤) لقوله رضي الله عنه: «بل شربت عسلاً»، وقيل بل لقوله رضي الله عنه: «لن أعود، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحداً» (٥).

غضبه ﷺ من أم المؤمنين زينب

وغضب النبي ﷺ من زوجته أم المؤمنين زينب رضي الله عنها وهجرها شهرين أو ثلاثة،... فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: اعتلّ بعيرٌ لصفية بنت

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٩) كتاب الأدب، وأحمد (٤/٢٧١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٩٠١).

(٢) سورة التحريم: الآية: (١).

(٣) سورة التحريم: الآية: (٤).

(٤) سورة التحريم: الآية: (٣).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٤٩١٢) كتاب تفسير القرآن.

حسبي، وعند زينب فضل ظهر - زائد عن حاجتها - فقال النبي ﷺ: «أعطيها بعيراً»، فقالت: أنا أعطى تلك اليهودية؟! فغضب النبي وهجرها ذو الحجة والمحرم وبعض صفر^(١).

خلاف بين فاطمة وعلي رضي الله عنهما

ذات يوم حدث خلاف بين فاطمة رضي الله عنها، وبين زوجها علي رضي الله عنه، وكلما كانت القلوب مغلقة بالحب، مليئة به، وتحيا في ظلاله، كانت الهفوات صغيرة في قلوب المحبين، وقد يضخم القلب كلمة من خلال خيال المحب لتصير كأنها شيء لا يُطاق مع أنها هينة - صغيرة -؛ ولكنها عند المحب كبيرة.

كان الخلاف هيناً ولكنه بدا كبيراً لما بينهما من المودة، ويدخل النبي ﷺ على الحبيين، ويحس أن جاء القلوب قد تعكر صفوه شيئاً قليلاً، وجلس عليه السلام فجلس علي رضي الله عنه، وجلست فاطمة رضي الله عنها بجانبه الآخر، فأخذ النبي ﷺ بيد (علي) ووضعها على بطنه، وأخذ بيد فاطمة ووضعها على بطنه، وما زال حتى أصلح ما بينهما.

وحدث مرة أخرى أن نما إلي سمعه عليه السلام أن خلافاً حدث بين الزوجين فذهب إليهما، ورثي وهو يسعى إلى دار فاطمة رضي الله عنها، وقد ظهر عليه الهم والقلق، فأمضى وقتاً هناك ثم خرج ووجهه الكريم يفيض بشراً، فقال قائل من الصحابة: يا رسول الله دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك، فأجاب عليه السلام: وما يمنعني، وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي؟! ^(٢).

وفي يوم جاء النبي ﷺ إلى بيت فاطمة، فلم يجد علياً، فقال: أين

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٢) كتاب السنة، وقال العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٨٣٥): حسن لغيره.

(٢) المفاتيح الذهبية في احتواء المشكلات الزوجية - نيل بن محمد محمود (ص ٢٥).

ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني فخرج فقال النبي ﷺ لرجل: انظر أين هو؟ فقال: هو في المسجد راقد. فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل النبي ﷺ يقول: «قم يا أبا تراب. قم يا أبا تراب».

قال راوي الحديث سهل بن سعد: «وما كان له اسم أحب إليه منه» (١).
وبنظرة سريعة إلى هذا الخبر يتبين لنا كيف أن السيدة فاطمة لم تُخبر النبي ﷺ بطبيعة الخلاف وماهيته، بل كل ما أعلمته إياه هو مجرد خلاف فحسب. كما يتبين حسن تصرف الإمام علي بن أبي طالب الذي لم يدع مجالاً لاتساع شقة الخلاف والغضب، فترك زوجته وذهب إلى أفضل مكان ترتاح فيه الأعصاب وتصفو النفوس.

كما يتبين لنا كيف كان الرسول ﷺ حكيماً، إذ لم يسأل ابته عن أسباب الخلاف وتفاصيله، كما لم يعاتب أو يلوم الإمام علياً، بل داعبه ولاطفه بأسلوب كان له أبعاد الأثر في زوال رواسب الغضب والضيق.
وهذا ما يجب علينا اتباعه أرواجاً وزوجات وآباء في مثل هذه المواقف، سواءً كان التوتر من جانب الزوجة أم من جانب الزوج..» (٢).

وكما لم يخلُ بيت النبي ﷺ - وهو أشرف البيوت - مما يكون بين الأزواج.. فإن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يختلفون مع نساءهم، فقد جاء رجل يشكو زوجته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما قرع الباب سمع زوجة عمر ترفع صوتها، فانصرف الرجل، فخرج عمر يناديه وقال له: ما لك؟ قال: يا أمير المؤمنين، جئتُ أشكو إليك سوء خلق زوجتي، فوجدتُك مثلي، فضحك رضي الله عنه وقال: أحتملها لحقوق لها عليّ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٤٠٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) فن العلاقات الزوجية في ضوء القرآن والسنة والمعارف الحديثة - محمد الخشت - ص ١٣٩، ١٤٠.

أسباب الأزمات والمشكلات الزوجية

إن هذه الأزمات يمكن أن نرجعها إلى أربعة أسباب رئيسية وهي:

أولاً: سوء الاختيار،

أكد الإسلام على حسن اختيار شريك الحياة ورفيق العمر، واعتبر حسن الاختيار من عوامل تحقيق «إسلامية» الحياة الزوجية، ومن تباشير الوفاق والمودة بين الزوجين، فقال رسول الله ﷺ: «تُكَّحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحُسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفِرُ بَدَنَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ بِدَاكِ» (١).

وما ذلك إلا لأن الاختيار خطير، إذ كثيراً ما تطيش بمن يقدمون على الزواج الرغبات، وتستبدُّ بهم الشهوات فتجرفهم في تيارها بسبب جمال فاتن، أو كثرة مال، أو كبر مكانة لا يكون وراءها حصانة من دين أو خلق، فتكون الحياة الزوجية شراً وناراً مستطيراً، تنفذ جمراته في جوانح الزوجين ثم ينتقل أثره إلى الذرية.

* وليس الاختيار من قبل الزوج وحده فحسب.. بل إن الاختيار مكفولٌ أيضاً للمرأة وأسررتها فقد قال النبي ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ عريض» (٢).

ثانياً، عدم التفاهم بين الزوجين في القضايا الأساسية،

كالمال والأولاد وطريقة التعامل.

فالمال من المسائل الهامة، التي إن لم يتم الاتفاق عليها بين الزوجين؛ دبَّ الخلافُ في تلك الأسرة، حيث أن المال هو عصبُ الحياة وعليه تقوم أمور الناس وتتحقق مطالبهم.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٠) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٦٦) كتاب الرضاع.

(٢) حسن: رواه الترمذى (١٠٨٤) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٩٦٧) كتاب النكاح، وحنه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٢٧٠).

وتربية الأولاد من الأمور الهامة التي ينبغي أن يتم فيها الاتفاق بين الزوجين على الطريقة الصحيحة للتربية حتى ينشأ الأولاد صالحين نافعين لدينهم ووطنهم.. فإن لم يتم الاتفاق حدثت المشاكل الكثيرة بسبب ذلك.

* وأما عن طريقة التعامل فهي محور من المحاور الأساسية للتفاهم بين الزوجين، إذ إن الحياة الزوجية قائمة على التفاهم والحوار، والحوار جزء كبير من هذه الحياة، ولذلك نبه القرآن على ذلك بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، وهناك من الأزواج من يتفاهم مع زوجته من منطلق الدونية وإلغاء الهوية والكيان، فهي أشبه بأمة ليس لها من الأمر شيء، فالقوامة عنده قهراً وإذلالاً!.. وهناك من النساء من تعامل زوجها أسوأ معاملة وتتسلط عليه وتُلغى شخصيته وقوامته فيذوب الرجل، وتتذبذب الأسرة.. بل إن هناك أسراً، كأنها حلبة صراع ومعارك حربية، وخطط ومؤامرات مع أن الصورة الإسلامية حددت وبوضوح الحقوق والواجبات وأيضاً طريقة العشرة.

ثالثاً: النشأة الأولى، وأثرها في استقرار الزواج،

لقد نشأنا في أسرٍ مختلفة، ومرت بنا ظروف متباينة، جعلت توقعاتنا مختلفة جداً فنحن عادة نتأثر بما نلاحظه من تعامل أبويننا في محبتهم واختلافهما، وبما يقولان أو يفعلان أو بما يصمتان عنه، ونكون تعلمنا ومن غير أن ندرى أساليب مختلفة في معظم أمور الحياة، كيف ننفق المال، وكيف نرتب أمور المنزل والحياة الأسرية، وما يفعل الرجل داخل البيت، وما لا يفعل، ودور المرأة وعملها ومن يتخذ القرارات؟ وكيف يُربى الأولاد؟ وكيف نحل الخلافات والنزاعات؟ وأهمية الترتيب أو عدم أهميته، وأهمية الوقت وكيفية قضائه، ودور الأصدقاء في حياتنا وكثير من غير هذه المواضيع... كلها تؤدي إلى: الاختلافات والخلافات.

(١) سورة النساء: الآية: (١٩).

رابعاً، عدم فهم الاحتياجات النفسية والعاطفية لكل طرف،

إنه لمن المهم جداً أن يفهم كل من الزوجين ما يحتاجه الآخر، وإلا فمن الممكن أن تنشأ للزوج متطلبات لا يمكن أن تحققها له زوجته.. وكذلك الحال بالنسبة للزوجة..

فعلى الزوجة أن تظن أن هناك مراحل حرجة في عمر الزواج، تزيد فيها فرص ابتعاد الزوج مثل: قدوم الأطفال وتزايد أعباء الزوجة وإرهاقها ساعات الليل والنهار.

وهناك مرحلة حرجة أخرى تأتي مع تقدم سنوات الزواج عندما يبلغ الأبناء سن المراهقة وتنغمس الأم في مشاكل أبنائها، وأيضاً قد يؤدي تقدمها في العمل ووصولها لمركز مرموق أن يشعر الزوج أنها ليست في حاجة إليه، وأن هناك أشياء كثيرة تشغلها عنه وهذه الأشياء أهم عندها منه.

وهنا أقوال لكل زوجة: لا تدوبى في خدمة الأطفال بشكل جائر على حق الزوج.. وأشعريه باهتمامك البالغ مهما بلغ عمره أو عمر زواجكما، فالمرأة بحكم طبيعتها أكثر قدرة على العطاء، وهذا العطاء هو الباعث الحقيقي لعطاء الزوج أيضاً.. ولذلك، فإن جلوسك مع زوجك لمدة ساعة على الأقل يومياً تكونين خلالها متفرغة له تماماً؛ تتجاذبين أطراف الحديث في الشئون التي تهمة، يُعدُّ أنفع وأجدى من قيامك بأى عملٍ آخر، مهما كلفك ذلك من تضحيات.

وعلى الزوج أيضاً تفهّم الأوضاع الجديدة لدى الزوجة والمشاركة معها في رعاية الصغار ما أمكن ذلك..



خطوات لحل المشكلات الزوجية

إن الطريقة التي يسلكها الزوجان في التعامل مع الخلاف ستحدد ما إذا كان هذا الخلاف سيهدم الزواج أم سيحافظ عليه... لذا فإنه من الأهمية بمكان أن نتعلم كيف نحل الخلاف بطريقة ملائمة صحيحة...

* وهذه الطريقة تتضمن أربع خطوات:

الخطوة الأولى، الاحترام المتبادل،

فالموضوع ليس مهماً بقدر أهمية موقف كل واحد من الزوجين تجاهه... وفي ظل الاحترام المتبادل، نجد أن كل زوج يحترم وجهة نظر الآخر...

الخطوة الثانية، التركيز في الموضوع الحقيقي،

غالبية الأزواج يجدون صعوبة في التعرف على الموضوع الحقيقي المسبب للخلاف. كيفية توزيع الأعمال في المنزل، وما كمية المبالغ التي صرفت؟... وغيرها، كلها مواضيع تحتاج إلى حلول؛ ولكنها لا تشكل صلب الموضوع الحقيقي للخلاف.

الخطوة الثالثة، ابعثنا عن مجالات الاتفاق،

عليك أن تتذكر في موقف الخلاف أن أكثر الأساليب فعالية هي أن تسأل نفسك: ماذا أستطيع أن أعمل لأحسن من علاقتنا؟ فالتركيز على ما تستطيع أنت القيام به دون الضغط على الآخر يوجد جواً يسهم في الوصول إلى اتفاق...

وبالاتفاق على التعاون بدلاً من المجادلة، يبدأ الزوجان في وضع الأسس لاكتشاف ماذا يستطيع كلاهما أن يقدم للوصول إلى حلٍّ للخلاف.

الخطوة الرابعة، اتخاذ القرارات بالاشتراك معاً،

حين يبدأ الزوجان في التعامل مع المشكلة ومحاولة توضيحها. يمكن

لأحد الزوجين أن يقدم حلاً مؤقتاً، وعلى الآخر أن يستجيب إما بالقبول أو بتعديل الحل أو باقتراح حل آخر فالمناخ الذي يتسم بالأخذ والعطاء والتبادل هو المناخ الصحي الفعال...

فإذا وصل الزوجان إلى اتفاق، فيجب أن يحاولا توضيح دور كل منهما في تنفيذ القرار...^(١).

لكل مشكلة حل^(٢)

لا يوجد مشكلة مهما كان حجمها إلا ويمكن احتوائها في الزواج.. فالأيام تكسب الزوجين خبرة، وتزيدهم اقتراباً وتفاهماً، وهذا الاقتراب والتفاهم لا يكون سطحياً؛ ولكنه يمتد إلى الأعماق.. وهذا يعني انكشاف جوهر كل طرف من أطراف العلاقة للآخر..

ومن هنا لا تكون هناك مشكلة يمكن أن نطلق عليها «مستحيلة» فالإنسان يستطيع بما آتاه الله من علم وإرادة أن يذلل الصعوبات ويعالج المشكلات، وإذا لم يستطع أن يعالج المشكلة من جذورها فليحاول احتواء المشكلة واستيعابها فإن ذلك يخفف عليه وطء المشكلة.

قصة رمزية..

يُحكى أن امرأة ذهبت إلى أحد الحكماء تشكى إليه سوء معاملة زوجها لها وعدم اهتمامه بها، فقال لها الحكيم: ستجدين الحل عندي؛ ولكن سأطلب منك طلباً قبل أن أعطيك الحل الذي يعينك على كسب زوجك. فقالت: اطلب ما تشاء المهم أن أجد لمشكلتي حلاً.

(١) حان الوقت لزواج أفضل - د. جون كارلسون د. دينكامير - ص ٩٢، ٩٣ بتصرف.

(٢) بتصرف من كتاب (حتى يبقى الحب) / د. محمد محمد بدرى.

فقال لها الحكيم: أريك أن تحضري لى ثلاث شعرات من جسم الأسد:

فقلت: يا إلهى وكيف أصل إلى الأسد؟

فأجاب: هذا هو شرطى الوحيد قبل أن أساعدك.

فوافقت الزوجة على طلب الحكيم. وعندما عادت إلى بيتها بدأت تفكر

كيف أستطيع إحضار هذه الشعرات من جسم الأسد؟

فذهبت إلى الغابة وبدأت تنظر إلى الأسد، وتفكر فى الوسيلة المناسبة

التي تستطيع بها أن تأخذ شعرات منه، وبدأت تفكر وتفكر حتى توصلت

إلى الحل. وفى اليوم التالى أحضرت معها كبشاً وقدمته للأسد، ففرح به

الأسد وأكله. وفى اليوم الثانى كررت نفس العمل، وكذلك فى اليوم الثالث

والرابع.. حتى ألفها الأسد. وفى اليوم الخامس اقتربت من الأسد وهو

يأكل الكبش وبدأت تمسح على جسمه ثم أخذت الشعرات دون أن يحس،

وحملتها مسرعة إلى الحكيم.

فسألها الحكيم متعجباً: كيف استطعت إحضار هذه الشعرات؟

فأخبرته بما فعلت. وقالت له: ها أنا أحضرت الشعرات فأخبرنى كيف

أستطيع كسب زوجى؟

فأجابها الحكيم: لقد استطعت ترويض الأسد المفترس، فكيف لا تقدرين

على ترويض زوجك؟... ولاشك أن الوصول إلى الحل الأمثل

للمشكلات إنما يكون غير الأساليب الحضارية مثل:

الحل عبر الحوار

أسلوب الحوار الهادئ هو الأسلوب الكفيل بإزالة أسباب الخلاف، وحل

المشاكل التي تنشأ فى الأسرة..

فأكبر المشاكل التي تنشأ فى الأسرة يمكن حلها من خلال الحوار

الموضوعى الهادئ الذى يصفى كل طرف فى الأسرة فيه إلى الطرف الآخر

ويسمع ما عنده بنفس الطالب للحقيقة، المتقبل للحق الخاضع له.

الإفصاح برفقة عن المشاعر

هذه أول قواعد الحوار الصحيح بين الزوجين «تجنّب الحيل»!!
صارحيه مثلاً أنك تغارين عليه، وأنتك تودين أن تتناقشى معه في هذا الموضوع..

صارحيه - مثلاً - بأنك ترغبين في بعض الاهتمام العاطفي بك، أو أنك تريدان أن يقضى معك وقتاً أطول..

تجنّبي اللف والدوران.. بل عبّري عن مشاعرك بصراحة..

ويجب التنبيه هنا إلى أن الإفصاح هنا وبدقة يقال بتأدب وتلطف، فهناك فرق بين الإفصاح والتجريح، والصراحة والوقاحة..

الاستماع بإنصات للطرف الثاني

نقصد بهذه النقطة أن يفهم كل شريك الآخر، ولا سبيل لهذا الفهم إلا أن ينصت كلا الزوجين للآخر، ويحسن الاستماع إليه..

تقبّل رأى شريك حياتك

نعم.. تقبّل رأى الآخر، وخاصة إذا صارحك بمشاعره، وانتهبه من التحدث عما أفصح به لك عن نفسه، لا تُفَسِّ له سرّاً.. ولا تعيِّره بما قال لك، بل شجعه على الإفصاح عن نفسه..

الحل عبر التفاوض

تعدد المواقف التي يجد فيها الزوجان أن لكل منهما رغبات واحتياجات لا تتفق مع ما يريد الآخر.. وتواجه الحياة الزوجية أزمات حادة حين يُصر كل طرف على ما يريد، كما أن فوز طرف وخسارة الآخر لا تعنى مرور الأزمة بسلام بل فقط تأجيل الانفجار لوقتٍ لاحق لشعور طرف بالغبين وتجاهل رغباته أو احتياجاته.

لذا فلا غرابة أن نتحدث عن التفاوض في الحياة الزوجية للوصول لأفضل الصيغ التي تحقق حلاً معقولاً للطرفين؛ لتستمر الحياة بعدلٍ وتوافقٍ.

الإعداد:

ماذا تريد؟ حدّد هدفك ورتّب أفكارك ومطالبك بشكل يضبط ما هو جوهرى لا تنازل عنه، وما هو أقل في الأهمية يمكن التفاهم بشأنه.

التحاور:

اكتشاف وكشف الهدف من التفاوض باستخدام الأسئلة المفتوحة، والسماع الجيد والهادئ للطرف الآخر.

العرض:

إذا حدث كذا فنحن سنفعل كذا، ويُفضّل دائماً استخدام كلمة نحن؛ لأن الأسرة كيان جمّع الطرفين، وعادةً هي كلمة تؤكد الوعي بهذه الحقيقة، وأن الطرف المتحدث هدفه المصلحة العامة لكيان الأسرة، أو أنه راعى - إذا كانت المصلحة فردية - مصالح الآخرين وأخذها في الحسبان.

ومما يعين على التفاوض الناجح..

الابتعاد عن العتاب:

يجب أن يحرص الزوجان على الابتعاد عن العتاب، أو ربما إلغائه - إن استطاعوا - والاستعاضة عنه بالتناصح الخالص لوجه الله، وعدم إعجاب كل منهما برأيه، بل شعارهما جميعاً: رأى صحيح يحتمل الخطأ.. ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب..

التكيف والمرونة:

بتغيير كل شيء حولنا.. الليل يعقبه نهار، والشمس ما تلبث أن تملأ الكون حتى يأذن ضوءها بالرحيل،... الأطفال يكبرون، الشباب يهرمون، الآباء يموتون!..

ولكن بعض الأزواج والزوجات لا يتقبلون هذا التغيير
إن هذا التغيير لابد أن يجد في مقابله من كلا الزوجين تكيفاً مع
المتغيرات التي تطرأ على الحياة، والتطور الذي يصله شريك الحياة..
وهذا التكيف هو ما يُطلق عليه «المرونة».. وهي تعني: «التحكم» في
أسلوب الحياة.. وهي تمثل قوة عظيمة.. كيف؟

* تأمل معي هذين المشهدين..

الأول: ذبابة تحاول الخروج من نافذة مغلقة وظلت تحوم وتدور من
اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل إلى أن انتهت طاقتها وماتت.
الثاني: أحد صيادي السمك كان يصطاد وكلما تخرج له سمكة صغيرة
احتفظ بها، وإذا خرجت له سمكة كبيرة كان يلقيها في البحر مرةً أخرى،
فسأله أحد الجلوس ما السبب وراء هذا التصرف؟ فقال: أنا حزين جداً،
ولكني مضطر إلى ذلك حيث أن القدر الذي أطهى فيه السمك صغير جداً
لا يتسع إلا للسمك الصغير.

ونرجع مرةً أخرى للذبابة فقد كانت تصر على الخروج من النافذة ولم
يكن لديها المرونة الكافية لتبحث عن مخرج آخر، وأصرت على طريقة
واحدة، وكان بالقرب منها باب مفتوح كبير كان في استطاعتها أن تخرج منه
لو أنها حاولت وغيرت طريقها.

أما الصياد فلو كان لديه مرونة كافية لكان راجع قدراته وإمكانياته وفكر
لوجد حلاً لتلك المشكلة بأن يشتري قدرًا كبيراً يطهى فيه السمك الكبير...
إن الكثيرين منّا لهم نفس تفكير هذا الصياد..!!

قوة الاعتذار

يعدُّ الاعتذار فرصة رائعة لتعميق الحب والمشاركة، لأنه الوقت المثالي
للقيام بالجهد الحقيقي للاستماع إلى شريك الحياة باحترام وتعظيم.

إن للاعتذار قوة سحرية، يلى ربما كان الاعتذار وسيلة من وسائل دفع من أمامك إلى الاعتذار..
فمثلاً..

حين يقول - الزوج أو الزوجة -؛ أنا آسف؛ لأنى خرجت عن شعورى وأنا أحدثك بشأن كذا... يبدو أنى بالغت بعض الشيء... فإن ردَّ فعل الطرف الآخر - غالباً - يكون: لا بأس، أنا أيضاً آسف فلم أكن أعرف أهمية هذا الأمر بالنسبة لك، سأكون أكثر حرصاً فى المرة القادمة^(١).

ماضى الخلاف.. مستقبل الأمل،

فى كل مرحلة من مراحل الحياة تظهر حاجات جديدة ومشكلات جديدة، فإذا وفينا لأنفسنا بهذه الحاجة، واستطعنا إدارة هذه المشكلة، فإننا نصبح قادرين على تنمية وتطوير قدراتنا بحيث نهيمئ الأساس الأمل للسعادة الزوجية..

لا تنبش الماضى،

يشكو بعض الأزواج أو الزوجات من أمور قد ضايقته من الآخر.. فإذا سألته: متى كان هذا؟ قال: .. منذ عام.. أو منذ عامين.. أو ربما قال: ثلاثة أعوام!!!

لاشك أن هذا التذكُّر للمشاكل القديمة لا يعود على الأزواج بأى نفع.. ذلك أن العلاقة الزوجية فيها ما يكفيها من التحديات.. وهذا «التذكر» يضيف إليها عبئاً جديداً.

بالطبع.. نحن لا ندعو إلى أن يدفن كل من الزوج والزوجة رأسه فى الرمال... ولكن لا بد فى الوقت ذاته أن نتذكر جميعاً، أنه ليس منا معصوم

(١) لا بد من التأكيد هنا أن رد الفعل هذا لا يكون إلا من طرف يقدر قيمة الاعتذار، وإلا فربما كان رد الفعل هو: نعم إنك تبالع دائماً، وهذا أمر مزعج!!!

فكلنا ذوو خطأ.. ولا بد أن تكون البيئة التي نعيش فيها هي بيئة تسامح حتى يظل رباط الحب بيننا سليماً!!

لا تترك المشكلات لتتراكم،

لقد دلتني التجربة على أن أفضل شعار يمكن أن يتخذه الأزواج لتفادي الشقاق، هو أنه لا يوجد حريق يتعذر إطفأؤه عند بدء اشتعاله بفنجان من ماء.. ذلك لأن أكثر الخلافات الزوجية التي تنتهي بالطلاق ترجع إلى أشياء تافهة تتطور تدريجياً حتى يتعذر إصلاحها..

إن كثيراً من الأزواج لا يحاولون مواجهة التغييرات والتوترات التي تنشأ في حياتهم في بداياتها، وإنما يتركون الأمور تتراكم حتى تصل إلى حل لا يُحتمل، والمشكلة أنه يصعب على الإنسان أن يتكلم بهدوء وموضوعية عندما يكون شديد الانزعاج والغضب، فنجد الأزواج هنا بدلاً من أن يحددوا وقتاً مناسباً للحديث الهادئ والشامل، فإنهم يحاولون التنفيس عما في أنفسهم من الانزعاج والغضب بالكلام عن عوارض المشكلة وبسرعة، وفي أوقات غير مناسبة، مما يزيد في المشاعر والمواقف السلبية بين الطرفين... إن المشكلات التي لا تُعالج بشكلٍ سليم تُخرب كل ما هو جيد وحسن في العلاقات الزوجية.

والخطأ الأكبر هنا هو ترك المشاكل تتراكم من دون مواجهة، وبدون توضيح، ومن قبل ذلك ومن بعده.. بدون حوار هادئ، ومواجهة كل من الزوجين للآخر بأخطائه أولاً بأول!!

لا تخبر ثالثاً،

عند حدوث مشكلة بين الزوجين، يجب أن يسعي معاً إلى حلها وعرضها بهدوء، دون نقل هذه المشكلة إلى أهل الزوجين؛ لأنه يغلب أن ينضم أهل الزوجة إلى ابنتيهما، وكذلك أهل الزوج!!

فيبدؤون في تضخيم الأمور وإحاطتها بهالة عظيمة...!! وتأخذهم الحمية لابنهم أو ابنتهم؛ فيُضرمون نار العداوة والبغضاء... وقد يذكروا مشكلات قديمة يكون الزوجان قد تناسياها...

إن من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الزوجان، إشراك الغرباء في الخصومات المنزلية والمشاكل الزوجية، ففي مثل هذه الحالة يزداد تصلب كل طرف بآرائه ومواقفه؛ لأن همة يصبح في مثل هذه الحالة منحصرًا في حفظ ماء وجهه بدلاً من الرغبة في التركيز على المشكلة الأصلية وحلها..

ولا يعنى هذا بالطبع عدم أخذ المشورة بناتًا، بل متى ما رأى الزوجان تعمُّر الفهم والإصلاح، فلهما عرض المشكلة والاستشارة حولها.. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٢٠١).

ولكن الأفضل بصفة عامة عند حدوث أي توتر في الأسرة أن يظل أمره مكتومًا بين الزوجين، يحاولان معًا إزالته والقضاء عليه.

احذر الرمال المتحركة،

يشكو بعض الأزواج مما يُطلق عليه «الرمال المتحركة»، ويقصدون بها أسلوب شركاء حياتهم في المناقشة، فبينما يناقش الواحد منهم شريكه في أمر ما، وبأسلوب منطقي، خطوة بخطوة، إذا به يجد شريكه قد غير مسار المناقشة... فقالت الزوجة - مثلاً - لا أستطيع مناقشة هذا الأمر الآن، فأنا مضطرة إلى إخراج البطاطس من الفرن!..

أو ربما يقول الزوج: لا أستطيع إكمال هذا النقاش، فعندى موعد مع أصدقائي!!

(١) سورة النساء: الآية: (٣٥).

(٢) ماذا وراء الأبواب - أم سفيان - ص ٧٦-٨٢.

ولا يقصد كلا الزوجين من ذلك إلا التهرب من المناقشة، وتفادى الخلاف..!!

ولا شك أن عادة تفادى الخلاف هذه تصنع جواً كاذباً من الوثام والسلام.. ولكن كثيراً ما يدفع الزوجان ثمتاً باهظاً لهذا السلام.

وعلى كل حال، فعندما يقع الخلاف بين الزوجين، فإن أمامهما ثلاثة خيارات: الشجار، أو تجنب موضوع الخلاف، أو حل المشكلة..

فإذا اختار الزوجان الشجار، فسيجدا طاقاتهما كلها موجهة نحو محاولة إثبات من كان على حق ومن كان على باطل. ويظل بذلك الخلاف باقياً. أما إذا اختار الزوجان تجنب الموضوع، فيظهر الخلاف مرة أخرى، وقد يكون أكثر عمقاً وقوة.

إن اختيار حل المشكلة هو في واقع الأمر البديل الوحيد الذكي لمعالجة الخلاف.

*** وأخيراً؛**

فإني أسأل الله (جل وعلا) أن يحفظ بيوت المسلمين وأن يصرف عنهم السوء وأن ينشر الحب والمودة والرحمة في بيوت المسلمين.

* * *

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

كيف نفوز
بشفاعة النبي ﷺ

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

كيف نفوز بشفاعه النبي ﷺ

وَمَا نَحْنُ نَتَخِيلُ مَرَّةً أُخْرَى أَنَا نَسِيرُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ الَّتِي لَطَالَمَا سَارَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ . . . وَلَطَالَمَا تَشْرَفْتَ تِلْكَ الْبُقْعَةَ الْمُبَارَكَةَ بِوَجُودِهِمْ .

وَمَا نَحْنُ نَتَجَهَّ بِمَبَاشَرَةٍ إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ - الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ بَيْتٍ فِي الْكُونِ كُلِّهِ رَغْمَ بَسَاطَتِهِ وَتَوَاضُعِهِ - لِنَسْعِدَ بِرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ وَنَسْتَأْنِسَ بِمَجَالِسَتِهِ وَتَرْتَوِي قُلُوبُنَا بِكَلَامِهِ الْعَذْبِ الطَّيِّبِ .

فَلَمَّا ظَرَقْنَا الْبَابَ فَتَحَ لَنَا الْحَبِيبُ الْمَصْطَفَى ﷺ وَأَذِنَ لَنَا بِالْدُخُولِ .
فَلَمَّا دَخَلْنَا وَجَدْنَا النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ ﷺ يَحْدُثُهُمْ عَنِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَصِفُ لَهُمْ تِلْكَ الْأَحْدَاثَ الْعَجِيبَةَ الَّتِي سَتَحْدُثُ لِلْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . فَلَمَّا رَأَى الْخَوْفَ بَادِيًا عَلَى وَجْهِهِمْ أَصْحَابُهُ فَتَحَ لَهُمْ بَابَ الْأَمَلِ وَبَدَأَ يَكْلِمُهُمْ عَنِ شَفَاعَتِهِ . . . وَكَيْفَ أَنَّهُ اخْتَبَأَ تِلْكَ الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِهِ فَقَالَ ﷺ : «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةَ لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» (١) .

* فَعَالُوا بِنَا لِنَتَعَايَشَ بِقُلُوبِنَا وَأَرْوَاحِنَا مَعَ شَفَاعَاتِ النَّبِيِّ ﷺ .



(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان

النبي ﷺ أول شافع وأول مشفع

عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول بحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم، كي يأتي لفصل الحساب وتخليص الناس من كربات الموقف وأهواله، فيطلبون من أبيهم آدم أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة، ويذكرونه بفضلته وإكرام الله له، فيأبى ويعتذر، ويذكر عصيانه ربه بأكله من الشجرة التي حرم الله عليه الأكل منها، ويحيلهم إلى نوح أول رسول أرسله الله إلى البشر، الذي سمّاه الله عبداً شكوراً، فيأبى ويذكر ما كان منه من تقصير في بعض الأمور تجاه ربه ومولاه، وهكذا يحيلهم إلى من بعده من أولى العزم من الرسل، والآخر يدفعها إلى من بعده، حتى يأتوا الرسول الخاتم: محمد ﷺ، الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقوم مقاماً يحمد عليه الأولون والآخرين، وتظهر به منزلته العظيمة، ودرجته العالية^(١).

* قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»^(٢).

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع»^(٣).

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»^(٤).

(١) القيامة الكبرى/ د. عمر الأشقر (ص: ١٧٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٦١٣) كتاب المناقب، وابن ماجه (٤٣١٤) كتاب الزهد، ورحنه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٧٨١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣١٤٨) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٣٠٨) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٨).

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يذكر افتخاراً في الغالب أراد النبي ﷺ أن يقطع وهم من توهم أنه يذكر ذلك افتخاراً فقال: «ولا فخر».

النبي ﷺ يختبئ دعوته شفاعته لأمته

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

فها هو الحبيب ﷺ يختبئ دعوته شفاعته لأمته.

قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعتاً لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» (٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣) وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤) فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله: ما يُكيك». فاتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوذك» (٥).



(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٤) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

شروط الشفاعة

إن الشفاعة الثابتة في الشرع هي التي يتوفر فيها شرطان:
- إذن الله للشافع.

- الرضا عن المشفوع له . . .

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١)، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (٢).

ولذلك فإن والد إبراهيم لما مات كافراً فإن الله لم يقبل شفاعة خليله فيه في ذلك اليوم روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر في يوم القيامة، وعلى وجه آزر قتره وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يُعشون، فأى خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: انظر ما تحت قدميك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار» (٣).

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

(٢) سورة يونس: الآية: (٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣٥٠) كتاب أحاديث الأنبياء.

كيف نجمع بين الآيات التي تنفى الشفاعة والتي تثبتها؟

نعين نعلم أنه قد وردت آيات نفت الشفاعة مطلقاً وكذلك نفت الشفيع،
ووردت أيضاً آيات أثبتت الشفاعة والشفيع.

أما الآيات التي نفت الشفاعة والشفيع، فمنها ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١).

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِليٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسَلَّ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وِليٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ (٥).

* أما الآيات التي أثبتت فيها الشفاعة والشفيع، فمنها ما يلي:

(١) سورة البقرة: الآية: (٤٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٥١).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (٧٠).

(٥) سورة غافر: الآية: (١٨).

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١).
 وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (٢).
 وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (٣).
 وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (٤).
 وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ (٦).

وكل هذه الآيات أثبتت الشفاعة بقيود.

وكما هو معلوم أن كتاب الله ليس بين آياته تضارب إذ قال الله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٧) فالجمع بين ما ذكر من الآيات التي نفت الشفاعة والآيات التي أثبتتها يتم ويتضح بالآتي:

أولاً: لا بد أن يُعلم أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله تبارك وتعالى لقوله عز وجل: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (٨).

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

(٢) سورة يونس: الآية: (٣).

(٣) سورة الانبياء: الآيات: (٢٦-٢٨).

(٤) سورة طه: الآيتان: (١٠٩-١١٠).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٨٦).

(٦) سورة النجم: الآية: (٢٦).

(٧) سورة النساء: الآية: (٨٢).

(٨) سورة الزمر: الآية: (٤٤).

يا هَيْثَانِيَا: لا شفاعه في كافر (١) لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٢).

ولقول الكافرين: ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿ (٣).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله عز وجل: إني حرمت الجنة على الكافرين» (٤).

ثالثاً: أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله، وذلك لقوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ويستثنى من هذا أبو طالب عم رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عمه أبو طالب فقال: «العله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يلقى منه دماغه» وقد جاء هذا مجزوماً في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: «ما أغيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، فأبو طالب مشئى، ثم إن الشفاعه لم تُخرجه من النار، وقد يقال: إن الكافر الداعى إلى كفره ليس كالكافر الذى لا يدعو إلى الكفر وهذا صحيح وقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٦٧﴾ وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ سورة المنكبوت: الآيتان: (١٢، ١٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ سورة النحل: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

فأبو طالب كان كافراً لكنه لم يكن داعياً إلى الكفر بل كان منافعاً عن رسول الله ﷺ فمن ثم خُفف عنه.

لكن صراحة حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «ولولا أنا... ألقى من هذا المفهوم، والله تعالى أعلم.

(٢) سورة غافر: الآية: (١٨).

(٣) سورة الشعراء: الآيتان: (١٠٠، ١٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٦٩) كتاب تفسير القرآن.

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

رابعاً: أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله سبحانه وتعالى: لقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (١).

خامساً: أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعبديها، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشُّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (٤)(٥).

أنواع الشفاعات

الشفاعات على وجه الإجمال تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي:

- * شفاعات في الآخرة.

- * شفاعات يشفعها أقوام أحياء لقوم قد ماتوا.

- * شفاعات بين أهل الدنيا في دنياهم.

أما على وجه التفصيل فبالنسبة لشفاعات الآخرة فنذكر منها الآتي:

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهي العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٢٨).

(٢) سورة يونس: الآية: (١٨).

(٣) سورة الزخرف: الآية: (٨٦).

(٤) سورة فاطر: الآيتان: (١٣، ١٤).

(٥) الشفاعة/ للشيخ مصطفى العدوي (ص: ٦-١٠).

بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين. -
 - فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم، فدفع إليه منها
 الذراع، وكانت تُعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم
 القيامة، وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين لي صعيد واحد،
 فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟
 ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم،
 فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما
 نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم
 يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته،
 نفسي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً،
 فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً،
 فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح:
 إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه
 كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى
 غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله
 وخليله من أهل الأرض، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول:
 إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر
 كذباته، نفسي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون
 موسى: فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه
 على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول
 لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب
 بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى

غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وكلمتَ الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فأني تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سلْ تُعْطَه، اشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقول: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى^(١).

النوع الثاني والثالث من الشفاعة، شفاعته ﷺ في أقوام قد

تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها.

النوع الرابع، شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق

ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس، الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب،

(١) مضع عليه: رواه البخاري (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٩٤) كتاب الإيمان.

وَيَحْسُنُ أَنْ يُسْتَشْهَدَ لِهَذَا النَّوْعِ بِحَدِيثِ عَكَاشَةَ بْنِ مَحْصَنٍ، حِينَ دَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، . . . وَالْحَدِيثُ مُخْرَجٌ فِي الصَّحِيحِينَ.

• قَالَ ﷺ: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِلا حِسَابٍ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَ حِثْيَاتٍ مِنْ حِثْيَاتِ رَبِّي»^(١).

• وَقَالَ ﷺ: «سَأَلْتُ اللَّهَ الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَقَالَ: لَكَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. قُلْتُ: رَبِّ زِدْنِي فَحَثًا لِي بِيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ»^(٢).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وَجُوهَهُمْ إِضَاءَةُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ...»

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمْرَةً عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْهُمْ».

- وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» - ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ»^(٣).

النوع السادس، الشفاعة في تخفيف العذاب عمَّن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه. ثم قال القرطبي في «التذكرة» بعد ذكر هذا النوع: «فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّالِعِينَ﴾^(٤): قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٤٣٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٨٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٧١١١).

(٢) صحيح: أخرجه هناد (١/١٣٥، رقم ١٧٨)، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٣٥٩٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاری (٦٥٤٢) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٦) كتاب الإيمان.

(٤) سورة المدثر: الآية: (٤٨).

الموحدين، الذين يُخرجون منها ويدخلون الجنة من حيث يشاءون.

النوع السابع، شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنة.

فمن أنس قال: قال ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»^(١)، ... وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».

وقال ﷺ: «يجمعُ اللهُ الناسُ يومَ القيامةِ، فيقومُ المؤمنونَ حينَ تُزَلَّفُ لهمُ الجنةُ، فيأتونَ آدمَ، فيقولونَ: يا أبانا! استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئةُ أبيكم آدمَ، لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم، لستُ بصاحبِ ذلك؛ إنما كنتُ خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً، فيأتونَ موسى، فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى محمد، فيأتونَ محمداً، فيقومُ فيؤذَنُ له، وتُرسلُ الأمانة والرحمُ، فتقومان جنبتي الصراطِ يميناً وشمالاً، فيمرُّ أولُّكم كالبرق، ثم كمرُّ الريح، ثم كمرُّ الطير وشدُّ الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونيبكم قائمٌ على الصراطِ يقول: يا ربُّ سلِّم سلِّم، حتى تعجزَ أعمالُ العبادِ، وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي حافتي الصراطِ كلابٌ معلقةٌ، مأمورةٌ، تأخذ من أمرتُ بأخذه... فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدوسٌ في النار»^{(٢)(٣)}.

وأما النوع الثامن، فقد قال صاحب معارج القبول رحمه الله: «هي

شفاعته ﷺ في أقوام ماتوا على دين الإسلام وأوبقتهم كثرة الآثام فيشفع

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٦) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٥) كتاب الإيمان.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٩ : ٢٣٣ ، بتصرف.

لهم النبي ﷺ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه، وأنكرها فى آخر عصر الصحابة (الخوارج)، وأنكرها فى عصر التابعين (المعتزلة)، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار فى كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مُصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيها من الوعيد الشديد فقبضوا بتخليدهم فى جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدا قول الله عز وجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (١)، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيْفَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣).

* قال ﷺ: يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَهْتَمُونَ لَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا، فَأَرَاخَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ لَهُمْ آدَمُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذَكُرُ ذَنْبَهُ الَّذِى أَصَابَهُ، فَيَسْتَحِى رِبَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَيَقُولُ: وَلَكِنْ أَتَوْنَا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ -

(١) سورة ص: الآية: (٢٨).

(٢) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

(٣) سورة القلم: الآيات: (٣٥:٣٦).

ويذكر لهم خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحي ربه من ذلك - ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا موسى عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم - ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس، فيستحي ربه من ذلك - ولكن اتوا عيسى عبداً الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى، فيقول لهم: لست هناكم، ولكن اتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،.... فأقوم، فأمشي بين سماطين من المؤمنين، حتى استأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعتُ ساجداً لربي تبارك وتعالى، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد. قل: يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحُدُّ لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربي وقعتُ ساجداً لربي تبارك وتعالى، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمدًا قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحُدُّ لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربي تبارك وتعالى، وقعتُ ساجداً لربي، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمدًا قل: يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فإذا رفعت رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحُدُّ لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول: يارب! ما بقي إلا من حبسه القرآن، فيُخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يُخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يُخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة^(١).



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤١٠) كتاب التوحيد، ومسلم (١٩٣) كتاب الإيمان.

شفاعة الملائكة

قال ﷺ عن شفاعة الملائكة: «... حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا - صاروا كالفحم من الاحتراق - فيُصبّ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مُقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة...» (١).

شفاعة المؤمنين

إن صُحبة أهل الإيمان تُثمر لك الخير كله في الدنيا والآخرة. فاما في الدنيا: فإنه يُذكرك بالله ويعينك على طاعته وينصرك إذا كنت في حاجة إلى النصرة ويبدل لك كل ما يستطيع من أجل أن يدخل عليك السرور والسعادة.

وفي الآخرة يشفع لك عند الله (عز وجل). قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٢) ولذلك فعلينا أن نتعاهد من الآن على أنه من أذن الله له بالشفاعة يوم القيامة أن يشفع لإخوانه المؤمنين.

قال ﷺ موضحاً هذا المشهد المهيّب من مشاهد يوم القيامة - عندما يشفع المؤمنون لإخوانهم: «... ثم يُضرب الجسرُ على جهنم، وتحلُّ الشفاعة،

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٣٨) كتاب التوحيد، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

ويقولون: اللهم سلِّمْ سلِّمْ. قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دَحَضٌ مَزَلَةٌ، فيه خطاطيفٌ وكلايبٌ، وحسكةٌ تكون بنجد، فيها شويكةٌ، يقال لها: السَّعدان، فيمرُّ المؤمنونَ كطرفِ العين؛ وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوسٌ في نار جهنم، حتى إذا خلصَ المؤمنون من النار، فوالذي نفسى بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مناشدةً لله في استيفاءِ الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامةِ لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربِّنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجُّون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرَّمُ صورهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربِّنا ما بقى فيها أحدٌ ممن أمرتنا به، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربِّنا لم نذرَ فيها أحداً ممن أمرتنا به. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربِّنا لم نذرَ فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربِّنا لم نذرَ فيها خيراً»^(١).

شفاعة أرحم الراحمين

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلقَ الرحمةَ يومَ خلقها مائةَ رحمة، فأمسكَ عندهُ تسعاً وتسعينَ رحمةً، وأرسلَ في خلقه كلهمُ رحمةً واحدةً، فلو يعلمُ الكافرُ بكلِّ الذي عندَ الله من الرحمةِ لم ييأسَ من الجنة، ولو يعلمُ المؤمنُ بالذي عندَ الله من العذابِ لم يأمنَ من النار»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٣٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

وقال ﷺ: «إنَّ الله خلق مائة رحمة، فبثَّ بين خلقه رحمةً واحدةً، فهم يتراحمون بها، وأدخَرَ عنده لأوليائه تسعةً وتسعين»^(١).

وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلق يومَ خلقَ السَّمواتِ والأرضِ مائةَ رحمة، كلُّ رحمةٍ طباقٌ ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرضِ رحمةً، فيها تعطفُ الوالدةُ على ولدها، والوحشُ والطيْرُ بعضها على بعضٍ، وأخر تسعاً وتسعين، فإذا كان يومَ القيامةِ أكملها بهذه الرحمة»^(٢).

* فمن هذه الرحمات العظيمة لرب الأرض والسموات أنه لا يأذن بشفاعته الأنبياء والملائكة والمؤمنين فحسب بل يقبض قبضة من النار ليُخرج قوماً من النار - لا يعلم عددهم إلا الله فيدخلهم الجنة... ولا يعلم أحدٌ من الخلق قدر قبضة الخالق (جل وعلا) فقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣).

قال ﷺ: «... فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفعت النبيون، وشفعت المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً، فيلقِيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، فيخرجون كاللؤلؤ، في رقابهم الخواتيم، يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله من النار، الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٤١٧/١٩) عن معاوية بن حيدة وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٦٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٣) كتاب التوبة.

(٣) سورة الزمر: الآية: (٦٧).

من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً. (٢)(١)

وهناك شفاعات أخرى

* فالقرآن يشفع وخاصة البقرة وآل عمران: ﴿...﴾
أخرج مسلم رحمه الله تعالى في «صحيحه» من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان (٣) أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان (٤) من طير صواف تُحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة (٥)» (٦).

* وشفاعة الآباء للأبناء مستندها:

قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَأَمُّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٧).

* وشفاعة الأبناء للآباء مستندها:

ما أخرجه مسلم (٨) من طريق أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة إنه قد مات لي ابنان فما أنت مُحدثني عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم «صغارهم دعاميص الجنة ينلقى أحدهم أباه

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٢) كتاب (رحلة إلى الدار الآخرة) / للمصنف (ص: ٤٢٥-٤٣٢).

(٣) المراد: سحابتان.

(٤) الفرق هو الجماعة أو القطعة.

(٥) البطلة هم السحرة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٧) سورة الطور: الآية: (٢١).

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٥) كتاب البر والصلة والآداب.

أو قال: أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده كما أخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى -
أو قال: فلا يتتهى - حتى يدخله الله وأباه الجنة».

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله بإسناد حسن من حديث بعض أصحاب
النبي ﷺ: «يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة قال فيقولون: يا رب حتى
يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال: فيأتون قال: فيقول الله عز وجل ما لي أراهم
محبطين... ادخلوا الجنة قال: فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا، قال فيقول
ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع
الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار
ولديك لك»^(٢).

* وشفاعه الشهداء مستندها :

حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهيد
عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة
ويُجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار
الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين
ويشفع في سبعين إنساناً من أقرابه».

* وها هم أحياء يشفعون لأموال:

أخرج مسلم^(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه مات ابن له بقديد أو
بعسفان فقال: يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس، قال: فخرجت فإذا
ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم قال:
أخرجوه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يموت

(١) رواه أحمد (١٠٥/٤).

(٢) رواه أحمد (٥٠٩/٢) بإسناد حسن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٤٨) كتاب الجنائز.

فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه». وأخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من ميت تصلى عليه أمة من المسلمين يلبغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه»^(١).

أسباب سقوط العقوبة عن العصاة

إذا وقع العبد المؤمن في المعصية فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا. فالحسرة كل الحسرة لمن لم يتعرض لتلك الأسباب التي تُسقط عنه العقوبة.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التي تُسقط العقوبة عن المعاصي في نصوص القرآن والسنة، ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية في هذا الموضوع. فقد قال: «إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة»، ثم ذكر منها ما يلي:

السبب الأول: التوبة فقد قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا﴾^(٢).

وقال أيضاً: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

والتوبة التي تُسقط العقوبة هي التوبة النصوح، وهي الخالصة النابعة من القلب، لا المقتصرة على النطق باللسان، وهي ما يصحبها الندم على

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٤٧) كتاب الجنائز

(٢) سورة مريم: الآية (٥٩: ٦٠).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٦٠).

ما فات من المعاصي، والعزم على عدم العودة إليها، وعمل الصالحات. وكون التوبة سبباً لغفران الذنوب، وعدم المؤاخذه بها مما لا خلاف فيه بين الأمة. وليس شيء يكون سبباً لغفران جميع الذنوب إلا التوبة. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

السبب الثاني: الاستغفار فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٢)، والواقع أن الاستغفار يدخل في معنى التوبة، فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التي وقع فيها العبد، وهو ما يدخل في الندم على ما قدم الإنسان؛ فإن طلب المغفرة عنوان هذا الندم، وتزيد التوبة عن الاستغفار أن في معناها العزم على اجتناب المعاصي في المستقبل.

السبب الثالث: فعل الحسنات.

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٣).

السبب الرابع: الوقوع في المصائب الدنيوية.

لقوله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها» (٤).

واعلم أن تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المعصية نفسها، فإذا صبر المبتلى فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياها، وإن سخط اكتسب إثماً جديداً، ويبقى تكفير خطاياها بوقوع المصيبة.

السبب الخامس: عذاب القبر.

السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده.

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٣) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلوة والآداب.

السبب السابع شفاعه من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة .

السبب الثامن عفو أرحم الراحمين من غير شفاعه .

كما قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) .

السبب التاسع دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات .

السبب العاشر ما رواه البخارى أن النبي ﷺ قال: «إذا خُص

المؤمنون من النار حُجسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نُقوا وهُدبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل منه بمسكنه كان له في الدنيا» (٢) .

السبب الحادى عشر ما يُهدى للعبد المؤمن من ثواب صدقة أو قراءة

أو حج أو نحو ذلك . فقد اتفق أهل السنة على أن الأموات من المؤمنين يتفعلون من سعى الأحياء بأمرين :

الأمر الأول ما تسبب إليه الميت في حياته، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه

قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له أو علم يُتفع به من بعده» (٣) .

الأمر الثانى دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج، واختلفوا في

العبادات البدنية، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر .

فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من

مذهب الشافعى ومالك عدم وصولها .

والدليل على انتفاع الميت بأشياء لم يتسبب فيها.. قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ

جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ (٤) .

(١) سورة النساء: الآية: (٤٨) .

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب .

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية .

(٤) سورة الحشر: الآية: (١٠) .

فأثنى سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدلَّ على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

وقد دلَّ على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له فى صلاة الجنائزة.

والأدعية التى وردت بها السنة فى صلاة الجنائزة مستفيضة، وكذلك الدعاء له بعد الدفن. وكان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة رضوان الله عليهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» (١).

ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ما ورد عن عائشة رضي الله عنها، أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أمى افتلتت نفسها ولم توصل، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم (٢).

وقد ورد أكثر من حديث فى هذا المعنى.

ويدل على وصول ثواب الصوم ما ورد فى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» (٣).

ويدل على وصول ثواب الحج ما ورد فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: حجى عنها، أرايت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء» (٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٧٥) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٠٤) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٥٢) كتاب الصوم، ومسلم (١١٤٧) كتاب الصيام.

(٤) صحيح: رواه البخارى (١٨٥٢) كتاب الحج.

وهذا لا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١).
 وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُتُمُ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)،
 لأن الإنسان بدخول الإسلام وارتباطه بذلك مع إخوانه المسلمين برباط
 الأخوة الإيمانية وبحسن عشرته وإسداء الخير للناس، وتودده لهم، يكون
 ساعياً في حثهم على الدعاء له بعد مماته، والاستغفار والترحم عليه، وإهداء
 ثواب الطاعات له. فكان هذا الكسب أثراً من آثار سعيه. فالقول بانتفاع
 الميت بما يهدى إليه من إخوانه لا يتعارض مع تلك الآيات الكريمة، فإنها
 آيات محكمة تقتضى عدل الله تعالى وتقتضى أنه لا يعاقب أحدٌ بجرم غيره
 ولا يؤخذ بجريرة غيره وتقتضى أنه لا يفلح أحدٌ إلا بعمله، لينقطع طمعه
 بعمل آبائه وسلفه ومشايخه.

إلا أنه يجدر بالملاحظة أن هناك بعض العادات والبدع لا تدخل فيما
 تقدم. وليس عليها دليل من الشرع ولم يقل بجوازها أحد من العلماء، مثل
 استئجار قوم يقرؤون القرآن، ويهدونه للميت، فهذا العمل لم يُجزه أحد.
 وإنما اختلف الفقهاء في جواز الاستئجار على تعليم القرآن. وأما الاستئجار
 لقراءته وإهدائه للميت، أو الاستئجار لمن يصلى ويصوم ويهدى للميت،
 فهذا لا خلاف في عدم جوازه. ولكن الذي يدخل فيما سبق يقتصر على
 قراءة القرآن وإهدائها للميت تطوعاً بغير أجر^(٤).



(١) سورة النجم: الآية: (٣٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٦).

(٣) سورة يس: الآية: (٥٤).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٢٧ : ٣٣٠) بتصرف

الشفاعات الدنيوية

أما الشفاعات الدنيوية فمنها ما هو مشروع، ومنها ما ليس بمشروع بل محرم... قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَبًا﴾ (١).

وقد حثَّ رسول الله ﷺ على الشفاعات ما دامت مشروعة وحلالاً ولن تذهب بحقوق قوم، فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه (٢) كان إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال: «اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء».

وأخرج البخارى (٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس: «يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً؟» فقال النبي ﷺ: «لو راجعته» قالت: يا رسول الله تأمرنى؟ قال: «إنما أنا أشفع» قالت: لا حاجة لى فيه.

• أما الشفاعة الدنيوية المحرمة فلها صور كثيرة جداً، فمن ذلك الشفاعة عند السلطان لإسقاط حدٍّ من حدود الله قد وجب على شخص.

أخرج البخارى (٤) ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة فقال

(١) سورة النساء: الآية: (٨٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٣٢) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٦٢٧) كتاب البر والصلة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٢٨٣) كتاب الطلاق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧٨٨) كتاب الحدود، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

رسول الله ﷺ: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟» ثم قام فخطب ثم قال: «يا أيها الناس إنما ضلَّ (١) الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ويدخل في الشفاعات المحرمة الوسطة التي تذهب بحقوق أناسٍ إلى آخرين لا حقَّ لهم.

ومن ذلك التوسط لدى الأساتذة والمدرسين لرفع درجات بعض الطلاب على حساب الآخرين، فهذا محرم.

والوساطة لإعطاء الناس من المال العام ما ليس لهم.

والتوسط لتقليد وظيفة ليس لها بأهل. إلى غير ذلك من صور الوساطات المحرمة.

واحذر اللعن، فإنه يحرمك الشفاعة يوم القيامة.

فقد أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة» (٢).

كيف تفوز بشفاعة النبي ﷺ

* وقد بسأل سائل ويقول: كيف أفوز بشفاعة النبي ﷺ.

أقول لك: هذا هو الطريق فافتح قلبك لكلام النبي ﷺ.

(١) إقامة التوحيد لله (جل وعلا)،

قال ﷺ: «... وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وإنها نائلة إن شاء الله

(١) في رواية: «هلك».

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٨) كتاب البر والصلة والآداب.

تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» (١).

(٢) حفظ القرآن وخاصة سورتي البقرة وآل عمران،

أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه (٢) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان (٣) أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان (٤) من طير صواف تُحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة (٥)».

(٢) الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له،

قال رضي الله عنه: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلُّوا عليّ؛ فإنه من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة» (٦).

وقال رضي الله عنه: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» (٧).

(٤) كثرة السجود لله (جل وعلا)،

فقد أخرج أحمد في مسنده (٨) من حديث خادم النبي ﷺ رجل أو

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) المراد: سحابتان.

(٤) الفرق هو الجماعة أو القطعة.

(٥) البطلة هم السحرة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٧) صحيح: رواه البخاري (٦١٤) كتاب الأذان.

(٨) رواه أحمد (٥٠٠/٣) وإسناده صحيح.

امراً، قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: «ألك حاجة؟» قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله حاجتي قال: «وما حاجتك؟» قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة. قال: «ومن ذلك على هذا» قال: ربي قال: «إما لا فأعني بكثرة السجود».

(٥) الصلاة على النبي ﷺ عشراً في الصباح والمساء

قال: «من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة»^(١).

(٦) سكنى مدينة الرسول ﷺ والموت بها

فقد أخرج مسلم في «صحيحه»^(٢) من طريق: أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليألي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولاوائها فقال له ويحك لا أمرك بذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبر أحد على لاوائها فيموت إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً».

وقال ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها»^(٣).

اللهم شفّع فينا نبينا محمداً ﷺ .

اللهم اجعلنا شفعاء وشهداء يوم القيامة، اللهم أزمنا صراطك المستقيم، وارزقنا حسن الاتباع لسنة نبيك الكريم ﷺ .



(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير وحنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٣٧٤) كتاب الحج.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٠٤/٢) والترمذي (٣٩١٧) كتاب المناقب وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٥).

كيف نشرب
من حوض النبي ﷺ

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

كيف نشرب من حوض النبي ﷺ

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول. فلما دخلنا وجدنا النبي ﷺ جالساً بين أصحابه كالقمر ليلة البدر.. بل أجمل من القمر ليلة البدر.. وكان مبتسماً يبدو عليه أثر السعادة والسرور وهو يقول لأصحابه مُبشراً إياهم: «حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظماً أبداً» (١).

• فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع وصف حوض النبي ﷺ وكيف نشرب من حوض النبي ﷺ.



(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٧٩) كتاب الرقائق.

وجوب الإيمان بالحوض^(١)

إن الإيمان بالغيب من أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة .
قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢) .

فكل خبر غيبي جاء به نقل من صريح الكتاب أو صحيح السنة وجب علينا الإيمان به .

ولقد ثبتت في الحوض أحاديث صحيحة عن جمع من الصحابة حتى بلغت مبلغ التواتر، . . . قال القاضي عياض رحمه الله: أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه، قال: وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة^(٣) . اهـ .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «سيأتي قوم يكذبون بالقدر، ويكذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار»^(٤) .

وعن أنس أن ريادةً أو ابن زياد ذكر عنده الحوض فأنكر ذلك فبلغ ذلك أنسًا فقال: أما والله لأسوءه غدًا فقال: ما أنكرتم من الحوض؟ قالوا: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكره؟ قال: نعم، ولقد أدركت عجائز بالمدينة لا يصلين صلاة إلا سألن الله تعالى أن يوردهن حوض محمد صلى الله عليه وسلم^(٥) .

(١) بتصرف من رسالة (تيسير الكريم العلي في وصف حوض النبي صلى الله عليه وسلم) / للشيخ والاخ الحبيب: وحيد عبد السلام بالي (حفظه الله).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١-٣) .

(٣) شرح النووي (٥٣/١٥) .

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٢١/٢) وأحمد (٢٣/١) وقال الألباني: حديث موقوف حسن. اهـ. من ظلال الجنة برقم (٦٩٧) .

(٥) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٢١/٢) وقال الألباني رحمه الله في ظلال الجنة برقم (٦٩٨): إسناده صحيح على شرط مسلم ورواه أبو يعلى وقال الحافظ في الفتح (٤٦٨/١١): سنده صحيح .

وعن يحيى بن حمزة بن عبد المطلب لما قدم المدينة تزوج خولة بنت قيس بن فهد الأنصاري من بني النجار قال: وكان رسول الله ﷺ يزور حمزة في بيتها، وكانت تحدث عنه أحاديث، قالت: فأتانا رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إنه بلغني عنك أنك تحدث أن لك يوم القيامة حوضاً ما بين كذا وكذا، قال: «نعم، وأحب الناس إلى أن يروى منه قومك»^(١).

وعن جندب بن زهير قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض»^(٢).

والفرط هو الذي يتقدم القوم ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستسقاء، فمعنى «فرطكم على الحوض» سابقكم إليه كالمهيء له.

سعة الحوض

لقد ذكر النبي ﷺ سعة الحوض وعدد أكوابه وأباريقه في أحاديث كثيرة منها:

قال ﷺ: «حوضي كما بين صنعاء والمدينة فيه الأنية مثل الكواكب»^(٣).
وقال ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبداً»^(٤).

وقال ﷺ: «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة لم

(١) قال الهيثمي في المجمع (٣٦١/١٠): رواه أحمد والطبراني باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح،

وقال الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (٢/٣٢٥): إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٨٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٨٩) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٨٠) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٣٠٣) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩٢) كتاب الفضائل.

يظماً بعدها أبداً، أول الناس ورُوداً عليه فقراء المهاجرين؛ الشُّعْثُ رؤوساً، الدُّنْسُ ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تُفتح لهم السُّدُ»^(١).

هل الحوض يروى العطشان؟

وهل يروى العطشان أم هو كالماء المالح كلما ارداد الإنسان مه شرباً ازداد عطشاً؟

على هذه الأسئلة يجيب الحبيب المصطفى ﷺ بعبارة موجزة بليغة فيقول: «حوضى مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظماً أبداً»^(٢).

ولى رواية أخرى: «حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق، - أى: الفضة - وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظماً بعده أبداً»^(٣).

* ويؤخذ من هذا الحديث بروايتيه:

- ١- شدة بياض ماء الحوض.
- ٢- طيب رائحته.
- ٣- شدة لمعان أكوابه كلمعان نجوم السماء.
- ٤- طوله مسيرة شهر بالفارس المسرع ليل نهار لا يتوقف.
- ٥- عرضه مثل طوله.
- ٦- من شرب من هذا الحوض يحرم عليه الظماً.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٩٧) كتاب صفة القيامة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٦٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٧٩) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٩٢) كتاب الفضائل.

٧- من شرب من هذا الحوض لا يدخل النار لأن أهل النار سيعطشون فيها.

ما مصدر ماء الحوض؟

ولكن ما مصدر هذا الماء الذي لا ينتهى؟ وما طعمه؟
يتضح ذلك من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟
قال: «والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في
الليلة المظلمة المصحية.

آنية الجنة من شرب منها لم يظماً آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة.
عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة.
ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل» (١).
الليلة المظلمة: التي لا قمر فيها لأن وجود القمر يستر كثيراً من النجوم.
المصحية: التي لا سحب فيها حتى ترى كل النجوم التي في السماء.
يشخب فيه ميزابان من الجنة: أى يسيل فيه نهران من الجنة فيمدونه بالماء
حتى لا ينتهى.

ومع أن هذا الماء أشد بياضاً من اللبن فإن طعمه ألد من العسل، فإيا
سعادة من شرب منه ويا فرحه ويا هناء.

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما بين ناحيتي
حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطوله، فيه ميزابان مشعبان
من الجنة من ورق وذهب، أبيض من اللبن وأحلى من العسل، فيه أباريق عدد
نجوم السماء» (٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٠) كتاب الفضائل.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٣٥) وقال الألباني رحمه الله في ظلال الجنة برقم (٧٢٢):
إسناده جيد.

أى أن هذين الميزابين من فضة وذهب .
 * ولكن هل ماء هذا الحوض ساخن أم بارد أم هو وسط بين الاثنين؟
 عن حذيفة بن اليمان قال: لما بين طرفي حوض النبي ﷺ كما بين أيلة
 ومصر^(١)، وإن آيته أكثر أو مثل عدد نجوم السماء، أحلى من العسل،
 وأطيب ريحاً من المسك وأبرد من الثلج، مَنْ شرب منه شربة لم يظمأ
 بعدها^(٢).

وتعالَ معي لنرى هل أباريق الحوض من فخار أو من زجاج أم من
 خزف؟

لا بل هي أجمل من ذلك بكثير إنها من ذهب وفضة، إنها تتلألأ كتلالؤ
 النجوم في السماء.

عن أنس بن مالك قال: قال نبي الله ﷺ: «تري فيه أباريق الذهب والفضة
 كعدد نجوم السماء»^(٣).

أول من يرد حوض النبي ﷺ

إن أول الناس وروداً أولئك الذين سارعوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ،
 وعذبوا في سبيل الله فتحملوا وصبروا، وثبتوا على الحق حتى نصر الله نبيه
 وأظهر دينه، وتركوا أموالهم وديارهم وهاجروا مع النبي ﷺ، أولئك هم
 المهاجرون.

(١) قال القرطبي في التذكرة (٣٠٤): «ظن بعض الناس أن في هذه التحديدات في أحاديث الحوض
 اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها
 تلك الالفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها فيقول لاهل الشام:
 «ما بين أذرح وجرباء» ولاهل اليمن «من صنعاء إلى عدن» وهكذا وتارة أخرى يقدر بالزمان،
 فيقول: «سيرة شهر والمعنى المقصود أنه حوض كبير متع الجوانب والزوايا».

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢٣٦/٢) وقال الألباني في ظلال الجنة برقم (٧٢٤): إسناده حسن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٣) كتاب الفضائل.

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين، الشعث رؤوساً، الدُّنْس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تُفتح لهم السُدَّة» (١).

(فقراء المهاجرين): أى الذين جمعوا بين فضيلتى الفقر والهجرة فى سبيل الله.

(الشعث رؤوساً، الدُّنْس ثياباً): أى الذين شغلهم الجهاد فى سبيل الله والدفاع عن دين الله من نعيم الدنيا من غسل رؤوسهم وثيابهم.

ما عدد الذين سيردون الحوض؟

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنتم بجزء من مائة ألف ممن يرد على الحوض».

قلنا لزيد: كم كنتم يومئذ؟ قال: يستمائة إلى سبعمائة.

وفى رواية: (سبعمائة أو ثمانمائة) (٢).

* ولقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة» (٣).



(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٤٤) كتاب صفة القيامة، وابن ماجه (٤٣٠٣) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٥٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٧١/٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٤٣٣).

(٣) حسن: رواه أحمد (٥/١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (٧٥١).

صفات من يرد الحوض

عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنكم سترون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» (١).

ظاهر هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يوصي الأنصار بعدم إيثار الدنيا على الآخرة وهذا واضح من حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ومسلم أيضاً. فكل من آثر الآخرة على الدنيا ورد الحوض وشرب منه.

فمن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانى سنين، كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: «إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، إني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» (٢).

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه سيكون بعدي أمراء وصفهم بالجور، فمن دخل عليهم فصدقتهم بكذبهم، وأعانهم على فجورهم فليس مني ولست منه، ولا يرد على حوضي، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يُعَنِّمهم على فجورهم فهو مني، وأنا منه، ويرد على الحوض» (٣) (٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٦٣) كتاب الجزية، ومسلم (١٠٥٩) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٤٢) كتاب المغارى، ومسلم (٢٢٩٦) كتاب الفضائل.

(٣) رواه ابن أبي عاصم (٢/٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣) وقال الألباني رحمه الله في ظلال الجنة برقم (٧٥٨): حديث صحيح.

(٤) ولا ننسى أن لأهل اليمن - والأنصار منهم - كرامة خاصة وميزة من النبي ﷺ عندما قال: «إني لبعثت حوضي أفود الناس لأهل اليمن، أضرب بمصاي حتى يرفض عليهم». واستحق أهل اليمن ذلك مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقديمهم في الإسلام والأنصار منهم، فيدفع غيرهم ﷺ حتى يشربوا، كما دفعوا في الدنيا عن النبي ﷺ أعداءه.

منبرى على حوضى

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى» (١).

وفى معنى قوله ﷺ: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» ثلاثة أقوال:

أولها: أى كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة، فىكون تشبيهاً بليغاً.

ثانيها: العبادة فيها تؤدى إلى الجنة.

ثالثها: هو على ظاهره، والمراد أنه روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه فى الآخرة إلى الجنة.

قال الحافظ ابن حجر: هذا محصل ما أوله العلماء فى هذا الحديث وهى على ترتيبها فى القوة (٢). اهـ.

ومعنى قوله ﷺ: «ومنبرى على حوضى»:

أى أن منبر النبى ﷺ سينصب على حوضه يوم القيامة.

ولكن أى منبر هذا؟

هل هو المنبر الذى كان يخطب عليه فى الدنيا؟ أم هو منبر خاص بالنبى ﷺ سيوضع له يوم القيامة؟ على قولين للعلماء، والقول الأول هو الراجح وهو الذى رجحه القاضى عياض والإمام النووى وكذا الحافظ ابن حجر العسقلانى وأكثر العلماء (٣).



(١) مغل عليه؛ رواه البخارى (١١٩٥) كتاب الجمعة، ومسلم (١٣٩٠) كتاب الحج.

(٢) فتح البارى (٤/١٠٠).

(٣) راجع شرح النووى لمسلم (١٦٢/٩) وفتح البارى (٤/١٠٠).

لكل نبي حوض

هل الحوض خاص بمحمد ﷺ أم لكل نبي من الأنبياء حوض يوم القيامة؟
عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لكل نبي حوضاً
يتباهون أيهم أكثر واردة، وإنى لأرجو أن أكون أكثر منهم واردة»^(١).

ويتبين من هذا الحديث أن الأنبياء يتباهون بالمؤمنين من أقوامهم، فالنبي
ﷺ يناشدنا أن نتبع طريقه ونهتدى بهديه كي نكون ممن يباهى بهم الأنبياء
يوم القيامة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأذودن
رجالاً عن حوضي كما تزد الغريبة من الإبل عن الحوض»^(٢).

قال الحافظ: والحكمة في الذود المذكور أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد
إلى حوض نبيه على ما تقدم أن لكل نبي حوضاً وأنهم يتباهون بكثرة من
يتبعهم فيكون ذلك من جملة إنصافه ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه
يطردهم بخلاً عليهم بالماء.

قال: ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والعلم عند
الله تعالى^(٣). اهـ.

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٤٣) كتاب صفة القيامة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح
الجامع (٢١٥٦).

(٢) رواه البخاري (٤٣/٥) فتح.

(٣) فتح الباري (٤٧٤/١١).

ومن اللطائف التي يحسن إيرادها في هذا الباب هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم في فضائل
الخليفة الراشد الصديق والخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو قول النبي ﷺ:
«بينما أنا نائم أريت أني أنزع على حوضي أسقى الناس لجهاني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليروحنى. فنزع
دلوين وفي نزعهم ضعف، فجاء ابن الخطاب فأخذ منه، فلم أر نزع رجل قط أقوى منه، حتى تولى الناس،
والحوض ملآن يتجعر».

ففيه نبأه الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في السقيا من الحوض، وقال بعض العلماء: فيه أيضاً إشارة
إلى الخلافة.

من يُحرّم من ورود الحوض

وها هم أناس يأتون يوم القيامة ويذهبون إلى حوض النبي ﷺ ليشربوا من يد النبي ﷺ شربة هنيئة مريثة لا يظماون بعدها أبداً. . . وإذا بالملائكة تدفعهم وتطردهم بعيداً عن الحوض فلا يشربون منه شربة واحدة.

• عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها؛ قالت: قال النبي ﷺ: «إني على الحوض، حتى أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ ناسٌ دوني، فأقول: يا رب! مني ومن أمي. فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله! ما برحوا يرجعون على أعقابهم» (١).

• وقال عليه السلام: «أنزلت عليّ آتياً سورة بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝﴾ (٢) إِنْ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ أندرون ما الكوثر؟ فإنه نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوضي تردُّ عليه أمي يوم القيامة، آيته كعدد النجوم، فيُخلجُ العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك» (٢).

وقال عليه السلام: «إني فرطكم على الحوض، من مرَّ بي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردنَّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحفاً سحفاً لمن بدل بعدى» (٣).

وقال عليه السلام: «تردُّ عليّ أمي الحوض، وأنا أذودُ الناس عنه، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله»، قالوا: يا نبي الله تعرفنا؟ قال: «نعم، لكم سيما

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٩٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩٣) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٨٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩١) كتاب الفضائل.

ليست لأحد غيركم، تردون عليَّ غرّاً من آثار الوضوء، وليُصدنَّ عنى طائفة منكم، فلا يصلون، فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي! فيُجيني ملكٌ فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك»^(١).

* وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي - أَوْ قَالَ: مِنْ أُمَّتِي - فَيُحْلَوُونَ»^(٢) عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري» وفي رواية: «فيُجلون»^(٣).

وللبخارى: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا قائم على الحوض، إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، فقلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة أخرى، حتى عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم هلمّ، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل حمل النعم»^(٤)،^(٥).

قال النووي رحمه الله: «وهل تدري ما أحدثوا بعدك» قال: وفي الرواية الأخرى: «قد بدلوا بعدك فأقول: سُحْقًا سُحْقًا»، هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

أحدها: أن المراد به المنافقون المرتدون فيجوز أن يُحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم إن هؤلاء بدلوا بعدك... أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧) كتاب الطهارة.

(٢) يحلّون: أي يُدفعون ويُطردون.

(٣) مضق عليه: رواه البخارى (٦٥٨٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩١) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٥٨٧) كتاب الرقاق.

(٥) حمل النعم: الإبل الضالة. والمعنى أن الناجي منهم قليل.

الثانى: أن المراد من كان فى زمن النبى ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبى ﷺ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ فى حياته من إسلامهم فيقال: ارتدوا بعدك.

الثالث: أن المراد به أصحاب المعاصى والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا القول لا يُقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يزدادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب^(١).

وقال ابن عبد البر رحمه الله: كل من أحدث فى الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عُنا بهذا الخبر والله أعلم^(٢). اهـ.

قال القرطبي: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المُبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون. وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع. ثم البعد قد يكون فى حال، ويُقربون بعد المغفرة إن كان التبديل فى الأعمال ولم يكن فى العقائد، وعلى هذا يكون نور الوضوء يُعرفون به، ثم يقال لهم: سُحِقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ

(١) شرح النوى (٣/١٣٦).

(٢) شرح النوى (٣/١٣٧).

يُظهرون الإيمان ويُسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقال لهم: «سحقًا سحقًا، ولا يخلد في النار إلا كل جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»^(١).

فاللهم ارزقنا شربة مهيئة مريثة من حوض النبي ﷺ لا نظماً بعدها أبداً.

ما الكوثر؟

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ^(٢).

وقال ﷺ: «بيننا أنا أسير في الجنة، إذ عرض لي نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله، ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكاً، ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فرأيت عندها نوراً عظيماً»^(٣).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسكٌ أذفر، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله»^(٤).

وقال ﷺ: «الكوثر نهر أعطانيه الله في الجنة تُرابه مسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طائر أعناقها مثل أعناق الجزر، آكلها أنعم منها»^(٥).
وقال ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر»

(١) التذكرة (١/ ٥٩٠).

(٢) سورة الكوثر.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

(٥) أخرجه الحاكم (٥٨٥/٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٦١٤).

والياقوت، تُرَبُّهُ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْ الْمَسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بِيَاضًا مِنْ الثَّلْجِ،^(١).

وعن مجاهد: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٢). قال: الخير الكثير: وقال أنس ابن مالك: نهر في الجنة. وقالت عائشة: هو نهر في الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر، . . . وهذا معناه والله أعلم: أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه.
* نسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا شربة هنيئة مريئة من حوض النبي ﷺ لا نظماً بعدها أبداً.



(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٦١) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٣٣٤) كتاب الزهد، وصححه

العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦١٥).

(٢) سورة الكوثر: الآية (١).

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ يضمن لك
بيتاً في الجنة

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ يضمن لك بيتاً في الجنة

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير في شوارع المدينة المنورة التي لطالما سار فيها النبي ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم. وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبي ﷺ - الذي هو أعظم بيت في الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبي ﷺ ونستانس بمجالسته وترتوي قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقتنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول. فلما دخلنا عليه وجدناه جالساً مع بعض أصحابه يحدثهم عن الجنة ويُعلمهم كيف يفوز كل واحد منهم ببيت في الجنة. فقال ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان مُحَقَّقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حَسَنَ خُلُقَهُ» (١).

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع بيوت الجنة ولنعلم كيف يفوز كل واحد منا ببيت في الجنة.

بيت في الجنة

ففي هذا الزمان الذي طغت فيه الماديات والشهوات وانصرف فيه كثيرٌ من الناس عن طاعة رب الأرض والسموات وانشغل فيه كثيرٌ من الناس بتشيد القصور والعمارات ظناً منهم أنهم مُخلَّدون في تلك الحياة.

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحنه العلامة الالباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٤).

وهيهات هيهات، فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَاتَ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿١﴾.

فكان لا بد لنا من وقفة لناخذ بقلوب الناس إلى جنة الرحمن لتشتاق تلك القلوب إلى مساكن وقصور الجنة فلا يشغلوا بجمع حطام الدنيا. بل ويوحدوا الهمم فيجعلوا مقصودهم تحقيق العبودية لله (جل وعلا) وبذلك يربح كل مسلم دُنياه وآخرته.

وإن كان المسلم قد حُرِمَ من قصور الدنيا وبيوتها الفانية الزائلة فليعلم يقيناً أن الله سيعوضه في الجنة بقصور تجرى من تحتها الأنهار... جدرانها من الذهب والفضة وملاطها المسك وتربتها من الزعفران.

وتالله لو لم يكن في الجنة إلا نعمة الرضوان والنظر إلى وجه الرحيم الرحمن لكان ذلك كافياً.

فها أيها الإخوة الكرام... وها أيها الأخوات الفاضلات. هيا لنعلم من خلال تلك السطور كيف نحصل على قصرٍ أو بيتٍ في جنة الرحمن (جل وعلا).

وليكن لسان حالنا ومقالنا: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (٢). فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة لتتعرف من خلالها على تلك الأعمال التي تجعلنا نحصل على قصرٍ في جنة الرحمن. فاللهم ارزقنا بيتاً في جنتك ننسى فيه شقاء الدنيا وعنائها واجمعنا في جنتك إخواناً على سررٍ متقابلين (٣).



(١) سورة الأنبياء: الآيات: (٣٤ : ٣٥).

(٢) سورة التحريم: الآية: (١١).

(٣) السلسلة الذهبية/ للمصنف (٢/٦٤٩-٦٥٠).

نعمة البيت

إن نعمة البيت لا يشعر بها إلا من حُرِمَ منها.
قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ (١).

فالبيت يستر العبد عن أعين الناس فيعبد ربه ويستريح فيه من عناء السعى على الأرزاق ويأوى إلى فراشه وزوجه ويحمى نفسه من الفتن بلزوم البيت في زمن الفتن.

ولذا قال ﷺ لأحد الصحابة عندما سأله: ما النجاة؟ قال ﷺ: «أملك عليك لسانك، وليسمعك بيتك وابك على خطيبتك» (٢).

فإذا اشتدت الفتن وكادت أن تعصف بالقلوب يصبح البيت هو حصنه الحصين، وذلك لأنه يجعل منه قلعة للعبادة.
هذا هو بيت المسلم الذي يعبد فيه ربه إلى أن يأذن الله له بالرحيل من هذه الدنيا لينعم في بيته الذي أعده له في الجنة.

ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاء

قال ﷺ: «ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فتعجبك، وتغيبُ عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكونُ وطيبة؛ فتلحقك بأصحابك، والدارُ تكونُ واسعة كثيرة المرافق. ومن الشقاء: المرأة، تراها فتسوؤك، وتحملُ لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها

(١) سورة النحل: الآية: (٨٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٢٤٠٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٩٢).

ومالك، والدابة تكون قطوفاً، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تُلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق» (١).

وفي رواية: قال ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق» (٢).

وكان ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي» (٣).

فالدار الواسعة سببٌ من أسباب السعادة، وذلك لأن الزوج يستطيع أن يخصص مكاناً لأولاده ومكاناً لبناته ومكاناً له ولزوجه بعيداً عن أعين الأولاد، وبذلك يضمن ستر العورات لأهل البيت جميعاً. وكذلك فالدار الواسعة تُدخل السعادة على الأطفال حيث يتمكنون من ممارسة الألعاب التي يحبونها.

المساكن أربعة

إن الله (عز وجل) جعل المؤمن ينتقل من مسكنٍ ووطنٍ إلى مسكنٍ ووطنٍ آخر.. فجعل أول وطن للمؤمن في بطن أمه وجعل آخر وطن له في جنته ومستقر رحمته.

فبينما الإنسان في بطن أمه يعيش في وطنه هذا تسعة أشهر، ثم يأذن

(١) حن: أخرجه الحاكم (١٧٥/٢)، رقم (٢٦٨٤) وقال: صحيح الإسناد، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٤٠/٩)، والحاكم (١٧٥/٢) بلفظ: «ثلاثة». وأبو نعيم في الحلية (٣٨٨/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٢/٧)، والخطيب (٩٩/١٢)، والضياء (٢٤٠/٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٨٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٠٠) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٦٥).

الله له بمفارقة هذا الوطن إلى تلك الحياة الدنيا فيسهل باكياً من نخسة الشيطان - كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ - .

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً

والناس حولك يضحكون سروراً

فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا

في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

فيخرج الإنسان من بطن أمه ليعيش في وطنه الثاني وهو مسكنه في هذه الحياة الدنيا .

والإنسان مفطورٌ على حُبِّ المكان الذي يعيش فيه، فإذا انتقل إلى مكانٍ آخر استوحش فترة حتى يألف المكان الثاني .

ولذا قال تعالى لحبيه ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

وذلك لأن النبي ﷺ خرج من مكة وهي أحب البلاد إلى قلبه، وذلك لكثرة إيذاء كفار قريش . . . فاشتاق الحبيب ﷺ إلى مكة فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ قال ابن عباس : أي لرادك إلى مكة .

وهكذا يتعلق قلب الإنسان بوطنه ومسكنه، فإذا مات انتقل من مسكنه ووطنه الثاني إلى وطنه الثالث ألا وهو القبر .

وبعد أن يأذن الله بقيام الساعة يخرج الناس من قبورهم حفاةً عراةً غرلاً للوقوف في أرض المحشر على بساط العدل الإلهي ليقتضى بين الخلائق، وليدخل ويسكن كل واحدٍ في مسكنه ومثواه الأخير إما في الجنة وإما في النار (أسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة) .

(١) سورة القصص : الآية : (٨٥) .

ما منكم من أحد إلا وله منزلان

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾» (٢).

المؤمن يبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة، ويبني بيته الذي في النار، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم أطاعوا ربهم عز وجل.

بل قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار» (٣).

ما أعدده الله للمؤمنين في الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى،

(١) سورة المؤمنون: الآيتان: (١٠، ١١).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٣٤١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٩٩).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٩٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٧٨).

أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر،^(١)

قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٢).

فيا من تضحى بعمرِكَ ويا من تضحى بدينك من أجل الحصول على متاعٍ زائل... أما علمت أن الله (جل وعلا) هو الذي أعد لك الجنة وغرس كرامتها بيديه؟!

فلو جمعت الأموال الطائلة وسكنت القصور الفاخرة على ضفاف البحار والأنهار وأنت تعلم أن الدنيا إلى زوال فكيف تشعر بالراحة والطمأنينة؟
أما في جنة الرحمن فالقصور تجري من تحتها الأنهار، ونحن لا نستطيع بحال أن نقارن بين ما صنعه الإنسان وبين ما أعدّه الرحيم الرحمن (جل وعلا)... ولكن حسبك أن نعيم الجنة لا يزول لأن الله كتب لك فيها الخلود - فاحذر يا أخي أن تضحى بأخرتك من أجل حطامٍ زائل - .

ستنسى كل شقاء مع أول غمسة في الجنة

ويا من حُرمت من نعمة البيت الهادئ الجميل، بل ولم تشعر لحظة واحدة في حياتك بنعمة الراحة والاستقرار... اعلم أنك ستنسى كل شقاء وعناء مع أول غمسة في الجنة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ؟»

(١) مضع عليه: رواه البخاري (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) سورة السجدة: الآية: (١٧).

— ٦٦٤ — ليلة هي بيت النبي ﷺ
هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مرَّ بي بؤس قط،
ولا رأيت شدة قط، (١).

ويُدخلهم الجنة عرفها لهم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤) سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصَلِّحُ بِأَلْمِهِمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴿ (٢).

قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومآكنهم لا يخطئون كأنهم
ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: «هم أعرف بمنزلهم من أهل الجمعة
إذا انصرفوا إلى منازلهم»...

هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: ﴿عَرَفَهَا﴾
أى بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

وعن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «إذا خُصَّ المؤمنون من
النار حُجُبوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى
إذا نُقُوا وهُدُّبوا أُذُن لهم بدخول الجنة؛ والذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه
في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا» (٣).

الدنيا وعشرة أمثالها لأدنى أهل الجنة منزلة

عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل
الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل
الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له:

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) سورة محمد: الآيات: (٤ : ٦).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

أترضى أن يكون لك مثل مُلك مُلك من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله. ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عينٌ ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر^(١).

آخر أهل الجنة دخولا الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملائكة، فيرجع، فيقول: يارب وجدتها ملائكة، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملائكة. فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملائكة، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال: فيقول: أتسخر بي (أو أتضحك بي) وانت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي لجاني منك، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي رب أدنى من هذه الشجرة، فلاستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب... ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربها

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

بعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب ادنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلني إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب ادنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها. وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يُصريني منك؟ - والمعنى أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك؟ - أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أنتهزئُ مني وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني: مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك رب العالمين حين قال: أنتهزئُ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئُ منك ولكني على ما أشاء قادر» (١).

«الوسيلة» أعلى منزلة في الجنة للنبي ﷺ

والوسيلة هي أعلى منزلة في جنة الرحمن (جل وعلا) وهي من نصيب حبيب الرحمن محمد بن عبد الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ﴾ (٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٧) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٣).

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله (موسى)، ورفع بعضهم درجات، هو محمد ﷺ .

وفى حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن ترفع على أحد»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدره المنتهى .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنفى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة» (١).

قصر النبى ﷺ فى جنة عدن

ولابد أن نعلم أن للنبى ﷺ قصوراً كثيرة فى الجنة، ومن بينها قصره فى (جنة عدن).

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «أتانى الليلة آتيان فابتعثانى، فانتبهنا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطراً من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطراً كأقبح ما أنت راء قالوا لهم: اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة. قالوا لى: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قالوا: أما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسن، وشطراً منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، تجاوز الله عنهم» (٢).



(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٦٧٤) كتاب تفسير القرآن.

قصر مثل الربابة البيضاء

وفي رواية أخرى في البخاري:

قال ﷺ: «... فانطلقنا فانتبهنا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن... قال: قال لي: ارق فيها قال: فارتقينا فيها فانتبهنا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطرون خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطرون كأقبح ما أنت راء، قال: قالوا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر. قال: وإذا نهر معرضٌ يجري كأن ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قال: قال لي: هذه جنة عدن وهذا منزلك قال: فسما بصري صعداً، فإذا قصرٌ مثل الربابة البيضاء. قال: قال لي: هذا منزلك قال: قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله. قال: قالوا: أما الآن فلا وأنت داخله...» (١). أي: ليس الآن ولكن ستدخله بعد ذلك عندما تعيش في الجنة.

قصر على نهر الكوثر

وجاء في رواية أخرى في البخاري أن للنبي ﷺ قصرًا على نهر الكوثر. لعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال - في جزء من حديث - : «..... ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصرٌ من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسكٌ أذفرُ قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبا لك ربك...» (٢).



(١) صحيح: رواه البخاري (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

منزل مثل السحاب لسيد الأحباب ﷺ

وفي الحديث الذي رواه البخارى فى صحيحه عن سمرة ابن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤياً؟» قال: فإن رأى أحدٌ قصّها، فيقول ما شاء الله. فسألنا يوماً فقال: «هل رأى أحدٌ منكم رؤياً؟» قلنا: لا. قال: «لكنى رأيت الليلة رجلين أتياى فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ ورجلٌ قائمٌ بيده كُؤوبٌ من حديد..... - إلى أن قال - : فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخٌ وصبيان، وإذا رجلٌ قريبٌ من الشجرة بين يديه نارٌ يوقدها فصعدا بي الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجالٌ شيوخٌ وشبابٌ ونساءٌ وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً أحسن وأفضل، فيها شيوخٌ وشبابٌ. قلت: طوفت منى الليلة فأخبراني عما رأيت. قالوا: نعم.» - إلى أن قالوا - : «والدار الأولى التى دخلت دار عامة المؤمنين. وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل. فارفع رأسك. فرفعت رأسي، فإذا فوقى مثل السحاب، قالوا: ذاك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالوا: إنه بقى لك عمُرٌ لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك» (١).

بيت فى الجنة من قصب لخديجة بنت خويلد

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» (٢).

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٨٦) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

والقصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف.

قال السهيلي: النكتة في قوله: «من قصب» ولم يقل: من لؤلؤ؛ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ هذا الحديث^(١). اهـ.

وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يفضبه قط كما وقع لغيرها.

قصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رأيتُ دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيتُ قصرًا بفنائها جاريةٌ فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردتُ أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك. فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار»^(٢).

أهل الجنة هم الملوك

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾^(٣). عن مجاهد «ملكًا كبيرًا» قال: عظيمًا.

وعن ابن عباس أنه ذكر مراتب أهل الجنة ثم تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

وقال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾. قال الملك الكبير، أن الملك (من

(١) فتح الباري (٧/١٧١-١٧٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) سورة الإنسان: الآية: (٢٠).

الملائكة) يأتيه بالتحفة واللفظ، فلا يصل إليه حتى يُستأذن له عليه، فيقول للحاجب: استأذن علي ولي الله، فإني لست أصل إليه، فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر وحاجباً بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وعن أبي هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه».

وعن أبي هلال قال: حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».

وعن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

وعن أبي عبد الرحمن المغافري قال: «إنه ليُصَفَّ للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانها، حتى إذا مرَّ مشوا وراءه»^(١).

لك قوة مائة رجل إذا دخلت الجنة

قال ﷺ: «إنَّ الرجل من أهل الجنة، يُعْطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجة أحدهم عرقٌ يفيضُ من جلده، فإذا بطنه قد ضمَّ»^(٢).

فيا من عانيت من ضعف الصحة وكثرة الأمراض... اعلم أن الله (جل وعلا) سيعطيك في الجنة قوة مائة رجل في الطعام والشرب والشهوة

(١) حادي الأرواح (ص: ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) أخرجه الطبراني (١٧٨/٥)، وأحمد (٣٧١/٤)، وابن أبي شيبة (٣٣/٧)، والدارمي (٤٣١/٢)، والطبراني في الأوسط (٣٦١/٨). وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٢٧).

والجماع... وانت مع ذلك لا يصيبك مرض ولا ألم ولا مشقة ولا عناء.
فاللهم إنا نسألك من فضلك العظيم.

هذه خيمتك في الجنة

قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ:
«إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» (٢).

وفي لفظ لمسلم: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين. يطوف عليهم المؤمن؟».

وعن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: درٌ مجوف.

وعن أبي الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة».
وأما السرر فقال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (٥).

فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس

(١) سورة الرحمن: الآية: (٧٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة الطور: الآية: (٢٠).

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (١٣: ١٦).

(٥) سورة الغاشية: الآية: (١٣).

بعضها خلف بعض ولا بعيداً عن بعض، وأخبر أنها موضونة، والوضن في اللغة: النضيد والنسيج المضاعف.

قال عطاء عن ابن عباس: قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدرُّ والياقوت. والسرير مثل ما بين مكة وأيلة.

وقال الكلبي: طول السرير في السماء مائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه (١).

طوبى لك منزل الملوك

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنةً من ذهب، ولبنةً من فضة، وملاطها المسك، وقال لها: تكلمي، فقالت. قد أفلح المؤمنون: فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك» (٢).

من يكون في الفردوس الأعلى؟

قال تعالى عن وصف هؤلاء الذين يرثون الفردوس الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) لَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣).

(١) مختصر حادي الأرواح / للمصنف (ص: ١١٠ : ١١٢).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٤/٩٥١).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (١ : ١١).

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»^(١).

من يريد المساكن الطيبة في جنات عدن؟

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وِرْضَوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: وعدمهم على إيمانهم بجنات وارفة الظلال، تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: لا يئس فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي: ومنازل يطيب فيها العيش في جنات الخلد والإقامة.

قال الحسن: هي قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد^(٣) ﴿وِرْضَوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله. وفي الحديث يقول الله تعالى لأهل الجنة: «يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٤).



(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٣) الكشاف للزمخشري (٢/٢٨٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

من كان عبداً للرحمن... فاز بالفرقة في أعلى الجنان

قال تعالى عن صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبْتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿ (١)

فمن اتصف بصفات عباد الرحمن كان جزاؤه في الآخرة كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿ (٢)

قال الإمام القرطبي: وصف تعالى «عباد الرحمن» بإحدى عشرة خصلة هي أوصافهم الحميدة من التخلّي، والتحلّي وهي «التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والبعد عن الشرك، والنزاهة عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتهاال إلى

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٦٣ : ٧٤).

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٥ : ٧٦).

الله ثم بين جزاءهم الكريم وهو نيل الغرفة أى- الدرجة الرفيعة وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا.

الغرف العلى من الجنة لهؤلاء

عن نعيم بن همار أن رجلاً سأل النبي ﷺ ، أى الشهداء أفضل؟ قال: «الذين يقاتلون فى الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى من الجنة. ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ فى الدنيا فلا حساب عليه»^(١).

الفائزون بالغرف فى الجنة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٢).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى: جمعوا بين إخلاص العقيدة وإخلاص العمل ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ أى لنُنزِّلَنَّهُم أعالي الجنة ولنُسكَنَنَّهُم منازل رفيعة فيها ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى: تجرى من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أى: ماكثين فيها إلى غير نهاية لا يخرجون منها أبداً ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أى نعمت تلك المساكن العالية فى جنات النعيم أجراً للعاملين ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣) هذا بيان للعاملين أى هم الذين صبروا على تحمل المشاق من الهجرة والأذى فى سبيل الله، وعلى ربهم يعتمدون فى جميع أمورهم.

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/٥)، والطبرانى فى الأوسط (٢٨٦/٣)، قال الهيثمى (٢٩٢/٥) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد وأبو يعلى ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٠٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٥٨).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٥٩).

قال في البحر: وهذان جماع الخير كله: الصبر، وتفويض الأمر إليه تعالى (١).
 وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ (٢).
 وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ (٣).
 وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب. لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» (٤).

الشهداء... وخير منزل

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب! خير منزل، فيقول: سلّ وتمنّ، فيقول: يا رب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا، فأقتل في سبيلك عشر مرار، لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب! شرّ منزل، فيقول له: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول: أي رب نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار» (٥).

(١) البحر (١٥٧/٧).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٢٠).

(٣) سورة سبأ: الآية: (٣٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣١) كتاب الجنة.

(٥) صحيح: رواه النسائي (٣١٢٦٠) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٩٦).

بيت في الجنة لمن آمن بالنبي ﷺ

وهاجر وجاهد في سبيل الله

قال ﷺ: «أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر بييت في ررض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله بييت في ررض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلباً، ولا من الشر مهرباً، ويموت حيث شاء أن يموت»^(١).

بيت في أعلى الجنة لصاحب الخلق الحسن

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم بيت في ررض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحَقًّا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٢).

والزعيم: الضامن.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً. وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»^(٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان

(١) صحيح: رواه النسائي (٣١٣٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٠١).

العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق. وإن الله يُغضُّ الفاحش البذيء» (١).
«البذيء»: هو الذي يتكلم بالفحش، وردىء الكلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخلُ الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخلُ الناس النار فقال: «الضمُّ والفرج» (٢).

وهنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهُم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» (٣).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليُدركُ بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (٤).

الحب في الله... وغرف الجنة

قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَذُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦).
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (٧).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن المتحابين لترى غُرْفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي، فيقال: من هؤلاء فيقال:

(١) حسن: رواه الترمذی (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، وحنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٢٦).

(٢) حسن: رواه الترمذی (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، وحنه العلامة الألبانی رحمه الله في الصحيحة (٩٧٧).

(٣) حسن: رواه الترمذی (١١٦٢) كتاب الرضاع، وحنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٣٢).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وحنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

(٦) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٧) سورة الحشر: الآية: (١٠).

المتحابون في الله عز وجل» (١).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» (٢).

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغطهم النيون والشهداء» (٣).

بيت في الجنة لمن ترك المراء والكذب

قال ﷺ: «أنا زعيم بيت في رياض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» (٤).

بيت في الجنة... لمن فوض أمره لله

عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ قال: «إذا اضطجع الرجل فتوسد يمينه ثم قال: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وأجأت ظهري إليك، ووجهت وجهي إليك، رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، ومات على ذلك بُني له بيت في الجنة، أو بويء له بيت في الجنة» (٥).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٨٧/٣)، وأورده الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٤٢٢/١٠)، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٠) كتاب الزهد، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٥) مضع عليه: رواه البخاري (٢٤٧) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء.

غرف في الجنة... لمن أطعم الطعام وألان الكلام

وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «إن في الجنة عُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»^(٢).

باب الريان للصائمين

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»^(٣). فتدبر يا أخى..

مسمى الباب: «الريان» من الري، والري ضد الظم، مسمى الباب يعث على الري، وأول الغيث قطرة، إن ذكر الماء في الصحراء، يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل..؟!.

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرّة، عن النبي ﷺ في منامه الطويل قال: «ورأيت رجلاً من أمّتي يلهث عطشاً، كلما ورد حوضاً منع منه، فجاءه

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣٤٣/٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٨٠) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام.

صيامُ رمضان فسقاه وأرواه.

رى الدنيا عطش، والرى رى الآخرة، والجزاء من جنس العمل.
من صام عن شهوته في الدنيا، أدركها غداً في الجنة، ومن صام عما
سوى الله، فعنده يوم لقائه. ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ﴾ (١)
وقد صُمتُ عن لذات دهرى كلها

ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

بالله، انظر كيف يكون الجزاء من جنس العمل.. صورة حسية تُشاهد
وتُعاین: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب انى
منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعنى فيه، يقول القرآن: رب منعته النوم
بالليل، فشفعنى فيه، فيشفعان» (٢).

بيت في الجنة... لمن بنى مسجداً لله

قال ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» (٣).
وقال ﷺ: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له
بيتاً في الجنة» (٤).

فيا من امتن الله عليك بنعمة المال لا تبخل وابن لله مسجداً لتنال الاجر
والثوبة في الدنيا والآخرة، وذلك بأن الله يجعل صلاة من يصلى (في هذا
المسجد) في ميزان حسناتك بل ويكرمك بأن يبني لك بيتاً في الجنة... ألا
تريد بيتاً في الجنة؟!.

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٤/٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٣) مطلق عليه: رواه البخارى (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب الصيام.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٧٣٨) كتاب المساجد والجماعات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله
في صحيح الجامع (٦١٢٨).

بيت في الجنة.... باثنتي عشرة ركعة كل يوم

قال ﷺ: «من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتاً في الجنة: أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر»^(١).

وفي رواية قال ﷺ: «من صلى في يومٍ وليلةٍ ثنتي عشرة ركعةً بنى له بيتٌ في الجنة....»^(٢).

صلاة الضحى وبيت في الجنة

قال ﷺ: «بصبح على كل سألني من أحدكم صدقة فكل تسيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى»^(٣).

وقال ﷺ: «من صلى الضحى أربعاً وقبل الأولى أربعاً بنى له بيت في الجنة»^(٤).

بيت في الجنة... لمن سداً فرجة في الصف

قال ﷺ: «من سداً فرجةً بنى الله له بيتاً في الجنة ورفع به درجةً»^(٥).

(١) صحيح: رواه الترمذي (٤١٤) كتاب الصلاة، والنسائي (١٧٩٤) كتاب قيام الليل، وابن ماجه (١١٤٠)

كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٨٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٤١٥) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٦٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) حسن: الطبراني في «الأوسط» (٥٩ / ١ من ترتيبه)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٤٠).

(٥) أخرجه المحاملي في «الأمالي» (ق ٣٦ / ٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٨٩٢).

منزل في الجنة... لمن عاد مريضاً

قال عليه السلام: «من عاد مريضاً أو زار أخاه في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً»^(١).

وقال عليه السلام: «إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع»^(٢).

بيت في الجنة بدعاء السوق

قال عليه السلام: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبني له بيتاً في الجنة»^(٣).

وذلك لأن الغالب على أهل الأسواق أنهم في غفلة شديدة عن ذكر الله.. بل ومنهم من يحلف بالله كاذباً من أجل أن يبيع سلعته. فإذا جاء المسلم ودخل السوق وذكر الله (جل وعلا) بين أهل الغفلة فإن الله يُجزل له الأجر والمثوبة.

وهذا كله كشأن المؤمن في أيام الفتن والهرج عندما يتمسك بدينه فإن الله يعطيه أجر خمسين شهيداً - كما جاء في الحديث الصحيح -.



(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (١٤٤٣) كتاب ما جاء في الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٨) كتاب البر والصلة.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٤٢٨) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٢٢٣٥) كتاب التجارات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٣١).

بيت الحمد في جنة الرحمن (جل وعلا)

عن أبي موسى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولدُ العبد قال اللهُ تعالى لملائكته: قبضتم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول اللهُ تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيتَ الحمد» (١).

حمدك واسترجع: أي قال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد قال تعالى عن هذا الصنف الكريم: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ إِلَىٰ مَنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٢﴾﴾.

وهذه والله ثمرة من ثمرات الرضا بقضاء الله (جل وعلا).

ألا تريد نخلاً حول بيتك في الجنة؟!

أخي الحبيب: ألا تريد أن تزين بيتك في الجنة بالنخيل من حوله؟!... وإن كان بيتك (والله) ليس في حاجة إلى تزيين؛ لأن الذي أنشأ الجنة وغرس كرامتها هو الله (جل وعلا).

ولكن إن أردت المزيد فعليك بغراس الجنة.

قال عليه السلام: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرس له بها نخلة في الجنة» (٣).

(١) حسن: رواه الترمذی (١٠٢١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذی (٣٤٦٤) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٢٩).

وقال ﷺ: «لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أُسرى بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(١).

وقال ﷺ: «أكثروا من غرس الجنة؛ فإنه عذب ماؤها، طيب ثرابها، فأكثروا من غراسها، لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

رضوان لا سخط بعده أبداً

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم نعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٣).

وتلك والله أعظم نعمة يكرم الله بها عباده في الجنة، وذلك بأن يرضى عنهم ويرزقهم نعمة النظر إلى وجهه الكريم.

فاللهم ارضنا وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة^(٤).



(١) حسن: رواه الترمذي (٢٤٦٢) كتاب الدعوات، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥١٥٢).

(٢) حسن: أخرجه الطبراني (٣٦٤/١٢). قال الهيثمي (٩٨/١٠): فيه عفة بن علي، وهو ضعيف. وحنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢١٣).

(٣) منفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٤) بتصرف من كتاب السلسلة الذهبية (الجزء الثاني) / للمصنف.

النبي ﷺ في بيتك

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

النبي ﷺ في بيتك

لقد تخيلنا في كل الليالي الماضية أننا نسير في شوارع المدينة المنورة حتى وصلنا إلى بيت النبي ﷺ وطرقنا الباب وفتح لنا النبي ﷺ ودخلنا وجلسنا معه وتعلمنا منه الكثير والكثير.

* لكن الأمر يختلف تماماً في هذه الليلة.. فلن تذهب إلى بيت النبي ﷺ ولكن النبي ﷺ هو الذي سيأتي إليك وسيطرق عليك بابك ليرى حالك مع الله ومع كتاب الله ومع سنة رسول الله ﷺ ومع تلك الرعية التي استرعاك الله إياها فقد قال ﷺ: «كلكم راع وكلم مسئول عن رعيته»^(١).

* فهيا لنرى هذا اللقاء التاريخي في حياة كل مسلم.. ولنرى ماذا سيصنع كل مسلم مع الحبيب ﷺ وكيف سيستقبله في بيته. وماذا سيقول له النبي ﷺ في نهاية هذا اللقاء.

حال الناس عند استقبال النبي ﷺ

من المعلوم أن أحوال الناس تختلف باختلاف درجات إيمانهم وتباين أخلاقهم وسلوكياتهم... فمن المحال أن يتشابه سلوك إنسان مع الآخر إلا إذا كان مشابهاً له في إيمانه وأخلاقه.

* وأنا أريدك الليلة أن تتخيل معي أن النبي ﷺ سيأتي إليك وسيطرق بابك... وليس ذلك فحسب بل إنه سيمكث عندك شهراً كاملاً فماذا ستصنع؟!... بل وماذا سيصنع غيرك.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمامة.

* سيقول أحدهم: هذه أعظم مفاجأة بل وأعظم منحة في هذه الدنيا... ولن يكون بيتي مناسباً لاستقبال النبي ﷺ.. بل لابد من أن أحجز له جناحاً ملكياً في أعظم وأجمل فندق في العالم.

* وسيقول الآخر: أنا لا أصدق نفسي.. وسأقوم حالاً بتغيير أثاث البيت ودهان المنزل كاملاً وإحضار كل ما لذ وطاب من أجل الحبيب ﷺ وسأخذ إجازة من العمل لمدة شهر لكي أسعد بصحبة النبي ﷺ.

* وسيقول الثالث الذي يعرف قدر ومكانة النبي ﷺ: أنا أعلم أن النبي ﷺ لا يهتم بهذه الأمور الدنيوية فقد عرضت عليه جبال مكة أن تصير ذهباً فقال: «بل أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر..» فانا لن أستعد لاستقبال النبي ﷺ بهذه الأمور الدنيوية - وإن كان لابد منها أيضاً - وإنما سأستعد لاستقبال النبي ﷺ بتلك الأشياء التي يحبها النبي ﷺ. فسوف أحافظ أنا وزوجتي وأولادي على الصلاة.

وسوف ألزم زوجتي وبناتي بالحجاب إن كان هناك تقصير منهن. وسوف أحرص كل الحرص على الالتزام بالسمت الإسلامي الذي يحبه النبي ﷺ.

وسوف أتخلق بأخلاق النبي ﷺ حتى يسعد برؤيتي. وسوف التزم بالسنة حتى أكون جديراً باستقبال النبي ﷺ في بيتي وسوف أزيل كل المنكرات من بيتي.. فلن أدع ضوراً على الحائط ولا تمثالاً وسأمسح أشرطة الأغاني وأحضر أشرطة القرآن ودروس العلم ولن أترك شيئاً في بيتي يفضب رسول الله ﷺ.

* والآن أريد أن أسألك سؤالاً واحداً: يا ترى إذا جاءك النبي ﷺ فأى واحد من هؤلاء الثلاثة ستكون؟

- من المؤكد أنك ستقول: سأكون الثالث إن شاء الله.

- وأنا أقول لك: الدعاوى كثيرة.. فقد كان هناك أناس يعيشون في زمن النبي ﷺ ومع ذلك كفروا برسالة النبي ﷺ وحاربوه ودبروا المؤامرات لقتله... وقد يكون في زماننا هذا من يتمنى أن يرى النبي ﷺ وأن يعيش في زمانه وهو لا يدري هل كان سيؤمن مع النبي ﷺ أم أنه سيكون من الذين حاربوا النبي ﷺ.

- ومن أجل ذلك أريد أن أسالك سؤالاً واحداً. هل أنت فعلاً على استعداد لأن تضحي بكل هذه المتع المحرمة وعلى استعداد لأن تلتزم سلوكياً وأخلاقياً وعبادة إذا جاءك النبي ﷺ؟! - فإذا كانت الإجابة: بلى.

أقول لك: فما الفرق بين أن يأتيك النبي ﷺ وبين أن تصلك سنة النبي ﷺ.

- بل إن طاعة النبي ﷺ بعد موته أعظم من طاعته في حياته لأن الرجل ربما يفعل الطاعة خجلاً من النبي ﷺ.. أما إن فعلها بعد موته فلن يفعلها إلا ابتغاء وجه الله وحباً وطاعة لرسول الله ﷺ.

* ومن أجل ذلك دعا النبي ﷺ لمن أطاعه في زمنه مرة ودعا لمن أطاعه بعد موته سبع مرات فقال ﷺ: «طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني» (١).

وفي رواية قال ﷺ: «طوبى لمن رآني وآمن بي مرة، وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات» (٢).

* وقال ﷺ: «إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم» (٣).

(١) (٢) صحيح: رواه أحمد (٧١/٣) وابن حبان (٢١٣/١٦) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٩٢٣) (٣٩٢٤).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (١٨٢/١٠) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٣٤).

طريق الجنة واحد

اعلم أيها الأخ الحبيب واعلم أيها الأخت الفاضلة أن طريق الجنة واحد فلقد أبى الله (جل وعلا) أن يجعل للجنة طريقاً إلا خلف النبي ﷺ .
قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «هذه السُّبُلُ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

بل وضَّح النبي ﷺ للأمة أنه لن يدخل أحدُ جنة الرحمن «جل وعلا» إلا إذا أطاع الحبيب ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» (٣) .

بل تأملوا معي هذا الحديث الذي رواه البخاري والترمذي أن الحبيب ﷺ قال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: إضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثلكم اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتاً، ثم جعل

(١) سورة الانعام: الآية: (١٥٣) .

(٢) حسن: رواه الدارمي (٢٠٢) في مقدمة سنة، وأحمد (٤١٣١) منذ المكثرين من الصحابة، وحنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٦٦) .

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة .

فيها مائدة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها^(١).

إذن . . . فطريق الجنة واحد وهو الطريق الذي اختاره لنا الحق جل وعلا، وذلك بأن نقضى أثر النبي ﷺ وأن نتبع شرعه وسنته لنسعد في الدنيا والآخرة.

ماذا لو طرق النبي ﷺ بابك الليلة

أيها الأخ الحبيب .. أيتها الأخت الفاضلة:

بالله عليكم .. لو طرق النبي ﷺ باب أحدكم الليلة فعماذا يصنع؟ تخيل معي .. كأن النبي ﷺ بطرق بابك الآن فقلت: من؟ فقال: رسول الله ﷺ فإن كنت عاصياً لله غير متبع لهدى رسول الله ﷺ فدخل النبي ﷺ بيتك ووجد آلات اللهو والمنكرات فبأى وجه ستلقى الحبيب ﷺ؟

أما إن كنت طائعاً وطرق النبي ﷺ بابك فقلت: من؟ فقال: رسول الله ﷺ فيا لها من لحظة يعجز القلم عن وصفها .. فإذا بك تُقبل رأس النبي ﷺ ويديه ورجليه .. فإذا دخل بيتك وجد فيه ما يسره ويسعده .. وجد فيه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .. وجد بيتاً أسس على التقوى فأهله يقومون الليل ويصومون النهار ويطلبون العلم ويدعون إلى الله .. لكأنى بالنبي ﷺ في تلك اللحظة يقول لك: بارك الله فيك موعدي معك على الحوض.

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

فتلقى النبي ﷺ على الحوض لتشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا تظماً بعدها أبداً ثم يأخذ النبي ﷺ بيدك ليُدخلك الجنة . . . فيا ليتنا نستعد من الآن للقاء الله «جل وعلا» ولللقاء رسول الله ﷺ على الحوض .

ألا إن سلعة الله غالية

فإن كنت تريد الجنة فاعلم أن سلعة الله غالية وتحتاج منك إلى البذل والتضحية . . . فما ظنك بمن يريد صحبة النبي ﷺ في الجنة .

- هل تستطيع أن تترك بلدك ودارك ومالك وتهاجر كما هاجر أصحاب الرسول ﷺ؟

- هل تستطيع أن تصدق بمالك كله كما فعل أبو بكر رضياً .

- هل تستطيع أن تدافع عن النبي ﷺ كما فعل طلحة بن عبيد الله يوم أحد؟

- هل تستطيع أن تبذل نفسك في سبيل الله؟

* إن لقاء النبي ﷺ على الحوض والشرب من يده الشريفة يحتاج إلى البذل والتضحية وإلى الاستقامة على شبرع الله وهدى رسول الله ﷺ .

- وإن صحبة النبي ﷺ في الجنة تحتاج منك إلى أن تعيش كل لحظة من عمرك في طاعة الله وفي خدمة دين الله (جل وعلا).

* ومن أجل ذلك قلت لك: إن سلعة الله غالية . . . فهل تريد أن تبذل وتضحى من أجل أن تفوز بصحبة النبي ﷺ في الجنة أم لا؟



هؤلاء دخل النبي ﷺ بيوتهم

وها أنا أسوق لحضراتكم بعض النماذج لمن تشرفت وتباركت بيوتهم بدخول النبي ﷺ.

* النبي ﷺ يذهب إلى بيت أبي بن كعب ويطرق بابه:

... ويا لها من منقبة يعجز اللسان عن وصفها ويعجز القلم عن التعليق عليها ولو بكلمة واحدة.

لك أن تتخيل معي أيها الأخ الحبيب أن الله قد ذكر اسمك من فوق سبع سماوات وليس ذلك فحسب، بل إن الله يأمر نبيه ﷺ أن يقرع عليك بابك ويقول لك: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن!!!.

تالله لو كنت مكان أبي بن كعب رضي الله عنه لتمنيت أن ألقى الله في تلك اللحظة لتكون تلك المنقبة هي خاتمة السعادة.

فهي بنا لنعيش تلك اللحظات مع الفرحة الغامرة التي ملأت قلب (أبي) سعادة وسروراً.

فمن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» وفي لفظ: «أمرني أن أقرئك القرآن». قال أبي: ألكه سماني لك؟ قال: «نعم» قال: وذكرت عند رب العالمين؟ قال: «نعم». فذرفت عيناه^(١).

وفي رواية: عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه قال: قال أبي بن كعب: قال لي رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقرأ عليك القرآن» قلت: يا رسول الله! وسميت لك؟ قال: «نعم» قلت لأبي: فرحت بذلك؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٥٩) كتاب التفسير، رواه مسلم (٧٩٩) كتاب صلاة المسافرين - وأحمد (١٣٠/٣).

— ٦٩٦ — ليلة في بيت النبي ﷺ
 قال: وما يمنعني وهو تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
 فَلْيَفْرَحُوا﴾ (١) (٢).

* في بيت جابر بن عبد الله ﷺ *

وها هو ﷺ يدخل بيت جابر بن عبد الله ﷺ ويأكل من طعامه . . .
 عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ
 خُمصًا شديدًا - من أثر الجوع - فانكفيتُ إلى امرأتى فقلت: هل عندك
 شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خُمصًا شديدًا. فأخرجت إلى جرابًا
 فيه صاعٌ من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، وفرغت
 إلى فراغى، وقطعتها في بُرمتها. ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ. فقالت:
 لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه. فجثته فساررته - كلمته سرًّا -
 فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمةً لنا وطحنًا صاعًا من شعير كان عندنا،
 فتعال أنت ونفراً معك، فصاح النبي ﷺ: «يا أهل الخندق، إن جابرًا قد
 صنع سُورًا، (طعامًا) فحى هلا بكم» فقال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلن
 بُرمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى آجىء»، فجثتُ وجاء رسول الله ﷺ
 يقدّم الناس، حتى جثت امرأتى فقالت: بك وبك - تعاتبه - فقلت: قد
 فعلتُ الذي قلت . . . فأخرجت له عجينةً فبصق فيه النبي ﷺ وبارك، ثم
 عمد إلى بُرمتنا فبصق وبارك ثم قال: «ادعُ خابزةً فلتخبز معي. واقدحى من
 برمتكم ولا تنزلوها» (وهم ألف). . . قال جابر: فأقسم بالله لقد أكلوا حتى
 تركوه وانحرفوا، وإن بُرمتنا لتغطُّ كما هي، وإن عجيتنا ليخبز كما هو» (٣).



(١) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٢٢/٥، ١٢٣) وأبو نعيم في الحلية (٢٥١/١) وصححه العلامة الألباني
 رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٩٠٨).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٠٢) كتاب المغازي.

النبي ﷺ في ضيافة أبي أيوب الأنصاري

ولترك المجال لأبي أيوب رضي يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التي ملأت عليه جوانحه وجوارحه لتزول النبي ﷺ عليه في بيته.

عن أبي أيوب قال: لما نزل على رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فإظهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفلى، فقال: «يا أبا أيوب، إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت» (١).

وفي رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة نزل على أبي أيوب فنزل النبي ﷺ أسفل، وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ! فتحوّل فباتوا في جانب.

فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أسفل أرفق بي» فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها. فتحوّل أبو أيوب في السفلى، والنبي ﷺ في العلو (٢).

وعن أبي رهم: أن أبا أيوب حدثه: أن رسول الله ﷺ نزل في بيتنا الأسفل، وكنت في الغرفة، فأهريق ماءً في الغرفة، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتبع الماء، ونزلت فقلت: يا رسول الله، لا ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة، فأمر بمتاعه فنقل - ومتاعه قليل - قلت: يا رسول الله، كنت ترسل بالطعام، فأنظر، فإذا رأيت أثر أصابعك، وضعت فيه يدي (٣) - يلتبس بركة الحبيب ﷺ - .

(١)، (٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٥٣) كتاب الأشربة.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٢٠/٥) وقال شعيب الأونلووط: إسناده صحيح.

* وأقام رسول الله ﷺ في دار (١) أبي أيوب قرابة سبعة أشهر، وهو يلقي الإكرام حتى تم بناء مسجده الشريف في المكان الذي بركت فيه ناقته، فانتقل إلى الحجرات التي أقيمت حول المسجد لأرواجه، وغدا أبو أيوب رضي الله عنه أقرب الناس جواراً لرسول الله ﷺ، فغُبط مرة أخرى من الأنصار بهذه الخصوصية الكريمة.

* وظل أبو أيوب رضوان الله عليه من كرماء الأنصار، والمخلصين في أعمالهم، والمتفانين في محبته رضي الله عنه، حيث كان يدخر لرسول الله ﷺ كل يوم طعاماً، فإذا أبطأ ولم يأت إليه في حينه، أطعمه لأهله (٢).

إكرامه ومحبته للحبيب ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج أبو بكر رضي الله عنه بالهاجرة (٣) إلى المسجد فرأه عمر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟! قال: ما أخرجني إلا ما أجد من شدة الجوع. فقال عمر: وأنا والله ما أخرجني غير ذلك. فبينما هما كذلك؛ إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «ما أخرجكما هذه الساعة؟!».

قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجد في بطوننا من شدة الجوع. قال عليه السلام: «وأنا - والذي نفسي بيده - ما أخرجني غير ذلك... قوماً معي».

(١) إن دار أبي أيوب - رضوان الله عليه - التي حظيت بهذا الشرف الرفيع، قد صارت فيما بعد إلى مولاة أفلح بعد وفاته، فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار، وأصلح ما وهن من بنيانها، ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة المنورة (البداية والنهاية ٣/٢٠٣).

(٢) فرسان من عصر النبوة (ص: ٦٤٦-٦٤٧).

(٣) الهاجرة: نصف النهار في شدة القبط.

فانطلقوا فاتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكان أبو أيوب يدخرُ لرسول الله ﷺ كل يوم طعامًا، فإذا أبطأ عنه ولم يأت إليه في حينه أطعمه لأهله.

فلما بلغوا الباب خرجت إليهم أم أيوب، وقالت: مرحبًا بنبي الله وبمن معه.

فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام: «أين أبو أيوب؟». فسمع أبو أيوب صوت النبي ﷺ - وكان يعملُ في نخلٍ قريبٍ له - فأقبل يُسرِعُ وهو يقول: مرحبًا برسول الله وبمن معه، ثم أتبع قائلاً: يا نبي الله ليس هذا بالوقت الذي كنت تجيء فيه.

فقال عليه الصلاة والسلام: «صدقت»، ثم انطلق أبو أيوب إلى نخيله فقطع منه عذقًا (١) فيه تمرٌ ورطبٌ وبُسْرٌ (٢).

فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أردت أن تقطع هذا، ألا جئت لنا من تمره؟».

قال: يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورطبه وبُسره، ولاذبحن لك أيضًا.

قال: «إن ذبحت فلا تذبحن ذات لبن». فأتى فآخذ أبو أيوب جديًا فذبحه، ثم قال لامرأته: اعجني واخبزي لنا، وأنت أعلم بالخبز، ثم أخذ نصف الجدي فطبخه، وعمد إلى نصفه الثاني فشواه، فلما نضج الطعام ووضع بين يدي النبي ﷺ وصاحبيه، أخذ الرسول قطعة من الجدي ووضعها في رغيغ، وقال: «يا أبا أيوب، بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تُصب مثل هذا منذ أيام».

(١) العذق: غصن له شعب.

(٢) الرطب: ما نضج من تمر النخل، والبسر: ما لم يكتمل نضجه.

فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خُبْزٌ، ولحمٌ، وتمرٌ، وُسْرٌ، ورطبٌ!!».

وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ هَذَا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ثُمَّ نَهَضَ الرَّسُولَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَقَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ: «اتَّئِنَّا غَدًا». وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَصْنَعُ لَهُ أَحَدٌ مَعْرُوفًا إِلَّا أَحَبَّ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَيْهِ، لَكِنْ أَبَا أَيُّوبَ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ هَمْرٌ - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - : إِنْ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ غَدًا يَا أَبَا أَيُّوبَ.

فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: سَمِعًا وَطَاعَةً لِرَسُولِ اللَّهِ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ذَهَبَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَعْطَاهُ وَلِيدَةً (١) كَانَتْ تَخْدُمُهُ، وَقَالَ لَهُ: «اسْتَوْصِ بِهَا خَيْرًا - يَا أَبَا أَيُّوبَ - فَإِنَّا لَمْ نَرَنَّ مِنْهَا إِلَّا خَيْرًا مَا دَامَتْ عِنْدَنَا».

عَادَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى بَيْتِهِ وَمَعَهُ الْوَلِيدَةُ، فَلَمَّا رَأَتْهَا أُمُّ أَيُّوبَ: قَالَتْ: لِمَنْ هَذِهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟!

قَالَ: لَنَا... مَنَحْنَا إِيَّاهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ: أَعْظَمَ بِهَا مِنْ مَانَحٍ؛ وَأَكْرَمَ بِهَا مِنْ مَنَحَةٍ. فَقَالَ: وَقَدْ أَوْصَانَا بِهَا خَيْرًا.

فَقَالَتْ: وَكَيْفَ نَصْنَعُ بِهَا حَتَّى نُنْفِذَ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَجِدُ لَوْصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ بِهَا خَيْرًا مِنْ أَنْ أَعْتَقَهَا. فَقَالَ: هُدَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ، فَأَنْتِ مُوَفَّقٌ... ثُمَّ أَعْتَقَهَا (٢).

(١) ولبدة: جارية صغيرة.

(٢) صور من حياة الصحابة (٧٠: ٧٣) بتصرف.

في بيت أم سليم رضي الله عنها

* عن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال (١) عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلط العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم ما هذا تصنعين؟» قالت: هذا عرقك، نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب (٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأنتيت، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها (٣) فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ (٤)، فقال: «ما تصنعين يا أم سليم؟» فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: «أصب» (٥).

* وأنا لا أقصد بذكر تلك البيوت أن النبي ﷺ لم يدخل غيرها بل دخل النبي ﷺ بيوتاً كثيرة من بيوت الصحابة... فمن المؤكد أنه ﷺ دخل بيت أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرها من البيوت المباركة والتي ازدادت بركة بدخول النبي ﷺ.



(١) قال: أي نام القيلولة بعد الظهر.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل - باب: طيب عرق النبي ﷺ.

(٣) عتيدتها: هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها.

(٤) أي استيقظ من نومه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل - باب: التبرك من عرق النبي ﷺ.

هل تستطيع أن تحب النبي ﷺ مثل هذا الحب؟

والسؤال الذي يخطر على بالي الآن: هل تستطيع أن تحب النبي ﷺ مثل هذا الحب؟

أما سمعت قول النبي ﷺ: «إن أناساً من أمتي يأتون بعدي يودُّ أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله» (١).
وقول النبي ﷺ: «أشدُّ أمتي لي حُباً قومٌ يكونون بعدي يودُّ أحدهم أنه فقدَّ أهله وماله وأنه رآني» (٢).

هجرة إلى الله وهجرة إلى رسول الله ﷺ

فيا من تشتهي أن ترى النبي ﷺ في الدنيا ولم تستطع فإزداد شوقك للقاء النبي ﷺ يوم القيامة ولصحبه في الجنة لا بد أن تحقق الهجرة إلى الله (جل وعلا) وذلك بأن تمثل لأمره وأن تنتهي عما نهى الله عنه.. ولا بد أن تهجر إلى رسول الله ﷺ وذلك بأن تحبه وتتبع سنته وتعيش على هديه ﷺ.

* قال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ﷺ» (٣).

- قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): وهذه سهلة بالدعوى واللسان وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان.. والرضا بنبيه رسولاً يتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه.

(١) حسن: رواه الحاكم (٩٥/٤) وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠٠٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٥٦/٥) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٠٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٤) كتاب الإيمان.

قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (١).

فكيف بقاء الله (جل وعلا)

فإن كنت على استعداد لأن تبذل وتضحى وتقف على بساط الطاعة والاتباع من أجل لقاء النبي ﷺ على الحوض.. فكيف تصنع إذا كنت تعلم أنك ستلقى الله وستقف بين يديه في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وأخيراً

* أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

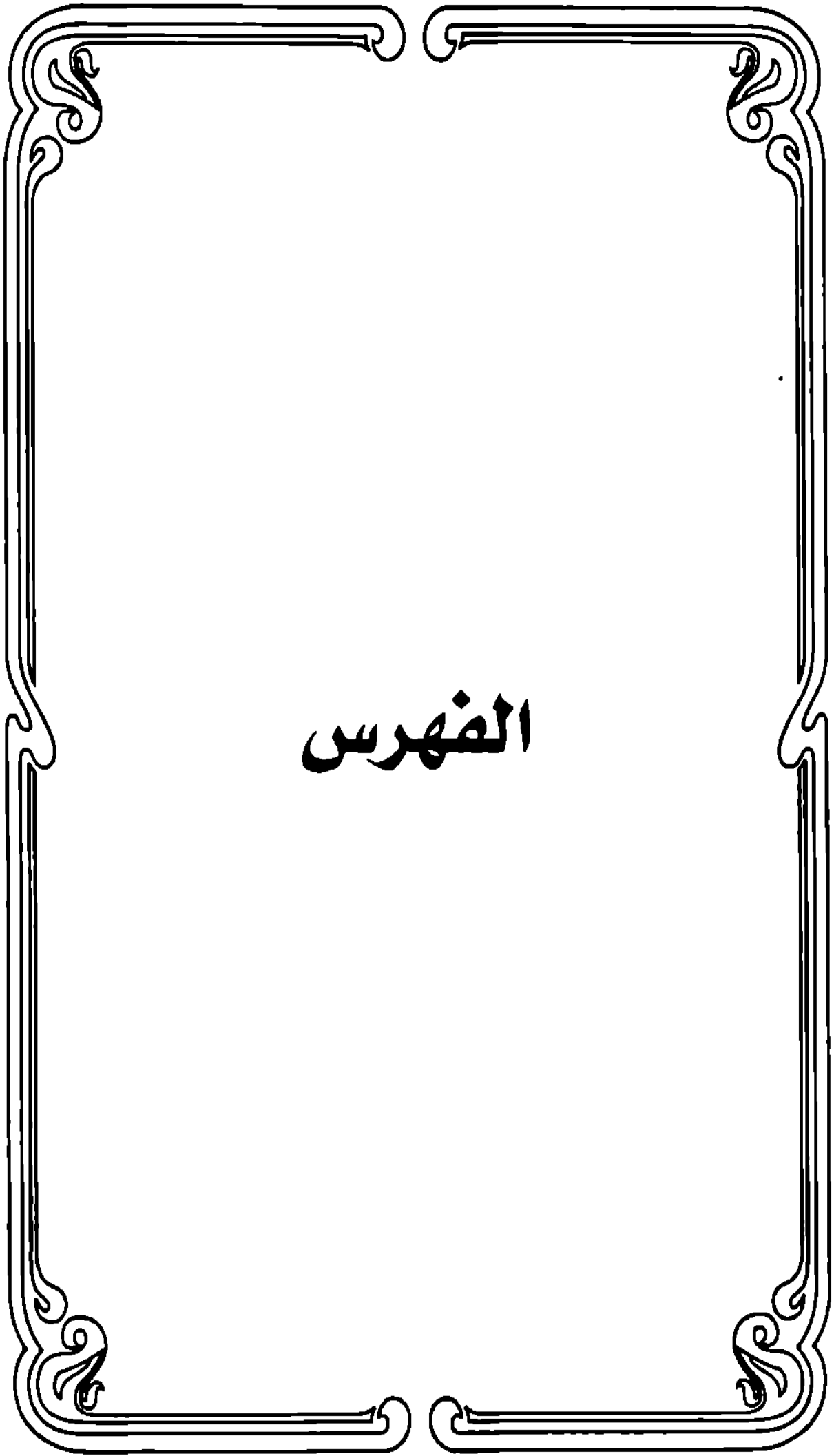
هل يستطيع أحدنا أن يعصى الله إذا كان النبي ﷺ واقفاً بجواره..
هل تستطيع أن تنظر نظرة محرمة والنبي ﷺ بجوارك.. هل تستطيع أن تأكل حراماً والنبي ﷺ يراك.. هل تستطيع أن تشهد شهادة زورٍ والنبي ﷺ معك؟

فمن باب أولى أن تستحضر رقابة الله (جل وعلا) وأن تخشى الله في السر والعلن لتفوز برضوانه وجنته وبصحبة الحبيب ﷺ في الجنة.
- فاللهم ارزقنا صحبة النبي ﷺ في الفردوس الأعلى.



(١) سورة الاحزاب: الآية: (٦).

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة



**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	* مقدمة الناشر
٧	* بين يدي الكتاب
	النبي ﷺ وإدخال السرور على الآخرين
١٢	* احمل البشري للناس من حولك
١٣	* الاهتمام بمشاعر الناس والفرح لفرحهم
١٦	* أخبر الناس بحبك لهم
١٨	* كُنْ لِمَا حَا
٢١	* احرص على مواساة الناس من حولك
٢١	* أنواع المواساة
٢٣	* بل هذا حال سلفنا الصالح مع المواساة
٢٣	* إزرع الفرحة في قلوب الناس
٢٥	* ابتسم ثم ابتسم
٢٥	* الابتسامه أنواع .. ومراتب
٢٧	* تهادوا تحابوا
٢٩	* إدخال السعادة على الفقراء
٢١	* فكرة طيبة
٢٢	* لا تنسَ أهل بيتك
٢٢	* إدخال السعادة على المذنبين
٢٥	* لا تحقرن من المعروف شيئاً
٢٦	* فليُسعِدِ النطق إن لم تُسعِدِ الحال
	مواقف بكى فيها النبي ﷺ
٤٢	* لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
٤٢	* كان بكاء النبي ﷺ في ثلاثة أحوال
٤٣	* أولاً: بكأوه عند فراق الأحباب

- ٤٢ * وفاة أمه عليه الصلاة والسلام
- ٤٥ * وفاة جده عبد المطلب
- ٤٥ * وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت
- ٤٦ * ويزداد الحب يوماً بعد يوم
- ٤٧ * عام الحزن
- ٤٩ * وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ
- ٥٠ * وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ
- ٥١ * وفاة جميع أبنائه في حياته إلا فاطمة رضي الله عنها
- ٥٢ * وفاة حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ
- ٥٢ * وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه
- ٥٣ * حزن النبي ﷺ على قواده الثلاثة في سرية مؤتة
- ٥٤ * تعيين القادة الثلاثة
- ٥٤ * أهل المدينة يودعون الجيش
- ٥٤ * المفاجأة الكبرى
- ٥٥ * وبدأ القتال
- ٥٧ * النبي ﷺ ينعى القادة الثلاثة للناس
- ٥٧ * حزن النبي ﷺ على جعفر رضي الله عنه
- ٥٨ * حزن النبي ﷺ على زيد بن حارثة
- ٥٩ * عزاء لمن مات له حبيب
- ٦٢ * ثانياً: بكاء النبي ﷺ عند هجر الأوطان
- ٦٥ * خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة
- ٦٥ * ثالثاً: بكاء النبي ﷺ من خشية الله (جل وعلا)

رفق النبي ﷺ بالمذنبين

- ٧١ * رفقاً بالمذنبين
- ٧٢ * صور من رفق النبي ﷺ
- ٧٥ * الهداية منحة ربانية
- ٧٦ * انقذوا السفرى
- ٧٧ * لا تُقنط أحداً من رحمة الله (جل وعلا)

- ٧٨ * لو تاب المذنبون لكان خيراً للأمة كلها
- ٨٠ * لن تعدم الخير في أى مسلم
- ٨٠ * أما آن الأوان لأن تتوب؟
- ٨٢ * احذر... فالمعاصي تزرع أمثالها
- ٨٤ * لا تلعنه.. إنه يحب الله ورسوله
- ٨٥ * قصة الحية والسكران
- ٨٦ * قبل أن تُحاسبوا
- ٨٨ * باب التوبة مفتوح
- ٩٠ * الله يفرح بتوبتك
- ٩١ * مشهد عظيم لفرحة الرب بتوبة العبد
- ٩٢ * فوائد ترك الذنوب والمعاصي
- ٩٤ * الأمور التي تعين على التوبة

رفق النبي ﷺ بالمخطئين

- ١٠٠ * الخطأ من صفة البشر
- ١٠٠ * الأشياء التي ينبغي أن نراها عند معالجة الأخطاء
- ١٠١ (١) إخلاص النية لله (جل وعلا)
- (٢) أن يكون تصحيح الأخطاء مبنياً على الدليل الشرعي وليس صادراً عن جهلٍ أو هوى
- ١٠١ (٣) العدل وعدم المحاباة في تصحيح الأخطاء
- ١٠٢ (٤) أن نعلم أن الخطأ من طبيعة البشر
- ١٠٣ (٥) ألا يترتب على إصلاح الخطأ خطأ أكبر
- ١٠٤ (٦) التفريق بين من يخطئ في حق شخص وبين من يخطئ في حق الشرع
- ١٠٥ * عفوهُ ﷺ عن اليهودي الذي سحره
- ١٠٦ * عفوهُ ﷺ عن اليهودية التي وضعت له السم في الشاة
- ١٠٦ * عفوهُ ﷺ عن الرجل المشرك الذي أراد قتله
- ١٠٧ (٧) أن يكون الاعتناء بتصحيح الأخطاء التي تتعلق بالعقيدة أعظم من الاعتناء بتصحيح سائر الأخطاء
- ١٠٧ (٨) التفريق بين من يخطئ عن اجتهاد وبين من يخطئ عمداً

- (٩) مراعاة أن هناك بعض الأخطاء لا يمكن إزالتها بالكلية لأنها تتعلق بأصل الخلقة ١١٠
- (١٠) ينبغي التفريق بين من يقع منه الخطأ مراراً وبين من يقع منه الخطأ لأول مرة ١١١
- (١١) ينبغي أن نفرق بين من يجاهر وبين من يستر ١١٢
- (١٢) أن المخطئ إذا كان مريداً للخير فإن هذا لا يمنع من الإنكار عليه ١١٢
- (١٣) إذا كان المخطئ صغيراً في السن فينبغي أن يكون الإنكار بما يتناسب مع سنه ١١٣
- (١٤) ينبغي أن نفرق بين الخطأ الكبير والخطأ الصغير ١١٤
- (١٥) التفريق بين من يخطئ متعمداً ومن يخطئ عن جهل منه ١١٥
- (١٦) التفريق بين المخطئ الذي يُسرف على نفسه في المعاصي وبين المخطئ الذي له سوابق كثيرة في فعل الخير ١١٧
- (١٧) ينبغي أن نراعي من كان دينه رقيقاً ويحتاج إلى تأليف قلبه ١١٨
- (١٨) ينبغي أن نحذر عند الإنكار على النساء الأجنبية ١١٨
- (١٩) استثمار مكانتك وسلطانك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١١٩
- (٢٠) ينبغي أن نعطي المخطئ وقتاً كافياً لتصحيح الخطأ ١٢٠
- * وأخيراً ١٢١
- النبي ﷺ وصلاة الفجر**
- * من ترك شيئاً لله ١٢٥
- * هل صلاة الفجر فوق طاقة العبد؟ ١٢٦
- * أين همته؟ ١٢٦
- * من سيربح المليون؟ ١٢٧
- * صلاة الفجر مفتاح النصر ١٢٧
- * فضائل وثمرات صلاة الفجر ١٢٨
- (١) قربة إلى الله تعالى ١٢٨
- (٢) صلاة الفجر تشهدا للملائكة ١٢٩
- (٣) من صلى الفجر في جماعة كان في ذمة الله ١٢٩
- * قصة طريفة ١٣٠

- (٤) من صلى الصبح برئ من النفاق ١٣١
- (٥) كُتِبَ من الأبرار و كُتِبَ في وفد الرحمن ١٣١
- (٦) من صلى الفجر والعشاء كُتِبَ له قيام ليلة كاملة ١٣٢
- (٧) كأنه امتلك كل ما في الكون وتصدقَّ به ١٣٢
- (٨) أن البركة في البكور ١٣٣
- (٩) يفوز كل يوم بحجة وعمرة ١٣٣
- (١٠) تدعو له الملائكة ١٣٤
- (١١) يُسخرُ الله له ملكاً خاصاً يحرسه ١٣٤
- (١٢) يعطيه الله النور التام يوم القيامة ١٣٥
- (١٣) أمان من عذاب الله ١٣٥
- (١٤) عهدٌ بدخول الجنة ١٣٦
- (١٥) قد يظفر بلذة النظر إلى وجه الله ١٣٦
- * صفات جيل التمكين ١٣٧
- * عقوبة من يترك صلاة الفجر ١٣٨
- (١) يُحرَمُ من أن يكون في ذمة الله وحمايته ١٣٨
- (٢) يُحرَمُ من بركة البكور ١٣٨
- (٣) يُحرَمُ من أجر قيام ليلة كاملة ١٣٨
- (٤) يستهزئ به الشيطان ١٣٩
- (٥) يُحرَمُ من دعاء الملائكة ١٣٩
- (٦) يُحرَمُ من أجر حجة وعمرة تامة ١٣٩
- (٧) يُضربُ على قلبه النفاق ١٣٩
- (٨) يُضربُ عليه الكسل ويشعر بضيق في صدره ١٤٠
- (٩) يُعرضُ نفسه لعذاب القبر ١٤٠
- (١٠) يُحرَمُ من هذا الأمان من النار ١٤٠
- (١١) يُحرَمُ من هذا العهد بدخول الجنة ١٤١
- (١٢) يُحرَمُ من النور التام يوم القيامة ١٤١
- (١٣) يُخشى أن يُحرَمَ من لذة النظر إلى وجه الله تعالى ١٤١
- * الأسباب المعينة على صلاة الفجر ١٤٢

- ١٤٢ (١) الاستعانة بالله
- ١٤٢ (٢) الإخلاص
- ١٤٢ (٣) العزيمة الصادقة
- ١٤٢ (٤) التفكير فيما أعده الله للمحافظين على صلاة الفجر
- ١٤٢ (٥) التفكير فيما أعده الله للمتهاونين في صلاة الفجر
- ١٤٢ (٦) البعد عن الذنوب والمعاصي
- ١٤٢ (٧) الصحة الصالحة
- ١٤٢ (٨) النوم بطريقة النبي ﷺ
- ١٤٤ (٩) التخفف من الطعام والشراب
- ١٤٤ (١٠) الأخذ بالأسباب

النبي ﷺ .. والخشوع في الصلاة

- ١٤٧ * نعمة الخشوع
- ١٥٠ * حكم الخشوع
- ١٥١ * إخفاء الخشوع
- ١٥٢ * مراتب الناس في الصلاة
- ١٥٢ * الخشوع و روحانيات العبد في صلاته
- ١٥٥ * مقارنة عابرة
- ١٥٥ * الخشوع روح الصلاة
- ١٥٦ * لقاء مع الملك
- ١٥٦ * الالتفات في الصلاة قسمان
- ١٥٦ (١) الالتفات القلب إلى غير الله
- ١٥٦ (٢) الالتفات البصر
- ١٥٦ * وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين
- ١٥٧ * النبي ﷺ يستعيز بالله من قلب لا يخشع
- ١٥٧ * تذكر نعم الله عليك
- ١٥٨ * وبدأت رحلة الخشوع
- ١٥٨ * الوضوء
- ١٥٩ * التكبير

- ١٥٩ * قراءة الفاتحة
- ١٥٩ * موافقة تأمين الملائكة
- ١٦٠ * قراءة سورة من القرآن
- ١٦٠ * الركوع
- ١٦٠ * التسبيح
- ١٦١ * الوقوف
- ١٦١ * السجود
- ١٦٢ * اسجد مرة أخرى
- ١٦٢ * التشهد
- ١٦٢ * التسليم
- ١٦٣ * أذكار الصلاة
- ١٦٣ * كيف نخشع في صلاتك
- ١٦٣ * الاستعانة بالله (جل وعلا)
- ١٦٣ * الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم
- ١٦٥ * البعد عن المعاصي
- ١٦٥ * حفظ اللسان
- ١٦٥ * البعد عن المظالم
- ١٦٥ * أن تُخرج الدنيا من قلبك
- ١٦٥ * تذكر الموت في الصلاة
- ١٦٦ * الصدقة
- ١٦٦ * الاستعداد للصلاة والتهيؤ لها
- ١٦٦ * الطمأنينة في الصلاة
- ١٦٧ * الصلاة إلى سُترة والدنو منها
- ١٦٧ * وضع اليمنى على اليسرى على الصدر
- ١٦٨ * النظر إلى موضع السجود
- ١٦٨ * تدبر الآيات المقروءة وبقية أذكار الصلاة والتفاعل معها
- ١٦٩ * أن يقطع قراءته آية آية
- ١٦٩ * ترتيل القراءة وتحسين الصوت بها

- * أن يعلم أن الله يُجيبه في صلاته ١٧٠
- * التنوع في السور والآيات والأذكار والأدعية في الصلاة ١٧٠
- * أن يأتي بسجود التلاوة إذا مرّ بموضعه ١٧١
- * التأمل في حال اللف في صلاتهم ١٧١
- * معرفة مزايا الخشوع في الصلاة ١٧٣
- * الاجتهاد بالدعاء في مواضعه في الصلاة وخصوصاً في السجود ١٧٤
- * تحريك السبابة ١٧٤
- * الأذكار الواردة بعد الصلاة ١٧٥
- * ثانياً: دفع الموانع والشواغل التي تصرف عن الخشوع وتكدر صفوه... ١٧٥
- * إزالة ما يشغل المصلي من المكان ١٧٥
- * أن لا يصلى في ثوب فيه نقوش أو كتابات أو ألوان أو تصاوير تشغله.. ١٧٦
- * أن لا يصلى وبحضرته طعام يشتهي ١٧٦
- * أن لا يصلى وهو حاقن أو حاقب ١٧٧
- * أن لا يصلى وقد غلبه النعاس ١٧٧
- * ألا يصلى خلف المتحدث أو «النائم» ١٧٨
- * عدم الانشغال بتسوية الحصى ١٧٨
- * عدم التشويش بالقراءة على الآخرين ١٧٩
- * ترك الالتفات في الصلاة ١٧٩
- * عدم رفع البصر إلى السماء ١٨٠
- * ألا ييصق أمامه في الصلاة ١٨٠
- * مجاهدة الثأوب في الصلاة ١٨١
- * عدم الاختصار في الصلاة ١٨١
- * ترك السدل في الصلاة ١٨١
- * ترك التشبه بالبهائم ١٨٢
- * وأخيراً ١٨٢

النبي ﷺ .. ونعمة الصبر على المرض

- * الابتلاء سنة ثابتة ١٨٦
- * فوائد الأمراض .. والحكمة منها ١٨٧

- (١) تكفير الذنوب والسيئات ١٨٨
- (٢) استخراج عبودية الضراء (وهى الصبر) ١٨٩
- (٣) إيقاظ العبد من غفلته ١٨٩
- (٤) صحة وطهارة القلوب والأرواح ١٨٩
- (٥) أن يعلم العبد قدر النعمة ١٩٠
- (٦) أن تتذكر حال إخوانك المرضى ١٩٠
- (٧) النجاة من النار ١٩١
- (٨) دخول جنة الرحمن (جل وعلا) ١٩١
- (٩) رفع الدرجات ١٩١
- * من يرد الله به خيراً يُصب منه ١٩٢
- * الأسباب التي تعينك على الصبر ١٩٤
- (١) الفور بمعية الله ومحبه ١٩٤
- (٢) الفور بالصلاة والرحمة والهدى من الله ١٩٤
- (٣) التأسى بأهل المصائب ١٩٥
- (٤) العلم بأن المرض مُقدَّر من عند الله ١٩٦
- (٥) أن تعلم أن الله أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع ١٩٦
- (٦) التوكل على الله والاستعانة بالصبر والصلاة ١٩٧
- (٧) أن ترضى باختيار الله لك ١٩٧
- (٨) أن تتذكر فوائد المرض وثمراته ١٩٧
- (٩) أن تعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها ١٩٨
- (١٠) أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك ١٩٨
- (١١) أن المرض يخلصك من الكبر والعجب ١٩٨
- (١٢) قد يكون الخير كله في هذا المرض ١٩٩
- (١٣) أن تنظر إلى ما أبقاه الله عليك من النعم ١٩٩
- (١٤) التحصن بالعلم النافع ٢٠٠
- (١٥) التعرف على فضيلة الصبر ٢٠٠
- (١٦) معرفة أحوال السلف الصالح عند المرض ٢٠١
- (١٧) أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار ٢٠١

- (١٨) أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ٢٠١
- (١٩) أن تتذكر ما في البلاء من اللطائف والفوائد ٢٠٢
- (٢٠) أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن في الدين ٢٠٢
- (٢١) أن تعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان ٢٠٣
- (٢٢) أن تتذكر الموت ٢٠٤
- (٢٣) انتظار الفرج من عند الله (جل وعلا) ٢٠٤
- (٢٤) أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة ٢٠٤
- (٢٥) أن تستحضر هذا المشهد المهيّب ٢٠٥
- (٢٦) أن تتذكر عذاب أهل النار ٢٠٥
- (٢٧) التطلع إلى نعيم الجنة ٢٠٥
- * لا تخف من الموت بسبب المرض ٢٠٧
- * لا تستسلم للمرض ... وأحسن الظن بالله ٢٠٨
- * لا تخزن أيها المريض ... فأجرك لا ينقص ٢٠٩
- * أضحى المريض ... أبشر بكل خير ٢١٠
- * فضل عيادة المريض ٢١١
- * ما يدعى به للمريض ٢١٤
- * آداب عيادة المريض ٢١٧
- * الأدب الأول: النية الصالحة ٢١٧
- * الأدب الثاني: أن لا يتأخر في الذهاب لعيادته ٢١٧
- * الأدب الثالث: عيادة المريض في وقت لا يشق عليه ٢١٧
- * الأدب الرابع: سؤال أهل المريض عنه وعن صحته ٢١٨
- * الأدب الخامس: القعود عند رأس المريض ٢١٨
- * الأدب السادس: سؤال المريض عن حاله ٢١٨
- * الأدب السابع: تبشير المريض بثواب المرض ٢١٨
- * الأدب الثامن: تذكير المريض بوجوب الصبر على القضاء وأمره بالرضا ٢١٩
- * الأدب التاسع: وضع اليد على المريض ٢١٩
- * الأدب العاشر: الدعاء للمريض ورقته ٢١٩
- * الأدب الحادي عشر: النصح للمريض بعدم الشكوى متسخطاً ٢١٩

- * الأدب الثاني عشر: نهى المريض عن تمنى الموت ٢١٩
- * الأدب الثالث عشر: تذكير المريض بإحسان الظن بالله تعالى ٢١٩
- * الأدب الرابع عشر: تذكيره بالوصية ٢١٩
- * الأدب الخامس عشر: عدم التطويل في المكث عند المريض ٢٢٠
- * الأدب السادس عشر: وصية أهله بالصبر على خدمته والإحسان إليه .. ٢٢٠
- * الأدب السابع عشر: تكرار الزيارة مراراً ٢٢٠

مواقف عفا فيها النبي ﷺ

- * نعمة العفو ٢٢٢
- * النبي ﷺ يحض الأمة على العفو ٢٢٥
- * هذا هو النبي ﷺ ٢٢٦
- * صور مشرقة من عفو النبي ﷺ ٢٢٧
- * فأعرض عنهم ٢٣٠
- * قابل الإساءة بالإحسان ٢٣١
- * حكاية صياد السمك ٢٣٥
- * هيا نفتح صفحة العفو من جديد ٢٣٦
- * من فوائد العفو والغفران ٢٣٧

النبي ﷺ والخوف من المظالم

- * زمن المظالم ٢٤١
- * الظلم إيدان بهلاك الأمم ٢٤٥
- * أنواع الظلم ٢٤٧
- * الجهل والظلم .. أصل كل شر ٢٤٨
- * خوف النبي ﷺ من المظالم ٢٤٩
- * خوف الصحابة والتابعين من المظالم ٢٥٠
- * وأنا والله ما نسيها بعد!!!!!! ٢٥٠
- * يا عمر.. عدلت فأمنت فمنت!!! ٢٥٠
- * رحلة العدل مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ٢٥١
- * حصن مدينتك بالعدل ونق طرقتها من الظلم ٢٥٢
- * ذهبت لذات الظالمين بما ظلموا ٢٥٢

- * الدواوين عند الله ثلاثة ٢٥٤
- * إذا أوديت فتذكّر تلك المشاهد ٢٥٥
- * ومن مشاهد التوحيد في أذى من يؤذيك ٢٥٦
- * لا تخزن أيها المظلوم فالله ناصرك ٢٥٨
- * وبالمثال يتضح المقال ٢٥٩
- * حكاية صياد السمك ٢٦٢
- * كسرى والمرأة العجوز ٢٦٤
- * ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ٢٦٥
- * كما تدين تُدان ٢٦٦
- * إن في ذلك لعمرة ٢٦٩
- * قصة مؤثرة ٢٧١
- * من مغبة الظلم ٢٧٨
- * لا ظلم اليوم ٢٧٩
- * وأخيراً ٢٨٢

النبي ﷺ .. والإحسان إلى اليتامى

- * حق اليتيم ٢٨٦
- * وقفة لطيفة ٢٨٧
- * يُتم النبي ﷺ كان تشریفًا لكل يتيم إلى قيام الساعة ٢٨٧
- * الحث على كفالة اليتيم والإحسان إليه ٢٨٨
- * لا يُطعم اليتيم إلا المخلصون الذين يرثون الجنة ٢٨٩
- * نبيان يقيمان جداراً ليتيمين! فأين من يتأسى بهما؟! ٢٨٩
- * ثمرات وفضائل كفالة اليتامى ٢٩٠
- ١- كفالة اليتيم والإحسان إليه امثال لأمر الله ٢٩٠
- ٢- إكرام لمن شارك رسول الله ﷺ في صفة اليتيم ٢٩٠
- ٣- تحل البركة على من يكفلون اليتامى ٢٩٠
- ٤- من أراد أن يلين قلبه ويدرك حاجته فليرحم اليتيم وليمسح رأسه
وليطعمه من طعامه ٢٩١
- ٥- كفالة اليتيم من الأخلاق الحميدة التي أقرها الإسلام وامتدح أهلها ٢٩٢

- ٢٩٢ ٦- سلامة المجتمع من الحقد والكراهية
- ٢٩٢ ٧- دليل على صلاح المرأة التي أوقفت حياتها على كفالة أيتامها
- ٢٩٢ ٨- الفوز بالحسنات بالمسح على رأس اليتيم
- ٢٩٤ ٩- الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله
- ٢٩٤ ١٠- صحبة النبى ﷺ فى الجنة
- ٢٩٥ * اليتيم يأخذ بيدك إلى الجنة
- ٢٩٦ * صور مشرقة من الإحسان إلى اليتامى
- ٢٩٦ * قصة تملأ القلب نوراً
- ٢٩٧ * قصة المرأة العلوية
- ٢٩٩ * قصة عجيبة
- ٣٠١ * ووقفات هامة

النبى ﷺ ... وصحبة الصالحين

- ٣٠٩ * اصحب الاخيار حتى لا تحزن
- ٣١١ * الناس كمعادن الارض
- ٣١٢ * لن نجد صديقاً مثاليًا ... فلا تحزن
- ٣١٥ * ترك المعاتبه من المروءة
- ٣١٧ * كُن سليم الصدر لإخوانك
- ٣١٩ * إن سلامة صدرك لإخوانك سبب فى دخول الجنة
- ٣٢١ * فضائل الأخوة فى الله
- ٣٣٠ * أسباب تقوية الأخوة والمحبة
- ٣٣٠ (١) إخبار من تحبه بأنك تحبه فى الله
- ٣٣٠ (٢) القصد فى الحب والبفض
- ٣٣٠ (٣) قضاء حوائج إخوانك وإدخال السرور عليهم
- ٣٣١ (٤) إفشاء السلام
- ٣٣١ (٥) كثرة الهدايا بين الإخوة
- ٣٣١ (٦) حسن الظن بإخوانك
- ٣٣١ (٧) تخول الزيارة
- ٣٣٢ (٨) الحرص على الطاعة وترك المعصية

النبي ﷺ ... والإحسان إلى الجار

- * حق ضائع ٢٢٧
- * مكانة الجار في الجاهلية والإسلام ٢٢٨
- * الجيران ثلاثة ٢٢٩
- * منزلة الجار في الإسلام ٢٢٩
- * حقوق الجار ٢٤٢
- * الحق الأول: الإحسان إليه ٢٤٢
- * الحق الثاني: أن يحب لجاره ما يحب لنفسه من الخير ٢٤٢
- * الحق الثالث: أن يؤدي إليه كل حقوق المسلم على أخيه المسلم ٢٤٢
- * الحق الرابع: كف الأذى عنه ٢٤٢
- * الحق الخامس: احتمال الأذى ٢٤٥
- * الحق السادس: تعظيم حرمة الجار وصيانة عرضه وعدم خيانه ٢٤٥
- * الحق السابع: مواساته بالمال إذا احتاج أو افتقر ٢٤٧
- * الحق الثامن: مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيراً ٢٤٨
- * الحق التاسع: مشاركته في أفراحه وأحزانه ٢٤٨
- * الحق العاشر: النصح له، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ٢٤٨
- * الحق الحادي عشر: أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه ٢٤٩
- * الحق الثاني عشر: ألا يمنع جاره من غرس خشبة في جداره ٢٤٩
- * الحق الثالث عشر: عدم استتالة البنيان بحيث يحجب الشمس والهواء عن جاره ٢٤٩
- * صور مشرقة من قصص الصالحين مع جيرانهم ٢٥١
- * وأخيراً ٢٥٢

النبي ﷺ وإكرام الضيف

- * حق الضيف ٢٥٨
- * النبي ﷺ يحث الأمة على إكرام الضيف ٢٥٨
- * حق الضيف عظيم ٣٦٠
- * الناس مع الأضياف على قسمين ٣٦١
- * النفس مجبولة على كراهية من لم يكرمها ٣٦٢

- * الضيف الكافر له حق ٣٦٢
- * صور مشرقة من كرم الانبياء والصحابه لاضيفهم ٣٦٤
- * ابراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) ٣٦٤
- * يوسف عليه السلام ٣٦٥
- * وهذا سيد ولد آدم ﷺ ٣٦٥
- * ابو بكر الصديق رضي الله عنه ٣٦٦
- * ابو ايوب الانصارى يضيف رسول الله ﷺ ٣٦٦
- * آداب الضيافة ٣٦٦
- * القسم الاول ٣٦٧
- * آداب تتعلق بصاحب الضيافة ٣٦٧
- * الادب الاول: النية الصالحة ٣٦٧
- * الادب الثانى: عدم التكلف للضيف ٣٦٧
- * الادب الثالث: حسن استقبال الضيف ٣٦٧
- * الادب الرابع: استعمال اطيب الكلمات فى محادثتهم ٣٦٨
- * الادب الخامس: اجلاس الضيف فى مكان لائق ٣٦٨
- * الادب السادس: الا تخلص ضيفاً بالحديث دون سائر الضيوف ٣٦٨
- * الادب السابع: تعجيل الضيافة وتقديم الطعام على وجه السرعة ٣٦٩
- * الادب الثامن: إحضار الطعام للضيف فى مكانه ٣٦٩
- * الادب التاسع: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً ٣٧٠
- * الادب العاشر: أن يقدم الطف الوان الطعام ٣٧٠
- * الادب الحادى عشر: خدمة صاحب البيت الضيوف بنفسه ٣٧٠
- * الادب الثانى عشر: عدم رفع الطعام حتى يشبع الضيف ٣٧١
- * الادب الثالث عشر: أن يكون الطعام كافياً للضيوف ٣٧١
- * الادب الرابع عشر: أن يتجمل لاستقبال ضيوفه ٣٧١
- * الادب الخامس عشر: الا ينسى اقاربه ٣٧٢
- * الادب السادس عشر: عدم دعوة اهل البدع ٣٧٢
- * الادب السابع عشر: اهتمام الزوجة بأضياف زوجها ٣٧٢
- * الادب الثامن عشر: عدم النظر إلى طعام الضيف ٣٧٢

- * الأدب التاسع عشر: تقسيم الطعام على الضيوف..... ٢٧٢
- * الأدب العشرون: يجوز أن تترك الأضياف يأكلوا وحدهم إن أرادوا ذلك ٢٧٢
- * الأدب الحادي والعشرون: يجوز أن ترسل أضيافك إلى غيرك إذا لم يكن عندك طعام..... ٢٧٢
- * الأدب الثاني والعشرون: الإحسان إلى الضيف مدة إقامته..... ٢٧٤
- * الأدب الثالث والعشرون: إعطاء الضيف حقه..... ٢٧٤
- * الأدب الرابع والعشرون: خروج صاحب البيت مع ضيفه إلى الباب مودعاً..... ٢٧٥
- * الأدب الخامس والعشرون: تقديم هدية للضيف..... ٢٧٥
- * الأدب السادس والعشرون: الدعاء له بالخير وتذكيره بالله..... ٢٧٥
- * الأدب السابع والعشرون: عدم الدخول وإغلاق الباب إلا بعد انصرافه..... ٢٧٦
- * القسم الثاني آداب الضيف..... ٢٧٦
- * الأدب الأول: إجابة الدعوة إذا دُعِيَ..... ٢٧٦
- * الأدب الثاني: ألا يتربص وقت طعامهم..... ٢٧٦
- * الأدب الثالث: أن يكون مدخله مدخل خير على أهل البيت..... ٢٧٦
- * الأدب الرابع: التأدب بآداب الاستئذان والزيارة..... ٢٧٧
- * الأدب الخامس: أن يُسمى الله عند دخول البيت..... ٢٧٧
- * الأدب السادس: أن يلتزم الضيف آداب الحضور..... ٢٧٧
- * الأدب السابع: ألا يقترح الضيف طعاماً بعينه..... ٢٧٨
- * الأدب الثامن: غض البصر..... ٢٧٨
- * الأدب التاسع: حفظ السمع..... ٢٧٨
- * الأدب العاشر: ألا يثير الفتن بين أفراد الأسرة..... ٢٧٩
- * الأدب الحادي عشر: ألا يتناجى إلا بالبر والتقوى..... ٢٧٩
- * الأدب الثاني عشر: أن يحذر من الغيبة والنميمة..... ٢٧٩
- * الأدب الثالث عشر: ألا يخلو بامرأة أخيه..... ٢٨٠
- * الأدب الرابع عشر: إذا قُرب إليه الطعام فليأكل..... ٢٨٠
- * الأدب الخامس عشر: ألا يعيب الضيف طعاماً قط..... ٢٨٠
- * الأدب السادس عشر: لزوم الضيف آداب الأكل والشرب..... ٢٨١

- * الأدب السابع عشر: أن يحمد الله بعد الطعام أو الشراب ٢٨١
- * الأدب الثامن عشر: إذا كان صائماً صيام تطوع فله أن يتم صومه وله أن يفطر ٢٨١
- * الأدب التاسع عشر: ألا يثقل على صاحب الضيافة حتى يُخرجه ٢٨١
- * الأدب العشرون: أن يشكر الضيف صاحب الضيافة ٢٨٢

النبي ﷺ وإخلاص النصيحة

- * مكانة النصيحة في الإسلام ٢٨٦
- * بذل النصيحة من صفات الأنبياء ٢٨٨
- * النبي ﷺ يبذل للأمة النصيحة الخالصة ٢٩٠
- * وها هو ﷺ يعلمهم بذل النصيحة ٢٩٠
- * مبايعة على النصح لكل مسلم ٢٩١
- * من روائع نصح النبي ﷺ ٢٩٢
- * منزلة حديث (الدين النصيحة) ٢٩٩
- * الدروس المستفادة من حديث «الدين النصيحة» ٤٠٢
- * نصيحة غالية من إبراهيم بن أدهم ٤٠٣
- * اجعل لسانك عذباً ٤٠٤
- * اقبل نصيحة إخوانك ٤١١
- * آداب النصيحة ٤١٣
- (١) أن تكون النصيحة خالصة لوجه الله ٤١٣
- (٢) أن تكون عن دراية وعلم ٤١٣
- (٣) أن يتحلى الناصح بخلق الرفق ٤١٣
- (٤) اختيار الأسلوب المناسب للنصيحة ٤١٤
- (٥) أن لا يكون الهدف منها التشهير أو الانتقاص ٤١٤
- (٦) أن تشمل النصيحة أمر الدين والدنيا ٤١٥
- (٧) لا تنصح أخاك إلا سراً ٤١٥
- (٨) على الناصح أن يتخلق بخلق الصبر ٤١٦
- * ثمرة غالية ٤١٦
- * من فوائد النصيحة والتواصي ٤١٧

- النبي ﷺ ولذة الذكر**
- ٤٢١ * لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله
- ٤٢٤ * ألا بذكر الله تطمئن القلوب
- ٤٢٥ * أفضل الذكر وأنفعه
- ٤٢٥ * الذكر والشكر
- ٤٢٦ * في رحاب الذاكرين
- ٤٣٠ * فضائل وثمرات الذكر
- ٤٣٠ -١ أن الله يذكر من يذكره
- ٤٣٠ -٢ يجعلك في معية الله (جل وعلا)
- ٤٣١ -٣ الفوز بحبة الله (جل وعلا)
- ٤٣١ -٤ الله يباهى بك الملائكة
- ٤٣٢ -٥ الفوز برضوان الله (جل وعلا)
- ٤٣٢ -٦ صلاة الله وملائكته على أهل الذكر
- ٤٣٢ -٧ سبب للفلاح في الدنيا والآخرة
- ٤٣٢ -٨ حرر من الشيطان
- ٤٣٣ -٩ يطرد الشيطان
- ٤٣٤ -١٠ أنه يحل عقْد الشيطان
- ٤٣٤ -١١ أنه يُزيل الهم والغم
- ٤٣٤ -١٢ أنه بذكر الله تطمئن القلوب
- ٤٣٥ -١٣ الذكر حياة للقلوب والأبدان
- ٤٣٥ -١٤ بالذكر تُغفر الذنوب
- ٤٣٦ -١٥ أهل الذكر هم السابقون
- ٤٣٧ -١٦ تحفك الملائكة وتنزل عليك السكينة
- ٤٣٧ -١٧ بالذكر تُقبل الصلوات وتُستجاب الدعوات
- ٤٣٧ -١٨ تُفتح أبواب السماء
- ٤٣٨ -١٩ ترطيب اللسان
- ٤٣٨ -٢٠ زيادة الإيمان
- ٤٣٩ -٢١ الفوز بكنز من كنوز الجنة

- ٢٢- من أسباب الثبات والنصر
- ٢٣- ذكر الله يُسهل الصعب وَييسر العسير
- ٢٤- الذّاكر لا يُردّ دعاؤه
- ٢٥- يعصمك الله من الوقوع في المعاصي
- ٢٦- يدفع الله عنك العذاب
- ٢٧- الذّاكر يعينك على أعباء الحياة ويعطيك القوة
- ٢٨- الذّاكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل للجهاد
في سبيل الله
- ٢٩- الملائكة تبنى للذاكر دوراً في الجنة وتفرس له نخلاً
- ٣٠- أنه يجلب الرزق
- ٣١- أنه سبب للنور بحفظ الله
- ٣٢- أنه سبب للنجاة من عذاب الله
- ٣٣- أن يسعد به جليسه
- ٣٤- أنه أمان من الحسرة يوم القيامة
- ٣٥- أن دوام الذّاكر يوجب الأمان من نسيانه
- ٣٦- علاج لقسوة القلب
- ٣٧- أن الذّاكر نورٌ للذاكر في الدنيا والآخرة
- ٣٨- أن الذّاكر يجعلك في جنة الدنيا
- ٣٩- إدامة الذّاكر تنوب عن التطوعات
- ٤٠- أنه سبب للأمان
- ٤١- الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب
- ٤٢- الملائكة تتنافس على رفع الذّاكر
- ٤٣- الذّاكر يحفظ عليك ولدك
- ٤٤- الذّاكر يحفظ عليك جوارحك
- ٤٥- الذّاكر يحفظ عليك طعامك
- ٤٦- سبب لإنجاب الذرية
- ٤٧- أهل الذّاكر في أمان من أهوال يوم القيامة
- ٤٨- الذّاكر يُثقل الموازين

- ٤٤٨ - أهل الذكر في ظل عرش الرحمن
 ٤٥٠ - الذائر تُرفع درجته في الجنة

بسمه في بيت النبي ﷺ

- * كُن مرحًا تبسم لك الحياة
 * المزاح المعتدل
 * صور من مزاح النبي ﷺ
 * موقف طريف
 * وموقف آخر
 * هذه بتلك
 * اللهم حوالينا ولا علينا
 * وينقسم المزاح إلى قسمين
 * آداب المزاح

النبي ﷺ وفضل الصلاة على النبي

- * الصلاة على النبي ﷺ
 * النبي ﷺ يشاق إليكم فكيف لا تشاقون إليه وتصلون عليه؟
 * مواطن الصلاة على النبي ﷺ
 * المواطن الأول وهو أهمها وأكدها: في الصلاة في آخر التشهد
 * المواطن الثاني من مواطن الصلاة على النبي ﷺ: في التشهد الأول ..
 * المواطن الثالث من مواطن الصلاة عليه ﷺ: آخر القنوت
 * المواطن الرابع من مواطن الصلاة عليه ﷺ: صلاة الجنائز بعد التكبير
 الثانية
 * المواطن الخامس من مواطن الصلاة عليه ﷺ: في الخطب كخطبة
 الجمعة، والعيد، والاستسقاء، وغيرها
 * المواطن السادس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ: بعد إجابة المؤذن
 وعند الإقامة
 * المواطن السابع من مواطن الصلاة على النبي ﷺ: عند الدعاء، وله
 ثلاث مراتب
 * المواطن الثامن من مواطن الصلاة على النبي ﷺ: عند دخول

- المسجد، وعند الخروج منه ٤٧١
- * الموطن التاسع من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : على الصفا والمروة ٤٧١
- * الموطن العاشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند اجتماع القوم قبل تفرقهم ٤٧٢
- * الموطن الحادى عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند ذكره ٤٧٢
- * الموطن الثانى عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند استلام الحجر ٤٧٣
- * الموطن الثالث عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند الوقوف على قبره ٤٧٣
- * الموطن الرابع عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو نحوها ٤٧٣
- * الموطن الخامس عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عقب ختم القرآن ٤٧٣
- * الموطن السادس عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : يوم الجمعة. ٤٧٤
- * الموطن السابع عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند القيام من المجلس ٤٧٤
- * الموطن الثامن عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند الهم، والشدائد، وطلب المغفرة ٤٧٤
- * الموطن التاسع عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند كتابة اسمه ﷺ ٤٧٥
- * الموطن العشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند تبليغ العلم إلى الناس عند التذكير والقصص وإلقاء الدرس، وتعليم العلم، فى أول ذلك وآخره ٤٧٦
- * الموطن الحادى والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : أول النهار وآخره ٤٧٧
- * الموطن الثانى والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند خطبة الرجل المرأة فى النكاح ٤٧٧
- * الموطن الثالث والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : فى كل موطن يُجتمع فيه لذكر الله ٤٧٧

- * المواطن الرابع والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند الحاجة تعرض للعبد ٤٧٨
- * المواطن الخامس والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : في الصلاة في غير التشهد ٤٧٨
- * المواطن السادس والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند كل كلام ذي بال ٤٧٨
- * المواطن السابع والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : في أثناء صلاة العيد ٤٧٨
- * فضائل وثمرات الصلاة على النبي ﷺ ٤٧٩
- * بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ ٤٨٣

النبي ﷺ ونعمة الأمل

- * لا بد من الأمل ٤٨٩
- * ما الأمل؟ ٤٩١
- * طبيعة الأمل ٤٩١
- * الإيمان قرين الأمل ٤٩٣
- * ومن الألم يأتي الأمل ٤٩٥
- * الأمل عند الأنبياء (عليهم السلام) ٤٩٦
- * الأمل عند نبي الله نوح عليه السلام ٤٩٦
- * الأمل عند نبي الله إبراهيم عليه السلام ٤٩٧
- * الأمل عند نبي الله موسى عليه السلام ٤٩٩
- * الأمل عند نبي الله أيوب عليه السلام ٤٩٩
- * الأمل عند نبي الله يونس عليه السلام ٥٠٠
- * الأمل عند نبي الله زكريا عليه السلام ٥٠٠
- * الأمل عند نبي الله محمد ﷺ ٥٠١
- * أثر الأمل على الفرد والأسرة والمجتمع ٥٠٢
- أ- أثر الأمل على الفرد ٥٠٢
- * هكذا يكون صاحب الأمل ٥٠٤
- ب- أثر الأمل على الأسرة ٥٠٤

- ج - أثر الأمل على المجتمع ٥٠٥
- * كيف تحصل على التفاؤل؟ ٥٠٦
- النبي ﷺ وإفشاء السلام**
- * إفشاء السلام ٥١٣
- * تعليم الله (سبحانه وتعالى) السلام لأدم وقرينه ٥١٧
- * آداب السلام ٥٢٠
- * الأدب الأول: إفشاء السلام ٥٢٠
- * الأدب الثاني: أن يبدأ المرء من لقيه بالسلام ٥٢١
- * الأدب الثالث: الحرص على استعمال تحية الإسلام ٥٢١
- * الأدب الرابع: الحرص على إلقاء السلام كاملاً ٥٢٢
- * الأدب الخامس: وجوب رد السلام لمن ألقى عليه السلام ٥٢٢
- * الأدب السادس: رد التحية بأحسن منها أو بمثلها ٥٢٢
- * الأدب السابع: اجتناب تحية الموتى ٥٢٢
- * الأدب الثامن: عدم التشبه بغير المسلمين في تحيتهم ٥٢٣
- * الأدب التاسع: عدم بدء أهل الكتاب ونهيز المسلمين بالسلام ٥٢٣
- * الأدب العاشر: رد تحية غير المسلم بقول: وعليكم ٥٢٤
- * الأدب الحادي عشر: يبدأ الصغير والقليل والراكب بالسلام ٥٢٤
- * الأدب الثاني عشر: السلام عند مفارقة المجلس والخروج منه ٥٢٥
- * الأدب الثالث عشر: التصافح مع السلام عند التقابل ٥٢٥
- * الأدب الرابع عشر: إعادة السلام إذا حال حائل بين الشخصين ٥٢٦
- * الأدب الخامس عشر: السلام قبل السؤال والكلام ٥٢٦
- * الأدب السادس عشر: عدم السلام عند قضاء الحاجة ٥٢٦
- * الأدب السابع عشر: إعادة السلام ثلاثاً، خصوصاً إذا لم يُسمع ٥٢٧
- * الأدب الثامن عشر: خفض الصوت بالسلام إذا دخل على نائم ٥٢٧
- * الأدب التاسع عشر: إذا مرَّ على مجلس فيه مسلمون ومشركون سلِّم ٥٢٧
- * الأدب العشرون: التسليم إذا مرَّ على صبيان ٥٢٧
- * الأدب الحادي والعشرون: استحباب تبليغ السلام من شخص لآخر ٥٢٧
- * ثمرات إفشاء السلام ٥٢٨

- (١) إفتاء السلام امتثال لأمر الله (جل وعلا) ٥٢٨
- (٢) إفتاء السلام قربة إلى الله (جل وعلا) ٥٢٨
- (٣) دليل على الإخلاص ٥٢٨
- (٤) سبب في إشاعة الحب والرحمة بين المسلمين ٥٢٩
- (٥) إفتاء السلام سبب لمضاعفة الحسنات ٥٢٩
- (٦) إفتاء السلام سبب في دخول الجنة ٥٣٠
- * فضل المصافحة ٥٣٠

النبي ﷺ وتعدد الزوجات

- * الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ ٥٢٤
- * أولاً: الحكمة التعليمية ٥٢٤
- * ثانياً: الحكمة التشريعية ٥٢٦
- * ثالثاً: الحكمة الاجتماعية ٤٢٧
- * رابعاً: الحكمة السياسية ٥٢٨
- * تنفيذ تهمة خيثة ٥٤١
- * شبهة زواجه ﷺ من أمنا عائشة وهي صغيرة السن ٥٤٥

النبي ﷺ وغيرة النساء

- * عاطفة الغيرة عند الزوجة ٥٥٥
- * كيف عالج النبي ﷺ الغيرة بين نساءه؟ ٥٥٦
- * اصبر على غيرة زوجتك ٥٦٥

النبي ﷺ والضرب للنساء

- * ضرب الزوجة.. لماذا؟ ٥٦٩
- * ضرب النساء ٥٧٤
- * حدود الضرب ونوعه ٥٧٥
- * موقف النبي الكريم ﷺ من ضرب النساء ٥٧٧
- * ما الأسباب التي تجلب الضرب للنساء ٥٨١
- * فأما الأسباب التي هي من جهة الزوجة فهي ٥٨١
- * وأما عن الأسباب التي هي من جهة الزوج فهي ٥٨١
- * لا تكن منهم ٥٨٢

مشكلات في بيت النبوة

- * في بيت النبي ﷺ ٥٨٧
- * مشكلة النفقة ٥٨٨
- * لا تقل إلا حقًا ٥٨٩
- * أدخلاني في سلمكما ٥٨٩
- * قصة العسل ٥٩٠
- * غضبه ﷺ من أم المؤمنين رنب ٥٩٠
- * خلاف بين فاطمة وعلى (رضي الله عنهما) ٥٩١
- * أسباب الأزمات والمشكلات الزوجية ٥٩٢
- * أولاً: سوء الاختيار ٥٩٢
- * ثانياً: عدم التفاهم بين الزوجين في القضايا الأساسية ٥٩٢
- * ثالثاً: النشأة الأولى، وأثرها في استقرار الزواج ٥٩٤
- * رابعاً: عدم فهم الاحتياجات النفسية والعاطفية لكل طرف ٥٩٥
- * خطوات لحل المشكلات الزوجية ٥٩٦
- * الخطوة الأولى: الاحترام المتبادل ٥٩٦
- * الخطوة الثانية: التركيز في الموضوع الحقيقي ٥٩٦
- * الخطوة الثالثة: ابحثا عن مجالات الاتفاق ٥٩٦
- * الخطوة الرابعة: اتخاذ القرارات بالاشترك معاً ٥٩٦
- * لكل مشكلة حل ٥٩٧
- * قصة رمزية ٥٩٧
- * الحل عبر الحوار ٥٩٨
- * الإفصاح برفقة عن المشاعر ٥٩٩
- * الاستماع بإنصات للطرف الثاني ٥٩٩
- * تقبل رأي شريك حياتك ٥٩٩
- * الحل عبر التفاوض ٥٩٩
- * الإعداد ٦٠٠
- * التحاور ٦٠٠
- * العرض ٦٠٠

- * الابتعاد عن العتاب ٦٠٠
- * التكيف والمرونة ٦٠٠
- * قوة الاعتذار ٦٠١
- * ماضى الخلاف .. مستقبل الأمل ٦٠٢
- * لا تنبش الماضى ٦٠٢
- * لا تترك المشكلات تراكم ٦٠٢
- * لا تُخبر ثالثاً ٦٠٢
- * احذر الرمال المتحركة ٦٠٤
- * وأخيراً ٦٠٥

كيف نفوز بشفاعه النبي ﷺ

- * النبي ﷺ أول شافع وأول مُشفع ٦١٠
- * النبي ﷺ يختبئ دعوته شفاعه لأمة ٦١١
- * شروط الشفاعه ٦١٢
- * كيف نجمع بين الآيات التي تنفى الشفاعه والتي تثبتها؟ ٦١٣
- * أنواع الشفاعات ٦١٦
- * النوع الأول ٦١٦
- * النوع الثانى والثالث من الشفاعه ٦١٨
- * النوع الرابع ٦١٨
- * النوع الخامس ٦١٨
- * النوع السادس ٦١٩
- * النوع السابع: شفاعته ﷺ فى استفتاح باب الجنة ٦٢٠
- * وأما النوع الثامن ٦٢٠
- * شفاعه الملائكة ٦٢٣
- * شفاعه المؤمنين ٦٢٣
- * شفاعه أرحم الراحمين ٦٢٤
- * وهناك شفاعات أخرى ٦٢٦
- * وشفاعة الشهداء متدها ٦٢٧
- * وها هم أحياء يشفعون لأموات ٦٢٧

- * أسباب سقوط العقوبة عن العصاة ٦٢٨
- * السبب الأول ٦٢٨
- * السبب الثاني ٦٢٩
- * السبب الثالث ٦٢٩
- * السبب الرابع ٦٢٩
- * السبب الخامس ٦٢٩
- * السبب السادس ٦٢٩
- * السبب السابع ٦٣٠
- * السبب الثامن ٦٣٠
- * السبب التاسع ٦٣٠
- * السبب العاشر ٦٣٠
- * السبب الحادى عشر ٦٣٠
- * الشفاعات الدنيوية ٦٣٣
- * كيف تفوز بشفاعه النبي ﷺ ٦٣٤
- (١) إقامة التوحيد لله (جل وعلا) ٦٣٤
- (٢) حفظ القرآن وخاصة سورتي البقرة وآل عمران ٦٣٥
- (٣) الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له ٦٣٥
- (٤) كثرة السجود لله (جل وعلا) ٦٣٥
- (٥) الصلاة على النبي ﷺ عشراً فى الصباح والمساء ٦٣٦
- (٦) سكنى مدينة الرسول ﷺ والموت بها ٦٣٦
- كيف نشرب من حوض النبي ﷺ**
- * وجوب الإيمان بالحوض ٦٤٠
- * سعة الحوض ٦٤١
- * هل الحوض يروى العطشان؟ ٦٤٢
- * ما مصدر ماء الحوض؟ ٦٤٢
- * أول من يرد حوض النبي ﷺ ٦٤٤
- * ما عدد الذين سيردون الحوض؟ ٦٤٥
- * صفات من يرد الحوض ٦٤٦

- * منبرى على حوضي الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٤٧
- * لكل نبي حوض الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٤٨
- * من يُحرم من ورود الحوض الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٤٩
- * ما الكوثر؟ الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٥٢

النبي ﷺ يضمن لك بيتاً في الجنة

- * بيت في الجنة الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٥٧
- * نعمة البيت الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٥٩
- * ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاء الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٥٩
- * المساكن أربعة الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٠
- * ما منكم من أحد إلا وله منزلان الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٢
- * المؤمن يبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٢
- * ما أعد الله للمؤمنين في الجنة الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٢
- * ستسى كل شقاء مع أول غمسة في الجنة الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٢
- * ويدخلهم الجنة عرفها لهم الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٤
- * الدنيا وعشرة أمثالها لأدنى أهل الجنة منزلة الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٤
- * آخر أهل الجنة دخولا الجنة الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٥
- * «الوسيلة» أعلى منزلة في الجنة للنبي ﷺ الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٦
- * قصر النبي ﷺ في جنة عدن الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٧
- * قصرٌ مثل الرابطة البيضاء الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٨
- * قصرٌ على نهر الكوثر الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٨
- * منزل مثل السحاب لسيد الأحابي ﷺ الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٩
- * بيت في الجنة من قصب الخديجة ﷺ الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٦٩
- * قصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٧٠
- * أهل الجنة هم الملوك الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٧٠
- * لك قوة مائة رجل إذا دخلت الجنة الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٧١
- * هذه خيمتك في الجنة الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٧٢
- * طوبى لك منزل الملوك الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٧٢
- * من يكون في الفردوس الأعلى؟ الجنة روضة من أشجارها حوض من نبي ﷺ ٦٧٢

- * من يريد المساكن الطيبة فى جنات عدن؟ ٦٧٤
- * من كان عبداً للرحمن... فار بالغرفة فى أعلى الجنان ٦٧٥
- * الغرف العلى من الجنة لهؤلاء ٦٧٦
- * الفائزون بالغرف فى الجنة ٦٧٦
- * الشهداء... وخير منزل ٦٧٧
- * بيت فى الجنة لمن آمن بالنبي ﷺ وهاجر وجاهد فى سبيل الله... ٦٧٨
- * بيت فى أعلى الجنة لصاحب الخلق الحسن ٦٧٨
- * الحب فى الله... وغرف الجنة ٦٧٩
- * بيت فى الجنة لمن ترك المراء والكذب ٦٨٠
- * بيت فى الجنة... لمن فوض أمره لله ٦٨٠
- * غرف فى الجنة... لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ٦٨١
- * باب الريان للصائمين ٦٨١
- * بيت فى الجنة... لمن بنى مسجداً لله ٦٨٢
- * بيت فى الجنة... بائسى عشرة ركعة كل يوم ٦٨٢
- * صلاة الضحى وبيت فى الجنة ٦٨٢
- * بيت فى الجنة... لمن سد فرجة فى الصف ٦٨٢
- * منزل فى الجنة... لمن عاد مريضاً ٦٨٤
- * بيت فى الجنة بدعاء السوق ٦٨٤
- * بيت الحمد فى جنة الرحمن (جل وعلا) ٦٨٥
- * ألا تريد نخلاً حول بيتك فى الجنة؟! ٦٨٥
- * رضوان لا سخط بعده أبداً ٦٨٦

النبي ﷺ فى بيتك

- * حال الناس عند استقبال النبي ﷺ ٦٨٩
- * طريق الجنة واحد ٦٩٢
- * ماذا لو طرق النبي ﷺ بابك الليلة ٦٩٢
- * ألا إن سلعة الله غالية ٦٩٤
- * هؤلاء دخل النبي ﷺ بيوتهم ٦٩٥

- * النبي ﷺ يذهب إلى بيت أبي بن كعب ويطلق بابه ٦٩٥
- * في بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه ٦٩٦
- * النبي ﷺ في ضيافة أبي أيوب الأنصاري ٦٩٧
- * إكرامه ومحبه للحبيب ﷺ ٦٩٨
- * في بيت أم سليم رضي الله عنها ٧٠١
- * هل تستطيع أن تحب النبي ﷺ مثل هذا الحب؟ ٧٠٢
- * هجرة إلى الله وهجرة إلى رسول الله ﷺ ٧٠٢
- * فكيف بقاء الله (جل وعلا) ٧٠٣
- * وأخيراً ٧٠٣
- * الفهرس ٧٠٧



**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة



سؤال وجواب

فقه المسلم

فتاوى الصيام
و فتاوى معاينة
بمؤلف الشيخ محمود المصري أبو عمار

سؤال وجواب

فقه المسلم

أحكام الصلاة
كتاب الجائز
بمؤلف الشيخ محمود المصري أبو عمار

سؤال وجواب

فقه المسلم

كتاب الطهارة
كتاب الصلاة
بمؤلف الشيخ محمود المصري أبو عمار

المصارع

موسوعة كاملة
من عالم الجن والشياطين
بمؤلف محمود المصري أبو عمار

السور والآيات

كيف تكسب
قلوب
الناس

رفقاً
بالمخطئين

كيف تتعامل مع
أخطاء الناس

ساعة
ساعة

نوادير وعجائب

الحزن

واينسج للحياة
الطبعة الثامنة
بمؤلف محمود المصري أبو عمار

تعذير الساجد
من أخطاء
العبادات والعقائد

الزواج
الإسلامي
السعيد

موسوعة
الحقوق
الإسلامية

مسك
الختام

يوسف
الأحلام

فتاوى
الحج
والعمرة

مخابيات
حول الرسول

أصحاب الرسول
بمؤلف محمود المصري أبو عمار

رحلة إلى
الدار الآخرة

سيرة
الرسول

سيرة
الرسول
للأطفال

سيرة
الرسول
للأطفال

تفسير
جزء
من القرآن الكريم

أمهات
المؤمنين

أصحاب
الرسول

قصص
الأنبياء

قصص
الأنبياء

قصص
الأنبياء

قصص
الأنبياء

قصص
الأنبياء

بصريات



www.ibtesama.com